

ابو المرتضى بن شهاب

**رائد النهضة الاصلاحية
فى جنوب شرق آسيا**

تأليف

محمد أسد شهاب

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر

عظيم﴾

«المائدة: ٩»

﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا

ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم﴾

«الأنفال: ٧٤»

﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم

أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون * يبشرهم ربهم برحمة

منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم * خالدين فيها أبداً إن الله

عنده أجر عظيم﴾

«التوبة: ٢٠ - ٢٢»

صدق الله العلي العظيم

الإهداء

الى الذين يستمعون القول ويتبعون الحق ويتبعونه
من أجل الحق وحده.

أهدي لهم هذا الكتاب

تقديراً لكفاح المغفور له السيد أبي المرتضى بن
شهاب، واعترافاً بفضلته عاش مناضلاً مجاهداً، مؤدياً
رسالته فأحسن تأديتها، فله الجزاء الاوفى من المولى
العزیز القدير.

محمد أسد شهاب

كلمة المجمع

لم تخل مسيرة التأريخ البشري في ادواره المتعاقبة، ومراحله المختلفة من نماذج فذة تسّمت الذروة في التكوينة الهرمية للبناء الاجتماعي في كل أمة من الأمم. وينفرد من بين أولئك الأفذاذ بالرتبة العليا في ذلك السلم، أفراد لم يجهّدوا في سلوكهم للصدارة سبيلها، بل كان التأريخ هو الذي ينحني بين أيديهم ليرتقوا منه السنام، ويحلّوا من قمته المنتهى بما تأهلوا به من عوامل رقي في مسيرة الانسان التكاملية.

ومما يزيد من عظمة أولئك الرجال أن يقفوا جلّ حياتهم، وكل مواقفهم في سبيل خدمة الإنسان، وبنائه الروحي على أسس قويمية من الدين والأخلاق والعقائد الصالحة، لذلك كان أحوزهم لقصب السبق في ذلك الميدان من تتسع رقعة سعيه نحو ذلك الهدف، وتكون خطواته أعظم ريادة في تطوير بُنى المجتمعات، وتسيير عجلة رقيها للوصول إلى كمالها المنشود.

وإذا كان الأنبياء والمرسلون وأوصياؤهم عليهم السلام هم السابقين في ذلك المضمار بما كان لهم من دور مرسوم من قبل الله تعالى من أجل إرساء دعائم التوحيد، وإقامة الحق والعدل، بتذكير الفطرة، وإثارة دفائن العقول، وإعادة الوعي الانساني إلى جهته القويمية التي تعاورت على حرفها عن مسارها السديد عوامل فاعلة من الهوى والشيطان والطاغوت، فإن ورثة مسيرتهم تلك قد حملوا الامانة، وأدوا رسالة الاصلاح في الأرض، وساروا في خط أولئك المصطفّين من عباد الله يقتفون آثارهم ويتوخون مواقع خطاهم في نشر الحق والفضيلة، وإعلاء كلمة الله سبحانه في أرضه ومن أولئك الرجال

الأفذاذ الذين سلكوا تلك السبيل، حاملين رسالة الإصلاح هو السيد أبو المرتضى بن شهاب الدين العلوي رائد النهضة الإصلاحية في جنوب شرق آسيا، الذي تقدم الكاتب المحقق محمد اسد شهاب بعرض وافٍ لسيرة حياته في هذا الكتاب الذي تضمن الكثير مما يتعلق بتلك السيرة الرائدة، مع تخصيص جزء كبير منه لاستعراض القصائد التي نضمها السيد ابن شهاب في ولاء الرسول ﷺ واهل بيته ﺍﻟﻤﻮﺗﺎﻟﻴﻦ، والتي أوصى هو بنشرها. ومما تكفل الكتاب بعرضه مسألة مهمة في حياة ذلك الرجل، وهي قضية الوحدة بين المسلمين التي بذل من اجلها الكثير، وسعى جاهداً لإرساء قواعدها، ومحاربة عوامل هدمها أو إضعافها.

والمجمع العالمي لأهل البيت ﺍﻟﻤﻮﺗﺎﻟﻴﻦ إذ قام بنشر هذا السفر الجليل إنما يساهم في إثارة مكنون تراثنا الاسلامي الثرّ، والزاخر بسير الرجال العظام من أتباع مدرسة أهل بيت النبوة ﺍﻟﻤﻮﺗﺎﻟﻴﻦ، بإضافة مفردة سامية أخرى من مفردات حضارتنا الاسلامية التليدة، ومُعَلِّم هادٍ من معالم التاريخ الانساني المشرق بالخير والحق والفضيلة.

المعاونة الثقافية للمجمع العالمي

لأهل البيت ﺍﻟﻤﻮﺗﺎﻟﻴﻦ

تقدّم هيئة البحوث الاسلامية بأندونيسيا هذا الكتاب الجديد، عن رائد النهضة
الاصلاحية والمكافح الكبير السيد أبي المترضى ابن شهاب، للمؤلف الاستاذ محمد
اسد شهاب.

سبق لهيئة البحوث الاسلامية ان نشرت للمؤلف عدة كتب منها: «جولة في ربوع
جزر مورو» عام ١٩٨١ طبع في لبنان، ولاقى الكتاب اقبالا ونفدا في وقت وجيز.
في هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ، والذي نحن بصددده، يقول المؤلف في
مقدمته: انه بذل جهدا لتقصي كل ما يتعلق بالمتروجم له، حتى يتمكن من اعطاء القارئ
الافق الواسع من الوضع الصحيح و بدقة، عن حياة الفقيد رائد النهضة الاصلاحية.
لا ريب ان المؤلف بذل مجهوداً لتأليف وتدوين تاريخ رجل عظيم، عاش في
اواخر القرن التاسع عشر واول القرن العشرين، لاحياء التراث والحفاظ عليه من
الضياع. وهي خدمة يشكر عليها.

تطرق المؤلف في كتابه هذا الى عدة مواضيع، كلها تسترعي الاهتمام لتاريخ
هذا الرجل العظيم في جميع مراحل حياته. كثيراً ما كانت كتاباته مقتضبة، ولو توسع
لفتح للقارئ افاقاً جديدة شتى ومع هذا الاختصار فقد جاء الكتاب بهذا الحجم وافياً.
وقد يستطرد المؤلف في بحثه الى مواضيع اخرى لها ارتباط بالموضوع.

ان البحث والدراسة تتطلب المزيد من التوسع في كل فصل من فصول ادوار
حياة السيد ابن شهاب، خصوصاً وان هناك مواقف حاسمة مهمة تتطلب وتقتضي
المزيد من التوسع فيها، لئلا تكون هناك فجوات تاريخية يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً

متيناً قوياً، مثاله عن النشأة والعصر المتردي الذي عاش فيه وهو من أهم أدوار حياته. ففي هذا الدور تكونت شخصيته وتركزت نفسيته. لقد كان موضوع نشأته مقتضياً ويكاد يكون سردياً، مع أن المفروض أن يتوسع المؤلف فيه، كما أن موضوع أسرته جاء مختصراً جداً. في هذه الناحية كان عليه أن يتوسع بأسهاب، ويذكر مثلاً سبب تسمية هذه الأسرة بآل شهاب. متى ومن بدأ بهذه التسمية، ومن هم الشخصيات البارزة في هذه الأسرة قديماً وحديثاً، ولكن ربما كان للمؤلف وجهة نظر أخرى في هذا الموضوع احتفظ بها.

لم يفصل أو يعلق المؤلف على مكانة فقيدنا الراحل التي تبوأها في مهجره وما قام به من أعمال، خصوصاً في حيدر آباد حيث قضى أكثر حياته فيها. وفيها قضى نحبه وكان مدفنه، كما أن البحث يقتضي التسلسل التاريخي حتى لا يكون هناك فراغ. ولكن هذا لا يقلل من قيمة الكتاب الذي يعد أول كتاب وضع لفقيدنا المصلح الكبير.

تطرق المؤلف إلى ذكر بعض تلامذته فاختصر اختصاراً، مع أن جملتهم كبيرة، والأدوار التي قاموا بها للإصلاح كانت عظيمة وناجحة في مجال التوعية والتعليم والاقتصاد. وما هذه المآثر الناطقة اليوم إلا من بذورهم التي بذروها، وهم منتشرون في آسيا وأفريقيا وجنوب الجزيرة العربية، فلهم القدر المعلن في النهضة الإصلاحية، أو تكوين هذا الجيل الواعي المتنور بزعامة السيد ابن شهاد. وهكذا أيضاً في موضوع زملائه. المعروف أن صلات المغفور له كانت واسعة ووثيقة، خصوصاً برجال وزعماء المسلمين في العالم. ذكر المؤلف بعضهم باختصار في مصر والمغرب العربي والشام والعراق وإيران وتركيا وجنوب شرقي آسيا وغيرها. والمفروض أن يسهب المؤلف في هذا الموضوع، لأن رحلاته الكثيرة وصلاته بهم ومكاتباتهم له، كلها شاهدة بما نقول للفقيد من مكانة وتقدير من رجال العالم الإسلامي. لقد كانت رحلاته كلها مليئة بالأعمال الجليلة، فلا يحل في بلدٍ إلا ويوقظ مشاعر القوم ويذكي احساساتهم للنهضة

والاصلاح.

اما موضوع موقف السيد ابن شهاب ونظرته نحو المرأة، فقد ركّزه المؤلف واعطاه حقه من البيان، بمتابعته واستشهاده بنظرية الغير مما زاد الامر وضوحاً، وصار للموضوع اهمية وقيمة.

هناك موضوع كثر الحديث عنه، وهو لماذا اختار فقيدنا الهند ومدينة حيدر آباد بالذات دون غيرها من بلدان العالم، ليكون منطلقاً لدعوته واعماله الإصلاحية؟ ربما يكون ما ذكره المؤلف على اقتضابه ما يشفي الغليل.

قضية المتمزتين وتجار الاديان، هذه قضية هامة من القضايا التي شوهت سمعة المسلمين، وأساءت الى قيمة الدعاة المخلصين. فالمجتمع الاسلامي يئن من اولئك الذين اساءوا الى الاسلام، ممن يدعي الاسلام. وليس بمستبعد أنهم من اعداء الاسلام، ومن العملاء لاجهزة اجنبية لمحاربة الاسلام والمسلمين باسم الاسلام. فسحوا لاعداء الاسلام مجالاً ومدخلاً اتخذوا منه سلاحاً لمهاجمة المسلمين. وقيل: إن لهم صلة خفية بجهة استعمارية، لتنفيذ مخططاتها العدائية بارتكابهم تلك الاعمال المشينة المخجلة عن عمد.

موضوع النهضة الإصلاحية التي قام بها السيد ابن شهاب من المواضيع المهمة، والنقاط الحساسة التي تعتبر لب الكتاب، ففي هذا الفصل تلمع شخصية السيد ابن شهاب وعظمته ومواقفه. كيف كان يعمل ويخطط للإصلاح العام سياسياً واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً في ظروف حالكة وملابسات قاسية؟ وكيف كان يجاهد لبث روح الكفاح والنضال وتوعية الشعب؟

فما هي الدوافع التي دفعته لارتداد نهضته الإصلاحية؟

انه موضوع جدير بالاهتمام.

كان السيد ابن شهاب مقتنعاً كل الاقتناع بان النهضة الإصلاحية العامة يجب ان

تبدأ بالنهضة التعليمية لتثقيف العقول وتحرير الافكار، وعليه فقد بدأ بها. وبما ان هذا الموضوع هو الموضوع المهم الاساسي، لتكوين جيل جديد قوي مثقف فاهم واع يشعر بالمسؤولية بصفته فرداً من المجتمع. ومن هذا الجيل، تبلورت الافكار لارتداد النهضة الاصلاحية.

استطاع السيد ابن شهاب تحديد مخططة كما يقتضيه الواجب، وتتطلبه اصول التثقيف بحكمة ورصانة، مما يدل على رجاحة عقله وبعد نظره، فقد نجح واستطاع الوصول الى الهدف الذي ينشده، ووضع مثلاً للعدالة بمفهومها الشامل، على اساس الاخوة الاسلامية، ومعنى ذلك انه اعاد الحق الضائع فوضعه في موضعه الحقيقي.

ان الواقع الحقيقي المسلّم به هو ان النهضة الاصلاحية التي قام بها السيد ابن شهاب، كانت المنطلق لتطوير الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية في المهاجر الشرقية بوجه عام، وفتحت لشعوبها آفاقاً جديدة كانت اساساً للتقدم العلمي والثقافي، الذي، تتمتع به تلك الشعوب اليوم، ولو لا وجود هذه النهضة الاصلاحية لما كانت الشعوب في المهاجر الشرقية تقطف ثمارها، وتتنعم بهذه النعم من التطور الملحوظ، ولما بلغت هذا المستوى الرفيع من التنور.

مهما قيل ما قيل ومهما حاول البعض ما حاول من طمس هذه الحقائق الناصعة، او اعطائها صورة غير صورتها الحقيقية فما هو الا كمنكر ضوء الشمس في رابعة النهار. بعد انطلاق السيد ابن شهاب في نهضته الاصلاحية، وغرسه البذور ثم رعايتها حتى اثمرت واينعت، جنى القوم ثمارها بكل جوانبها وابعادها، فإذا الجمعيات تنشأ، والمدارس تبنى، والمطابع تؤسس، والجرائد تصدر، والكتب تؤلف وتنشر، ودور الايتام تنشأ، وابناء الشعب يتلقون العلوم في المعاهد ويخرجون حاملين الشهادات. فقد حوربت الامية ودفن الجهل.

كيف كانت الشعوب الإسلامية قبل ذلك العهد؟

كانت الشعوب الإسلامية في اواخر القرن الثالث عشر الهجري قد ضرب عليها الوهن، وهد من جسمها الضعف وبدت ممزقة وخاملة، لان دولة الخلافة، وهي رمز الوحدة الإسلامية كانت تعاني من ازمات خارجية ومشاكل داخلية، وهي تسير في طريقها الى الانحدار والانحلال رغماً منها، واعدائها يتربصون بها من كل جانب لانتهاز كل الفرص لاقتلاع هذه الفريسة نهائياً.

ان ذلك الوضع المتردي العام هو الذي دفع بالسيد ابن شهاب ليبدأ ويشق طريقه في عمله، ويصدع بدعوته للنهضة الإصلاحية، ويسعى السعي الحثيث لانتشال أمته و ما يمكن انتشاله من المأزق والانحطاط والهاوية التي وقعت فيها.

وكان من أهم اعماله ومساغيه تطوير الوضع الاجتماعي المتأزم، وتطوير معالم التفكير الجامد الى حركة نامية تعليمياً وثقافياً ووعياً للشعور بالمسؤولية، وذلك هو الكفيل لتطوير امة من حالتها المنحطة الى حالة اسمى واحسن، لتكون امة قوية مثقفة قادرة على الصمود، ومواجهة المصاعب وحل المشاكل، فلا خير لأمة جاهلة ولا أمل لشعب جامد.

اذا عرضت على السيد ابن شهاب قضية من القضايا السياسية ذات الاهمية القصوى، او قضية من القضايا الاجتماعية الحساسة، او من القضايا الاقتصادية المهمة يتناولها بأناته، ليدرسها ويغربلها من جميع النواحي بدقة متناهية، شرعاً وعرفاً وقانونياً، اسبابها، عواقبها، نتائجها بفكر متزن حتى يصل الى نتيجة ناضجة، فهو لا يستعجل في اي عمل يعمل، ولا يقحم الامر عنوة بعمل ارتجالي، وهذا يدل على رجاحة فكره المتمسمة بالمرونة واللياقة.

كل من عرف ابن شهاب او تابع قراءة مؤلفاته، او سبق له ان استمع الى محاضراته او اقواله في مجالسه او عندما يلقي دروسه يشهد له ببعد نظره وكمال

حكيمته. اما سلوكه فمعروف، ويشهد له الجميع بمدى استقامته وتقواه. اما مواقفه المقدّمة، وكفاحه من اجل امته، وافكاره النيرة واعماله الخيرة، فكلها جعلته قادراً على ردع التائهين، وتوعية الانعزاليين الجامدين، وهدى الطائشين، فنحاهم جميعاً عن انحرافهم، وازال ما ران على افكارهم من رواسب العمليات البالية، واعادهم الى الطريق والنهج السوي.

من خلال ما جاء في هذا الكتاب يرى القارئ حقيقة شخصية السيد ابن شهاب الفذة، وسداد رأيه، وبعد نظره يجاهد مخلصاً وينفق بسخاء في سبيل إنقاذ أمته، فتح لهم الابواب المغلقة، وما استعصى عليهم ادراكه، وفهمهم ما غاب عن اذهانهم. وكان لارباب المصالح الذاتية سعي لطمس الحق والحقيقة، حتى يبقى مجهولاً لدى الامة، فانقلب الامر وظهر الباطل وكأنه هو الحق الذي يجب اتباعه، واصبح في عقيدة القوم امراً مقدساً، فتشبت به المتشبتون والزموا الناس التمسك به، وهم لا يدرون انه الباطل. هدّم السيد ابن شهاب تلك الاساطير الفاسدة بحكمة حكيمة، وطور الشعب وجعل من افراده شخصيات ذات قيمة رفيعة المستوى.

لم يكن السيد ابن شهاب الزعيم الاول ورائد النهضة الاصلاحية فحسب، ولكنه كان ايضاً أديباً كبيراً وشاعراً مقلقاً لا يشق له غبار، فجمع بين الادب والقيادة والزعامة الفكرية والاصلاحية بمفهومه الشمولي، ابتداءً من نشر التعليم والتثقيف الى الاصلاح الاجتماعي والاقتصادي والسياسي واوجد في الامة روح التحمس للنضال. وخير دليل على عظمة السيد ابن شهاب، هو أنه استطاع ان يوجد من تلامذته عناصر قوية خلفوه في الزعامة، واوصلوا المسيرة على النهج الذي وضعه لهم، فأتموا البناء على اسس تصميمه لتحقيق وجود مجتمع يتمتع بالعدالة الاجتماعية ثم يحافظ عليها.

واليوم وقد مضى على تاريخ ميلاده اكثر من قرن، إذا القينا النظرة ملياً الى وضع

المسلمين، ثم قارنًا بين رجال رواد النهضة في عصر السيد ابن شهاب، وبين ما نشاهده الآن من الحركات والمنظمات والمؤتمرات الإسلامية، التي تقوم بدعمها هيئات أهلية ودولية، وتمونها حكومات باموال طائلة. وطبعاً، ان لكل منها هدفاً خاصاً لصالحها، فالفرق عظيم والبون شاسع بين السابقين المخلصين في اعمالهم، إذ ليس لهم هدف شخصي أو مصلحة ذاتية سوى نفع الامة، وبين اللاحقين الذين لهم مصالح خاصة.

تعقد المؤتمرات والندوات، والنتيجة هي اتخاذ قرارات فوق القدرة والطاقة، ولا يمكن أن تنفذ، وتوصيات غير فعالة ولا يسمعها احد، كنداءات الصائح في الصحراء، وتكرر نفس النغمة بنفس القرارات والتوصيات والاحتجاجات عندما تتكرر تلك المؤتمرات والندوات، وكلها هدر كلام، كهدر الاموال بكرم حاتمي، ولا جدوى لها، إذ تبقى قرارات بدون تنفيذ.

اصبحت المؤتمرات والندوات الشغل الشاغل للهيئات والمنظمات والدول، وأخذت الخلافات الداخلية تتكاثر وتتعاظم داخل تلك الاجتماعات. والغريب بعد كل ذلك أن تصدر البيانات الختامية المشتركة بان المؤتمر ناجح، وعقد في جو من التفاهم الاخوي، فالفرق بين الدعوتين الماضية والحالية واضح.

على رغم ان الخسارة فادحة بغياب رائد النهضة الاصلاحية الاديب الكبير السيد ابن شهاب، غير انه. من المفرح أنه لم يحدث اية ثغرة او فراغ في نطاق النهضة بعد غياب الفقيد، لوجود خلف من مستوى اعظم الرجال، كالسيد محمد بن عقيل صاحب المؤلفات الكثيرة وامثاله، ولكن بقي هناك فراغ ملموس لم يسد حتى الآن في الادب فلا يوجد في الشعر من يجاريه.

انه رائد النهضة الاصلاحية وزعيمها وبانيها بلا ريب، وهو ايضا اديب كبير وشاعر لا يضاهيه احد، حمل مشعل الادب الى المهجر الشرقي، فخرج

من مدرسته شعراء. واسمعه ماذا يقول في هذه القصيدة العاطفية الرقيقة التي
مطلعها:

من غرامي بقرطها والقلاده	ان أمت مغرمًا فموتي شهادة
وهو القائل ايضاً:	
على سلمى وان نأت الخيام	من المضنى التحية والسلام
وهو القائل:	
تعللنا بذكرهم الحداة	وتهدينا النسائم اين باتوا
وهو القائل:	
فتنتك حين بدت بوجه مسفر	ورنت مسلمة بطرف احور
ومن قصائده الخمریات يقول:	
روق الخمرة صرفاً وادر	واسقنيها في الظلام المعتكر
ومن قصيدة اخرى مطلعها:	
امحدثي عمن أحب واعشق	زدني فبي لهم اشتياق مقلق
وهو القائل ايضاً:	
بشارك هذا منار الحي ترمقه	وهذه دور من تهوى وتعشقه
ثم اسمعه ماذا يقول:	

بهزك غصن القد ماذا تريدنا وماذا بلغز العين في السر تعيننا
هذه من مطالع قصائده الغزلية الكثيرة اقتطفنا منها جزءاً يسيراً، وقد كتبوا عنه
في الصحف كثيراً، منهم الاستاذ الاديب محمد بن هاشم في سلسلة مقالات نشرتها
جريدة حضرموت في سورابايا، والاستاذ العلامة محمد احمد الشاطري في كتابه
ادوار التاريخ الحضرمي، والاستاذ الاديب الكبير صالح الحامدي صاحب ديوان
سمات الربيع، كتب سلسلة مقالات عن السيد ابن شهاب في مجلة النهضة الحضرمية

من سنغافورا، وكتب الاستاذ محمد احمد مشهور الحداد سلسلة مقالات في جريدة البلاد، التي تصدر من جدة، كما دبح الاستاذ العلامة محمد بن حسن بن علوي بن شهاب ابحاثاً عن السيد ابن شهاب في صحف سنغافورا، وكتب عنه السيد علوي الحداد مفتي سلطنة جوهور الماليزية، والسيد حامد المحضار الف كتاباً خاصاً عن السيد ابن شهاب لا يزال مخطوطاً وكثير ممن لا يمكنني حصرهم كتبوا عن السيد ابن شهاب.

حين يدعو السيد ابن شهاب الى التحرر، فانما يقصد التحرر الفكري السليم من التبعية العمياء. فالحرية في نظرية السيد ابن شهاب ليست الهدف الاول والغاية القصوى، اذا لم يكن رائدها العقل، واساسها البصيرة، ولم تتخذ من النظر البعيد نبزاً، ومن العلم ركناً حصيناً، حتى يمكن الوصول الى الهدف الحقيقي السامي مأمون النجاح.

هناك لا يزال اناس ممن يرى الحرية بمعنى التفسخ والفوضى والارهاب، فهو لا يريد لها ويحاربها ايضاً.

لو جمعت نظريات السيد ابن شهاب وتوجيهاته الكثيرة الضخمة، لكانت مجموعة ضخمة من الآراء السديدة والتوجيهات القيمة، التي تمثل نبزاً يستضاء بنوره في الظلمة الحالكة.

شهد المهجر الشرقي عهد انبثاق لحركة نهوض واصلاح كبيرين شاملين في جميع القطاعات بوصول السيد ابن شهاب الى هذه المهاجر عام ١٢٨٨ هـ اذ قام بدور نهضة اصلاحية فعالة وعظيمة.

إذا تقصينا الوضع ودرسنا الامور عن كتب في عهد او اخر القرن الثالث عشر الهجري، او او اخر القرن التاسع عشر الميلادي، نجد ان السيد ابن شهاب عاصر الزحف

الاوروبي الاستعماري على العالم الشرقي، او العالم الاسلامي بعبارة اصح، بأساطيلة للسيطرة على الاقتصاديات العالمية، في الوقت الذي تنهوى الشعوب الاسلامية في آسيا وافريقيا تحت نير الاستعمار، وبين مخالف الاستعباد الاوروبي ما عدا اليابان.

هذه الحوادث المؤلمة اثرت في نفس السيد ابن شهاب، لانه يرى ويشاهد ذلك في عصره المليء بالمشاكل والمحن المنصبة على العالم الاسلامي، وان حصون دولة الخلافة والمعاقل الاسلامية يدكها الاستعمار.

ولكن من سنن المولى جل شأنه ان تلك المشاكل والمحن هي التي تصهر الرجال وتخلقهم، فيظهرون على مسرح الحياة في الوقت المناسب للإصلاح والنهضة. فالزعماء لا يظهرون الا في الاجواء المكفهرة بالظلماء، والمتلبدة بالظلم والفساد والطغيان. والتاريخ شاهد ومليء بأمثال اولئك الزعماء، الذين قاموا بنهضة اصلاحية انقذوا بها قومهم من طغيان الظلمة، وانتشلوهم من حضيض الفساد ومهاوي الاستعباد. قد ينبجح البعض، وقد يدفع البعض الآخر ثمناً عالياً يذهب ضحية الإصلاح.

ومن الناس من يرى الإصلاح فساداً لمكانتهم وعروشهم

وبعد، فقد احسن الاستاذ محمد اسد شهاب بما قام به من جهد يشكر عليه، لابرازه تلك الشخصية بتأليفه هذا الكتاب، وقد تولت هيئة البحوث الاسلامية بجاكرتا في اندونيسيا، رغبة منها، نشر هذا الكتاب ضمن سلسلة منشوراتها العديدة، التي بلغت حتى اليوم اكثر من ثلاثمائة وستين كتاباً، باللغات الاندونيسية والعربية والانجليزية، في مواضيع شتى خدمة للعلم والتاريخ.

هذه محاولة قيمة ومجهود يشكر عليه لاحياء تاريخ العظماء وسيرهم، وهم جزء لا يتجزأ من التاريخ العام، الذي سيلمحه القارئ من خلال قراءته لهذا

الكتاب.

مضى ما يقرب من قرن ونصف على تاريخ ميلاد السيد ابن شهاب عام ١٢٦٢هـ، نعترف ان ما بلغناه و ما توصلنا اليه وما حصلنا عليه من خير نتمتع به الآن، انما هو بفضل جهوده، وما بذره فقيدينا عندما وضع مخططه في النهضة الاصلاحية. قد يغيب عن ذهن الجيل الحاضر والقادم هذه الحقائق لعدم اطلاعه عليها، فعلينا ان نقدر للمجاهد حق قدر جهاده، وللمكافح حجم كفاحه، اولئك الذين يعملون لله تعالى لرفع شأن الامة ونشر العلم وبث الوعي.

ان الواجب يحتم علينا تقدير وتعظيم هؤلاء المجاهدين المخلصين، وان نعرف الجيل القادم بهؤلاء الزعماء المجاهدين.

إن ما بلغ من علمنا، ونحن لا نجزم بذلك، ان السيد ابن شهاب لم يكتب مذكرة له في حياته، كما لم يكتب شيئا عن رحلاته، مثل ما يكتب العظماء مذكراتهم. ففيها تصور الحوادث من وجهة نظرهم. كم سيكون لمذكرات السيد ابن شهاب، لو كتبت، قيمتها التاريخية؛ اذ ان في المذكرات عادة كشف امور خفية ذات اهمية قصوى. ولعل الايام المقبلة كفيلة بإبراز ما نتمناه الآن. كما اننا نؤمل، كما يقول مؤلف هذا الكتاب، ان يأتي من بعده آخرون من الجيل المتنور المثقف يبذلون الجهد والطاقة لمواصلة البحث والدراسة، والتقصي لكل ما يتعلق بفقيدينا المغفور له، مما تركه من مؤلفات، وبخاصة ما كان مطبوعاً منها، إحياءاً للتراث العلمي، وتخليداً لهذا الزعيم العظيم، والمصلح الفذ الكبير رائد النهضة الاصلاحية.

ومن الملاحظ ان السيد ابن شهاب ترك الدنيا ملياً نداء ربه بعد طمس الاستعمار لدولة الخلافة وازالتها، وطرد آخر سلاطينها بعامين، واستبدالها بجمهورية وطنية علمانية، وهو الذي استمات في حياته مجاهداً للدفاع عن بيضة الاسلام،

ووحدة المسلمين تحت لواء الخلافة. كما انه خرج من هذه الدنيا خالي الوفاض، لم يترك لورثته مالا ولا عقاراً ولا شيئاً من حطام الدنيا.
رحمه الله وغفر له، ووفقنا جميعاً للعمل من أجل الصالح العام، خدمة للمجتمع
وابتغاءً لوجه الله وحده. والله ولي التوفيق.

رئيس هيئة البحوث الاسلامية

جاكرتا - اندونيسيا

واقعة حال

كثر اللغظ وتعددت التهم والاقاويل التي أثارها زمرة من ذوي الفتن المغرضين اعداء الحق ومروجي الباطل، يتهمون السيد ابن شهاب بالمروق عن الصراط القويم والخروج عن الجادة المألوفة وطريق السلف، وانه اتى بآراء جديدة غريبة تخالف المعروف والمألوف، وتدعو الى الزندقة. فراجت اسواق المغرضين من تجار الاديان ومستجدي نعم السلطان، وسلاح العاجز القذف والتهمة والسب والشتيم، فقام السيد في وجوههم وكان في شرح شبابه، وردّ عليهم بهذه القصيدة، معلنا الحق وموقفه الذي يستमित من اجله ومحاربة الباطل والمبطلين^(١):

قال لي بعض مدعي العلم ممن	اضرم الحمق بين جنبيه نارا
هل ترفّضت قلت لم ادر ما الرف	ض لديكم حقيقة واعتبارا
فرّفع مقام قومي وسام	ان يجاروا السفه والمهذارا
غير ان الضرورة اقتضت الإيد	ضاح فالصمت يوهم الإقرارا
ان لي من تمسّكي بكتاب الله	ما اتّقي به الأخطارا
ولما صحّ من حديث ابي القا	سم أنقأ راضياً مختارا
لا أعاني التأويل فيها اتّباعاً	للهوى او تعصباً او ضارا
مذهبي مذهب الوصي ابي السد	بطين فالحق دائر حيث دارا
اعلم الصّحّب للمدينة باب	كم به الله ارغم الكفارا ^(٢)

(١) تم حذف بعض أبيات القصيدة لأسباب فنية.

(٢) اشارة لحديث «انا مدينة العلم وعلي بابها» وقد تكلم بعضهم في هذا الحديث وقد حكم الحافظ السيوطي بصحته والحافظ العلاني بحسنه وله طرق متعددة وما قيل من أن ابن معين كذبه يخالفه ما ذكره الحافظ عنه في ترجمة ابي الصلت في تهذيب التهذيب.

وتمسكت بالشهيد اني
اشرف العالمين أمّا وجدّا
حصّنا العلم اذ بنو عبد شمس
غيّروا بدّلوا طغوا وتعامى
ألف شهر تمتعوا ثم حقّت
وبأقوال جعفر حيث صحت
وبنيه الأئمة العلويين
سالكي المنهج الذي لم تجد في
هؤلاء الاعلام اشرف بيت
ايها الغمر هل سؤالك إيا
اننا ايها المغفل نقفو
ان يطوفوا نطف ونستلم الـ
اعلم الناس بالكتاب وبالـ
بالذي صحّ عنهم الأخذ احرى
ان تقل ما به يدينون رفض
أعلى الحق تجتري ام عليهم
عن ابيهم اتى الهدى ثم عنهم
فهو في دورهم وفيهم عريق
ما من الشام جاء أو ارض طوس
ديننا حبّ اهل بيت رسول الله
ونحبّ المهاجرين واصحا
ضاعف الله اجرهم وعليهم

سائر في عقيدتي حيث سارا
اطيب الناس عنصراً ونجارا
خبط عشواء يخبطون سكارى
حاملو العلم خيفة واضطارا
نقمة الله فاستحقوا الدمارا
عنه نقضي ونتبع الآثارا
الألى حولوا العتيم نهرا
هـ انعطافاً ولست تلقى ازورارا
في الورى بيّتهم واعلى منارا
ي لجهل ام خفة واغترارا
هؤلاء الأئمة الاطهارا
ركن ونرمي كما رموها الجمارا
تّة حيث الهدى هناك استنارا
فاقرأ الكتب وافحص الأخبارا
فهو ديني عقيدة وائتمارا
كيف تسري سرى النور الحبارى
يتلقى ويودع الأسفارا
ولدى غيرهم يرى مستعارا
او سمرقنداً أو أتى من بخارى
هـ حبّاً يكرّ الأوزارا
ب النبي الخيار والأنصارا
صيّب العفو والرضا مدرارا

وأحلّ الجميع في جنة الخـ
هذه السنّة التي امر الدـ
ونهاهم عن التولّي لمن نا
ما تريدون بعد انا شرحنا
هل تسوموننا انتقاص علي
او على ابنه نجتري وسخيفُ
ام تريدون ان نحبّ ابن هند
لم تجد مؤمناً كما اخبر الدـ
وحديث النبي اقوى عرى الايد
فهو باغ ولا كرامة للبا
حارب المرتضى وسّم سبط الدـ
يقتل الصالحين صبراً كحجر
وتمادى يعيث فيهم فساداً
خاض لج الضلال عشرين عاماً
وتقولون باجتهاد مثاب
لو يكون الذي زعمتم صوابا
هل ترى عالم الخفيات يرضى
ومن المخجل احتجاج اناس
ساقهم نصبهم اليها افتراها
ولهم كم مقلد رام ربّحاً
اين ربح الذي يرى القار مسكا

لد وأجرى من تحتها الانهارا
ه بها الناس صبية وكبارا
فق او جدّ في الفساد وجارا
ما الصدور انطوت عليه مرارا
فنغيظ المهيمن القهّارا
من يعيب الشمس والأقمارا
وعن النص مثلكم نتواري
ه محباً من حارب الجبارا
سما في الله بغضنا الاشرارا
غي ومن النار الشرار استطارا^(١)
مصطفى بسّ ما ارتضاه قرارا
يأكل الفيء يلعن الكرّارا
وعلوّاً في الارض واستكبارا
ثم ولّى يزيده الخمّارا
يا لهذا معرّة وشنارا
لارعوى بعد قتله عمارا
ما صنعتهم ويقبل الاعذارا
باحاديث تشبه الاسمارا
ورواها من يعبد الدينارا
لم يزدّه التقليد الا خسارا
يُقتنى او يرى النحاس نضارا

(١) لعله ومن ناره الخ ليستقيم البيت.

وارفع الخلف بيننا والشجارا	ربنا افتح بين الجميع بحق
ممل علينا اصرا ولا أصرارا	واهْدنا أقوم السبيل ولا تحـ
ساء وارحم وأرخص الاسعارا	وارفع الضنك عن عبادك والبأ
اعظم الرسل رتبة وفخارا	وصلاة على نبيك طه
الارض من ان تميد او تنهارا	وعلى العترة الكرام امان
اللّٰه ساموا النفيس والاعمارا	وعلى الصّحب من لنصر رسول
ـري او ناوح الحمام الهزارا	وعلى التابعين ما غرد القمـ

* * *

في ذِكْرِ أَبِي الْمُرتَضَى

نتلو من الكون سفرا طيه عبر
الفكر والسمع والأبصار تألفه
ما زال يجلو الذي ما زال مستتراً
فانظر الم تر للدجاء ظلمتها
وكم سما يا ترى نبت على جمد
ما أنت من حجر صلد ولا مدر
لم يعينا كل ذا الإعياء مغلقه
أما السؤال فكل الكون مسألة
فاقنع هديت وزد يا رب منك هدى
إن لم يكن معدل فالزم محجته
وسر وحاذر فإن المستوى زلق
فما سؤالك ما لوح وما قلم
وقفت جهلاً أمام الباب تفرعه
أبقيت في الفلك والأرواح عاصفة
يا رب من يدعي علماً وفلسفة
إن تستزيدي فكم من كاذب أشر
العيش عمر وأعمال مسجلة
وكم عظام تذيب القلب من أسف

لم يقض منها على طول المدى وطر
يتلو وينبئ وهو السفر والخبر
وهو الخفي الذي ما زال يستتر
إذا تغيب عنها الشمس والقمر
وقد تبين ما نفس وما مدر
إن أنت إلا على علاته بشر
إلا وفي الأمر صون هتكه ضرر
خذ ما يليك ودع ما دونه خطر
لا بد من مرجع مهما نأى السفر
فلا يهكم منها الطول والقصر
واصبر وكافح فإن المرتقى وعمر
جف المداد وتم الحكم والقدّر
فاستغفر الله علّ الذنب يغفر
والبحر موج وفي تسيارها غرر
يقول للصدف الخلاب يا درر
فجنة الخلد للصديق يا سقر
فما اعتذاركما ليلى ويا غدر
فإن أبيت فما أقساك يا حجر

لا تأمن الذنب مهما دق من صغر
خلقت سبحانه اللهم ممتحننا
يرعاك يا ابن شهاب بعد محنتها
نعيش ذكراك بعد البين خالدة
وقد تركت لنا عهدين ما بقيا
ورثت ما ورث الرسل الكرام لنا
وفي حياتك نور يستضاء به
إن الحياة إذا الرحمن باركها
أنت العلى والمنى والعز مكرمة
يا راوي الدهر أنشدنا قصائده
عزيزي السيد محمد اسد شهاب

فرب نكبة نار أصلها شر
دار الكفاح ومنك العون والظفر
رب غفور إليه الكل مفتقر
وفي الحياتين نعم الذكر والعبر
بقيت فينا هما العرفان والنذر
فلا تراث سوى ما تحتوي الزبر
لم يبله الدهر فهو الشمس والقمر
فليس يرزأ فيها الطول والقصر
أنت الحجى والنهى والمجد والظفر
ومتّع النفس شعرا كله دُرر

وصلت من سفر الى ارض الهند بدعوة من علماء في نيودلهي فلما وصلت بوفور
وجدت خطابكم الكريم فكتبت هذه الأبيات ورحم الله الحبيب صاحب الديوان.
وهنيئاً لكم العيد السعيد أعاده الله علينا وعليكم في خير وعافية والسلام.

محبك المخلص

تقديم

عندما زرت ايران عام ١٣٩٢هـ، الموافق ١٩٧٢م تسنى لي ان اقوم بزيارة لبعض علماء المسلمين الاعلام فيها، وتشرفت بالاجتماع مع الكثير منهم في عدة مدن، منها: طهران، قم، شيراز، مشهد، وغيرها.

اجتمعت بالعلامة الجليل السيد مرتضى العسكري صاحب المؤلفات الكثيرة، وعميد كلية اصول الدين في بغداد سابقاً، قبل استيلاء حكومة بغداد عليها ومصادرة املاكها. كما اجتمعت بالسيد العلامة آية الله شهاب الدين الحسيني المرعشي، وبكثير من الشباب المثقف الجامعي الذين يعملون في حقل التعليم والتربية والثقافة. وسنحت لي فرص زيارة معاهدها العلمية وحوزاتها وجامعاتها وانديتها الادبية، واتصلت برجالها ووجهائها. ودونت كل ذلك في كتاب خاص افردته عن ايران من جميع نواحيها. كما افردت لكل بلد زرته على حدة في كل رحلتي. منها مثلاً جولتي في ربوع جزر مورو، وضعتها في كتاب خاص طبع بمطبعة سرفي بريس في بيروت عام ١٩٧٩م.

تطرق العلامة السيد المرعشي حين اجتماعي معه في حديثه الممتع الى ذكر السيد ابي المرتضى ابن شهاب، وتكلم باسهاب وهو معجب به وبتأليفه وبحوثه العلمية ودراساته الموضوعية العميقة، الدالة على سعة اطلاعه ومبلغ مستواه العلمي الرفيع، ومساهمته الفعالة في تركيز النهضة العلمية.

السيد المرعشي يقدر السيد ابن شهاب تقديراً كبيراً ويعجب به، كما ابدى لي ذلك كثير غيره من الاكابر في هذا الموضوع.

عجبت ان يكون للسيد ابن شهاب هذه المكانة الممتازة، والتقدير العظيم والاعجاب الكبير لدى كبار المراجع العلمية الاسلامية في ايران، امثال السيد المرعشي الذي بدا لي سعة اطلاعه على مكانة السيد ابن شهاب.

استطرد السيد المرعشي في حديثه الشائق الممتع، وذكر ان لديه بعض مؤلفات السيد ابن شهاب، منها كتاب «رشفة الصادي» الذي يأمل ان يعيد طبعه احياء لهذا التراث الغالي.

مرت شهور بعد عودتي من ايران، فاذا انا برسالة تصلني من السيد شهاب الدين المرعشي، بتاريخ ٨ شوال عام ١٣٩٦ هـ، يقول فيها: انه في مقام اعادة طبع ونشر كتاب «رشفة الصادي»، ورجاني ان اكتب شطراً من ترجمة المرحوم السيد ابن شهاب. لببت في الحال طلبه على استعجال، تقديرًا لجهدته وهمته في احياء وتخليد التراث الاسلامي. وكتبت ما يقرب من عشرين صفحة بالخط العريض مقدمةً بسيطة للطبعة الثانية من كتاب رشفة الصادي.

ومضت السنون، ويمتد بي الزمن الى فرصة كنا فيها في اجتماع ضم الكثير من الشباب المثقف، ووجدت كثيراً منهم يستفهم متلهفًا، بل ويستزيد عن السيد ابن شهاب. فدار بخلدي ان اضع كتاباً موجزاً عن حياته، استقيه من المصادر التي تذكر عنه. وأن يحتوي هذا الكتاب مراحل حياته ونهضته الاصلاحية، ومواقفه السياسية والاقتصادية، وبرامجه وآراءه. ورأيت اكمالاً للكتاب ان ألحقه مختارات من قصائده. بدأت في الكتابة، وشعرت اني في حاجة الى كثير من المراجع المتعلقة بالمترجم له، واسفت آنذاك ان مكتبة وكالة الأنباء العالمية (APB) قد ضاعت، ولم آسف على شيء كاسفي على ضياع مؤلفات السيد ابن شهاب، من تلك المكتبة الخاصة بالكتب التراثية القيمة بجاكرتا، التي كانت في إدارة الوكالة، وذلك اثر اقتحام البوليس الهولندي عام ١٩٤٨م خلال الثورة الاندونيسية الاستقلالية، ومصادره جميع

الاوراق والوثائق والكتب من ادارة الوكالة ومكتبتها، التي تضم امهات الكتب التاريخية والادبية والدينية والعلمية. ثم تلت هذه المصادرة استنطاقات قاسية مفتعلة، دامت اياماً في مركز القوات المسلحة لبوليس الهولندي، وعلى الرغم من كل ذلك فان العمل في ادارة الوكالة استمر ولم ينقطع الا يوماً واحداً فقط. وكانت النشرات الاخبارية تصدر يومياً مرتين، كالعادة، صباحاً ومساءً بثلاث لغات، الاندونيسية والعربية والانجليزية.

بعد الافراج عن المسؤولين لم يفرج عن الكتب والوثائق والاوراق، وبقيت محجوزة في مركز البوليس الهولندي، على الرغم من مطالبتنا والاحانا لاسترجاع ممتلكاتنا من الكتب الصادرة وغيرها. وهكذا فقدت وكالة الانباء هذه المكتبة باجمعها. ولا نعلم ماذا فعلوا بالكتب والوثائق، ونحسب انها احرقوا وابدت كلها. واكملت هذه المسرحية في اواخر عهد الرئيس سوكارنو، حيث هيمن الشيوعيون في ذلك الوقت على دفة الحكم. وتم مصادرة وكالة الانباء العالمية عام ١٩٦٣، ضمن سلسلة مصادرات الصحف اليومية الكبرى، والمجلات التي لا تماشي سياسة الحكومة ونظامها اليساري. فقد صدر مرسوم جمهوري رسمي باسم رئيس الجمهورية الاندونيسية بتاريخ ١٣ ديسمبر عام ١٩٦٣، يقضي بمصادرة وكالة الانباء (APB)، والاستيلاء على ممتلكاتها الثابتة والمتحركة، وكل ما له علاقة بالوكالة التي جمعت حديثاً، والاموال والاقلام والدفاتر والحسابات الجارية والآلات، حتى الموظفين والعاملين فيها، وتم اغلاق مكتب الوكالة (APB) بالشمع الاحمر، وسيق المسؤولون الى مركز المدعي العام، لاستنطاقهم وتحميلهم المسؤوليات المصطنعة لتبرير مصادرة الوكالة وممتلكاتها.

دام الاستنطاق ثلاثة اشهر، ثم افرج عنهم بدون محاكمة لعدم وجود سبيل او منفذ لادانتهم، ولكن الحكومة استولت الوكالة وممتلكاتها، ثم ادمجت وكالة الانباء

(APB) بما فيها من الموظفين والعاملين فيها، بوكالة الانباء الحكومية «انتارا»، والتي يشرف عليها الحزب الشيوعي مباشرة.

حاولت الحكومة اغراء المسؤولين في الوكالة، فعرضت عليهم مناصب عالية خارج اندونيسيا، ليتقلدوا منصب سفير ومستشار السفارة في اوروبا الشرقية وامريكا اللاتينية، او البلدان الاشتراكية في آسيا. ومعنى هذا في العرف العام المتعارف عليه «نفي» ولكن بأسلوب وطريقة يخفى فيها المكر. وجاء مندوب خاص من قبل الرئيس سوكارنو يحمل معه هذا العرض والاقتراح، ولكننا رفضنا هذا العرض الذي يحتوي على معنى النفي والابعاد من البلاد لمن لا يرغب فيه بأسلوب مهذب، والذي يطبق في كثير من البلدان. ثم ان السفير مقيد بنظم وقوانين الدولة، يجب عليه تنفيذها بقسم يقسم به امام الرئيس.

لقد فضلنا البقاء في اماكننا، وعدم التعاون مع الدولة مطلقاً، وان كان ذلك يجر علينا العواقب الطغيانية. ان امثال هذه الطريقة التي يتخذها الحكام في كل دولة استبدادية ديكتاتورية امر مألوف ومعروف. اذ ليس للحق فيها قيمة ولا للحرية مكانة ولا للعدل وزن.

لم يدم عهد حكم الرئيس سوكارنو طويلاً بعد تورطه في الشبكة الشيوعية، ومصادرته وكالة الانباء العالمية والصحف التي لا تماشي هواه، لقد قضي عليه وعلى سلطته وحكمه بعد سنتين فقط من تاريخ مصادرة الوكالة، وذلك اثر الثورة الشيوعية الفاشلة للاستيلاء على الحكم في يوم ٣٠ ايلول - سبتمبر عام ١٩٦٥م^(١).

وبسبب فقداني تلك المراجع التي لم يبق منها بيدي الآن الا النزر اليسير جداً، ونسخة واحدة من ديوان السيد ابن شهاب المطبوع باندونيسيا عام ١٩٢٤، وما وجدته

(١) لمن يريد مزيد الاطلاع على القضايا الاندونيسية نحيل القارئ لمراجعة كتاب «صفحات من تاريخ اندونيسيا المعاصرة» الطبعة الثانية ١٩٧١ دار لبنان - بيروت.

من بعض كتابات خطية لدى احفاد المرحوم في حيدر آباد، وبعض معلومات تلقيتها من الذين لهم علاقة به، وهم قلة اليوم، اذ قد اختار الله الكثير منهم الى جواره، عليهم الرحمة.

تزودت في بدء العمل من هذه المعلومات، وتجلى لي فيما بعد انه يجب علي الحصول على المزيد من الوثائق والمراجع والمعلومات. فواصلت العمل وتكبدت مشاق السفر والتنقلات، وقطعت المسافات البعيدة للاتصال بمن لا يزالون على قيد الحياة من زملائه وتلامذته. وزرت اسرة المرحوم في منزله بحيدر آباد في بلاد الدكن بالهند في عام ١٩٧٣، وراجعت اسرته واحفاده فلم اجد مما بقي لديهم الا النزر اليسير من هذه المعلومات التي تزودت بها. واتصلت بمن بقي من تلامذته، كالسيد المدحج والعيدروس والمحضر وابن شيخ ابي بكر. وكنت اطمع ان اجد الشيء الكثير من الكتب المتبقية لديهم. ولكنهم حدثوني بكل ما علق باذهانهم وما كانوا يذكرونه. وما زال بذاكرتي عالماً ما كان يرويهِ ويحدثني به والدي المغفور له علي بن احمد بن شهاب عن السيد ابن شهاب، وكذا ما تلقيته من احاديث المرحوم السيد عقيل ابن زين العابدين الجفري، ومن الاستاذ محمد بن هاشم، وهؤلاء من تلامذة السيد ابن شهاب. كل هذه المعلومات جمعتها ودونتها في هذا الكتاب المختصر. فالفضل الاول في تدوين هذا الكتاب راجع لمولانا العلامة السيد شهاب الدين المرعشي الحسني الذي فتح الباب لاحياء ذكرى السيد أبي المرتضى ابن شهاب الذي ابدى اهتمامه باحياء ترائه. وكانت همته هي التي دفعتني وبعثت في الروح لوضع هذا الكتاب.

كل من تسنى له الاطلاع، ولو على كتاب واحد من مؤلفات السيد ابن شهاب المطبوعة او المخطوطة على رغم ندرة وجودها الآن، والتي اصبحت عزيزة المنال ومن نواذر الكتب، يستطيع بلا ريب الاستفادة منه، واستخراج معلومات وفوائد كثيرة، ولا بد ان يعترف بعد ذلك بان السيد ابن شهاب علم من الاعلام، واحد اساطين العلم،

ورائد من رواد النهضة الاصلاحية المخلصين في القرن الرابع عشر الهجري.
كل مؤلفاته تشهد له على ما بلغه من مستوى رفيع. وكتبه في مجموعها موسوعة علمية ضخمة قيمة، تشمل الادب والفلسفة والحكمة واللغة والتاريخ والدين والسياسة والثقافة والاقتصاد. ولو اعيد طبعها لكانت العلم النير الذي يستفيد منه العلماء والباحثون وطلبة العلم.

فللسيد ابن شهاب كتب كثيرة متعددة المواضيع والبحوث، طبع جُلها قديماً بالمطبعة الحجرية في سنغافورا والهند، وذلك قبل ظهور المطابع الحديثة في تلك البلدان، ولم تكن الاحرف العربية من الحديد معروفة آنذاك. وطبع من مؤلفاته في القاهرة، عند بدء ظهور الطباعة بالاحرف العربية المعروفة بالطباعة الاميرية، كتابه «رشفة الصادي»^(١) عام ١٣٠٢هـ، وقد مضى على طبعه الى تاريخه ما يقرب من قرن. اما ديوانه فطبع باندونيسيا عام ١٩٢٤، بمدينة بوقور بعد وفاته بعام واحد. مجموع كتبه المطبوعة (٣٢) كتاباً، والباقي لا يزال مخطوطاً. ولا ريب ان كل كتبه المطبوعة قد تقادم عهدها وقل وجودها واصبحت من نادر الكتب، وليس من السهل على الباحث العثور على هذا التراث القيم، اذ يتطلب جهداً كبيراً للعثور عليه، وهي ان وجدت فمتفرقة في اندونيسيا وماليزيا والهند وجنوب الجزيرة العربية، بايدي اناس ربما ورثوها من آبائهم، والمؤسف أنه لم يكن لهم اهتمام بها او تقدير لها.

قيل لي ان بعض مؤلفات المغفور له السيد ابن شهاب المخطوطة والمطبوعة موجود بمدينة تريم بجنوب الجزيرة العربية، والمؤسف أنني لم تسمح لي الظروف بالوصول الى مناطق جنوب الجزيرة العربية، خصوصاً بعد استيلاء الشيوعيين على الحكم عام ١٩٥٧ وبلغني من مصادر متعددة ان حكومة الجنوب صادرت جميع الكتب الموجودة في مكاتب الافراد، والهيئات التعليمية، والمدارس والمكتبات،

(١) راجع الفصل الخاص بعنوان رشفة الصادي من هذا الكتاب.

وجمعته في مكتبة الدولة العامة، وتعددت الاقاويل حول تلك الكتب المصادرة. ومن الناس من يقول: انها جمعت في دائرة الدولة لحفظها، ومنهم من يقول: إنها احرقت وابدت باعتبارها كتباً سامة مخدرة، من كتب الرجعية والكهنوتية التي تميت القلوب وتخذل الارواح، لان نفوس الحكام لا تستسيغ ما في امثال تلك الكتب التي لا تماشي المفاهيم الشيوعية، فاحرقوها وابادوها، لئلا تسمم عقول الناشئة على حد قولهم.

لا اجزم بشيء من هذه الاقاويل، لاني لم اصل في رحلاتي الى جنوب الجزية العربية، ولكن العهدة على الراوي. وقد استعنت بكثير ممن اعرفهم في الجنوب العربي ليمدونني بما لديهم، او لدى غيرهم من معلومات في هذا الشأن. ربح القلة وتلك الاكثرية وخشي الآخرون، ولست اعلم سبب ذلك، ألخوفهم من بطش الحكام وطغيانهم وعسف ولاية الامور؟ ام لان الرعب والخوف قد غلبهم حتى صاروا يخشون صوت الناقع والصفير؟ ومعلوم ان الشعب الذي يعيش خائفاً مكبوتاً لا يمكن له ان يعمل شيئاً.

وبعد، فان هذا مجهود المقل، وكل املي ان يتاح لغيري مواصلة الدراسة ومتابعة البحث، والتقضي بصفة موسعة عامة فيما يستحقه فقيدنا من العناية والتقدير لوضع كتب عنه اوسع مجالاً. كما أرجو ان يقوم آخرون بجمع تراثه ومؤلفاته ومراسلاته وخطبه، وما تركه لمن بعده من المخطوطات لطبعها، واعادة طبع مؤلفاته المطبوعة التي اصبحت نادرة، والله ولي التوفيق.

محمد اسد شهاب

١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

نسخة من رسالة السيد المرعشي الى مؤلف الكتاب

لمحة سريعة:

هذه لمحة سريعة عن ادوار حياة زعيم النهضة الاصلاحية العلمية، وباعث التحرر الفكري، و رائد الاصلاح الاجتماعي، وعالم من العلماء الفطاحل، و نابغة من نوابغ الادب العربي الملقب بقريع البلغاء السيد ابي المرتضى بن شهاب. علم من اعلام القرن الرابع عشر الهجري. نشر العلم وحارب الجهل، و حطم عقال الجمود والتبعية العمياء، و جاهد في سبيل هدفه، واستمات لترسيخ دعائم الحق، وكان لاعماله الخيرية صدئاً واسع هز المجتمع، وقلب الأوضاع فيه الى نشاط فكري متفتح.

كانت ولادته رحمه الله في عام ١٢٦٢هـ الموافق للعام ١٨٤٦م.

وهو في غنى عن الاطراء والمديح، ونحن لا نقول ما ليس فيه جزافاً ولا نمدحه عفواً اذ ليس في المدح فائدة. ولكننا نذكر الواقع كما هو واقع، خدمة للحقيقة، واداء لامانة التاريخ.

ترك تراثاً قيماً لمن بعده من مؤلفاته المخطوطة والمطبوعة، كما ترك من بعده خلفاً من خيرة تلامذته، الذين قاموا بأداء الرسالة خير قيام خدمة للمجتمع، هذبوا الجيل من بعده مقتفين اثر استاذهم، وواصلوا المسيرة الجهادية حاملين معهم مشعل الإشعاع، ناهجين نفس الدرب الذي سار عليه استاذهم السيد ابن شهاب، بنفس الخطة التي وضعها لهم فحملوا الامانة، وادوا الرسالة، وصاروا قدوة صالحة لمن بعدهم.

في هذه اللمحة السريعة من صفحات حياة فقيدنا، معدن العلم الغزير الذي لا ينضب والسيل الدافق من الادب، نبرز مكانته التي احتلها عن استحقاق في المجتمع، بعد كفاح وصراع مريرين ضد الباطل، عانى فيهما ما عانى وهو صابر جلد، حتى استطاع الوصول الى هدفه، وبلوغ مناه.

مؤلفاته كثيرة، وهي تصور حقيقة شخصيته، واتجاهاته الفكرية، ومواقفه الحازمة، ومبدأه الذي استمات لتحقيقه، وهدفه الذي ينشده، وهي خير دليل على

إخلاصه لأمته. تاريخه جزء لا يتجزأ من تاريخ نضال الأبطال، وكفاح أولي الغزائم والدعاة الذين وقفوا نفوسهم وحياتهم لله تعالى سعيًا وراء مرضاته. اقتفى السيد ابن شهاب آثار خطوات من سبقه من أهله، سالكًا مسلك آبائه واجداده، المتسلسلين إلى رسول الله سيدنا ونبينا محمد خير البشر ﷺ. وقد توفي رحمه الله في ١٠ / ٥ / ١٣٤١ هـ المصادف لـ ٢٩ / ١٢ / ١٩٢٢ م. رضي الله عنه، واسكنه فسيح جناته.

مسلك الدعوة:

يرى السيد ابن شهاب أن المسلك الأمثل في أسلوب الدعوة الإسلامية يجب أن تركز على دعامتين متينتين قويتين.

الأولى: موجهة إلى المسلمين لتنوير بصائرهم، وإزالة غشاوة الرواسب عن أذهانهم، وإزاحة الأساطير الخيالية المطبقة في الأفكار، وصقلها لتبدو لامعة يتبلور بها العقل الذي منحه الله للبشر، تلك المنحة الإلهية العظيمة التي جل الانتفاع بها، والاستنارة بنورها. وبالعقل فضل الله البشر على سائر المخلوقات، ولا قيمة لبشر بدون عقل، فهو والسوائيم على حد سواء.

أن الغفلة والجمود الفكري من تراكم الرواسب يجب إزالتها من العقول، حتى يستطيع الإنسان إدراك الحقائق بمفهومها نقية ناصعة، كما أنزلها الله تعالى على نبيه محمد ﷺ.

الثانية: دعوة الأمم والشعوب غير الإسلامية إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة التي ترتاح إليها النفوس، وبالتفهم بما تتقبله العقول، والحوار بأسلوب حسن وبالطريقة العلمية، على أن يكون الداعي عالمًا متفهمًا، واسع الاطلاع، رحب الصدر، سامي الأخلاق، حسن السيرة، صابراً قنوعاً، ليكون مثلاً وأسوة طيبة يقتدى به،

يوصل الطريق ويستمر في الدعوة بما أمر الله به، بموجب الدستور الذي وضع للدعاة. ان الدعوة إلى الطريقة المثلى والنهج الصحيح ليست من الامور البسيطة السهلة، اذ تتطلب من الداعي، كما ذكر السيد ابن شهاب، إلى جانب العلم والثقافة، تحليه بالصبر والحزم، والتذرع بالحكمة والأناة ولين الجانب وبعد النظر، وعدم الاغترار بالمال، أو أن يلهيه طمع الدنيا في منصب أو مركز.

تعرض كثير من الدعاة السابقين لمشاكل وعراقيل، وهذا امر معلوم بالضرورة من عدة وجوه، أهمها موقف الاعداء الذين يتربصون في كل مرصد، لقطع مسيرة الدعاة وعرقلة اعمالهم، وقد يتعرض الداعي لاغتيال اذا رآوه خطراً، إذ يكون التخلص منه واجباً في عرفهم.

ثم لا يفوتنا ان هناك فرقة من النفرات الضالة تمشي على هذه السيرة، وقد أنشئت لتحارب المسلمين باسم الاسلام، وتعادي الحق باسم الحق، وتتآمر على كل فئة صالحة تدعو للحق والصواب.

حكمة ربانية أن يستطيع الانسان بعقله وفكره ان يميز بين الحق والباطل، والحسن والقيح، ويفرق بين الاصيل والدخيل، ويعرف الجيد من المزيف. ضدان باقيان ما دامت الدنيا، الحق والباطل. والخير والشر، فللحق والخير انصار كما ان للباطل والشر أعوانا.

عندما يتصفح المرء تاريخ العظماء والمصلحين ورواد النهضة، يتجلى واضحاً شخصية كل واحد منهم، وكذا نجد في سيرة ابن شهاب ومواقفه بين سير أولئك الابطال من العظماء في التاريخ. ولعل القارئ يتوق للمزيد من معرفة شخصية هذا الزعيم الفذ، والمصلح العظيم في جميع نواحي حياته، فهو اديب من الادباء وشاعر من الشعراء وعالم من العلماء ومصلح كبير قام بنهضة فكرية قلب بها الاوضاع الى (١٨٠) درجة، بدون ثورة ولا اراقة دماء. فتاريخه مليء بالمفاجئات في كثير من النواحي التي تعرض

لها، من عداوة المعتدين، وكراهية المبغضين، وحسد الحاسدين، ومقاومة عملاء الاستعمار، فكان يواجه كل ذلك بتؤدة وأناة، وحنكة وصبر حتى استطاع بذكائه تحطيمهم كلهم واحداً بعد آخر. فهي سيرة تاريخية مليئة بالعبر والعظات.

جاهد وكافح طيلة حياته، لا من أجل نفسه أو أسرته، ولكن من أجل أمته عامة، فمتاع الحياة عنده لا قيمة له ولا يهيمه شيء من حطام الدنيا وكان لا يميل في أعماله إلى الارتجال، ولا يتسرع بتصديق أقوال القالة، بل يسمع منهم ويتحرى الحقيقة، ويكره لغو الكلام. يعرفه الناس أنه جدي لم يستبد يوماً برأيه، ويقبل آراء الغير من اخوانه وزملائه، بل قد يراجعهم ويناقشهم حتى يصلوا جميعاً في فكرة إلى نقطة اتفاق واحدة، ويعالج الأمور بحنكة وروية. ومعروف عنه أنه متواضع جداً، سامي الاخلاق، يرحب بالقادم إليه ومن جاءه، ويسلم على كل من يلاقه، وإذا مر في شارع من الشوارع يقف من عرفوه اجلاً وتكريماً، يتقدمون إليه مسلمين عليه. كان موضع احترام الجميع ومحل تقديرهم ومحبوياً لديهم يهابه الحكام ورجال الدولة، فهو في طليعة رجال الإصلاح ورواد النهضة الفكرية في عصره، آلت إليه القيادة والريادة بظهوره على مسرح النهضة الإصلاحية. التف حوله المثقفون، واحتشد العلماء الأحرار عنده، لأنهم وجدوا فيه ملهم الذي ينشدونه، فكانوا له عوناً وأنصاراً يؤيدون دعوته الإصلاحية.

إذا ذكر اسمه اقترن بفكرة أنه رائد النهضة الإصلاحية، وذكر معه الأدب والعلم وسمو الاخلاق، فكان اسمه يؤدي معنى النهضة والأدب والعلم والإصلاح. هذه هي المزية التي امتاز بها السيد ابن شهاب، وانفرد بها في حياته، وأصبحت علماً وذكراً له بعد وفاته.

ما من أديب أو عالم في جنوب الجزيرة، أو في المهاجر الشرقية إلا ويقدر السيد ابن شهاب بأعجاب واجلال مترحماً عليه، ومعتزلاً بأنه باعث النهضة، والكل يقر بذلك

ويشهد بمكانته وفضله، الا من ختم الله على قلبه وبصيرته من الحاقدين الحاسدين.
ومعروف عنه انه لا يميل الى التصوف، وله قصائد كثيرة عبّر فيها عن رأيه في
التصوف والمتصوفة، وربما يكون عدم ميلانه للتصوف ناتجاً من طبيعة الاسرة الشهابية
التي قل من يتصوف منهم، ولكنني احسب انه يفرق بين التصوف الحقيقي، وبين أولئك
الذين اتخذوا التصوف وسيلة لاعمال غير مرضية، ففي فصل آخر من هذا الكتاب
ذكرنا تتفاً من قصائده في هذا الموضوع.

لم يقتل السيد ابن شهاب، لان قاتليه جنبوا عند ملاقاته، ولم يُعتل، لان الذين
حاولوا اغتياله ولّوا هاربين رهبة منه. ولكنه مات شهيداً على فراشه، تلك هي ميتة
الشهادة، مات مكافحاً مجاهداً جلدأ.

والمؤسف حقاً انه لم ينبج من بعده من اولاده من يكون له ولو عشر معشار من
مستواه. اما الذراري من بناته فقد انجب الكثير الطيب من أخيار الرجال.

غالى بعض مقدريه -حسب رأينا- في قولهم: ان السيد ابن شهاب كان حكيماً
بارعاً بلغ مبلغ درجة حكماء العالم. ونرى ان هذا الوصف مبالغ فيه، على اني مقدر
للسيد ابن شهاب، ولا أبخسه حقه، فاني ارى ان تلميذه السيد احمد السقاف كان يصفه
بأنه من الحكماء في القرن الرابع عشر الهجري، فمن يراجع ديوانه يجد جل قصائده
حكماً بالغة وآيات بينات ناطقة، ومعنى ذلك ان السيد ابن شهاب كان حكيماً، فهو
حكيم معترف به بدون مبالغة، كما ان السيد احمد السقاف لم يكن زعيماً في درجة
استاذ السيد ابن شهاب.

ويبخص آخرون السيد ابن شهاب بقولهم عنه بأنه بئس المربي، كيف يمكن له
ان يكون زعيماً، وهو لا يحسن حتى تربية اولاده، ولم يهذب ابناءه. وهذه ليست بحجة
وإنما هي تهم باطلة وسخرية حاكمة، فالسيد ابن شهاب، كما قلنا مراراً، يهيمه أمر قومه
ومجتمعه قبل نفسه واولاده واحفاده واسرته. ضحى بكل شيء، وأثر على نفسه

واسرته لعصبة قومه، وهذا منتهى الايثار، وعنوان الزعامة الحققة.

انهالت الدنيا عليه من كل جانب فنبذها، وتوافرت لديه كل اسباب العظمة فانزوى عنها، وجاءه النفوذ فلم يستغله. بل كره لنفسه ان يكون في عظمة الملوك وفخر ارباب الوجاهات، لانه لم يطلب ملكا، ولم يُرد جاهاً ولا مالاً ولا مركزاً، بل ادى رسالته ليرضي ضميره طمعاً في رضى الله ورسوله، لانه يشعر بالمسؤولية في هذا العالم نحو امته وقومه، فهو لم يعيش حياة البذخ والاسراف، فكانت حياته كفافاً وكان بيته كسائر بيوت الشعب، يعيش عيشة البساطة وكان يميل اليها، فقد اتته الدنيا منصاعة اليه فردها لمن يريدھا ولم يقتن لنفسه بيتاً في هذه الدنيا، وهو القائل:

شبهوات الناس في الدنيا خيال وهي ان لم تك من حل وبال

فاعمل الخير تجد في جنة الـ خلد ملكاً ونعيماً لا يزال

هذه هي الشخصية العظيمة لعلم من اعلام هذا الدور، توفرت فيه كل صفات الزعامة القوية الحققة، الزعامة الاصلاحية والسياسية بتفوق مع ماله من علم وادب وصلاح. وباستحقاق تبوأ مكاناً في مصاف زعماء العالم المصلحين، وهو جدير بذلك.

العصر المتريدي:

العصر الاسلامي في اواخر القرن التاسع عشر، واولئل القرن العشرين الميلادي كان عصر ركود، واسترخاء فكري، وخمول ذهني، هيمن على معظم النواحي والمجالات الاجتماعية والسياسية والتعليمية والتربوية والاقتصادية، بل على كل مرافق الحياة الادبية والثقافية وغيرها في العالم الشرقي. اسبابها كثيرة، منها تكالب الدول الغربية على الخلافة الاسلامية، وتمزق المسلمين في الداخل، والضعف العام، ولذلك يصفه بعض المؤرخين بأنه عصر الضعف والمسكنة والاسترخاء بالنسبة للمسلمين، وقد تساقط جل البلدان الاسلامية من عقد الخلافة في اواخر عهدها،

الواحدة بعد الاخرى، لتكون مستعمرة تابعة لدولة غربية! أو شرقية.

تأبى الدول الغربية أن تنافسها دولة اسلامية، فهي ترى وجود الخلافة الاسلامية خطراً عليها، فتخشاه وتعتبرها عدوها اللدود الذي يجب محوه وازالته من الوجود، فانبرت الدول الغربية مجتمعة، على رغم الخلافات بينها، متحدة ضد الخلافة الاسلامية، تحوكم المؤامرات عليها لاستنزاف قواها ومحاصرتها اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً، وتسلبت الايدي الصهيونية، وظهرت الافكار العصرية حتى تردت الاوضاع الداخلية، مما سهل تسبب الانفجار لتحطيمها.

استنبول عاصمة الخلافة الاسلامية، اصبحت في شغل شاغل بمشاكلها الامنية الداخلية وتردي السياسة الخارجية، فازدادت سوءاً واستعصاءً كلما مرت بها الايام. وكانت مؤامرة الدول عليها مستمرة متواصلة، بل تشتد ضد الخلافة فيها لاجتثاثها. نرى اقطار اوربا الشرقية البلقان، التي تحميها دولة الخلافة الاسلامية، تتساقط الواحدة تلو الاخرى لتصبح تلك البلدان بمساعدة الدول الاوربية المتحالفة، حكومات مستقلة ذات سيادة، تتصدى لمجابهة ومقارعة دولة الخلافة الاسلامية، التي دعتها دول اوربا بالدولة الاستعمارية، حتى لقد تأثر بهذه الدعاية كثير من المسلمين، حيث يسمون الخلافة الاسلامية بالدولة الاستعمارية، واخذت صفحات الكتب واعمدت الصحف بهذه النغمة الغربية في محاربة الخلافة الاسلامية، والهدف من ذلك اضعاف نفوذ الخلافة الاسلامية في العالم الاسلامي، وبث روح القومية والوطنية لتفقد دولة الخلافة قدرتها، وينفلت زمام السلطة والحكم من قبضتها، فتجرها الى العجز عن مجابهة المشاكل الخارجية، لانشغالها بالامور الداخلية المستعصية حينذاك، مما سهل اضعاف دولة الخلافة الاسلامية، وتمزيقها الى اجزاء باسم قوميات وشعوب جديدة، ما كانت معروفة ولا موجودة من قبل.

جل البلدان الاسلامية التي اقتطعت من جسم الخلافة الاسلامية، وقعت في

برائن الاستعمار الشرقي الروسي او الغربي الاوروبي، ترزح تحت وطأة الظلم وطغيان الاستعباد، واصبح العالم الاسلامي عاجزاً ضعيفاً يعتوره الوهن الشامل حتى كاد يفقد الامل في معالجته.

كانت الدول الغربية الكبرى آنذاك، وهي انجلترا وفرنسا وإيطاليا وروسيا، يسوؤها ان ترى الخلافة الاسلامية المتمثلة في الدولة التركية تسيطر على هذه الارحاء الواسعة، ولها قوة الشكيمة والسلطة الواسعة والنفوذ العظيم في قلوب الملايين المسلمين من هذا العالم، لذلك اجمعت هذه الدول سلوك سبيل المؤامرات لضعاف الخلافة التركية، وارهاقها بالثورات الداخلية. وانطلاقاً من هذا الاتفاق ألبت شعوب اوروبا الشرقية، الواقعة تحت حماية دولة الخلافة الاسلامية، على الانتفاض والثورة عليها، ومدت الثوار بالاسلحة والعتاد، فثارت بلغاريا وصربيا ورومانيا وغيرها، واشغلت هذه الثورات المسلحة المتوالية دولة الخلافة، وانهكت ميزانيتها الى حد كبير، في حين كانت الدول الغربية تعمل من الخارج للضغط على دولة الخلافة، ومحاصرة نفوذها بصفة غير مباشرة. كيف لا وهذه الدولة الاسلامية في اوروبا قذى في اعين الغربيين.

ان معاهدة سان ستيفانو عام ١٨٧٨م قد وجهت بوجه خاص لضعاف الحكم الاسلامي، ومساعدة شعوب البلقان للتمرد على دولة الخلافة طلباً للاستقلال، وقد اعترفت هذه المعاهدة باستقلال دول رومانيا، الجبل الاسود، صربيا، كما انشأت دولة بلغاريا. واستمرت هذه الدول الكبرى تمد الشعوب حتى انفصلت عن الدولة الاسلامية، وما ان استقلت هذه الدول حتى اشتدت عداوتها لدولة الخلافة الى ابعد الحدود.

هذا التدهور المستمر في مستوى قوى دولة الخلافة عسكرياً وسياسياً واقتصادياً، اثار الغيرة والحمية في قلوب الشباب المتحمس، واخذوا يتهامون فيما

بينهم بعدم رضاهم واستيائهم من الاوضاع المتدهورة لدولة الخلافة، وانها تسير الى الحضيض وهم يرونها ويشاهدونها، جر ذلك الى تكتل الشباب من جميع الطبقات، بما فيهم القوات المسلحة، وقرروا انه لا بد لهم من القيام بعمل جاد لانقاذ دولة الخلافة من الانهيار، وللمحافظة على كيان الدولة لا بد من ابعاد وبتر من يعتبرونه غير صالح للحكم، او ضعيفاً في ادارة الدولة وقلب الاوضاع كلها الى مستوى جديد، والمعروف ان لدول الاستعمار عملاء يخدمون المصالح الاستعمارية، لتحطيم المسلمين وتمزيقهم الى أسر قَبَلية وجماعات عشائرية وكتل عنصرية، غُذيت بعقائد مزخرفة من إحادية اشتراكية، او دينية تزمّنية متطرفة، استعين في نشرها بمن يتقمصون الدين لتعزيز نشر المفاهيم التي تجر المسلمين الى التمزق والويلات، هؤلاء وهؤلاء هم السبب الاول في هذه المأساة المؤلمة، التي حطمت المسلمين وورطتهم في التخلف الفكري.

الانقلاب التركي:

يعتبر يوم ٢٧ نيسان / ابريل عام ١٩٠٩م في تاريخ دولة الخلافة، يوماً جرى فيه اكبر حادث، كان بداية لمآسي من الانقلابات التي تعتبر نقطة تحول خطير، اذ حدثت تبدلات عظيمة في سياسة دولة الخلافة آنذاك، ففيه قام جماعة من الشباب التركي لجمعية تركيا الفتاة، وجمعية الاتحاد والترقي، فاتحدوا وأجمعوا امرهم، وانقضوا على الخليفة عبد الحميد وأجبروه على التنازل عن السلطة، ولم تكن فكرة ازالة الخلافة او اقامة جمهورية قد تخمرت في اذهانهم، بل كانوا يطلبون اصلاحاً عاماً، وجعل الحكومة شبه علمانية، مع بقاء دولة الخلافة رمزية.

في ذلك اليوم فقد الخليفة عبد الحميد سلطته، واقتادوه مخفورا الى منفاه في سلانيك، وعين بعده اخوه محمد الخامس، وحاول القيام باعباء السلطة، لكنه عجز عن

مجابهة الشباب التركي، فسلم الامر والقيادة اليهم مختاراً، ولم يطل عهد الحكومة الفتية حتى اخذت تواجه عدة قضايا ومشاكل كبيرة، ما كانت تحسب لها حساباً من قبل. في عام ١٩١٢ عقد ممثلو شعوب صربيا وبلغاريا واليونان اجتماعاً، قرروا فيه اقامة حلف دفاعي مشترك بينهم، هدفه مجابهة الخلافة وتحطيمها، وكان ذلك بايعاز من روسيا بضمن منها لمساندة الحلف الثلاثي الدفاعي، وتعرضت دولة الخلافة من جراء ذلك للثورات الداخلية باستمرار، من شعوب اوروبا الشرقية الواقعة تحت حماية دولة الخلافة.

انتهزت ايطاليا فرصة انشغال دولة الخلافة بمشاكلها الداخلية في البلقان، وباتفاق مع دول اوروبا الغربية وبمساعدة فرنسا هاجمت ايطاليا ليبيا، واحتلت طرابلس وبرقة بعد معارك ضارية ومقاومة شديدة ابداهها الشعب الليبي، وهي المعارك المعروفة بحرب طرابلس الغرب، وهكذا تم لايطاليا احتلال ليبيا عام ١٩١٣، غير ان الشعب الليبي رفض الاحتلال، وقاوم بكل قوة وضراوة واستمرت المقاومة حتى نشوب الحرب العالمية الثانية.

تمرد شعب الجبل الاسود على حكم دولة الخلافة، ثم أعلن انفصاله عنها واستقلاله بالحكم دولة حرة مستقلة، ثم تبعه شعب صربيا وبلغاريا بعد ذلك، ومن ذلك الحين بدأ ينكشف الضعف الكامن في دولة الخلافة، واخذ نجمها بالأفول، ثم وهنت شوكتها في جميع الحقول والمستويات، حتى اضطرت تحت ضغط الدول الكبرى الى قبول معاهدة صلح لندن عام ١٩١٣، التي تنص على تخليها عن جميع الاماكن التي تسيطر عليها في اوروبا الشرقية وعن حمايتها، ومنح شعوبها حق تقرير مصيرها بنفسها.

بعد عام من توقيع تلك المعاهدة اندلعت الحرب العالمية الاولى، فلم تجد دولة الخلافة لنفسها بداً ومخرجاً الا الانضمام الى الالمان في هذه الحرب ضد الحلفاء، ففي

يوم ٢٨ حزيران، يونيو عام ١٩١٤م انطلقت الشرارة الاولى للحرب العالمية الاولى، باغتيال ولي عهد النمسا في مدينة ساراجيفو (في يوغوسلافيا حالياً) فاندلعت الحرب، وحاربت المانيا الى جانب النمسا، ثم دخلت تركيا الى جانب المانيا، وانضمت روسيا الى جانب الحلفاء وبعد ذلك جاءت ثورة البلاشفة عام ١٩١٧م، وحل الشيوعيون محل القيصرية، وانتهت الحرب العالمية الاولى بفوز الحلفاء.

إن استمرار المؤامرات التي تحوكمها الدول الغربية ضد الخلافة الاسلامية، قد ترك أثره العظيم على العالم الاسلامي اجمع، بما في ذلك بلدان آسيا الوسطى، وزاد الوضع سوءاً، حيث كان المسلمون في ذلك الوقت متفرقين، تتنازعهم الاهواء، وتسيطر عليهم اتجاهات دينية، وافكار جديدة طارئة، ونزعات استحوذت على البعض منهم لمصالح ذاتية، ووجد علماء السوء ووعاظ السلاطين وفقهاء البلاطات، الذين توظفهم السلطات لتبرير الافعال المخالفة للعرف والانسانية والدين. كل ذلك ساعد في زيادة تفتيت وتشتيت القوى الاسلامية والتجمع الاسلامي، في الوقت الذي يوالي الغرب خطواته في التقدم الصناعي والهندسي والسياسي، والمسلمون لاهون بالمسائل الثانوية والامور الجانبية، مما سهل لسانة الغرب الطامعين ان يسيطروا على بلدان المسلمين الغنية، بعد ان قطعوا اوصال الخلافة الاسلامية، وجزؤوها الى شعوب وقوميات، وتقاسموا البلدان الاسلامية فيما بينهم، فكان من نصيب روسيا آسيا الوسطى، بحكم الوضع الجغرافي، المعروفة بثرواتها المعدنية، وكان لفرنسا سوريا ولبنان، ولانجلترا العراق وفلسطين، تمهيداً لجعلها وطناً قومياً لليهود، وتنفيذاً لوعده بلفور، كما احتلت انجلترا ايضاً شرقي الاردن. اقر الحلفاء تقسيم آسيا وافريقيا وتجزئتهما بين الدول الغربية المستعمرة، ومع كل هذا لم تستطع روسيا ان تسيطر على بلدان آسيا الوسطى الاسلامية بسهولة، فقد دامت المقاومة اعواماً انتهت بحصار الروس لقلعة «انابا» الاسلامية، ودافع المسلمون دفاعاً قوياً للحفاظ على هذه القلعة، التي

بقيت مركزاً للكفاح حتى فني الكثير منهم، وقضى من قضى بسبب فقدان الزاد والعتاد،
واسر من اسر من الباقين الموجودين في القلعة، حينذاك استطاع الروس احتلال
القفقاس، اما من اسر من المسلمين في هذه المعركة فقد سيقوا الى معازل العذاب في
سلوسبروج، حيث قضى عليهم جميعاً في ذلك المنفى، وكان الروس قبل احتلالهم
لبلدان آسيا الوسطى الاسلامية كثيراً ما يختلقون الاسباب، ليتخذوها ذريعة وتمهيداً
لاحتلال تلك البلدان، وكانت روسيا تتهم المسلمين بانهم يسيئون معاملة المسيحيين
ويعذبونهم لتثير حفاظ مسيحيي العالم، وتؤلبهم ضد مسلمي آسيا الوسطى، وتجعل
لنفسها عذراً في هجومها على البلدان الاسلامية باسم انقاذ الاقلية المسيحية من مظالم
المسلمين، ووحشيتهم، مع ان الواقع التاريخي المؤكد يثبت انه ليس هناك مسيحيون
في بلدان آسيا الوسطى.

رأت روسيا ان الانجليز يستعمرون الهند وبعض مناطق جنوب آسيا، وهولندا
مستولية على اندونيسيا، وفرنسا على بلدان الهند الصينية، وبعض بلدان افريقيا موزعة
على الاستعمار الغربي، وهذه المستعمرات تدر آلاف الملايين من الجنيهاات
لمستعمرها، وكان حظ روسيا كحظ غيرها من دول الاستعمار المستولية على ارجاء
واسعة، غنية بالبتروال والفحم الحجري واليورانيوم والمغنيسيوم والذهب والنحاس
ومعادن اخرى، الى جانب خصوبة ارضها. فكانت روسيا تعتمد كلياً على الموارد التي
تدرها عليها بلدان آسيا الوسطى الاسلامية.

واذا رجعنا الى معاهدة لندن عام ١٩٢٠ التي تمت بين الدول الغربية وروسيا من
جهة، وتركيا من جهة اخرى، في موضوع مرور السفن عبر البسفور والدردنيل، نجد ان
هذه المعاهدة لم تكن الا وليدة معاهدة سان ستيفانو عام ١٨٧٨م، فقد اضعفت هذه
المعاهدة تركيا من جهة، وافادت روسيا من جهة اخرى، حيث كانت تلك الدول جبهة
واحدة امام تركيا، ثم حل عام ١٩٢٣ الذي عدلت فيه هذه المعاهدة لتقتصر على الدول

المحايدة، لثلا تشمل المانيا وايطاليا واليابان، التي بدأت آنذاك تنافس الحلفاء وتطورت الى مستوى الدول الكبرى، ثم عدلت هذه المعاهدة بمعاهدة اخرى عام ١٩٣٦، تم التوقيع عليها في مونتريو.

في هذا العصر المتردي وبين مجتمع متفكك ضعيف، وتحت جو ملبد قاتم تسوده الازمات ولد السيد ابن شهاب في عام ١٢٩٢هـ، وسط قوم ضعاف البنية، وفي ظروف شملتها الفوضى العارمة والعصبيات القاسية، مما بعث في النفوس حب العزلة والميل الى الانطواء والانزواء، فتكوّن مجتمع شبه انعزالي، فاقد للروح الوثابة، خال من الطموح الاسلامي، وساد على افراده روح القناعة بما هو عليه، فعشعشت هذه الحالة في عقولهم، واستقرت في اذهانهم عقيدة يؤمنون بها.

في هذا الجو المتدهور، وفي هذه البيئات القلقة، وبين هذه الفوضوية الاجتماعية نشأ السيد ابن شهاب وترعرع، وعاش في هذا العصر المتردي السيئ للمسلمين، بين عدم الاستقرار وبين الاضطرابات المحلية والفوضى العامة في العالم الاسلامي.

لم يجد السيد ابن شهاب بُدّاً في بدء حياته من العيش بين هذه الظروف باجوائها الموبوءة. ذاق حلوها ومرها، فسيرها وكانت له اعظم مدرسة دفعته الى اعمال الفكر لسلوك سبيل يحرر قومه من الامراض الاجتماعية وينقذهم.

اما من عرفوا بالفقهاء فقد انشغلوا بالامور الفرعية، والخلافات في الاستنتاجات في الامور العامة والعمل لرفع الكابوس السائد. لقد استشرى هذا المرض في الافراد والجماعات وبين الحكام والمحكومين.

عاش السيد ابن شهاب في عنفوان شبابه مع زمرة من طلبة العلم، في ذلك الجو المشحون بما لا يرتضيه حر الضمير، ولا يسكت عنه ذو طموح وعزم. ومن الطبيعي ان يعيش غريباً في هذا المجتمع الذي يعتبره الكثير شاذاً في آرائه وافكاره، فصبر على

مضض، غير انه وجد افراداً من الشباب يشاركونه في آرائه النيرة، ويتألمون لهذه الاحوال الشاذة، ويلمسون المآسي في اوضاع قومهم، وكان السيد ابن شهاب يمتاز بتحمسه لمبدئه وعقيدته طموحاً بعزم قوي صارم ينحو الى هدف معين.

من هذا المنطلق بدأ السيد ابن شهاب يعمل وهو في عنفوان شبابه لتحطيم هذه الاوضاع، ففاجأته مقاومة شديدة وردود فعل ضارية، وبدافع روح الشباب كان يواجه الشدة بأشد منها، ويجابه العنف بأقسى منه، ولا عذر للمتخلف المريض فكرياً، السادر في لجج الجمود والانزواء، وكان يقول: إن الامر يقتضي ذلك، وانه على الحق والحق منصور.

بدأ التطور الفكري الاصلاحى يأخذ في مجراه الجديد الصحيح، لدى جملة من الشباب المتنور من زملائه، لتقويض معالم الاوضاع البالية والافكار الجامدة من رواسب العهد الماضى القريب. وانتبه قومه من غفلتهم مبهوتين من دوي هذا الصوت الجديد الذي لم يألوه، وأخذوا يرمقونه بكثير من الشك والريب والحذر.

مضى السيد ابن شهاب في طريقه الاصلاحى لا يلوي على احد، حتى استطاع تكوين فكرة استساغها الشباب وتقبلها، وحلت الفكرة في قلوبهم بوعي وادراك وفهم. واستيقظت على اثرها زمرة من بني قومه فقدروه وعظموه وكان له عندهم مكانة مرموقة.

بلغ السيد ابن شهاب مرحلة النضوج، وجاوز الكهولة والشيخوخة وهو يحتفظ بروح شبابه الغض كما كان، لم تؤثر الشيخوخة فيه، بل كان قوياً في بنيته، قوياً في افكاره، وقوياً في عقيدته ومبدئه، واستمر في اعماله بروح الشباب الغض بدون فتور، لم يفتقد شيئاً من قدرته ولم يطرأ عليه، وهن في عزمه، ولم تنه الشيخوخة عن نشاطه المعروف عنه بل كان انتاجه ايام شيخوخته اكثر واوسع من ذي قبل، فقد تضاعفت اعماله الدراسية وابحاثه العلمية، وتقصيه الامور وانكبابه على التأليف، حتى اصبح

بيته محطة الوافدين اليه من اماكن بعيدة شتى، للاستفادة من مجالسه واحاديثه، وكانت مجالسه لا تمل القاصدين المستفيدين، حيث يأتي البعض منهم لمصالحه الخاصة يسترشده او يستخيره فيما استعصى عليه من مشاكل خصوصية كانت ام عمومية، ومنهم من يأتي اليه يلتمس منه ان يكون حكماً فيما شجر بين الأفراد لفصل الخلاف.

فالسيد ابن شهاب وهو في هذا السن اصبح المرجع العلمي والقضائي والاستشاري، الجميع متفقون عليه، وواثقون به، وراضون منه ان يكون حكماً او مشيراً او ناصحاً، لاطمئنانهم اليه في صلاحه وتقواه ونزاهته وورعه.

وسيجد راغب المزيد خصوصاً الدارس والباحث- في تتبع تاريخ السيد ابن شهاب في جميع ادوار حياته المرتع الخصب، من عهد طفولته وشبابه الى مرحلة نضوجه، واخيراً الى مرحلة شيخوخته.

يمتاز عظماء الرجال عن غيرهم بمميزات كثيرة، هذه المميزات هي التي جعلتهم يصلون في مراحل حياتهم الى مرتبة لا يصل اليها غيرهم.

النشأة

لم يكن السيد ابن شهاب وحيد أبويه، فله اخوة ذكوراً وإناث، لكنه كان اكثرهم ذكاء وابعدهم همّة، تجلّى ذلك منذ طفولته.

في اثناء سنة ١٢٢٦هـ كان احد فضلاء السادة العلويين قد خرج ومن معه من وطنه تريم الى قرية صغيرة تسمى حصن آل فلوقه، وهي قرية صغيرة بقرب مدينة تريم، وتعتبر احد مصائفها. وقدر ان كان اهله في مدة الحمل، فشاء الله ان يولد له قبل العود الى المدينة في ذلك المكان، ابن كاحسن ما يتمنى الوالد ان يكون ولده. اما الاب فهو السيد عبد الرحمن بن محمد بن شهاب العلوي، واما الابن فهو السيد ابو بكر ابن شهاب نابغتينا وشاعرنا الاكبر.

استقبلت العائلة ولادته بالفرح والبشرى، كما يستقبل الابوان عادة عندما يبشران بمولود ذكر، فحب الآباء والامهات للأولاد دون الاناث طبيعة بشرية متواترة متأصلة في قلوب الشعوب بدون استثناء، من قديم الزمن حتى اليوم والى المستقبل، والاسلام يعارض هذه الإحساسات المتأصلة المألوفة، التي تفرق بين مخلوق ومخلوق من بني آدم الذين كرمهم الله، ﴿واذا بُشِّرَ احدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم﴾.

لقد كان فرح والديه وكافة الاسرة بهذا المولود عظيماً، المولود الذكر الجديد الذي زاد من عدد افراد الاسرة، لقد زادهم ولداً فزادهم اعتزازاً وشاء الله ان تبرز هذه الدرة من صدفاتها، بل ان يطل من أفقه هذا الهلال الذي ما زال على مرّ الايام يزداد نمواً، وينير على ربوع وادي الاحقاف ليكون فاتحة عهد جديد للادب والشعر، وليزداد به العلم انتعاشاً وازدهاراً لتلك الديار الجامدة. رباه والده منذ طفولته تحت عنايته ورقابته

واشرافه المباشر، تربية كريمة حسنة في احضان المجد، بين اسرة عرفوا بالفضل وسمو التربية التي تنتهجها الاسر العملية الصالحة، شأن كل والد يود لولده الخير، كما سبق ان ربي اخوته من قبله. والتربية حلية في اليسر وملجأ في العسر كما يقول ارسطو الفيلسوف.

نشأ الولد في كنف والده اعواماً، كانت فيها مواهبة الطبيعية قد اخذت تنمو وتنتعش، ثم تعرض والده لمرض ألم به اقعده عن الخروج، ولم يمهل المرض طويلاً حتى وافته المنية. لقد كانت الفاجعة على هذه الاسرة عظيمة، والرزية فادحة، لغياب رب الاسرة.

كان السيد ابن شهاب آنذاك لا يزال حدثاً صغيراً لم يبلغ سن الرشيد بعد، ولقد كانت الحادثة ضربة أليمة في نفسه، تركت في قلبه اثراً عميقاً. فقد والده الذي يحبه ويحن عليه، ولكنه وجد من اخيه الاكبر وشريكه في هذا المصاب من يخفف عنه اللوعة والاسى، وخير من يسليه ويهون عنه آلامه النفسية.

يرى هذا الطفل البريء من ابيه ثم من اخيه الاكبر خير امام يقتدي به، وافضل مثال يحتذي حذوه، وكثيراً ما يقف اخوه الاكبر وينظر الى اخيه الاصغر، ودموعه تترقق في عينيه، لانه يرى ويجد في اخيه البراءة، والطهارة، فتزداد رأفته وحنانه ومحبه فيه، ويتضاعف اعتناؤه به اكثر، بذل قصارى جهده في تربيته، كما كان يفعل والدهما، فأحسن كفاله وتهذيبه وتربيته وتعليمه، فقام اخوه الاكبر مقام والده المرحوم.

التحق السيد ابن شهاب وهو ابن ست سنوات بالدراسة، وواصلها تلقياً من خيار علماء ذلك العصر، من اهل التقى الصالحين الذين لا يشق لهم غبار. وكانت النجابة تلمع فيه، والتهبت شعلة العبقرية والذكاء لديه، ونما شرهه اشد شره إلى التهام العلوم واكتساب المعارف، مما دفعه الى الاخذ عن فطاحل كبار العلماء، دفعه إلى ذلك

شدة فهمه مع صفاء قريحته وسرعة حفظه، فتقدم تقدماً باهراً أدهش مشايخه واساتذته، حتى لقد اذن له البعض منهم في الاستقلال بالتدريس وهو في دور المراهقة، وهو سن ينذر التأهل فيه للتدريس، بل كانت له في صغره بعض فتاوى وتعليقات علمية تدل على تفوقه وعبقريته. وهنا ابتدأت حياته الادبية، اذ بدأ ميله الى الادب واشتغل بمطالعة بعض الكتب الادبية والدواوين الشعرية، وشرع في قرض الشعر.

مشايخه واساتذته:

منهم: العلامة السيد عبدالله بن علي بن شهاب، عميد الاسرة الشهابية آنذاك.

العلامة السيد العلوي السقاف.

العلامة السيد محمد بن ابراهيم بلفقيه.

العلامة السيد احمد بن محمد المحضار.

العلامة السيد الحسن ابن الحسين الحداد.

العلامة السيد علي بن محمد الحبشي.

العلامة السيد محسن ابن العلوي السقاف.

هؤلاء هم من جهاذة العصر في ذلك الزمن، ومن كبار العلماء الاعلام، ومن الشخصيات البارزة في جنوب الجزيرة.

كان السيد ابن شهاب منذ نعومة اظفاره مثلاً للجد والاجتهاد، متوقد الذكاء حتى صار مثلاً حسناً لأقرانه من الطلبة ومفخرة يفتخر به معلموه واساتذته.

كثيراً ما يراجع معلميه واساتذته، ولا يألو جهداً في مناقشتهم في كثير من المسائل، التي لم يكن في حسابهم ان يصدر منه النقاش فيها، فيزداد تقديرهم وحبهم له لتقصيه الابحاث الدراسية.

يقضي السيد ابن شهاب بعد عودته من الدرس وقته معتكفاً في مكتبة والده بين

الكتب، مكباً على مطالعة كتب الادب ومراجعة اسفار التاريخ، ويمحص ما يقرأه تمحيصاً دقيقاً.

قد يذهب في امسيات ايامه الى بيوت اساتذته، او زملائه الذين هم معه في الدراسة، لمراجعة ما استجد له من الكتب، او لتتبع البحث والدراسة حتى يستقر له ما يشفي غليله، فهو لا يكتفي بما يدرسه تلقياً من اساتذته فقط، ولكنه يمحص كل مسألة دراسة وبحثاً حتى يجد ما يشفيه.

تفتق ذهنه بالشعر وهو في سن الخامسة عشرة من عمره، فسالت اقلامه بعدد من القصائد، وتفتحت اكمام شاعريته بما يحفظ الكثير من قصائد الشعراء المتقدمين والمحدثين، هذا بجانب ما كان يتتبعه بشغف زائد، من كل ما ينتجه الادباء والشعراء نثراً ونظماً وما يؤلفه المؤلفون. وكانت هوايته الاولى اقتناء ما تصدره المطابع من الكتب الحديثة او القديمة، وحياسة المخطوطات وان غلت قيمة، حتى تجمعت لديه في وقت وجيز مجموعة كبيرة من امهات الكتب، زيادة عما في مكتبة والده.

رأى اساتذته فيه هذا النبوغ فتفألوا له بمستقبل زاهر باهر فكانوا يستعذبون احاديثه وابحاثه وتصديه دائماً الى صميم الواقع من حقائق الامور، على ان المسائل التي قد يطرحها السيد ابن شهاب، في خلال تلك البرهة من الزمن قد يعتبرونها من المسائل المستهجنة، ذلك لانها قد تقادمت عليها عوادي الزمن، وغمرت بضاعتها طيات الاعوام، فجهلها الناس والمرء عدو ما جهله - فلا عجب ان لا تتحمل المشاعر سماع امثال تلك الابحاث النابية عن افهامهم، أن يعتبروها خارجة عن الحقائق، مخالفة لما ألفوه من التقاليد المتوارثة، وايثار البعض الركون والانزواء.

على رغم اعجاب الاساتذة بالسيد ابن شهاب وتقديرهم لباحثه وافكاره النيرة، فانهم يفضلون ان لا يتسرع لمسابقة الزمن، لان المجتمع الذي يعيش فيه ضيق الافق، لم يألف سماع شيء من امثال هذه الامور، التي يقولها السيد ابن شهاب مخالفة

لما نشأوا عليه، فمهما كان ما يقوله حقاً ناصعاً لا يمكن لهم ان يؤمنوا به.

سار هؤلاء النخبة - السيد ابن شهاب وزملاؤه - في طريقهم بايمان قوي، وعزم صادق يؤدون الرسالة طلباً لرضى المولى بدون كلل أو ملل او خوف من احد، حتى صاروا المحجة الاولى والقذوة المثلى لطلاب العلم والمتنورين من الجيل الصاعد، واصبحت بيوتهم ملتقى طلاب العلم والادباء والمفكرين، وفي مجالسهم كان يستطاب البحث العلمي الحر.

في تلك الفترة وفي ذلك المجتمع ظهر السيد ابن شهاب وسطع نجمه، فتكتل حوله جمع من نجباء زملائه، وممن تلقوا عنه وتغذوا بافكاره الحرة وصاروا من اصفياه، حاملين معهم هذه الروح الوثائية، يدعون الى الحق الصريح بدون مواربة، فقد كاد الحق ان ينطمس بعد تكالب الاهواء عليه من كل جانب، وغمرته مصالح السياسة او سياسة المصالح، فجرفت المجتمع الى الضعف والوهن في الادراك والتفكير.

جابهت مدرسة ابن شهاب هذا المجتمع الانعزالي الراكد بأسلوبها الجديد، واستطاعت في وقت وجيز ان تحوز نصيباً وافراً في تهذيب النشء الصاعد، من الجيل الجديد واصلاح افكاره، فقلبت الاوضاع التي فيها المجتمع، وازالت ما ران على العقول من آثار التبعية.

في جميع ادوار تاريخ البشر، لا يخلو كل مجتمع مهما بلغ به الركود والجمود والتخلف، من وجود فرد أو افراد الهمهم الله العقل والدراسة والعلم، يمكن وصفهم بانهم عباقرة أو فلتات ذلك المجتمع في زمنهم، فيكونون منارات للفكر الحر، ومصادر للاشعاع العلمي، ومشاعل لتنوير الازهان، فهؤلاء الافذاذ هم القوة التي تستطيع ان توقظ هذا المجتمع الراكد، وتهزه ليصح من سباته، ويخلع شعار جموده، وينفض غبار الوهن الذي استشرى في جسمه وروحه.

ليس بالميسور لكل مجتمع مخدر ضعيف الادراك أن يتقبل ما لم يألفه، او ان

ينسجم معه، وكيف يتفتح له قلبه عفوا والموضوع عنه غريب؟ ولكن المصلحين هم الذين يستطيعون بإخلاص ان يسلطوا اضاءهم على هذا المجتمع، فتتبر له السبيل وتوضح له الهدف.

الرواسب التي تتراكم بطول الزمن تنصهر الى عادات، والعادات المتوارثة ليست قابلة للتغيير المفاجئ، بل قد يكون رد فعل عكسي، لذلك فان الحكماء يتبعون الحكمة في التوعية والتبصير، ومجارات الواقع حتى يجتذبوا المدعو تدريجيا الى الحق الصراح. فالمرء غالبا ما ينفر من كل شيء يجهله، وقد يلجأ الى الجدل اعتمادا على عقليته وما نشأ عليه، وهذا يصدق على كل مجتمع متخلف ثقافيا.

في هذا المجتمع الذي نشأ فيه السيد ابن شهاب، وهو كالمجتمعات الاخرى المتخلفة، يرى أولئك النخبة المتحررة شذازا خارجين عن مألوفهم، فوصفوا هذه النخبة بالمروق والانحراف، واتهموهم بتغيير الاوضاع وتخريب العقائد.

حاولت سدي ان أجد ولو بعضاً من قصائد السيد ابن شهاب، التي نضمها وهو في سن دون العشرين، لان المعروف انه نظم الشعر وهو في الخامسة عشرة من عمره، فلم أجد الا هذه القصيدة التي قالها وهو في سن الرابعة والعشرين، على رغم كثرة انتاجه الادبي، وديوانه المطبوع لم يستوعب كل ما قاله من قصائده المطولة او القصيرة. يخاطب السيد ابن شهاب، وهو في عنفوان شبابه في الرابعة والعشرين من عمره، شريف مكة عبدالله باشا بن عون في عهد الخلافة التركية عام ١٢٨٦هـ، يشرح له ما جرى على بني الحسين ابن الامام علي عليه السلام من المظالم التي انصبت عليهم، والقصيدة الكاملة يجدها القارئ في باب المختارات، منها:

آل الحسين بني ابيك عرتهم	فتن واضحى شملهم متصدعا
بثوا اليك شكية فيما جرى	ممن اذاقهم العذاب الا وجعا
من فرقة اخزى واهون ان يسا	ق الى جنابك ذكرهم او يرفعا

ورثوا فعال بني امية في قبا ئحهم وقتلهم الشيوخ الركعا
عطفاً اخا العزمات ان لنا بكم رحماً وهل ترضى بها ان تقطعا
حاشاك يابن الاكرمين اذا بنا عشر الزمان تقول تعساً لالعا
واقلب بنصرك يابن عون سجسجاً ريحاً تهب على ربانا زعزعا
لتقر عيني خير من وطئ الثرى^(١) وتسرى فاطم والبطين الانزعا^(٢)
واليك من نجل الوجيه خريده تسبي نهى من در منطقها وعى
والقصيدة طويلة بدأها بالغزل شأن الشعراء القدماء، وكان لهذه القصيدة تأثير
عميق لدى شريف مكة، فاتخذ اجراءات اتصل فيها بالباب العالي مقر الخليفة،
واهتمت دولة الخلافة بما جرى على الاسرة العلوية، وحاولت ان تقوم باعمال حاسمة
لولا ان الاوضاع لم تمكن دولة الخلافة، فقد كانت بريطانيا في عدن، والجنوب العربي
تحت حمايتها، ودولة الخلافة قد أنخر جسمها الضعف والوهن.

(١) خير من وطئ الثرى هو سيدنا محمد ﷺ.
(٢) البطين الانزع هو الامام علي بن ابي طالب عليه السلام.

اسرته

ينتسب السيد ابو المرتضى بن شهاب من جهة والده وامه الى الاسرة الشهابية العلوية، سليمة العترة النبوية الطاهرة، وهو السيد ابو بكر بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله بن عيدروس بن علي بن محمد بن شهاب الدين بن احمد بن عبد الرحمن بن الشيخ شهاب الدين بن عبد الرحمن بن علي بن ابي بكر السكران بن عبد الرحمن السقاف بن محمد مولى الدويلة ابن علي بن علوي بن الفقيه المقدم بن محمد بن علي ابن الامام محمد صاحب مرباط ابن علي خالع قسم ابن علوي بن محمد صاحب الصومعة ابن الامام علوي بن عبدالله بن المهاجر احمد بن عيسى^(١) بن محمد النقيب ابن الامام علي العريضي ابن الامام جعفر الصادق عليه السلام ابن الامام محمد الباقر عليه السلام ابن الامام علي زين العابدين عليه السلام ابن الامام السبط الشهيد الحسين عليه السلام ابن امير المؤمنين الامام علي عليه السلام وابن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين بنت سيد الكائنات ومفخرة الموجودات محمد رسول الله صلى الله عليه وآله.

نسب تحسب العلى بعلاه قلدتها نجومها الجوزاء

(١) لما نجحت دعوة الداعي الى الله يحيى بن الحسين الحسيني بقطر اليمن سنة (٢٨٠هـ)، واستمرت خلافة آله بها وعز اهل البيت، هاجر عدة منهم الى تلك النواحي من الحجاز والعراق فراراً من ظلم العباسيين وعبث القرامطة، فهاجر قبل السيد احمد بن عيسى ابناء عمه محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين السبط، وهاجر معه ايضاً احمد بن عبد الله بن موسى بن حسين بن علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، ورافقهم محمد بن جعفر بن حسن بن موسى بن جعفر بن محمد. فقتلوا في طريق اليمن قبل وصولهم إليها وذلك في سنة (٣١٣هـ)، ثم هاجر بعدهم المهاجر الى الله احمد بن عيسى المذكور، وابنه عبد الله في سنة (٣١٧هـ) فجاء الى حضرموت وهي تفور ببدعة الاباضية الخوارج، فنشر الدعوة الاسلامية الحقبة باللين والحكمة والموعظة الحسنة، فاهتدى منهم من اهتدى وضل من ضل وهم المتشبهون بالاباضية، وكان دخول بدعة الاباضية إلى حضرموت سنة (١٢٩هـ).

هاجر جده الاعلى احمد بن عيسى من البصرة عام (٣١٧هـ)، فراراً من الظلم والطغيان الذي انصب على آل البيت عليهم السلام واتباعهم، واتجه احمد المهاجر واسرته من بعده الى جنوب الجزيرة العربية ومنهم من اتجه الى شمال افريقيا وافريقيا الغربية والشرقية وجزرها، مثل زنجبار ومدغشقر وجزر القمر، ونجد الآن بعض سلالة المهاجر احمد بن عيسى في الصين واليابان والسيام (تايلاند) وبورما والفلبين وآسيا الوسطى ونيسابور وايران وقزوين وسمرقند وطبرستان والهند وباكستان والهند الصينية التي تعرف الان بفيتنام ولاوس وكامبوديا وماليزيا واندونيسيا، ووصلت سلالة احمد المهاجر الى جزر سليمان والجزر النائية في اواسط المحيط الهادي والجزر الواقعة قرب المنجمد الجنوبي.

وبمرور الزمن وتعاقب الهجرات المتوالية، نجد منهم الآن في استراليا ونيو زيلاندا وبلدان اوروبا والامريكيتين، وتجنسوا بجنسية تلك البلدان وذابوا في خضم تلك المجتمعات.

والسيد ابن شهاب يفتخر بانتسابه الى هذا البيت العلوي من اسرة آل شهاب الدين، فقال في قصيدة له سماها طهور الشراب من شمائل السادة آل شهاب، وهي قصيدة طويلة، يجدها القارئ في المختارات من قصائده التي اوصى بها، مطلعها:

الا لا يعيب المجد والفضل اقلال وكل لئيم لا يسوده المال
اذا امتحنت بيض الصفاح وجربت فبالنصل لا بالغمد يتضح الحال

ثم يقول من نفس القصيدة عند ذكره لهذه الاسرة:

فروع شهاب الدين غوث الوري الذي عليه من النور الالهى سربال
انابت به لما استضاءت بنوره طوائف لا تحصى غواة وضلال
أولئك حتى الآن وراث شعبيهم وهل ارثهم الا علوم واعمال
ولم لا وهم من صفوة العلوية الا لى لهم بالسبق تعترف الآل

يقول وهو يفتخر بانتسابه الى هذا البيت العريق، ويعتذر عن التقصير:
وها انا منكم غير اني مقصر عن السعي في نجد الفضائل مكسال
ثم يهنئ هذه الاسرة بقوله:

هنيئاً لكم آل الشهاب وكيف لا يُهنأ الذي لم يطغه الجاه والمال
ينتمي السيد ابو المرتضى بن شهاب من ابيه وامه الى البيت الشهابي المعروف
من الأسر العلوية العريقة، وعدد اسر البيت الشهابي قلة قليلة، خصوصاً اذا قورن
بالاسر العلوية الاخرى، كاسرة بيت العطاس وآل السقاف وآل الحبشي وآل
العيدروس وآل ابن الشيخ ابي بكر بن سالم وغيرها من الاسر العلوية، فهذه الاسر تمثل
الغالبية الساحقة من مجموع الاسر العلوية.

اما البيت الشهابي فهو من الاسر المحدودة افراد عائلاتها، مثل بيت آل يحيى
وبيت آل القدري وبيت آل ابن سهل، وغيرها من الاسر الصغيرة المحدودة. ويمتاز
البيت الشهابي ببيت العلم فثمانون من افراد هذا البيت حاملون لشهادات جامعية في
الطب بجميع فروعه، والهندسة بكل أقسامها، والحقوق وغيرها ذكوراً وإناثاً، ويعرف
افراد هذه العائلة بالتواضع وحب مساعدة الغير، وليس لهم طمع في الحياة.

قد يشتهر البعض في الاسرة الشهابية ويقع لديه الالتباس في اصل هذه الاسرة،
فالاسرة الشهابية الموجودة في الشام وفي لبنان بالذات، هي من سلالة الامير بشير
الشهابي الملقب بالامير، وهذه الاسرة كما تحدثنا اوثق المصادر التاريخية قدمت من
الحجاز ثم استوطنت لبنان. فهي من العرب الاقحاح الخالص. ولا نعرف الى اي القبائل
تنتمي هذه الاسرة. هل الى كندة او بني مرة او الى الغساسنة، وهذه الاسرة تقيم بالشام
وبلبنان بالذات، وهي من الاسر المعروفة، تتمتع بصيت حسن في المجتمع، ولها
مكائنها المرموقة. اما الاسرة الشهابية الثانية فهي من بني شهاب الدين، المنتمية الى
المهاجر احمد بن عيسى بن محمد النقيب ابن علي العريضي ابن الامام جعفر

الصادق عليه السلام واسرة احمد بن عيسى المستوطنة بالبصرة في العراق قررت الهجرة ومغادرة العراق، بسبب الطغيان المنصب عليها، وتوجهت الى اليمن واستقرت بمدينة الجسسية بجنوب اليمن. وبها توفي احمد ابن عيسى ودفن فيها. وقبره معروف يزار. واصل بعض اولاده واحفاده وبني عمومته الهجرة للدعوة الاسلامية في القارة الآسيوية، ويعرفون في الهند بآل عظمة خان. استوطن البعض منهم تلك البقاع، وواصل الآخرون هجرتهم الى جنوب شرقي آسيا وجزر الباسفيك، ولهم بها عقب وسلالات معروفة منتشرة اندمجوا باهلها وشعبها، وتقلد البعض منهم قيادة أمور الدولة والحكم والسلطنة بعد هداية تلك الشعوب الى اعتناق دين الاسلام. وبيت آل شهاب المعروف بآل شهاب الدين تفرعت منه اسر اخرى كبيت آل الزاهر وبيت آل الهادي وبيت آل المشهور، وكلها من غصن واحد. فالفارق واضح وبين بين الاسرتين، اسرة الشهابي المنتمية الى الامير بشير الشهابي بלבنان، وبين اسرة آل شهاب المنتمية الى المهاجر احمد بن عيسى.

الشجرة

زملأؤه

للسيد ابن شهاب اصدقاء اوفياء وزملاء لازموه، ومعارف في معظم بقاع الارض التي زارها وتردد اليها، وبذلك توثقت الصلات ثم استمرت عبر المراسلات في البلدان العربية والاسلامية وغيرها من الاقطار.

اتصل به كبار العلماء والزعماء وفحول الشعراء والادباء، والذين لهم اعمال بارزة مرموقة في الشؤون الاجتماعية ممن لا حصر لهم، ارتبطوا به ارتباطاً وثيقاً، ونجدها جلية في مراسلاته ومكاتباته وبعض قصائده وهي كثيرة. ومن هذه الصلات، صلات الامراء به الذين كانوا يجلسونه ويعظمونه تعظيماً، لا اعلم هل كان ذلك تقديراً حقاً منهم له او خشية ومجاملة او حذراً منهم ورهبة.

ان المعروف ان شخصية السيد ابن شهاب قوية، وهو عزيز النفس معتد بها كريم سمح الاخلاق، وهو الذي يقول بافتخار واعتزاز:

وسنام اي الارض اذهب منزلي ولي الندامي الغرّ من امجاده
اني لتكرمني الاسود بارضها لعظيم منزلي وعظم مفاده
وفي هذه العجالة نكتفي بايراد ذكر بعض زملائه، ممن لهم القيادة والريادة والذين شاركوه في النهضة الاصلاحية بما فيهم الادباء والشعراء.

السيد محمد احمد المحضار

هو في مقدمة اصدقاء السيد ابن شهاب، وهو من العلماء الاعلام، ذو شخصية فذة، وهو فوق ذلك مؤرخ واديب وشاعر وخطيب مفوه، يتسابق الناس لسماع احاديثه التي لا تمل، ويمتاز بالكرم والجود والسخاء، منزله مأوى للضيوف القادمين

والوافدين، من جميع الاقطار والجهات الى بيته العامر في مدينة بوندو وسلو بجاوا الشرقية، والسيد المحضار من الرجال العاملين المصلحين، بذل جهده للاعمال الخيرية في تشييد المعاهد العلمية وبناء المدارس الدينية، وعمارة المساجد والاهتمام بالجيل الصاعد وتنقيفه.

كان ابيض اللون طويل القامة مفتول العضلات، صلته بالسيد ابن شهاب صلة متينة جمعتهما وحدة العقيدة والمبدأ والهدف والغاية، وكان شديد الاعجاب بالسيد ابن شهاب، يحفظ الكثير من قصائده ويستشهد بها في مجالسه وخطبه ومحاضراته. للسيد المحضار مؤلفات لا تزال مخطوطة، وتعليقات وحواش على الكتب التي يقرأها، وهي في غاية الاهمية، وقد يسترسل في تعليقه على موضوع الكتاب الى التفصيل المسهب، وكانت تعليقاته مدعومة بالأدلة والحجج العلمية. ومعروف عن السيد المحضار الوضوح، لا يداري ولا يخشى.

شاهدت في عام ١٩٢٩ من شهر ذي القعدة في منزل السيد محمد ابن ابي بكر ابن يحيى بعض مؤلفات وقصائد ومكاتبات ورسائل للسيد المحضار في مجموعة لا بأس بها لا تزال كما هي مخطوطة بقلمه المعروف بالحبر الاخضر، لم ترتب او تبوب وهي كما هي. اطلعت على اكثرها من هذه المجموعة، فوجدتها بلغت من الجودة في دقة التحليل، وفي كيفية عرض المسائل المستعصية وتحليلها مبلغاً كبيراً بأسلوب شائق، يمكن جعلها اساساً ومرجعاً لحل تلك القضايا. ومن المكاتبات رسائل دارت بينه وبين السيد محمد بن عقيل صاحب المؤلفات الشهيرة كالنصائح الكافية وتقوية الايمان والعتب الجميل وغيرها، كما اطلعت على مجموعة رسائل اخرى منها مع السيد عقيل بن زين العابدين الجفري، وتمتاز هذه المكاتبات بطرق المواضيع السياسية والاجتماعية، وهناك مجموعة رسائل اخرى مع كبار الشخصيات الاسلامية في العالم، منها ما استرعى انتباهي، وهي مكاتباته مع الامام يحيى حميد الدين امام

دولة اليمن آنذاك. ولو رتبت ونسقت هذه المجموعة ل جاءت في عدة مجلدات كبيرة. ويقول السيد محمد ابن ابي بكر ابن يحيى ان تلك المجموعة هي الجزء الصغير، والمعروف ان المجموعة الكبيرة موجودة في مكتبته في مدينة بندووسو.

والسيد المحضار احد الشعراء المكثرين، وله قصائد حمينية وحكمية عديدة متفرقة متناثرة لم تجمع. والسيد المحضار يقول الشعر في كل مناسبة سانحة تسنح له، وما نشرتها بعض صحف المهجر هي القليلة بالنسبة الى كثرة ما قاله من القصائد.

عندما بدأت اكتب هذا الكتاب حاولت ان اجد ما شاهدته عام ١٩٢٩ لدى السيد محمد بن ابي بكر بن يحيى المقيم في سورابايا، فلم اعثر على شيء منها. فقد اختاره الله الى جواره، ثم حدث الهول الهائل والطامة الكبرى بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية، واحتلال اليابان لهذه الجزر بين عام ١٩٤٢ وعام ١٩٤٥ ثم أعقبتها الثورة الاستقلالية التي دامت حتى شهر كانون الأول من عام ١٩٤٩. وواصلت البحث هنا وهناك وعثرت على بعض قصائد السيد المحضار التي لا تتجاوز ثلاث قصائد، محفوظة في مكتبة المرحوم السيد هاشم ابن شيخان السقاف بقرسي، ولا تزال هذه المكتبة محفوظة يتولاها ابناء المرحوم، وهما محمد واحمد. وجدت هذه القصيدة مكتوبة بخط رديء تعسر قراءته.

وسألت السيد حسين ابن السيد محمد المحضار عن مؤلفات والده، وما تركه من آثار وتراث بما في ذلك من مؤلفات وقصائد ومكاتبات، فقال: ان طول الزمن وتعاقب الاحداث وتوالي المحن بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية، وما أعقبها من ثورات وحروب الاستقلال التي لم تبق ولم تذر، قد بعثرت كل شيء، ثم ان هجرة السكان خلال تلك الحوادث جعلتهم لا يفكرون في شيء سوى سلامة انفسهم فقط، فكيف يمكن لهم التفكير في المحافظة على الكتب او جمعها؟ فالمحنة الكبرى التي واجهناها وعشنا معها كانت قاسية جداً وقد دامت زهاء خمس سنوات عجاف، فقدنا

بسببها ممتلكاتنا واموالنا، بل الكثير فقدوا حتى ارواحهم. وهكذا تبعثر وفقد كل ما ترك في المنازل والبيوت.

يرى السيد المحضار ان المسلمين امة واحدة، وهم الذين على طريقة آل البيت عليه السلام، تلك الطريقة الأسنى والسبيل الاقوم، ومن لم يكن معهم وعلى طريقتهم فهم خارجون عن المحجة المثلى.

ويتجلى ذلك في مؤلفاته وتعليقاته وقصائده الموزونة او النثرية الحمينية منها او الحكمية. ومنها قصيدته التي مطلعها:

بشرى لنا من جانب القدس العلي بحبيبه الاعلى وسيدنا علي
ومنها:

اسماء خص بها النبي وصنوه	وبنوه من كامل ومكمل
خالصة لهم فليس لغيرهم	منها سوى ما في يد المتطفل
معلومة التنصيص عند ائمة الـ	تلخيص والتخصيص فرض الافضل
ومسميات وافقت اسماءها	برت أليّة من بذلك يأتلي
وفيها يقول في حق اهل البيت <small>عليه السلام</small> بعد أن بين أن مذهبهم هو خير المذاهب:	
يروون عن آبائهم عن جدهم	عن جبرئيل عن الكريم المفضل
فلو أن أصحاب المذاهب انصفوا	تبعوه لكن فات حز المفصل
سل منهم النعمان والثوري وما	لك والامام الشافعي والحنبلي

وللسيد المحضار قصائد كثيرة في النبي صلوات الله عليه وفي الامام علي وآل البيت عليه السلام، ومما قاله في الامام علي عليه السلام:

ايا من قال جهلاً في علي بان النص كان به خفيا
هو الاولى به من غير نص فكيف وقد بدا منه جليا
فاقرأ آية التبليغ فيها^(١) تجد نصاً يغيب الناصبيا

يقول ابنه السيد حسين المذكور: انه لم يعد يتذكر شيئاً من قصائد والده الا
الشيء اليسير جدا، وقد يتذكر منها في مناسبات، وها هو يذكر الآن هذين البيتين:

والله ما قتل الحسين ورض في البيدا عظامه
الا مبايعة السقيفة والتخلف عن أسامه

سألت السيد مكرراً ومستفهماً، عن الكتب بجميع انواعها المخطوطة والمطبوعة
التي كانت موجودة في مكتبته العامة، كيف صارت؟

قال: كما ذكرت لك عن الالهوال، وما سلم منها وهو قليل جداً ارسل الى مدينة
قيدون بجنوب الجزيرة العربية، لينتفع طلاب العلم منها، غير أن سوء الطالع والحظ
العائر لازما تلك الكتب، حيث صادرت الحكومة الشعبية الشيوعية الديمقراطية
الاشتراكية المسيطرة على جنوب الجزيرة المكتبات حتى الكتب الموجودة لدى
الافراد، فضلاً عن الكتب الموجودة في المكتبات العامة والمعاهد العلمية والمدارس،
حتى المكتبات الخاصة للافراد، كلها لم تسلم من المصادرة واستيلاء الحكومة عليها،
باعتبارها كتب سامية، وشاع الخبر ان جل تلك الكتب ابيدت واحرقت، وهكذا كانت
نصيب الكتب المرسلة من اندونيسيا.

للسيد المحضار صلات وثيقة بزعماء المسلمين في العالم، سواء كانوا في
البلدان الاسلامية او خارجها، وله معهم مساجلات ومحاورات جمّة في اوضاع
المسلمين واحوالهم، وما يجب في الدفاع عنهم في مواجهة الاستعمار الذي حل في

(١) هي آية قوله تعالى ﴿يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ نزلت يوم غدیر
خم بتعيين علي عليه السلام للخلافة على ملاء من الناس.

البلدان الاسلامية، واصبح المسلمون مستضعفين في بلادهم ووطنهم، ضعفاء عجزوا لا يقدرّون على شيء، وكان يحث زعماء المسلمين على وجوب مضاعفة العمل، والكفاح في سبيل انقاذ المسلمين من الحالة التي هم فيها، ولا يتم ذلك الا بنشر العلم وبث الوعي، والتخلص من العقول المتحجرة لعملاء الاستعمار، وله في هذا الصدد المجال الواسع من النضال.

موقف السيد المحضار من الاستعمار الهولندي والبريطاني معروف لدى الخاص والعام، وهو لا يهادن الاستعمار وعملاء المستعمرين. كانت اعماله في نطاق النهضة الاصلاحية مطبقة على المنهج الموضوع لتحرير العقول من التبعية والتقليد. اعماله في انشاء المدارس والمعاهد العلمية ناطقة شاهدة بما له من فضل في محاربة الجهل والامية.

قلنا ان للسيد المحضار قصائد كثيرة قالها في مناسبات عديدة منها التي مطلعها:

بدت تتهاذى في ملبسها العذرا فابتد لمن قد لام في حبها العذرا
وله قصيدة اخرى مطلعها:

سقى الحيا حيث مصطفى ومرتبعي بلؤلؤ الطل مهما شاء من مطر
اما قصيدته المعروفة بالغديرية وقافيتها نونية، فمعروفة لدى الجميع، ولطولها نقتطف منها هذه الابيات:

ايا من حلت الالهواء منه محلاً اعقبته هوى وغبنا
تجد نص الغدير من التعامي يفيد بلفظه القطعي ظنا
وكيف يكون مظنوناً وفيه من الايضاح ما اغنى واقنى

توفي السيد المحضار رحمه الله في مدينة سورابايا عاصمة جاوا الشرقية عام ١٩٢٥م - ١٣٤٤هـ اثر مرض ألزمه الفراش عن عمر ناهز ٦٤ عاماً، اذ كان ميلاده عام ١٢٨٠هـ وكان وفاته بعد ثلاث سنوات من وفاة السيد ابن شهاب. شيعت جنازته

عشرات الالوف من المشيعين الى مئواه الاخير وصلي عليه في جامع مسجد عمفيل الكبير اعظم مساجد اندونيسيا واقدمها. ودفن تحت قبة كبيرة بجوار مسجد القبة في قلب مدينة سورابايا. أثَّنه يوم الدفن كثير من افاضل العلماء الاعلام ووجهاء القوم منهم الاستاذ احمد غنائم الامير المصري الذي كان حينذاك باندونيسيا، فاسهب واطال ذاكرة فضائل المرحوم واعماله وجهاده وهو فرد كأمة وكان الحاضرون وجوما يستمعون لكلمة التأبين. لم تشهد مدينة سورابايا في تاريخها تشييع جنازة كهذا التشييع الذي ملأ القلوب والاسماع حيث توافدت الجموع الغفيرة من المدن والقرى بجاءوا للمشاركة، وانهالت برقيات التعازي من اكثر الاقطار في هذا المصاب الاليم، واقيمت له مجالس التعزية في كثير من مدن اندونيسيا وجنوب الجزيرة وبعض بلدان افريقيا. نشرت الصحف المحلية العربية والاندونيسية نبأ الوفاة ووصفت باسهاب معالم التشييع، كما نشرت خطب التأبين، وانفردت جريدة حضرموت التي تصدر من مدينة سورابايا باللغة العربية بنشر سلسلة تأبينات في حلقات متتابعة كتبها افاضل القوم عن المغفور له فلم يتركوا بابا من تاريخ حياته الا ذكروه، تاريخه واعماله وكفاحه وجهاده وفضله وعلمه وادبه الى غير ذلك، كما نشرت القصائد الرثائية من شعراء المهجر الشرقي وجنوب الجزيرة.

وضريحه الى اليوم مزار يزوره الكثيرون من مقدريه وعارفي فضله. وخلف المغفور له ذرية صالحة عديدة ذكورا واناثا، ومن اولاده علوي وعبدالله وصالح وحسين ومحضار ولهم ذرية من اسباط واحفاد منتشرون في مدن اندونيسيا والجزيرة العربية.

يقرر السيد المحضار في قصيدته شارحا الاوضاع الحقيقية بصراحة بان الالقب والمسميات الاصلية كالهادي والمهدي والناصر والمنصور والصادق والصدوق والمولى والولي وما شابهها اسماء والقاب خص بها النبي محمد ﷺ آل بيته

دون غيرهم، ولكن مدلسوا التاريخ من النواصب والخوارج جعلوا هذه الالقاب وقمصوها لمن هب ودب محاولين ومتعمدين التدليس.
ثم يصف السيد المحضار آل البيت عليهم السلام بأنهم قد باعوا انفسهم لله تعالى.

الاستاذ محمد بن سالم بارجاء

الاستاذ محمد بن سالم بارجاء شاب مثقف متنور اتصل بالسيد ابن شهاب ايام مكوثه في مدينة سورابايا، فلازمه ولم يفارق مجالسه، يحضر دروسه ويستمتع الى محاضراته، وكان السيد ابن شهاب معجباً بالاستاذ بارجاء ويرى فيه الخير والصلاح فحثه على العمل لمصالح الامة العامة واقترح عليه انشاء واصدار اول جريدة باللغة العربية في مدينة سورابايا وقوى عزمه ثم دعمه. فما كان من الاستاذ بارجاء الا ان نفذ الفكرة فاصدر فعلا اول جريدة باللغة العربية باسم (الاقبال) وكان ذلك في اوائل القرن العشرين. وكانت ادارة جريدة الاقبال مجمعا للشباب المثقف المتنور المتحرر. ومن ادارة جريدة الاقبال انطلقت الاضواء للنهضة الاصلاحية وصارت لسانها الناطق وحاملة مشعل الاصلاح ونشر الوعي والتحرر مما اثار حفاظ حكومة الاستعمار الهولندي فضاعفت من اهتمامها بهذه الحركة الجديدة وتربصت بالاستاذ بارجاء محمد بن سالم وتتبع خطواته محاولة عرقلة اعماله والحد من نشاطه ثم تحطيمه، والى هذه القضية يشير شاعر المهجر السيد احمد السقاف في قصيدة له بما يلي:

سمعوك في الاقبال تزأر فانشوا فرقا وودوا خيفة لو تدهن
فأريتهم معنى الثبات وان جم مع الذل والايما ن ما لا يمكن

سعت هولندا بكل طاقاتها لاعتقال الاستاذ بارجاء وتبرير فعلها في اتخاذ تلك الخطوات الجائرة، حتى استطاعت اعتقاله بتهم ملفقة مصطنعة تافهة جداً، اعتقلته القوات الهولندية مع زمرة من زملائه المكافحين بينهم رجل الاريحية الشهم الاستاذ

يوسف علي شكر غني احد كبار مصدري السكر الى اوروبا وامريكا. وعلى اثر هذه الحادثة قامت ضجة كبرى في البلد وتوالى الاحتجاجات من كل جانب وتصدى السيد عقيل ابن زين العابدين الجفري للدفاع عن المعتقلين وكان السيد المحضار في مقدمة الجميع.

حاولت هولندا اثبات التهم على المعتقلين وجندت عملاءها للتحريض واثبات الجريمة وتهمة اثاره الشعب والفوضى والقتل في البلاد بنشر الافكار السامة ضد الدولة كما حاولت تبرير اعمالها التعسفية بحجة المحافظة على الامن العام، ولكنها خشيت من هيجان الرأي العام، وتصديه لفضح حيل الاستعمار. فلم تجد هولندا امام هذا الهيجان والصيحات الكبرى التي رجت البلاد، الا الافراج عن المعتقلين وخرج الاستاذ بارجاء وزملاؤه من الاعتقال واستقبلتهم الجموع الحاشدة من الامة في موكب حافل وسار الموكب العظيم بالهتافات وصيحات النصر في اهم شوارع المدينة حيث توقفت جميع حركة المرور، واستقبلهم الشعب بالهتافات الجهادية ورفع الشعارات الحماسية وهم يحيون المكافحين.

اقام الاستاذ الشاعر الكبير ورئيس تحرير جريدة حضرموت السيد محمد بن هاشم، حفلة استقبال كبرى في المعهد العلمي (مدرسة حضرموت) حضرها رواد النهضة الاصلاحية وزعماءها ووجهاء الشعب وجمع غفير من الشباب المتنور واكتظت القاعة الكبرى الى الساحة الواسعة الرحبة وتبارى فيها الخطباء والشعراء في تقدير وتعظيم المكافح الاستاذ محمد بن سالم بارجاء وزملائه. القى الاستاذ السيد محمد بن هاشم قصيدته العصماء بعنوان (أبا الرجاء).

ليس من فضول الكلام ان يقال: ان الاستاذ محمد بن سالم بارجاء قد استسقى من معين السيد ابن شهاب الذي لا ينضب. وكان الاستاذ بارجاء احد طلاب الشبان الناجحين الذين شمروا عن ساعد الجد وواصلوا الكفاح لتحقيق النهضة الاصلاحية.

وقد افنى الاستاذ بارجاء شبابه مكافحاً للمصالح العامة حتى اقعدته الشيخوخة
ووهنت قواه فلازم منزله متعبداً وهو في اواخر ايام حياته، وقد ادى فريضة الحج
وتشرف بزيارة نبي الامة سيدنا محمد خير البرية ﷺ. وتوفي بمدينة مالانغ بجاوا
الشرقية.

اما القصيدة التي قالها شاعر المهجر الشرقي السيد احمد السقاف والتي ذكرناها
قبل هذا، فهي كاملة:

صدق واخلاص وقلب مؤمن	وجميل صبر للعواقب يضمن
واذا كبير النفس كلل سعيه	عون الاله، فكل صعب هين
فله المآرب تنقضي وله المغا	لب يرعوي وله المعاند يذعن
لم يعدم الزمن الرجال على وجو	د بقية منهم اتيت تبرهن
ثق يا ابن سالم انني ارعى الجمي	ل واذكر الود القديم وافطن
مهما تقلبت الامور او افترق	نا في الظواهر او تباعد موطن
فاذا عددتك في الرجال فذاك اد	نى ما يقال وذاك حق يعلن
واذا مدحتك فالثناء على الفض	ئل والمكارم يستطاب ويحسن
ان الفضائل والمكارم كلما	خفيت يجليها التقى والمعدن
عشرون عقدا في جهاد عدوة ال	اسلام نعمن في الكفاح وتمعن
حتى الكلام لكي نقدر في الكلا	م فلا نفصله يكال ويوزن
فبكل باب مهلك وبكل جس	ر مزلق وبكل فج مكن
سمعوك في الاقبال تزأر فانتنوا	فرقا وودوا خيفة لو تدهن
فأريتهم معنى الثبات وان جم	ع الذل والايمان ما لا يمكن

السيد عقيل بن يحيى

هو الشاعر الموهوب والاديب الكبير والنكتي البارع من ابناء عمومة العلامة السيد محمد بن عقيل صاحب المؤلفات. وللسيد عقيل هذا، ديوان شعر كبير نشرت بعض قصائده صحف المهجر الشرقي وتدرس كثير من قصائده في المدارس لطلاب الادب العربي، اما ديوانه فلا يزال مخطوطا ولم يكن له حظ في النشر.

من قصائده السائرة على الالسن قصيدته التي مطلعها:

رم المجد وابذل في تطلبه الجدا ولا تن وادأب في تجشمه جدا
وله من القصائد المطولات التي بلغ بعضها ستمئة بيت دفاعاً عن آل البيت عليهم السلام
ويرد فيها على المناوئين الذن يحاربون الحق. فمن تلك القصائد الكثيرة هذه القصيدة التي مطلعها:

الحق في الصدق والتمويه في الدجل والحق انصع شيء ظاهر وجلي
والقول قولان، قول يستضاء به في المدلهمات، قول بالفسوق ملي
والمفسدون على اقوالهم ظلم يعافه كل معوجّ ومعتدل
وفي الزمان اعاجيب ترى وبه قوم تملكهم ضرب من الخبل
بجانب هذه القصائد الكثيرة له قصائد اخرى حمينية بالعامية الدارجة وجل
هذه القصائد الحمينية الدارجة في مدح آل البيت النبوي الكريم. يقول السيد عقيل انه
يفضل ان يكون المديح باللغة الدارجة ليسهل فهمها وحفظها. ومن هذه القصائد الكثيرة
نورد هنا مثلاً:

اللولة بالوصية ما رضوا	وقت النبي في ساعة استحضر
والثانية شلو الخلافة	بينهم ولعاد خلو قسم لانصار
والثالثة والرابعة عصبوا	واطلقوا واجمعوا على الاشوار
علي ولي الله مولانا علي	زوج البتول الفاتك الكرار

ما خوفته جموعهم، وجه
 عليهم ضرب بالبتار
 رجعو طير وادرعو بالحيلة
 لانهم صاروا دعاة النار
 لم نعثر حتى اليوم على ديوان السيد عقيل لدى احفاده واسباطه وللسيد عقيل
 عقب جلّهم منتشرون بجزيرة جاوا. ومن ابناؤه السيد محمد الصحفي المعروف الذي
 اصدر عدة مجلات بجاكرتا منها الترجمان والمكوى وجريدة برهوت اصدرها من
 مدينة الصولو بجاوا الوسطى.
 توفي السيد عقيل بمدينة المسيلة بحضرموت من اليمن الجنوبي ومن اولاده
 السيد علي ابن عقيل خريج الجامعة في سوريا.
 لكثرة عدد زملائه واصدقائه الذين لهم صلة متينة وعلاقة طيبة بالسيد ابن
 شهاب في جميع الاقطار، فلا نستطيع حصرهم ونكتفي بما عن لنا من هذا العدد
 المحدود من اسمائهم وبدون ترجمة لاحد منهم:
 محسن بن علوي السقاف
 احمد بن محمد المحضار
 احمد زيني دحلان
 حسين البلكرامي
 حسن بن حسين الحداد
 علي بن محمد الحبشي
 فصل باشا ابن علوي بن سهل
 احمد بن عمر بن يحيى
 حسن بن علوي الجفري اليمني
 محمد بن عيدروس بن شهاب
 محمد بن طاهر الحداد

خديوى مصر	توفيق باشا
سلطان حيدر آباد الدكن	مير عثمان علي خان
سلطان الشحر والمكلا	صالح بن غالب القعيطي
سلطان زنجبار	برغش بن سعيد
سلطان سلطنة جوهور الماليزية	ابوبكر بن ابراهيم
شريف مكرمة المكرمة والحجاز	عبدالله باشا ابن عون
حاكم لحج	احمد فضل
	فضل بن علي بن محسن العبدلي
	محمد بن محسن العبدلي
صاحب الجوائب	احمد فارس الشدياق
	مهدي بن علي خان
	عثمان بن محبوب
	صالح بن جعفر
	عبد الرحمن آل ابن ابراهيم
صاحب جريدة المؤيد	علي يوسف
	عبد الله مديحج
سلطان دولة الخلافة	السلطان عبد الحميد
	حسن بن عبدالله بن حامد
	عبد القادر القباني

تلامذته

انجبت مدرسة السيد ابن شهاب جملة كبيرة وطبقة مثالية من تلامذته ومريديه الذين ارتشفوا من معين علمه فانتفعوا منه لملازمتهم له. تتقفوا بثقافته، واقتبسوا من قبس آرائه. درسوا عنده أخذاً وتلقياً حتى نبغوا، فكانوا من فطاحل العلماء الاعلام في الادب والتفسير والفلسفة والامور الاجتماعية. تكونت من هذه المجموعة زمرة صالحة تعد في طليعة من شاركوا مباشرة في تحقيق هدف النهضة الاصلاحية التي قام بها واسسها ووضع منهاجها ومهداها.

واصبحت هذه المجموعة فيما بعد هم رواد النهضة الاصلاحية وهم الزعماء والقادة المخلصون. ونبغ من هذه المجموعة الذين ساروا على منهج استاذهم باذهان نيرة وقادة وبافكار متحررة متفتحة تخلصت من التبعية العمياء. هذه المجموعة الصالحة هي من اصحاب المبادئ السليمة والعقيدة الصحيحة بروح سامية، شخصياتهم قوية وهم الراغبون في العلم، تبوأوا مراكز عالية في المجتمع ورفضوا المراكز في الدولة لانهم لا يريدون ان يكونوا آلة صماء بايدي الولاة والحكام. فكانوا في الحقيقة زعماء الشعب والأمة واصبحوا مثلاً حسناً كما تركوا لمن بعدهم تاريخاً حسناً يقتدى به كما تركوا ايضاً تراثاً علمياً. نذكر هنا عدداً منهم:

السيد محمد بن عقيل

هو العلامة الجليل والباحثة القدير صاحب المؤلفات الكثيرة منها:

- ١ - العتب الجميل في الجرح والتعديل طبع عدة مرات
- ٢ - النصائح الكافية طبع عدة طبعات

مطبوع

٣ - تقوية الايمان

مطبوع

٤ - فصل الحاكم

وله عدة مؤلفات اخرى قيمة لا تزال مخطوطة، من تلك المخطوطات:

١ - احاديث المختار في معالي الكرار، مع تعليقات ضافية وابحاث قيمة بحجج دامغة، وهو من خير الكتب ومن اهم المراجع التاريخية.

٢ - المراسلات وهي مجموعة مراسلاته ومساجلاته ومراجعاته مع زعماء المسلمين وعلمائهم ومع رؤساء الدول الاسلامية وكبار الشخصيات البارزة في مصر والشام والعراق وايران والهند واليمن والمغرب وغيرها، وهذه المجموعة عبارة عن وثائق تاريخية ثمينة ذات قيمة علمية يتجلى فيها الحق الذي اراد اصحاب الاهواء والقيادات التي تفرض ارادتها بالقوة طمسه، فشوهت حقائق معالم التاريخ وخنقت الافكار، فغربل السيد ابن عقيل القضايا واشهر الحقائق حتى اصبحت واضحة جلية لا ينكرها الا مأفون العقل والبصيرة.

٣ - مذكرات في اربع مجلدات كبيرة. كان السيد ابن عقيل حريصا كل الحرص على تدوين مذكراته يوميا، فيضع كل موضوع على حدة، وهذه ثروة تاريخية ثمينة.

٤ - ثمرات المطالعة وهي تعليقاته وتمحيصاته لكل كتاب او صحيفة يقرأها، هنا يتجلى مبلغ حرصه في المطالعة.

ولا نعلم ان كان له مؤلفات اخرى غير التي ذكرناها. اصدر السيد ابن عقيل عدة صحف في المهجر الشرقي منها (جريدة الاصلاح) اصدرها عام ١٣٢٦هـ من سنغافورا. و(مجلة الامام) باللغة الماليزية عام ١٣٢٤هـ ورأس تحريرها السيد شيخ الهادي بن شهاب، وفي عام ١٣٢٥هـ كان السيد احد مؤسسي الجمعية الاسلامية في سنغافورا في ضمن سلسلة النهضة الاصلاحية، وانتخب السيد محمد احمد السقاف رئيساً لمجلس ادارتها. وفي نفس العام كان السيد من مؤسسي مدرسة الجنيد بسنغافورا. وكان للسيد

ابن عقيل نشاط بارز في مشاركة تحرير عدة صحف باللغة العربية والماليزية وكان يكتب المقالات في الصحف المصرية والشامية بتوقيع مستعار وهو ايضا كثير الرحلات، زار اليابان والصين وروسيا في عهد القياصرة وسافر بالقطار عبر سيبيريا الى اوروبا وزار بلدانها شرقا وغربا كما حضر المعارض الدولية في اوروبا، وقد افادته هذه الرحلات الطويلة الشاقة التي تعد في ذلك الوقت مجازفة لصعوبة المواصلات ووعورة المسالك^(١). جاب بلدان الشرق الاوسط والادنى وكثير من بلدان آسيا واوروبا وأفريقيا وله في اليمن ومصر والشام والحجاز صلات برجالاتها وشخصياتها البارزة كما له صلات في البلدان الاخرى التي زارها في آسيا، كان مقره في سنغافورا وفيها تأهل، والسيد ابن عقيل لبق في اتصالاته بمنتهى المرونة، وكان الزعماء والعلماء ورؤساء الاحزاب السياسية يجلسون ويقدرونه لعلمه وسمو اخلاقه.

كانت بريطانيا تنظر الى السيد ابن عقيل كما تنظر الى استاذ السيد ابن شهاب بنظر الريبة وعدم الارتياح من وجوده في سنغافورا لاعماله التي تعتبرها بريطانيا معاكسة لمصالحها، وكانت بريطانيا تعاكسه وتضايقه مضايقة في كل محل يحل فيه من مستعمراتها ومحمياتها التي لا تغيب عنها الشمس. وهكذا حدثت له حادثة عندما زار السيد ابن عقيل مدينة المكلا بجنوب الجزيرة العربية وهي محمية بريطانية، إذ رأى العسس ورجال مخابرات الامن يحيطون به ومنعوه من البقاء في المدينة اكثر من ٤٨ ساعة وطلبوا منه مغادرة البلاد في اول باخرة ترسو في الساحل. فتوجه السيد ابن عقيل الى عدن على متن باخرة هندية صغيرة، وانتشرت أنباء هذه الحادثة في جميع

(١) قد يلتبس على كثير من القراء اسم السيد محمد بن عقيل فيختلط في ذهنهم لكثرة من يحمل نفس الاسم (محمد ابن عقيل) فهناك السيد محمد بن عقيل الصحفي المعروف صاحب مجلة الترجمان والمكوى وجريدة برهوت، وهو من الكتاب البارزين ويمتاز في كتاباته بالثقت، وله ايضا مذكرات، وبعد الحرب العالمية الثانية ترك الصحافة وتوجه للدعوة الى الله وله اتباع كثيرين وهو خطيب مفوه مصقع، قوي الحجة يسترسل في خطابه استرسالا، توفي بجاكرتا عام ١٩٧٩.

الاصقاع، وما ان بلغ أسمع زملائه هذا الخبر المؤلم في المهجر الشرقي مما حدث له من تصرفات بريطانيا، حتى عقدوا اجتماعاً طارئاً مستعجلاً دعي اليه السيد محمد بن عبد الرحمن بن شهاب في جاكرتا وقرروا تقديم احتجاج وتأليف لجنة لجمع التبرعات المالية النقدية لتدعم موقف السيد ابن عقيل وتأييده متابعة فى اعماله، وتولى السيد محمد بن عبد الرحمن بن شهاب العمل والاشراف على سير الامور، ثم قامت مسيرة كبيرة من الشعب المسلم الى مركز القنصلية البريطانية ومكتب استعلاماتها وبهتافات صاخبة وتمت المظاهرة بسلام ولم يحدث ما يعكر الامن.

توفي السيد محمد بن عقيل بمدينة الحديدية باليمن عام ١٣٥٠هـ وشيعت جنازته تشييعاً رسمياً بالمراسيم المتبعة من قبل دولة اليمن والجنود حاملو اسلحتهم المنكسة واعلنت الدولة الحداد ثلاثة ايام. واشترك في التشييع العلماء والشخصيات البارزة، أبنه كثير من رجال العلم ورثاه كثير من الشعراء ونشرت صحف اليمن وصحف المهجر الشرقي الخبر وما ألقى من التأيينات ومراثي الشعراء وكتب الكتاب باسهاب عن المغفور له السيد ابن عقيل تاريخ حياته وجهاده.

وممن رثاه زميله شاعر المهجر الشرقي السيد احمد عبدالله السقاف بمرثية عصماء بلغت ٦٨ بيتاً.

لم يمت من سعى فأحيا المعالم	وقضى في هوى العلى والمكارم
فلماذا نذري الدموع ونأسى	ولماذا حزنا نقيم المآتم
او نبكي مجاهدا ركب الاله	ـوال ان عاد راجعا بالمغانم
قدم الصالحات ثم مضى فهـ	ـو على من يضاعف الاجر قادم
عشت عيش المجاهدين ترينا	كيف يستصغر العظيم العظام
وترينا الثبات والصبر والحد	لم وبذل الندى وصدق العزائم
لك نفس ابية تانف الظـ	لم وراى في موقف الراى حازم

ان آثارك التي سوف تبقى
إن تواريت في التراب فتمثا
قائل ذا محمد بن عقيل العـ
هجر الدار اذ رأى ساكنيها
امة لا تحس من حرج يبـ
هم افراد التبسط في البسـ
الفوا الذل واستعدوا لمن امـ
لم يخافوا تقلب الظلم بالنـ
كم اليه الفقيد او ما ولكن
جهلوا نصحه وما ارحص الدر
عمرك الله ما الذي يبتني الفر
كم ابت حضرموت ان تعرف الفضـ
ولكم قبله اباها ابي
لا تنال الخطوب منه ولا تاخذ
تاركا للغني بين رباها
وانتحي يطلب السلامة في السا
وهواء البلاد يحكمه الجهـ
ليس بدعا ان مسك الظلم كم حلـ
زار باريس وهي تختال زهوا
فاراها من الكمال مثالا
لك في مصر والحجاز مبرا
ومقام بين الرجال واهل العـ

هي معنى علاك وهي التراجم
لك فوق المآثر الغرقائم
سامل المخلص التقي المعالم
بين اعمى اصم او متصام
عث منها الشعور وطء المناسم
ط على الشرب او لذيذ المطاعم
عن في الظلم بالرقى والتمائ
س ولم يشعروا بخطب مداهم
اين رب الحجا اللبيب الفاهم
اذا سمته بسوق البهائم
د وحيدا وحوله الف هادم
ل وكم ضيع الرجال الحضارم
لا يبالي بغاشم او بظالم
ه في الله قط لومة لائم
ذمما ثم تشتري بالدراهم
حل لكن دهره لم يسالم
ل لمن صح عقله لا يلائم
ت بذرية النبي المظالم
وترى الحر من يبيع العظائم
واراها الرجال تحت العمائم
ت وفي الشام والعراق مكارم
لم والفضل عربهم والاعاجم

سحت في الارض ناثرا درر الحك
وانتهت في مغارس الفضل ايا
في حمى من نجلهم من حماة الد
الامام المعظم المفتدى يح
لهم تالد من المجد بالقر
شرف لا يرام تحمي حماه
ولهم طارف من المجد مكتو
عرفوا قدر ذلك الضيف^(٢) هل
ايها الراحل العظيم الى الرحم
هذه خطة الحياة وهذا
مضحك شأننا بمعترك العي
فتامل تر الورى بين جذلا
وكئيب مما يعاني ومسرو
غير ان السرور يظهر كالبر
وعلى ضوء ذلك البرق تبقى
رب يوم سررت فيه ويوم
اخرجتني به الهموم كما يح
كغداة استفتت رعبا لما ط
خط سطرًا فكل نقطة حرف
قطع الله ذلك السلك فالقلد

مة تزهو بك القرى والعواصم
مك بين المجاهدين الأكارم
ين انصاره الليوث الضراغم
يى وانجاله السيوف اللهازم^(١)
بى وفي العز ما لهم من مزاحم
سابحات يريها كل حائم
ب بسمر القنا وببيض الصوارم
يعرف قدر العظيم الا الاعاظم
ة والقرب والنعيم الدائم
منتهاها فمن من الموت سالم
ش فكل مدافع او مهاجم
ن ومتسعتب وراض وناقم
ر بايامه وبك وباسم
ق بغيم من المكاره قاتم
قوة الروح للزمان تقاوم
مظلم بالخطوب اسود فاحم
رج من اعسر الغريم الملازم
ـيره ذلك النعي الواجم
منه نبل وكل حرف صارم
ب به الروح والعيون سواجم

(١) اللهازم: القاطعة.

(٢) الضيف هو السيد محمد بن عقيل.

ان يكن سرنا ببشرى فكم جر
 كلما سلت العلوم سلاحا
 حسب من يبتغي من ما
 ذوقتنا حضارة العصر شهدا
 فاذا العيش إذ بلوناه مرا
 اضعفت من نفوسنا امم الغر
 وادعت ان في ثقافتها البلس
 وارتنا برق المواعيد حتى
 واختلفنا على بقية ارض
 فأت رحمة بنا تقسم الما
 ندبت سوء حظنا فندبنا
 واستجرنا بها، اذ هي بالننا
 هل ترى في فسيح ذا الشرق شعباً
 نحن في راحة الزمان متاع
 (كلنا وارد السراب وكل)
 ما خلا بقعة تخيرت العز
 حسيها من حديث احمد ما ميز
 حكمة تنشر العلوم وايمما
 لم تلامس حضارة الغرب لكن

عنا ناعيا سموم الأرقام
 لدفاع صالت به يد آثم
 ت غريقا في بحر المتلاطم
 وارتنا العيش الرغيد الناعم
 واذا الشهد مشبعا بالعلاقم
 ب فلا فرق بيننا والسوائم
 م والمهلكات تلك البلاسم
 اذكرتنا بجودها جود حاتم
 كلنا طامع وكل مساهم
 ل فكان التراث حظ القاسم
 ها لتخفيف خطبنا المتفاقم
 ر تلهى ونحن وفد البراجم^(١)
 صدق الغرب وانثنى غير نادم
 يطلب الربح فيه كل مساوم
 حمل في وليمة الذئب طاعم
 لة فيها الامام من نسل هاشم
 ها عن لداتها^(٢) بالعلائم
 ن هما مجدها القوي الدعائم
 لم تقع مثل غيرها في المآزم

(١) البراجم مفردة برجمة بضم الباء وهو العظم الصغير في مفاصل اصابع اليد والرجل، وفي المثل (ان الشقي وافد

البراجم) وذلك لمن يلقي نفسه في الهلكة.

(٢) لداتها: أترابها.

فبها الامن مستتب وروض الـ علم داني الثمار والشرع حاكم
وبها العيش لا يزال انيق اللـ لون غضا شذي عرف الكمائم
بقعة تنبت الفضيلة والعز وحصن من فتنة الغرب عاصم
كتبت للفقيده خاتمة العم سر وإن الامور عند الخواتم
والسيد ابن عقيل كاتب معروف ولا يقول الشعر الا نادراً جداً وهو من المقلين
في الشعر.

ومن الذين أبنه ورثاه العلامة السيد علوي ابن طاهر الحداد مفتي سلطنة جوهور
الماليزية، اذ تربطه بالسيد ابن عقيل رابطة وثيقة وصلات قوية. وعندما بلغه نبأ وفاته
رثاه بقصيدة طويلة وأبنه بسلسلة من المقالات نشرت في مجلة الرابطة التي تصدر من
جاكرتا.

وممن رثى المرحوم السيد ابن عقيل العلامة حجة الاسلام السيد محسن الامين
صاحب المؤلفات الكثيرة بمرثية طويلة مطلعها:

سالت دموع العين كل مسيل حزنا لفقد محمد بن عقيل
رزء بدا فيه الزمان بمقلة مكفوفة وساعد مشلول
وممن رثاه ايضاً الكاتب الاديب والصحفي المعروف محمد علي لقمان صاحب
جريدة (فتاة الجزيرة) التي تصدر من عدن بقصيدة مطلعها:
ماذا الظلام على ربي الاقطار فهل الكسوف سرى على الاقمار
وممن رثاه ايضاً الاستاذ العبقري السيد محمد بن هاشم بمرثية عصماء نقتطف
منها ما يلي:

هو الحين لا العلم الغزير يردده ولا الحلم في صيد الرجال يصده
هو الحين مهما يبلغ المجد بالفتى صعودا فلا يغني عن الحين مجده

ويقول فيها:

عذيري وما ان من عذير من الردى
فيا ليتته والدهر من ليت ساخر
فينجاب من بين الامائل نحسه
بني علوي مات عنكم محمد
بني علوي مات عنكم محمد
بني علوي ان بقى في نفوسكم
هلم انثروا الدمع الغزير فانما
سنبكي ونبكي ما بقينا فهل لنا
بهمته العظمى تسلق شامخاً
وحلق في جو المعارف طائراً
من العظماء الطامحين بعزمهم
الى ان قال:

اقر يراعي بالقصور لانه
تغمده المولى بمرج من الرضى
ورثاه ايضاً العلامة الجليل السيد عبد الرحمن بن عبيد الاله السقاف بهذه

المرثية:

ماذا اقول وافكاري مقسمة
جاء النعي فاشجاني واوقفني
قد فتّ في عضدي موت الهمام فهل
مصيبة كلنا يشجى بغصتها
وفي الحشا من جوى الاحزان نيران
والعين باكية والقلب حيران
يا آل يحيى بكم للكسر جبران
اصاب منها العلى والعلم خسران

الى أن يقول:

اه عليكم بني الزهراء اخركم
فاين تاويل تطهير الاله لكم
نصيب كل لئيم بينكم مقة
ما للفضائل والردائل ما
اهكذا من يحب المجد سيرته
ما في الديار أخو صدق يصارحكم
خذلتم ابن عقيل وهو زينتكم
واستأثر العارفوا قدر الرجال به
ضيف الائمة حيث الامن يحفظه
حيث الحمية للاسلام موقده

ويقول فيها:

لهفي على ابن عقيل ثاويا جدثا
لم تبك ام العلى مثل الجمال وان
وحيث قلت بوادينا نوادبه
والهند واليمن الخضراء تندبه
وان قضى ابن عقيل وهو مهتضم
ما زال في تعب آل النبي تها
في ذمة الله لا غبتك مرحمة
في روضة لك اصحاب الكساء بها
ورثاه ايضاً العلامة السيد عقيل بن زين العابدين الجفري المقيم بمدينة سورابايا
تعجيزاً وتصديراً لقصيدة السيد الشاعر حيدر الحلبي:

(اظبي الردى انصلي وهات وريدي) وتفنني ما شئت في تبديدي
ظعن الخليل ولا نصير يرتجي (ذهب الزمان بعدتي وعديدي)
وللمرحوم السيد ابن عقيل مباحثات علمية ومساجلات في مواضيع كثيرة
حساسة، ذكرها في مذكراته عن رحلاته الطويلة الى اوروبا ومحاوراته من رجال
المستشرقين الغربيين وابان لهم اوجه اخطائهم في كتاباتهم او ما اثبتوه في مؤلفاتهم،
كانت جلسات المحادثات قد تستغرق وقتاً طويلاً وقد تواصل الجلسات في الايام
التالية حتى يتوصلوا الى نقطة التفاهم، واعترف البعض منهم بانها غير متعمدة وان ذلك
مبلغ ما وصل اليه علمهم وان المصادر التي اعتمدوا عليها هي ما وصلت اليهم من
الكتب، ووعدوا انهم سيضيفون في الطبقات القادمة هذه المعلومات الجديدة ويراجعوا
الكتب التي لم تصلهم ولم يطلعوا عليها من قبل.

ويعرف عن السيد ابن عقيل صراحته في احاديثه او مناقشاته بالعلم والمنطق
وعندما يتباحث مع المستشرقين في الموضوع ويصل الى الهدف، يستطرد الى الامور
السياسية لدولة كل مستشرق، لان كل مستشرق مرتبط ارتباطاً وثيقاً بدولته خصوصاً
في الامور السياسية المتعلقة بالمسلمين، ولذلك فان السيد ممن يقاوم الاستعمار
والمستعمرين بضراوة، تعرض السيد ابن عقيل كثيراً الى ضغوط المستعمرين في كل
بلد يحل فيه.

حدثني السيد العلامة عقيل الجفري، انه على رغم تضلع السيد ابن عقيل في
العلوم الدينية والأدب العربي والفلسفة، فانه كان سياسياً ضليعاً وذو نفوذ واسع وهو
رجل عمل لا رجل اقوال ويعد من المع علماء وساسة زمانه كان يهتم في المقام الاول
بتشييد المعاهد العلمية واصدار الصحف ونشر الكتب، وللسيد ابن عقيل آراء سديدة
يدلي بها على الحاضرين، فيقبله البعض بالاعجاب والتقدير وقد يسخر منه البعض
الاخر، لان آراءه كان فيها نظر للمستقبل، ثم لا يعدو بعد فترة ان يؤمن باقواله من كان

يسخر من كلامه قبلاً. وقد حذر السيد ابن عقيل زعماء العرب والوجهاء منهم اثناء الحرب العالمية الاولى، اذا انتصر الحلفاء على الالمان فويل للعرب من مكر الغربيين وان فلسطين ستكون الضحية الاولى، فالوزير البريطاني اللورد بلفور قد تعهد لليهود واعترف ان فلسطين هي الوطن القومي لليهود ويجب ان تفتح باب الهجرة لليهود ليستوطنوا فلسطين، وكتب السيد ابن عقيل الى وجهاء العرب وزعمائهم يحذرهم بالخطر الداهم عليهم وان العقوبة ستكون سيئة اذا تساهلوا، وكان جل العرب يحسنون الظن بالحلفاء بل ان البعض منهم مسترسلون في التخبط وراء الانجليز وحلفائهم اندفاعاً وراء العاطفة والظن وأن من الانجليز كل خير للعرب والمسلمين، بل ان منهم من لا يرون الخير من تركيا ولم يكتفوا بذلك بل اعلنوا الكراهية والحرب على تركيا. لا نعلم ماذا كان وقع رسالة السيد ابن عقيل لزعماء العرب في هذا الموضوع وما هو صداه لديهم.

الامير شكيب ارسلان والسيد ابن عقيل

نعي الامير شكيب ارسلان السيد ابن عقيل عندما بلغه خبر وفاته بهذه الكلمة بعنوان:

مصاب الاسلام محمد ابن عقيل

ليس فقد السيد الشريف محمد بن عقيل بن يحيى العلوي الحضرمي بخطب على السادة الاشراف الحضارمة وحدهم ولا برزء القطر اليمني منفردا، ولا بمصاب الامة العربية من دون غيرها، بل لعمرى هذا هو الماتم الذي يحق ان يجلس للعرء فيه الاسلام من اقصاه الى اقصاه، والمناحة التي يشترك فيها جميع الاقطار اهل كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله، فقد كان السيد ابن عقيل غطريفا كبيرا من غطارفة هاشم وجحاجة قريش، منيع الايمان ومشرف التوحيد الماحي للاوثان. وكان عارفا ما عليه من حقوق هذا الدين الذي نشره اجداده في الارض، ففضى حياته في خدمته

ووقف عمره على بث دعوته، وكان له اليد الطولى في هذه النهضة العربية الاجتماعية في الاقطار الاندونيسية التي قد ظهرت اثارها واينعت ثمارها، ونال من ارشاده وايقاظه القطر اليمني والافق الحضرمي خاصة، ولم يزل الى ان لحق بالرفيق الاعلى سراجاً منيراً يستضيء العرب بنوره وعماداً كبيراً يستندون اليه، ولقد جمع اشتات المحامد، ورأينا فيه كيف يجمع العالم في واحد. رحمه الله وجزاه عن العرب والاسلام خيراً. ولقد اتيت على جزء من فضائله بمقالة نشرتها في جريدة العهد الجديد البيروتية عندما جاءني نعيه الاليم وذكرت فيها تشرفي بلقائه في المدينة المنورة قبل الحرب العامة ببعضة اشهر وتجاوزنا اهداب المباحثات السياسية يومئذ، ولم نكن متفقين في جميع الافكار ولكن كنا متفقين في نصرة الامة العربية ومناصرة الاسلام.

وفي اثناء مقامه الاخير باليمن لم اخل من سلامه وقتنا بعد آخر بواسطة الاخ الفاضل المسلم النبيه المفكر الدكتور زكي كرام نزيل برلين الذي كان يكاتبه. وقبل انتقاله الى رحمة ربه بقليل ارسل يسألني عن أمور واحوال اقلقته من جهة الحجاز. وبينما كنت انتظر جوابه في هذا الموضوع جاءني نعيه من ابن اخيه السيد عبدالله بن احمد بن يحيى فنزل عليّ نزول الصاعقة، لاني في مقدمة من يقدرّون هذا الراحل الجليل الذي فقدناه. انطفأ سراج كبير من سرج الاسلام. والاسلام هو الذي فقده. واما هو فقد انطلق من سجن هذه الدنيا الى ساحة القدس التي لا نهاية لها. وما اجدره بقولي في رثاء فقيد آخر من هذه الطبقة، المغفور له احمد باشا تيمور:

ليهنك يا تيمور انك حزتها الى ملاً لا يعرف الموت زائره
وانك لو خيرت فيما ترومه لكنت سعيداً بالذي انت صائره
اسال الله ان يحسن عزاء السادة الحضارمة وعزاءنا جميعاً بفقد هذا السيد السند
وان يلهمنا وياهم الصبر الجميل.

جنيف ٢ نوفمبر ١٩٣١

شكيب ارسلان

وكان السيد ابن عقيل على جلال مقامه يمثل التلميذ البار لاستاذة السيد ابن شهاب فهو يعظمه ويجله معترفا بفضلته عليه، فلا يذكر استاذة في المحافل والمجتمعات العامة والخاصة او في مكاتباته او مؤلفاته الا باسم شيخنا العلامة السيد ابن شهاب.

السيد عقيل بن زين العابدين الجفري

عالم جليل وأديب كبير وشاعر مرموق من مواليد مكة المكرمة عام ١٢٨٢هـ درس في صباه بالحرم المكي الشريف لدى شيوخ من العلماء الأجلاء وتحت رعاية والده الرجل الصالح العلامة السيد زين العابدين الجفري، وعندما ترعرع بعثه والده الى تركيا ليواصل دراسته في معاهدها العليا واستقر في العاصمة استنبول وبعد نجاحه وتخرجه منها واصل دراسته الجامعية واختار دراسة الطب والتحق بكلية الطب في الجامعة، لكنه لم يكمل مستواه الجامعي فترك الكلية وهو في السنة الثالثة من دراسته الطبية. يجيد اللغة التركية اجادة تامة تكلماً وكتابة وخطابة كانه من ابناء تركيا الاقحاح، كما يحسن اللغة الالمانية بجانب معرفته واجادته اللغة العربية الذي هو من ابناءها.

عاد الى الحجاز ولكنه لم يقيم فيها طويلاً، وبدأت صلته بالسيد ابن شهاب مراسلة، وكان معجباً بالسيد ابن شهاب ويوقره، ثم غادر الحجاز وكان ذلك في عهد الشريف عون، متجهاً الى اوروبا وزار عواصمها وبعض بلدانها وواصل رحلته الى آسيا وتوجه الى حيدر آباد للاجتماع بالسيد ابن شهاب وتتلّمذ في مدرسته ولازمه ورافقه. وافادته هذه الملازمة التي تتلمذ فيها عند السيد ابن شهاب، والسيد الجفري يعد من النوابغ ولا عجب اذا اصبح من رجال العلم اللامعين والساسة البارزين. واسع الاطلاع قوي الحجة في حديثه رحب الصدر كريم وسخي لا يرد طلب طالب ووافد لحاجة. لا

يتأخر عن كل عمل خيري. ينفق بسخاء لمساعدة الارامل والايتام والعائلات الضعيفة والاسر الفقيرة، وكان يخصص لهم نفقات شهرية سرا، لا يعلم بها احد الا بعد وفاته. افنى امواله وممتلكاته التي ورثها من والديه في سبيل الدعوة الاسلامية والدفاع عن المستضعفين وفي المشاريع الاصلاحية العامة، ساهم في تأسيس المطابع العربية عام ١٩٢١ بمدينة سورابايا كما تبرع للمؤسسات الخيرية بسخاء، وشارك مشاركة فعالة في اصدار الصحف والمجالات باللغة العربية والاندونيسية وانفق على طبع مؤلفات السيد محمد بن عقيل في مطبعة العرفان بصيدا لبنان لصاحبها الشيخ احمد عارف الزين صاحب مجلة العرفان وجريدة جبل عامل.

كان السيد عقيل الجفري يكتب المقالات في صحف المهجر الشرقي وفي بعض الصحف العربية بتوقيع مستعار، وبحكم وضع السيد الجفري وعمله فله صلات واسعة بعظماء الرجال في العالم. ومراسلاته معهم، جمعت في ملف كبير، وله مساجلات خاصة مع الشيخ الزواوي احد العلماء الاعلام البارزين في مكة المكرمة في مسائل وشؤون اسلامية عامة وهي شبيهة بكتاب المراجعات للسيد الموسوي ومكاتبته مع شيخ الازهر سليم البشري..

وللسيد الجفري عدة مؤلفات منها مطبوعة باسماء مستعارة ومنها ما نشر باسم صديقه السيد حسن التقوي الشيرازي المهاجر الايراني الى اندونيسيا واستقر بها واقام بمدينة سورابايا وتأهل فيها وله أسباط دون الاحفاد، لم يكن له عقب ذكور من اولاده واقام في مدينة سورابايا يزاوّل التجارة حتى وافته المنية.

للسيد الجفري تعليقات كثيرة على الكتب التي يطالعها، وله مجموعة خاصة لرسائله المتبادلة بينه وبين السيد محمد المحضار صديقه الحميم تطرق فيها للامور السياسية في مقاومة الاستعمار الهولندي واحوال المسلمين المستضعفين، ونظريته في الامور الاجتماعية وكيفية اصلاحها والى النقد الذاتي، وهذه المجموعة من الرسائل

حفظت في ملف كبير. وله ايضاً مساجلات علمية مع بعض العلماء وهذه المساجلات عبارة عن كشكول علمي.

والسيد الجفري من الشعراء المجيدين غير انه غير مكثّر، نشر بعض من قصائده في صحف المهجر الشرقي ولا يزال غيرها مخطوطاً من تلك القصائد مرثية في استاذة السيد ابن شهاب.

السيد الجفري من طلائع المجاهدين والمكافحين ضد الاستعمار الهولندي والمدافعين عن المستضعفين بقلمه وماله ولسانه ونفسه، قاوم الاستعمار الهولندي مقاومة فعالة اقلقت الهولنديين المستعمرين، فاعتقلته السلطات الهولندية الحاكمة وسجنته عام ١٣٤٧هـ وصادرت بعض ممتلكاته وجملة كبيرة من الكتب في مكتبته، وكنت انا وبعض الاخوة السيد محمد ضياء شهاب والسيد عيدروس المشهور صاحب امتياز جريدة حزموت والسيد احمد بن عمر باعقيل نزوره بين الحين والآخر في الساعة المقررة لزيارته وهي لا تزيد عن ساعة فلكية في المساء والضابط الهولندي يحضر عند زيارتنا ولا يفارقنا الا عندما ما يحين ساعة انصرافنا ولم يطلق سراح السيد الجفري الا بعد ان قضى فترة طويلة في السجن ولم يقدم للمحاكمة، وخرج السيد الجفري شامخ الرأس وواصل كفاحه ضد الاستعمار الهولندي مما اضر الحقد عليه فاعادت الكرة مرة اخرى واوعزت الى عملائها باشعال النار في منزل السيد الجفري لاحرقه والتخلص منه، واحترق البيت كله ولم يسلم شيء فيه من الأثاث والكتب الا ارواح الساكنين فيه، وكانت الحادثة في منتصف الليل حيث العالم في هدوء تام.

عندما بلغ الخبر أصدقاءه ومعارفه توافدوا اليه مسرعين ليشاركوه في المصاب الأليم، فكان يستقبل الجميع بالبشاشة مما يدل على علو نفسه ويقول: ان ذلك هو الكفاح ولا يتم الكفاح الا بالتنضحية بشتى اشكالها واوضاعها، وشكر القادمين في

مواساتهم له وكل شيء هين لديه. واستمر يواصل كفاحه ضد الاستعمار الهولندي واتصل بالمجاهدين الاندونيسيين المكافحين ضد الاستعمار الهولندي حتى اندلعت الحرب العالمية الثانية وتورطت هولندا في هذه الحرب واكتسحت اليابان جنوب شرقي آسيا واستسلمت هولندا للقوات اليابانية الفاتحة، وبهذا انتهى تاريخ الاستعمار الهولندي من اندونيسيا.

كان السيد الجفري يحمد الله دائماً على اطالته عمره ومعاصرته للأحداث التي ابتلي بها في حياته وكان في اواخر ايام حياته يعيش قرير العين لان الله اتاح له حضور اعلان استقلال اندونيسيا يوم ١٧ / ٨ / ١٩٤٥، كما شاهد اخر الاسرى من الهولنديين المستعمرين يساقون الى المعازل وشاهد عيانا انهيار دولة الاستعمار، فكان يشعر بشفاء الغليل، وها هي اعلام ورايات اندونيسيا ترفع على مباني جمهورية اندونيسيا الفتية، اذ تحققت آماله وآمال الشعب الاندونيسي، طمح اغتباطه بالشكر للمولى العلي القدير الذي اذل الاستعمار وسلم الله الشعب الاندونيسي من براثن العبودية فأصبح حراً مستقلاً. هذا هو الاستقلال الذي ينشده السيد الجفري والذي كافح واستمات من اجله وبذل ممتلكاته في سبيل حرية الشعب الاندونيسي واستقلال وطنه. صار يعيش مع الحوادث قرير العين مغتبطاً شاكراً وحامداً.

والسيد الجفري على علو مقامه وسعة علمه وسمو مكانته في المجتمع يتحاشى الظهور ويميل الى الدعة والبساطة فهو متواضع يستقبل الناس احسن استقبال يبش للجميع ولا يفرق بين الناس فكلهم في نظره سواسية.

توفي بمدينة سورابايا عام ١٣٧٢هـ عن عمر ناهز التسعين، رحمه الله رحمة الابرار.

الاستاذ محمد بن هاشم

شاعر وأديب وكاتب أريب وهو من رجال التربية. اسس المعاهد العلمية والتربوية في كثير من بلدان المهجر الشرقي وهو ايضا صحفي قدير ترأس تحرير عدة صحف منها المدرسة وجريدة حضرموت ثم تفرغ لأموال التربية والتعليم، تخرج على يده كثير من رجال العلم البارزين منهم:

١ - الاستاذ عبدالله بن نوح الشاعر المفلق قائد كتيبة جيش التحرير الاندونيسي لمنطقة جاوا الغربية، وله ديوان شعر لا يزال مخطوطا ونشر بعض قصائده في صحف المهجر الشرقي وبعض المجلات العربية، وله مؤلفات باللغة العربية والاندونيسية. وفي الثلاثينيات ترأس تحرير جريدة (المؤمن) وبعد الاستقلال ترأس (هيئة البحوث الاسلامية) بجاكرتا وهو استاذ الادب العربي بجامعة اندونيسيا، اسس المعاهد الاسلامية منها معهد الاحياء والمعهد الزراعي العالي.

٢ - وتخرج على يد الاستاذ ابن هاشم، السيد هاشم بن يحيى الاديب الشاعر، نشر بعض قصائده في صحف المهجر الشرقي وفي بعض المجلات الكويتية له ديوان لم يُطبع بعد وهو ايضا من رجال التربية والتعليم.

٣ - وممن تخرج على يديه ايضا الاستاذ عبدالله عبدالرحيم الخوجة والاستاذ محمد السقاف والاستاذ سعيد باحويرث.

كان الاستاذ محمد بن هاشم يكتب في عدة صحف من صحف المهجر الشرقي بجانب توليه رئاسة تحرير جريدة حضرموت التي اشرنا اليها والتي تصدر من مدينة سورابايا، وهي من ارقى الصحف العربية التي تصدر في المهجر الشرقي واوسعها انتشارا، وكان الامير شكيب ارسلان والسيد التفتازاني والعلامة الشيخ رباح حسونة الازهري والعلامة الاستاذ محمد المرشدي يكتبون في هذه الجريدة. ولم تسلم هذه الجريدة من الضغوط الاستعمارية الاستفزازية وتعريض صاحب الامتياز المسؤول

السيد عيدروس المشهور مراراً للاستنطاق امام المدعي العام الهولندي بتهمة تحريض الرأي العام للاضطرابات والاعمال الفوضوية الغوغائية واثارة الفلاقل ضد الامن العام، وهدد المدعي العام صاحب الامتياز بتحمل المسؤولية من عواقب اعماله المخلة للامن العام. وبما أنه ليس للمدعي العام مستمسك في دعواه لجأ الى الاتهام ثم الى التهديد والوعيد. وحقيقة الامر التي لا مرية فيها ان الخوف والخشية سيطرا على عقول حكام الاستعمار مما جعل المدعي العام يفعل فعلته تلك، ويظهر ذلك من تلجلج المدعي العام فى تقديم التهم امام صاحب الامتياز وكانت اجوبة صاحب الامتياز منطقية وبحجج دامغة، وحاول المدعي العام تبرير دعواه بشرعية الحكم الاستعماري، وعندما فقد اتزانه لجأ الى التهديد والوعيد، وهذا شأن الضعيف الخائف. ولم تنته تلك الاستنفزازات بل تكررت الاستدعاءات مرات أخرى. فطوراً امام المدعي العام وطورا آخر امام محافظ الامن العام، واحياناً لدى مدير المخابرات، ومرة اخرى امام القوات المسلحة، ومن حين إلى آخر لدى المشرف العام على الصحافة والنشرات. فلا يمر شهر الا ويأتيه استدعاء من تلك الجهات المختصة والدوائر المسيطرة على دفة الحكم. وبحكم هذا الوضع المتكرر الف صاحب الامتياز تلك الاستنفزازات والمحاولات من المستعمر لاستنزاف قواه المعنوية واطعاف روحه وبلبله افكاره ولكن كانت النتيجة عكسية، وكلما دعي السيد المذكور الى احدى تلك الدوائر أفلج عليهم بمنطقه القوي، وخرج من الاستنطاق وهو موفور الكرامة مرفوع الرأس اشد عزيمة واصلب عقيدة واقوى من ذي قبل. واستمر في كتاباته ومقالاته ودفاعه عن المستضعفين والمحرومين الاندونيسيين اصحاب البلاد، ومهاجمته الاستعمار الهولندي البغيض الذي يستنزف خيرات البلاد.

للاستاذ محمد بن هاشم عدة مؤلفات علمية وتاريخية وكتب مدرسية طبعت في اندونيسيا وفي مصر. من مؤلفاته المطبوعة (رحلة الى الثغرين) في مجلد واحد

وكتاب (تاريخ الدولة الكثيرة) في مجلدين. وكلا الكتابين طبعا بمصر، ومن الكتب المدرسية ألف في اللغة العربية والانشاء والجغرافيا والطبيعات وكلها طبعت باندونيسيا. كما ان له شروحات وتعليقات على كثير من الكتب العلمية. منها شرحه على منظومة (اليواقيت في فن المواقيت) للعلامة السيد محمد الشاطري وله ايضا مؤلفات اخرى.

اما قصائد الاستاذ ابن هاشم على ما نعلم فلم تجمع حتى بعد وفاته ولكن نشر بعضها في صحف المهجر الشرقي في المناسبات.

في عام ١٩١٢ تولى الاستاذ ابن هاشم التدريس في مدرسة جمعية خير بجاكرتا ووضع لمدارس الجمعية نشيدا ينشده التلاميذ كل صباح عندما يجتمع التلاميذ صفوفًا قبل دخولهم الاقسام او في مناسبات اخرى. كما وضع اناشيد اخرى كثيرة تنشد في اكثر المدارس الاسلامية. من تلك الاناشيد نقتطف هذه الانشودة باسم جمعية خير:

وینجاب عنها ظلام الفتن	بجمعية الخير يرقى الوطن
لها الشكر منا بطول الزمن	وندرس للعلم في كل فن
فقد علمتنا حميد الفعال	لها الشكر منا على كل حال
وننقذها من مهاوى الفساد	ونخدم اوطاننا والبلاد
فقد آن اصلاح هذا الوطن	هلموا هلموا رجال السداد
ونتبّع ما قد اتى في السّنن	نفر من اهل الهوى والضلال
ونعرض عمن طغى وافتنن	نحب النبي وآل النبي
ونكرم اولاد الزهراء البتول	نعظم بالفضل آل الرسول
حسين وفاطمة والحسن	وليس سوى فرع تلك الاصول
هداة البرايا ونور الظلام	عليهم من الله اذكى السلام

وقد وجدوا رحمة للانام وان غضب المفترى او طعن
الاستاذ ابن هاشم من البارين لاستاذه ومن الذين يعترفون ويفتخرون بانهم من
خريجي مدرسة السيد ابن شهاب. عندما بلغه نبأ وفاة استاذة وقد كان مديرا للمعهد
العلمي (شمائل الهدى) بمدينة فكاوغن بجاوا الوسطى تأثر كثيراً من ذلك النبأ المؤلم،
فأقام مأتماً تأبينياً كبيراً حضره عليه القوم ووجهاء البلاد الذين قدموا من كل حذب
وصوب حتى اكتظ بهم المكان على سعته والقي الاستاذ ابن هاشم مرثيته من ٢٦ بيتاً
أثرت في الحاضرين تأثيراً بالغاً، ومطلع المراثية:

ارونا احتمال الصبر كيف يكون وكيف به الخطب المهول يهون
والمرثية بكاملها مثبتة في فصل وفاة المغفور له السيد ابن شهاب.

بين الاستاذ ابن هاشم والاستاذ احمد عبدالله السقاف شاعر المهجر صلات
متينة وصداقة وثيقة يجمع بينهما وحدة العقيدة والمبدأ والهدف، والسقاف من مقدري
الاستاذ ابن هاشم ومن المعجبين به ومقدره فجاشت نفسه بهذه القصيدة المكونة من
٨٨ بيتاً تقديراً واعترافاً وتعظيماً لفضل زميله الاستاذ ابن هاشم وهي ما يلي:

جدير بان يحبى العظيم معظماً وحقق لذي الاقدام ان يتقدما
وشان كبير النفس حب الكمال ان يرى بالمعالي مستهما متيما
وكل امرئ يصبو إلى ما يروقه ويقضي طويل العمر مستهترا بما
فمن مغرم بالحلم والعلم والندى ومن هائم باللحظ والثغر واللمما^(١)
ومن مستهام بالحطام وواله بجاه وميال مع النفس حيثما
تغربل ابناء الزمان تجاربي فما تركت مطربشا^(٢) او معمما
فطوراً بغائاً كالنسور وتارة تريناً زبيياً قبل أن يتحصرما

(١) اللما: سمرة أو سواد في الشفة أو اللثة، مما يستحسن.

(٢) الطربوش: لباس للرأس، طاقة حمراء كان الاتراك والعرب يستعملونه ويضعونه على رؤوسهم.

واخرى ترينا جاهلا عند نفسه
 ومعتقدا في نفسه الفضل ناسيا
 وعابد مال في المبرات منه ما
 وكاتم علم لو توقف رشدنا
 صحبت فما الفيت غير ابن هاشم
 وعشت فلم ادرك سواه مهذبا
 بهمته رام المعالي فنالها
 وبالعزم والاقدام أخضع دهره
 فلا فضل إلا وهو فيه مفضل
 له نفس حُرٍ لا تقيم به على
 يلاقي خطوب الدهر غير مُرَوِّع
 تصدى لاصلاح الزمان وأهله
 فما فلت الأقوال صارم عزمه
 رأى ما بوادي حُرموت فساءه
 فهب إلى الاصلاح يدعو رجاله
 رويدك إن القوم في سكرة الهوى
 فما خلقوا في الأرض إلا ليبتنوا
 بأذانهم وقرٌ فليست بمُسمع
 فلم يثنه عن خدمة الشعب ذاك بل
 فضحى بما ضحى وجد ولم يزل
 وهاجر لاستكشاف حالة قومه
 رأى عجمة قد أخرستهم وخطه
 غدا علما من كل صوب مُيمما
 الى ذاته اعمال من قد تقدما
 تناول منه خشية الفقر درهما
 على نصحه لم تلف في الارض مسلما
 ابيا ولم ألف امرأ منه اكرما
 ورمت فاعيانى فتى منه احزما
 وبالجد في كل المحامد أسهما
 وبالعلم والتقوى على غيره سما
 ولا فخر الا كان فيه المقدما
 أذى الذل حتى لمحة الطرف ريثما
 إذا عبس الدهر الخؤون تبسما
 فلاقى الذي يلقاه ذو العزم منهما
 بل استن حتى صار أنكى وأصرما
 واشفق إشفاق الغيور على الحمى
 فصاح به في الشعب جهل تحكما
 يرون التماذي في الجمود تقدما
 قصورا ويفتنوا شراباً ومطعماً
 ولست بهادٍ من عن الحق في عمى
 تجشم في إصلاحه ما تجشما
 يرمم من بنيانه ما تهدما
 (بجاوة) ألفاها أضرَّ وأشأما
 أضاعت مزاياهم وجهلاً مخيما

رأى ما يذيب القلب من سوءِ حالهم
 رأى أمة تلهو وشعباً يبقوده
 تجرد عن أحساسه وشعوره
 فأنشقه من نافع العلم منعشا
 وأيقظه من نومه كلما رأى
 وشمّر للتعليم ساعد جده
 وأسس دوراً للمعارف أصبحت
 أزال بها جهلاً وأصلح فاسداً
 ألا فلتجّر الذيل (سرباية) التي
 تجنت علينا سابقاً ونبت بنا
 فلما رضيت اليوم عنها وأذعنت
 بها «حضر موت» اليوم للعلم معهد
 تُدرّب بالآداب والعلم والنهى
 ومهما أطلت «حضر موت» صحيفة
 سمعنا بها روح الحياة يخاطب الـ
 سمعنا بها سحر البيان وقوة الـ
 بها قُذت أفكاراً وحركت جامداً
 وناصرت أحراراً وأكبت حاسداً
 فيا رجل الأعمال معذرة فقد
 بماذا أفيد الناس عنك وكلهم
 وإن شذ فيهم أكمه بك جاهل
 ووالحقّ إنني لست بالشاعر الذي
 ويبكي حنوّاً كل ذي مقلة دما
 هوّاه بأنواع السموم مُسمّما
 فلو قُطعت أوصاله ما تألما
 وحط على جرثومة الداء مرهما
 بها مزعج الأحلام عاد فهُوماً
 فشاد بناءً للفضائل محكما
 لأبنائنا نحو السعادة سُلّما
 وقوّم معوجاً وعَرّب أعجما
 بها الأرض إذ شرفتها باهت السما
 وكم فوّقت نحوي ونحوك أسهما
 غفرنا لها من ذنبها ما تقدما
 به الغرس ميمون الطوالع قد نما
 لمستقبل الأيام جيشاً عرمرما
 رأينا شعور الشعب فيها مجسّما
 زمان ويستقضيهِ بالعنف مغرما
 جنّان وما تروي الشجاعة عنهما
 وعلمت جهالاً وأيقظت نُوماً
 وشجعت أنصاراً وأسكت لُوماً
 عدمت لساناً عن علاك مترجما
 يرى فوق هذا الفضل فيك مسلّما
 فلا عجباً أن ينكر الشمس ذو عمى
 إذا هم يوماً بالكلام تكلموا

ولكن مدح العاملين يعلم الـ
عظائم أعمال^(١) إذا ما ذكرتها
وكم مرة حاولت أن أمدح امرأً
ولست بما أثني عليك به امرأً
ولكن شعباً لا أرى فيه عاملاً
يجازيك بالاحسان سوءاً بجهله
وعلمته حسن الثناء عليك إذ
واعلم أن البعض يتلو قصيدتي
وإن جزائي أن يقال مُعلِّمٌ
عليّ التغني بالثناء لأهله
وأن اندب الشعب الذي ساء حظه
أسكّان وادي حزموت، أمالكم
أما تتعدى عدة الشاي نظرة
أطار على واد ابن راشد طائر
بكائي على شعب تعرقه الهوى
أضاع حقوقاً للبلاد فأصبحت
وهل قام حق للضعيف الدليل في
إلامَ وحتّامَ الغرور بني أبي
وأنى ينال الغلب في الحرب أعزل
وإلا دعوا عزّ الحياة لغيركم
دعوا العلم إن العلم صعب مناله

فصاحة من قد كان بالعي ملجماً
تصير بها الألفاظ شعراً منظماً
فأشعر عند النطق أنّ بفي ما
يحاول أن يستوضح الناس مبهما
سواك وإن ألفت لم ألف أعظماً
فأنطقته بالشكر إذا ظل أبكما
تأخر عن حسن الوفاء وأحجماً
يراه دُعا ف السم والبعض بلسماً
تخلي لنظم الشعر يطري معلماً
بحق وتعليم البليد ليفهما
وإن كان تذكّار المصائب مؤلماً
عيون ترى جوّ السياسة مظلماً
ترون بها صرح الأمانى محطماً
فألقي على أهليه غازاً مُنوماً
فشيبه قبل الشباب واهرماً
تراثاً بشرع الأقوياء مقسماً
زمان به أضحى القوي محكماً
وهذا لهيب النار في الدار أضرمها
وأنى يجاري جاهل من تعلماً
فما زال بطن الأرض للعار أكتماً
وإن نلتم منه القليل المرجماً

(١) وفي نسخة: محامد لا تحصى.

فلا تحسنوا بالعلم إلا لباسكم ولا تتقنوا بالعلم إلا التكلم
ولا تُسمِعوا من جد في السعي عاملاً ولا صلاحكم إلا الأذى والتبرما
وإن دَبَّ عنكم فاشتموه وكلما أذاقكم شهداً أذيقوه علقما
ولا تنفقوا الأموال إلا على الهوى وما يورث الشعب الأسى والتندما
فليس لها إلا العوائد مصرفاً وليس لها إلا الموائد مصرما
(لِمَنْ تَجْمَع الدنيا إذا لم ترد بها) وليمة عرس أو ختانا ومأتما
لمن تَجْمَع الدنيا إذا لم تنل بها قضاء مراد النفس أو تسفك الدما
هنيئاً فهذا المجد والسؤدد الذي به الحظ وفاكم موقى متما
وسخر أهل الشرق قاطبة لكم وجاءكم الغربي عفواً ليخدما
على رسلكم لا تقبلوا نصح ناصح وظنوا السراب الماء والخسر مغنما
فإن تصبحوا أضحوكة لا يضركم وقولوا مديح إن سمعتم تهكما
فما المجد إلا أن تعيشوا بذلة وما الفخر إلا أن تسودوا تؤهما

في عام ١٩٢٤ ترأس الاستاذ ابن هاشم اول بعثة علمية من نوعها من اندونيسيا الى القاهرة نظم ١٧ طالباً للالتحاق بجامعة مصر، وكان الاستاذ عبدالله بن نوح احد اعضاء هذه البعثة وكان عمره لا يتجاوز الثانية والعشرين، نجح افراد هذه البعثة وعادوا الى وطنهم اندونيسيا وهم خير قادة للامة الاندونيسية.

مرت الاعوام والسنون واذا بنا نسمع نبأ نعي وفاة الاستاذ ابن هاشم. انتشر النبأ المؤلم في المهجر الشرقي وتأثر من هذا النبأ اصداؤه وزملاؤه ومقدرو فضلهم فاقاموا له الفواتح في كثير من بلدان اندونيسيا، وأبنه ورثاه الكثير في مقدمتهم تلميذه الوفي استاذ عبدالله بن نوح بهذه المراثية بعنوان (الى روح المرحوم السيد محمد بن هاشم):

بكى القلب حزنا من وفاة محمد سليل المعالي والاثيل المؤبد
لهونا فكان النعي ابلغ واعظ وتهنا فكان الموت اهدى لمهتد

فلما نعى الناعي افقنا كانما	حياض المنايا ما خلقن لرود
كأن لم يكن منا رحيل ولم نقف	على راقد في ضمن قبر ملحد
كأن لم يكن بين المنازل والربى	شجون ولا تذكّار حزن مردد
كأن لم نكن في الركب من عهد آدم	على متن هوج وسط قفر مجرد
كأن لم نكن في الفلك والبحر مائج	على لجج سود وأفق ممدد
كأن لم يمت شيخ ولم يمض شادن	ولم يفن فتان بخد مورد
وفيت فلما جزتها يا ابن هاشم	توفيت في اوج الوفاء المجدد
تذكرت عهدا والعهود موثق	فيا لهفي من ذكر عهد موكد
لعمرك ليس العيش حلما لنائم	ولكنه في كل باق مخلد
ورب دفين في التراب وذكره	ضياء مدى الدهر الطويل الممدد
مضيت ولكن المكارم حُضِر	عوالي غوالي كاملات كخرّد
خلود فلا اخلاذ منك ترفعا	الى الارض للعيش الكثيف المجدد
فَخُلِصَتْ من دار بلينا بدائها	سموم افاع او مكائد حُسد
وكنت لنا هديا فانجبت بيننا	نجوما واقمارا تضيء لقصد
محمد، اما كنت فينا محمدا	فذاك لعمري من ابيك محمد
عليه سلام الله يتلو صلاته	تعم ذوي الطهر العلي الممجد
وتبقى لنا ما غرد الطير في الربى	واحيا الدجى ليلا نداء الموحد

السيد علي بن احمد بن شهاب

زعيم وسياسي محنك، مصلح كبير، ترأس عدة حركات سياسية وهو من رجال الفكر ومن رواد النهضة الاصلاحية، قاوم الاستعمار الهولندي مقاومة فعالة ولا غرابة اذا تعرض لضغوط من استنطاق الى محاكمات وكان يرسل جريدة المؤيد التي تصدر

من القاهرة لصاحبها السيد علي يوسف. كما يرأسل صحف الشام وتركيا بجانب ما كان يكتب للصحف المحلية، يكشف فيها سوءات الاستعمار الهولندي في اندونيسيا وبريطانيا في ماليزيا وما تعانيه شعوب تلك المناطق من امتهان واستعباد واستنزاف خيرات البلاد باعمالها التعسفية، وكان لتلك المقالات صدى عظيم. وتضايقت هولندا من تلك المقالات المتوالية. وهذه من الاسباب التي جرت به الى المحاكمة.

صلاته وثيقة بالزعيم الوطني مصطفى كامل رئيس الحزب الوطني وبالأستاذ عبدالقادر قباني صاحب صحيفة ثمرات الفنون ومع الأستاذ حسن الطويراني بالقاهرة، كما ان له بالشام وتركيا اصدقاء كثيرين.

والسيد علي خطيب بارع وله اسلوب خطابي معروف يهيج مشاعر السامعين وهو يهوى الرحلات. زار تركيا مقر دولة الخلافة قبل الحرب العالمية الاولى ومكث بها مدة من الزمن. اتصل خلالها بولاتها وزعمائها وبكثير من اعضاء مجلس المبعوثان (البرلمان) من البلدان الاسلامية، وكان يشرح لهم اوضاع المسلمين في بلدان شرقي آسيا وما يلاقونه من ظلم واستعباد. دخل مصر عدة مرات لكي يلتقي باصدقائه ومعارفه كما زار المغرب والشام والعراق والحجاز وادى فريضة الحج ودخل الهند عدة مرات وبلدان الملايو وسنغافورا. اما بلدان جنوب الجزيرة العربية فقد تأهل بها وتزوج من بناتها على رغم انه من مواليد جاوا وينتهد دائما في كل رحلاته الفرص للاجتماع بقيادة الاحزاب السياسية وزعماء الامة ورجال الصحافة للتباحث معهم وشرح الاوضاع السيئة التي تعانيها شعوب تلك المناطق من ظلم وطغيان الاستعمار وما يمكن من تنسيق اعمال لدرء مفاسد الاستعمار وكيفية تنفيذ تلك الاعمال الموجهة ضد طغيان الاستعمار وقد تم الاتفاق على:

١ - تنسيق الاعمال ضد الاستعمار.

٢ - تبادل الانباء والزيارات من الشخصيات.

٣ - الاهتمام بالنشء من الجيل الصاعد بإعطاء المنح الدراسية.

٤ - على دولة الخلافة ودولة مصر فتح ابواب مدارسها لطلاب العلم من جنوب شرقي آسيا.

٥ - توثيق العلاقات التجارية بين مسلمي جنوب شرقي آسيا ورجال الاقتصاد في تركيا ومصر.

بعد عودته الى جاكرتا من رحلته، جمع رجال النهضة وقدم لهم تقريراً مفصلاً عما قام به من اعمال وما تم من الاتفاقيات الاصلاحية وشرح لهم اوضاع المسلمين في كل بلد زاره واجتماعه ببعض زعماء الامة ووجهائها ورجال الصحافة والعلماء، على ان تستمر هذه الاتصالات بالرسائل وتبادل المعلومات.

كان علي بن احمد صاحب مشاريع اصلاحية وهو من روادها الاوائل، له طموح في انهاء الامة. انتخب بالاجماع ليرأس جمعية خير في اول عهدها عند تأسيسها، وهو خطيب اجتماعي معروف وممن يهتم بالايثار واقترح على زملائه اقامة وتأسيس دار للايتام باسم (دار الشفقة) ثم وضع النظام الاساسي والاداري، ولم يمض وقت حتى أخرج المشروع الى حيز الوجود.

كان يأتي اليه رجال الاعمال والزعماء ورجال الجمعيات والشخصيات البارزة يستشيرونه لغرض الاستشارة بآرائه، فلا يرضن عليهم ويزودهم بآرائه ونصائحه وحث الجميع على الاهتمام بنشر العلم وبناء دور التعليم وتشبيد المعاهد العلمية وتنمية الاقتصاد وتقويته واحياء روح الاعتزاز بالنفس وعدم الشعور بالنقص خصوصاً امام الاوروبي، ومقاومة الاستعمار والمستعمرين ومحاربة الالحاد والملحدين.

له مؤلفات في التاريخ والتربية وفي مسائل اجتماعية، طبع منها كتاب واحد وهو (الثلاثة الابطال) في التاريخ الاسلامي باللغة العربية وترجم الى اللغة الاندونيسية وهو من سلسلة التاريخ الاسلامي، وقد قررت الهيئة المركزية لجمعية خير تدريس هذا

الكتاب في جميع مدارسها ومعاهدها، اما مؤلفاته الاخرى فلا تزال مخطوطة، وتولى شرح ديوان الشاعر الحضرمي عبد الحق وقام بطبعه عام ١٣٥٦هـ. وقد توفي في أواخر عهد الاحتلال الياباني لاندونيسيا، وقبل استسلام اليابان للحلفاء بثلاثة أشهر، وذلك في شهر كانون الثاني ١٩٤٥.

السيد احمد بن عبدالله السقاف

هو شاعر المهجر الشرقي والكاتب الاديب العبقري الفذ والمربي الناجح. اسس في حياته عدة معاهد اسلامية وتولى ادارة بعضها واشرف بنفسه على التدريس فيها. وهو لطيف العشرة، بعيد النظر مستميت في حب آل البيت النبوي الطاهر ومتمسك بتعاليمهم ويطبق فقههم عملياً بحذافيره.

له عدة مؤلفات تاريخية وقصصية وروايات وبحوث علمية وله ديوان.

اما كتبه المطبوعة فهي:

١ - خدمة العشيرة

٢ - فتاة قاروت

٣ - الصبر والثبات

٤ - عاقبة التساهل

٥ - الديوان

وله مؤلفات اخرى لا تزال مخطوطة منها:

١ - تاريخ سلطنة بانتان

٢ - دخول الاسلام الى اندونيسيا

٣ - تاريخ الدعاة

اصدر مجلة الرابطة وتولى رئاسة تحريرها، وهي من المجلات العلمية. واسس

مطبوعة في جاكارتا لطبع الكتب والتراث الاسلامي.

ليس كل قصائده مثبتاً في ديوانه المطبوع، فإن له قصائد اخرى كثيرة حكمية وحمينية لم تثبت في الديوان وهي متناثرة هنا وهناك في المجلات والصحف، وكان المرحوم قد جمع قصائده الحمينيات في ديوان خاص ولا يزال مخطوطاً. اما ديوانه المطبوع فهو ما تسنى للاستاذين محمد ضياء شهاب وسقاف الحبشي جمعه بعد وفاة الشاعر احمد السقاف وقد تولت مكتبة الارشاد للطباعة والنشر بجدة طبع هذا الديوان في بيروت الطبعة الاولى والثانية، بطباعة جيدة متقنة.

الاستاذ احمد السقاف ممن يفتخرون بانه من خريجي مدرسة السيد ابن شهاب ويعتز دائماً في احاديثه ومجالسه مستشهدا باقوال استاذة ولا غرابة ان يكون نبأ وفاة السيد ابن شهاب الصدمة الكبرى في حياته وكان التأثير في نفسه عميقاً، فرثى استاذة بمرثية طويلة مثبتة في مكان آخر من هذا الكتاب.

تاقت نفسه وهو في شيخوخته إلى العودة الى وطنه بعد ان قضى نصف قرن في المهجر الشرقي صال فيه وجال وخدم المجتمع وشيد دور العلم ونشر اللغة العربية فكانت اعماله ناجحة وازدهرت واثمرت، وما كان الناس يودون فراقه لو لا شوقه الى وطنه الذي تركه وهو في عنفوان شبابه ومقتبل عمره، وسيعود اليها وهو في شيخوخته. وجد الجد فعزم على السفر واعد العدة وجمع كل ما يحرص عليه في حياته وركب الباخرة متوجهاً شطر وطنه حضر موت. وشاء الله ان يختاره الى جواره في عرض البحر وكان ذلك في عام ١٣٦٩هـ - ١٩٤٦م وكان آخر ابيات قالها وهو يودع المهجر الشرقي المرعى الخصيب ما مطلعها:

وداعاً ايها المرعى الخصيب ففبك العيش اضحى لا يطيب

ترك وراءه عدة ابناء عبدالله وصالح ومحمد وغيرهم وقد نبغ محمد وهو شاعر كأبيه وهو من رجال الحزب الوطني الاندونيسي، تولى عدة مناصب رفيعة في وزارة

الاعلام واشرف على قسم الاذاعة العربية من يوم تأسيسها وكان يكتب ويشترك في تحرير مجلة الشؤون الاندونيسية، عين ملحقا اعلاميا في السفارة الاندونيسية بالقاهرة عدة اعوام. وكانت صلاته بزعماء مصر وثيقة كما كانت صلته وثيقة بسماحة الحاج امين الحسني رئيس الهيئة العليا لشؤون فلسطين وانتخبته حكومة اندونيسيا عضوا في كثير من وفودها وبعثاتها.

اما شعره فمن الرقيق الممتاز وقد ورث الادب والشعر من ابيه. وعندما فاز الحزب الوطني الاندونيسي في الانتخابات العامة عام ١٩٥٥ وعين علي ساسترو امين جويو رئيسا لوزراء اندونيسيا القى الاستاذ محمد بن احمد السقاف قصيدته العصماء مهنثا الحزب الوطني الاندونيسي ورئيسها بهذا الفوز والنصر المبين.

الشيخ صالح بن سند الكثيري

هو احد زعماء قبيلة بني كثير التي ترجع في سلسلة نسبها الى قبائل الشنافة الهمدانية، وهو بطبيعة الحال ينتمي الى الاسرة الكثيرية صاحبة الدولة والسلطة الحاكمة بمنطقة حضرموت الداخلية. وللدولة الكثيرية تاريخ طويل اذ حكمت البلاد اكثر من سبعة عشر عاما. وقد اسهب الاستاذ ابن هاشم في كتابه (تاريخ الدولة الكثيرية) في تاريخ هذه الدولة في جزءين، والكتاب مطبوع بالقاهرة عام ١٩٥٧. والدولة الكثيرية دولة عريقة وذات جذور عميقة في جنوب الجزيرة العربية. ولكن بريطانيا قضت عليها قضاء ملؤه الحقد والكراهية انتقاما منها، فانهارت اثر تسليم بريطانيا زمام الحكم لزمرة صغيرة من الشيوعيين، عندما ارادت بريطانيا مغادرة محمياتها في جنوب الجزيرة ومستعمراتها في عدن، سلمت البلاد بردا وسلاما بجميع قواتها المسلحة الى ايدي تلك الشرذمة الماركسية، مثلما سلمت فلسطين لليهود عام ١٩٤٨ وسلمت بريطانيا سنغافورا الاسلامية الى ايدي الصينيين عام ١٩٧٦ فأفسدت البلاد

وطغت على العباد. وهكذا طبقت التعاليم الماركسية والاحكام الشيوعية بالقسوة، فاحتضنتها روسيا ووجدت موطنًا لقدمها في الجزيرة العربية وهيمن الاتحاد السوفييتي المنحل مباشرة على تلك المناطق، واصبح حكام البلاد كقطع لعبة الشطرنج في ايدي حكام السوفييت، وليس لاهل البلد امر او حول الا ما يقوله السفير السوفييتي الحاكم المطلق.

الشيخ صالح بن سند زعيم آل الكثير في المهجر الشرقي، وهو من القوميين الاقحاح، ترأس (الهيئة المركزية للجمعية الكثيرة الشنفرية العربية الاسلامية الاصلاحية) بجميع فروعها واقسامها المنتشرة في جميع المهجر الشرقي وهو المشرف المباشر لجميع معاهد ومدارس الكثيرة.

انتخب الشيخ صالح بالاجماع ليرأس الوفد الكثيري من المهجر الشرقي لمفاوضة الدولة الكثيرة بحضرموت في جميع الامور الاصلاحية بالوطن، وسافر الوفد من اندونيسيا برئاسته وجملة من اعضاء الوفد المنتخبين متوجها الى حضرموت واستقبلته الدولة استقبالا فخما وحل الوفد ضيفا على الدولة طول اقامته بحضرموت. وقد جرت مفاوضات وتم الاتفاق واتخذت القرارات الاصلاحية في الوطن مما بشر الجميع بالخير للامة الحضرمية.

يعتز الشيخ صالح بن سند ويفتخر بانه ممن تلقوا عن السيد ابن شهاب ويذكر ذلك بكل اعتزاز في احاديثه الخاصة والعامة، ولا يذكر اسم السيد ابن شهاب الا بالتقدير والاحلال وبأنه رائد النهضة الاصلاحية بحق وباعث الروح الاسلامية بين الشعوب في المهاجر الشرقية، ويقول الشيخ صالح بن سند إنه في جميع اعماله وخطواته يحذو حذو السيد ابن شهاب. وكثيرا ما يستشهد الشيخ صالح باقوال السيد ابن شهاب.

يحدث الشيخ صالح عن نفسه في مجالسه كيف كان اتصاله بالسيد ابن شهاب

قائلاً:

كنت تواقاً للتعرف إلى السيد ابن شهاب. قبل لقائي به ومعرفتي إياه مباشرة كنت اسمع عنه كثيراً، ومن حسن حظي كانت الصدف متاحة لي فاجتمعت به وأنا لا أزال شاباً في مقتبل عمري، فهالتني شخصيته وامتلاً في عيني فأكبرته، سمعت كلامه وهو يتحدث فأعجبني حديثه لما حواه من حكم ومعانٍ جليلة وآراء نيرة سديدة، فتحت أمامي آفاقاً جديدة واسعة تشفي العليل فما وددت مفارقتة. لقد استعظمتها فقدرته واحببته من أول جلسة سمعت فيها حديثه، فلازمته واستفدت من ملازمتي له، وكانت معانيتي له فاقت ما كنت اسمع عنه من الأخبار والاحاديث، حقاً انه رجل زمانه، راجح الفكر بعيد النظر مع سمو اخلاقه وعلو همته فكلامه طليّة لا يمل، ويستفيد منه كل سامع مُصغ إليه، ولا عجب ان يقدره ويجله ويعظمه كل من اجتمع له. فهو استاذي وقدوتي.

كنت أرى السيد ابن شهاب دائماً يفكر ويعمل ويكافح ويجاهد في سبيل مصلحة أمتة ومن أجل شعبه وسعادته في جميع المجالات بما في ذلك مجال التربية والتعليم والتهديب. فأنا اشعر بالسعادة التامة حين مجالستي له، واستماعي لحديثه واستفيد منه، فاواظب على حضور دروسه ومحاضراته التي يلقيها على جمع من طلبة العلم ورجال الفكر او على مجموع الشباب المثقف المتنور. كنت اشعر بالغبطة والسرور لانني كنت ممن اسعدهم الحظ بتوفيق من الله - ان اكون بين هذه المجموعة الطيبة من الشباب المتنور، تلك الفرصة الطيبة التي كسبتها واستفدت منها، كانت لي الركيزة الاولى والمشعل النير، أضاءت السبل وانا رت لي الطرق التي اسلكها الآن وانتهجها في حياتي وجهادي. فتلك الفرصة الذهبية كانت لي اعظم فرصة في حياتي الطيبة التي لا تقدر بقيمة أبداً. فلقد انا رت لي المحجة.

هكذا يقول الشيخ صالح بن سند الكثيري بكل فخر واعتزاز مؤكداً ان علاقته

بإستأذه السيد ابن شهاب مستمرة متواصلة حتى آخر ايام حياته.

بعد عودة الشيخ صالح بن سند من حضرموت رئيساً للوفد الكثيري، قدم تقريراً ضافياً للجمعية الكثيرية التي أوفدته قال:

على رغم النجاح الذي أحرزه الوفد في مفاوضاته مع الدولة الكثيرية واتخاذ تلك القرارات الحازمة الموقفة التي نؤمل أن تنفذ وتطبق بحذافيرها في القريب العاجل، فاني أتوجس خيفة من وجود شرذمة ماركسية، فهذه الشرذمة أراها كالسم في الجسم أو كالنار في الهشيم، فان الحريق إنما هو من الشرر الصغير، وقد حذرت المسؤولين في الدولة وبعض الأخوة ممن لهم مكانة في المجتمع من عواقب هذا التساهل والاهمال، فان عواقبها وخيمة، إن عدم الإدراك والنظر البعيد بعين ثاقبة الى هذا الخطر الداهم من الزحف الماركسي ومؤامراته التوسعية يجرّ إلى تقويض الدولة واحتلال البلاد واستعباد الشعب، فالماركسية لا تسالم أحداً ولا تتسامح مع أحد ما لم يدُر في فلكها وينضو تحت عقيدتها ويتماش مع سياستها، ومن شذ عنهم فهو الضحية الأولى.

ولكن لرجال الدولة ووجهاء الأمة وجهة نظر مبنية على الديمقراطية، فالضغط يولد الانفجار بل يجر الى الاعمال التخريبية، أو العمل من وراء الستار خفية، ومن الحرية ينطلق وينبعث الإصلاح ولكل في الحياة رأيه ووجهة نظره، ولن يبقى ولن يدوم إلا الأصلاح.

حاورتهم جميعاً وكان وجهة نظرهم عن الديمقراطية والحرية هي الخطأ التام بعينه، وكررت لهم جميعاً أنه اذا استمر التساهل فسيأتي يوم تسيطر الماركسية على الدولة وعلى مقاليد الامور بالقوة وتقضي على الاوضاع الديمقراطية وتعكس الحياة الاجتماعية لتصير هناك دولة ماركسية تقوم على انقاض الدولة المباداة، وما أكثر الحوادث والعبر. ولكن رجال الدولة وبعض قادة الأمة يرون من كلامي التشاؤم وقالوا لي إنني انظر بمنظار اسود قاتم وانني اجعل من الحبة قبة وانني غير متفائل في شيء،

وهم ينظرون الى هذه الامور أنها بسيطة جدا بل وانها مما يقوي دعائم الديمقراطية في البلاد وان الشعب سيرى الخير ويرى الشر، وفي العالم الديمقراطي لا تعيش إلا الديمقراطية ويحتجون ببريطانيا ففيها الحرية التامة فالشعب لم يختار إلا الديمقراطية وان الشيوعية لم تجد لها موطئ قدم فيها وهكذا فان الماركسية والمبادئ الاخرى كلها في طريقها الى الزوال والفناء في هذه الدولة الكثيرة الديمقراطية. هكذا كانت عقيدة الحكام في الدولة الكثيرة وفكرة وجهاء الامة فيها. ولكني لبثت اكرر في كل حديثي معهم وفي جلساتي واجتماعاتي بهم الخاصة والعامة احذرهم من مغبة التساهل والاعتماد على الفكرة الديمقراطية الخاطئة، وأبنت لهم كيف ان المؤامرات تحاك من كل جانب وان الفتن تبذر في كل محل لتمزيق الشعب الى كتل صغيرة ضعيفة وتشتيته بالافكار والمفاهيم الجديدة المستوردة، ولا يكفيهم ذلك بل ويثيرون المسائل الفرعية الدينية الخلافية لاشغال الامة بالخلافات الجانبية التي تقوض دعائم الدولة الحاكمة لتحطيمها وازالتها من الوجود.

وعلى اثر هذه المحاورات راجعت المسؤولين في الدولة الكثيرة مرة اخرى بصفة رسمية لاجراء مباحثات ومفاوضات خاصة تتعلق بهذا الموضوع الذي اراه في غاية الاهمية ويرويه من توافه الامور التي لا تستحق الاهتمام بها مطلقا.

وباسم الوفد الكثيري الذي يمثل رسميا الهيئة العليا للجمعية الكثيرة باندونيسيا وبالمهاجر الشرقية عقدت مباحثات اخرى لدرس هذا الموضوع دراسة عميقة، واتفق الجانبان بعد مباحثات اولية على وضع النقاط وحصرها حصراً في هذا الموضوع بالذات ولحل القضايا الاخرى وتمت المفاوضات بين الوفد الكثيري القادم من المهجر وبين مندوبين من الدولة الكثيرة، وفي الاجتماع الاول قدم الوفد مشروعه الاصلاحى العام خصوصاً فيما يتعلق بالامور الداخلية للدولة الكثيرة بيقظة تامة وعدم التساهل في مواجهة المبادئ والمفاهيم الوافدة من الشيوعية والماركسية،

وعندما بدأ النقاش في هذا الموضوع شعر الوفد بهيمنة النفوذ البريطاني الذي يدعي المسؤولية التامة لهذه المناطق الواقعة تحت حمايته، وبدأ سير المفاوضات في تلجيج مصطنع وان الهيمنة البريطانية واضحة وهي تسيطر على الاوضاع السياسية كما تعرضت الدولة الكثيرة لضغوط قوية عرقلت سير المفاوضات ووضعها في طريق مسدود، وما دام الطريق مسدوداً فالحل مفقود. وتوقفت المفاوضات ولم يستطع الوفد مواصلة عمله بعد هذا الحد على رغم ما بذلت من الجهود لمواصلة سير المفاوضات ولكنها باءت بالفشل الذريع، وعاد الوفد الكثيري من حيث اتي وهو يعاني من حسرة ما بعدها حسرة.

ودار الزمن دورته، وتطورت الامور، وانقلبت الاوضاع بشكل غريب وتحققت فراسة الشيخ صالح بن سند الثاقب في ما كان يتوجس منه خيفة وما كان يرى من خطر للشيعوية التي استشرت وصار ما صار في البلاد واستولى الشيوعيون على مقاليد الحكم وازيلت الدولة الكثيرية وانقلبت الامور وانعكست الاوضاع، فإذا السلطان الكثيري لاجئ في جدة ورجال الدولة في السجون والعلماء والشخصيات المعروفة يساقون الى ساحة الاعدام، وهكذا ازيلت الدولة الكثيرية من الوجود.

لقد نبّه الشيخ صالح بن سند المسؤولين في الدولة بما فيهم السلطان نفسه، حسين بن علي الكثيري من مغبة التساهل ولم يكتف الشيخ صالح بن سند بتنبيههم فقط بل انذرهم بالويل ان لم يفيقوا من خيالاتهم الديمقراطية ويتداركوا الامور قبل استفحالها.

صالح بن غالب القعيطي

هو ولي عهد السلطنة القعيطية، ينوب عن ابيه في ادارة البلاد بحضر موت الساحلية من الجنوب اليمني، درس على يد السيد ابن شهاب وتفقه في مسائل اصول

الدين وتعمق في دراسة علم الحديث بجانب دراسته لفنون الادب، كان ذا شخصية قوية وروح فياضة طموحة سامية لتطويع وضع امته ساعياً لتحقيق النهضة الاصلاحية بنشر العلم ومحاربة الجهل المخيم على امته تحقيقاً شاملاً في اطار السلم والتواء والاتحاد.

له مؤلفات علمية مطبوعة، يتحدث باسترسال وباسلوب جذاب مؤثر على السامعين، وكانت مجالسه مجالس علمية تدل على موهبته الواسعة واطلاعه على مجريات الاوضاع الدولية والاجتماعية العامة، وهو رحب الصدر حسن الاخلاق بالرغم من كونه ولي العهد في السلطنة، لانه تتلمذ على يد السيد ابن شهاب وكان من الملازمين له. يقول هذا الامير انه استسقى من معين صاف لا ينضب هو معين استاذ السيد ابن شهاب وان ملازمته لاستاذته هي التي افادته.

كان السيد ابن شهاب يرى في هذا الامير الخير، ويأمل منه وعلى يده الخير لوطنه وامته ولكن السيد ابن شهاب يخشى عليه من بطانة السوء التي تحيط بوالده، خصوصاً اذا اسندت اليه السلطة وتولى الحكم، فعاقبة السوء لا محالة واقعة عليه، وكثيراً ما حذر استاذته أن عليه ان يكون يقظاً واعياً من تلك الثلة، ثلة السوء، عملاء بريطانيا المستعمرة، وبريطانيا تنفي انها مستعمرة وتدعي أنها حامية لا غير. وللسيد ابن شهاب قصيدة في هذا الامير الشاب وتلميذه الذي يرجو على يده الخير ومطلعها: ذهب الى منازلة الاسود وذلك ما ورث من الجدود والقصيدة طويلة يجدها القارئ في المجموع من قصائد السيد ابن شهاب في موضع من هذا الكتاب.

السيد محمد بن عبدالرحمن بن شهاب

عالم من العلماء الاعلام، بحثة ومدقق حينما يكتب في موضوع، تتسم دراسته حين يطرق بحثا بالعمق والمنطق العلمي، اللذين يدلان على علو موهبته ودقته في البحث بأسلوب علمي منطقي. مع سلاسة التعبير والبعد عن التعقيدات.

له صلات وثيقة مع الامير شكيب ارسلان وكانا يتبادلان المعلومات العلمية والمباحثات التاريخية، وكان الامير شكيب ارسلان يعتمد اعتمادا كلياً على السيد محمد بن عبدالرحمن خصوصا في الابحاث العلمية والتاريخية، وفي تعليقات الامير شكيب ارسلان على كتاب (حاضر العالم الاسلامي) للورد ستودارت، يجد القارئ فصلاً طويلاً من دراسة السيد محمد بن عبد الرحمن بن شهاب عن جزر القمر شملت صفحات عديدة من الكتاب.

السيد محمد بن شهاب من رجال النهضة الاصلاحية في المهجر الشرقي ومن الساسة البارزين، وفي فترة من الفترات ترأس جمعية خير وتولى مجلس ادارتها عام ١٩٠١، وبجانب هذا كله فهو من رجال الاقتصاد والاعمال التجارية وباستطاعته تمويل الحركات الاصلاحية بالمال، وهو من رجال حزب شركت اسلام البارزين دعم الحزب بالنفس والنفيس.

في عام ١٩٢٨ انتخب بالاجماع رئيسا عاما للهيئة المركزية العليا للرابطة العلوية، وتولى رئاستها سنوات حتى وافته المنية عام ١٩٤٩ بمدينة سورابايا ودفن فيها عن عمر ناهز ٦٢ عاما. كان لنبأ وفاته رجة كبيرة في الاوساط الاسلامية، شيعت جنازته الى مثواه الاخير في غاية المهابة مجللا بعلم الرابطة العلوية وانهالت برقيات التعازي المشاركة في هذا المصاب من جميع الاحزاب والجمعيات والشخصيات البارزة في المهاجر الشرقية وجنوب الجزيرة كما شاركت وفود الاحزاب والجمعيات من جميع بلدان جاوا، وقيمت له مجالس التعازي في جميع بلدان المهاجر الشرقية وأبنه الخطباء ورثاة الشعراء وكتبت الصحف فصولا مطولة وسلسلة من المقالات

تستعرض فيها تاريخ حياته المليئة بالجهاد والكفاح الطويل واعماله المثمرة.
رثاه كثيرون من شعراء المهجر الشرقي وجنوب الجزيرة، منهم زميله في الكفاح
وصديقه شاعر المهجر الشرقي السيد احمد السقاف بهذه المراثية:

بشراه أدى الواجبات وودّعا	والموت مبتدأ الحياة لمن سعى
والعيش كالحلم اللذيذ يحول دو	ن تمامه داعي المنون إذا دعا
من شؤم هذا العصر هذا السلك كم	أدمى القلوب وكم أراع وكم نعى
ولكم أثار أسى وقطّع مهجة	وكم استدرّ من الجفون الأدمعا
يتحنّس الخبر المسيء فكلما	ألقيه جاء به إلينا مسرعا
لو كان يشعر أو يحس بما به	يجري لذاب من الأسى وتقطعا

* * *

هدّ القوى نبأ لو استولى على	جبل لأصبح خاشعاً متصدعا
نبأ أذيع صبيحة الاثنين أزع	عج وقعه منا القلوب وروّعا
(ملاً) الربوع أسى فلا تلقى امرأ	إلا لقيت محوقلا مسترجعا
(فغدا) يفارقنا السهاد وقد نفى	عنا الكرى نبأ أقضّ المضجعا
جهرت به هذي (المُسرّة) ليتهما	همست به أو فاتني أن أسمعنا
أخذت تحدثني بأن محمداً	لما رأى ضعة الزمان ترفعا
عاف البقاء مع الليالي إذ رأى	حق الإله لدى الأنام مضيعا
لبّى نداء الحق مسروراً وأصبح	بالرضى من ربه متمتعا
عاش الفقيد من القلوب محبباً	وقضى فودّع بالقلوب مشيعا

* * *

صبراً بني علوي إن الخطب مشتر	ك على كل الأنام توزعا
فمصيبة الاسلام في زعمائه	تنتاب أنصار الفضيلة أجمعا

وهم الأنام ومن سواهم في الورى
صبراً على مر القضاء بني أبي
والمرء يدفع خصمه حتى إذا
همج حكى البهم السّوام الرّعا
إذ لا يردّ مقدراً أن نجزعا
حكم الإله فحقه أن يخضعا

غاب الشهاب مخلفاً آثاره
فسلوا المدارس هذه لتجيب إذ
من ذا سواه على إقامتها قضى
فبعزمه جمعية الخير ارتقت
للعلم علم الدين أضحت منهلاً
وبه اقتدى من قام في فتح المدا
وله تجاه البائسين وفي صفوف
فمتى وعى خبراً يثير دواعي ال
وغدا يدير الاكتتاب فكم لمن
جلّت مناقبه عن الإحصاء لب
ولو استطعت وكان لي قلم جعل
يكفيه فخراً أن رابطة العلى
فسما بها نحو العلى حتى قضى
عرف الزمان وأهله ورأى الحوا
ورأى بني علوي استولى على
وتفرقت أهواؤهم حتى غدا
فدعا الرجال إلى التآخي وابتنى
غرس تبارك ثم أصبح مورقاً
إذ ليس للانسان إلا ما سعى
لو لا الفقيد لما رعاها من رعى
أيامه وبما أفاد تبرعا
وغدا بها روض المعارف ممرعا
يروي العطاش وللفضائل منبعا
رس فاقتفى آثاره وتتبع
المشفقين مكانة لا تدعى
إشفاق بات مؤرقاً لن يهجعا
كوب سعى وعلى مُقِلّ وسعا
س لطامع في حصرها أن يطعما
ت لكل مكرمة أتاها مشرعا
قد صيرته لسرّها مُستودعا
متبوّناً منها المحل الأرفعا
دث تستجدّ لكل قوم منزعا
مجموعهم عدم الوفاق وأوقعا
حبل المودة بالحظوظ مقطعا
حصناً برابطة الإخاء مُمنّعا
بالإتحاد وبالتصافي أينعا

وسقاه من ماء التعارف فاستوى ونما وأخرج شطأه وتفرعا

أنعم برابطة الكرام فإنها كالغيث إذ يحيي الموات البلقعا
لا بل هي الشمس المضيئة نورها عم البسيطة لم يغادر موضعا
وهي السفينة للنجاة أدار دف ستها الفقيد كما أدار المجمع
بحمىة تأبى عليه لدى اشتبا ه الرأي إلا أن يفيد وينفعا
وصلاية تأبى عليه إذا استبا ن الحق إلا أن يقول ويصدعا
وندى يفسر للورى معنى الك ريم وكيف ينفق ما تملك أجمعا
ولو اقتضى النفع الضحية لافتدى نفع العموم بروحه وتطوعا
إخلاصه في النفع حين يقوم بب ن الناس يجعل للنصيحة موقعا
تهوي القلوب إليه إجلالاً فحيه ث أقام عزّ وحيث نادى أسمعا

من سوء حظي أن يقيدني النوى عن فرض تشيع الفقيد ويمنعا
إذ لو حضرت لقت في تلك الجم وع مؤبناً ومترجماً ومشجعاً
ولقلت هذا ابن الشهاب بقية الس لف الكرام الصالحين مودعاً
هذا الرئيس مودعاً أحبابه لا بدع أن نأسى وأن نتوجعا

علم الهدى هذا وهذا النعش بال علم المفدى قد بدا متلفعا
ليس الذي يشتّم نشر المسك بل نشر الثناء على الفقيد تضوّعا
يا من عهدنا منه حُسن رعاية هلا ترى الأبصار حولك خُشعا
ها هم بنوك يشاهدونك راحلاً لا يملكون اليوم إلا الأدمعا
دعهم فقد فقدوا أباً متحنّناً برّاً تقيّاً مستقيماً أروعا

اليوم نُعذر إن تملَّكنا الأسى ويحق للأكباد أن تتصدَّعا
واليوم يَجْمُلُ أن يتمَّ ثباتنا ويزيننا بالصبر أن نتذرعا
واليوم يحسن أن نخلد ذكره بفعالنا بعد الفواتح والدعا
وضع الفقيد لنا الأساس فحقنا أن نستمر على البناء ونرفعا
فالعيب أن يبقى الأساس معطلاً والويل أن ينهار أو يتزعزعا
فإلى الأمام تقدّموا للخير قو لوا ليس منا من تأخر إصبعاً
وتجشموا الأخطار لا كان الذي يخشى المخاطر أو يهاب المصرا
طعم المنون لدى المحقق واحدٌ مهما تعدّد شكله وتنوعاً
الموت حقٌ والمقدّر لا يُردُّ ونحن عن طلب العلى لن نرجعا

وممن رثاه العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد بمرثية مطلعها:
رقوا لقلب حليف البث مشجون في غمرة من طوامي الحزن مسجون
ومنهم ايضاً السيد عبدالله الحبشي بمرثية مطلعها:
افل الشهاب فعمت الظلمات وتزايدت بأفوله الحسرات
وغيرهم ممن رثاه كثيرون واكتفينا بهذا النزر اليسير.

هؤلاء الذين ذكرتهم هنا هم بعض شخصيات من تلامذة السيد ابن شهاب من
مجموعة كبيرة منتشرة في المهاجر الشرقية وجنوب الجزيرة ممن عرفتهم واجتمعت
بهم وعاشرتهم، هؤلاء الذين نهجوا نهجه ومشوا على طريقته وطبقوا تعاليمه وواصلوا
الجهاد للوصول الى الغاية والهدف الشريف.

مؤلفاته

خلف السيد ابن شهاب تراثاً قيماً فياضاً من مؤلفاته الكثيرة طبع بعضها طبعات قديمة بمطابع حجرية في الهند وسنغافورا قبل ما يقرب من قرن من الزمن، ومنها ما طبع بمصر عام ١٣٠٢ تقريباً، وطبع منها ديوانه في اندونيسيا عام ١٩٢٤. وما زال أكثر مؤلفاته مخطوطاً، أما المطبوعة فتكاد تكون نادرة الوجود يعسر الحصول عليها الآن، ولم يُعد طبع شيء منها على رغم أهميتها.

هذه قائمة ببعض مؤلفاته المطبوعة المعروفة التي عثرنا عليها:

١ - رشفة الصادي في فضائل بني النبي الهادي.

٢ - فتوحات الباحث.

٣ - العقود اللؤلؤية في اسانيد السادة العلوية.

٤ - الترياق النافع.

٥ - اقامة الحجة على التقي بن حجة.

٦ - اسعاف الطالب.

٧ - نوافح الورد.

٨ - الورد القطيف شرح الورد اللطيف.

٩ - ذريعة الناهض، وقد شرحها بعض علماء اليمن.

١٠ - النظام في المنطق.

١١ - تحفة المحقق.

١٢ - كشف النقاب عن وجهة الصواب.

١٣ - الشهاب الثاقب على السباب الكاذب.

١٤- الارجوزة.

١٥- رفع الخيط عن مسائل الضغط.

١٦- التنوير.

١٧- التذكير.

١٨- وجوب الحمية من مضار الرقية.

١٩- الديوان.

اما المخطوطات كما حدثني بعض الاخوة فمنها:

٢٠- الشجرة العلوية.

٢١- الديوان الحميني.

هذه بعض مؤلفاته التي عرفناها او عثرنا عليها او سمعنا عنها من بعض الاخوة ممن يملكون هذه الكتب، والمعلوم ان هذه الكتب التي ذكرناها الّفت في سنوات متفاوتة من سني حياته، منها ما ألفه وهو في شرح شبابه ومنها ما كتبه وهو في مرحلة نضوجه ومنها عندما وصل الى مرحلة شيخوخته، وكذا كانت قصائده التي قالها في مناسبات عديدة خلال الاعوام المديدة من سني حياته، وكلها تصور الادوار التي عاشها وصارعها.

والمعروف وكما يتحدث به الاخوة ان للسيد ابن شهاب مؤلفات اخرى متعددة المواضيع ولكنني لم اقف عليها، فقد قيل ان مؤلفاته تزيد عن الاربعين كتاباً. اما محاضراته وخطبه فكان يلقيها ارتجالاً ولم يدوّن منها الا اليسير جداً، ولو كان الامر كاليوم حيث وجود آلة التسجيل لكانت محاضراته وخطبه التي كان يلقيها مجموعة كبيرة تضاهي مؤلفاته.

مكتبته

تظم مكتبة السيد بن شهاب بحيدر آباد الدكن بالهند انفس الكتب من امهات المراجع العلمية من مطبوعات ومخطوطات وتعد من كبريات المكتبات الشخصية الخاصة والتي تضاهي مكتبات الجامعات العالمية.

عندما تاحت لي الفرص في زيارتي للهند عام ١٩٧٣ حرصت كل الحرص على الذهاب الى حيدر آباد لزيارة اسرة المغفور له السيد ابن شهاب، وكان يرافقني في هذه الزيارة الاستاذ محمد منور نينار الاستاذ بجامعة جواهر لال نهرو وفي نيودلهي والعلامة الباحثة السيد عبدالله مديحج المقيم بحيدر آباد، وكانت أول مرة اجتمع فيها باحفاد السيد ابن شهاب وبحضور من الفضلاء بينهم السيد عبدالله خمر والسيد العيدروس. بحثت مع احفاد السيد ابن شهاب بحضور السادة المذكورين قضية مكتبة جدهم وما فيها من المخطوطات القيمة النادرة التي لا تقدر بثمن، وهي تراث اسلامي عظيم، واقتربت عليهم:

اولاً - وجوب المحافظة التامة على هذه الكتب، والعناية بها وصيانتها من التلف والضياع، فلا تكون عرضة للارضة وعدم التصرف فيها حفظاً لهذا التراث القيم الذي مضى عليه اكثر من نصف قرن من وفاة المغفور له وذلك خدمة للعلم وارضاء لروح الفقيد وبراً به، وبذلك نصون التراث خدمة للأمة لينتفع الناس به ويستفيد طلبة العلم والباحثين منه.

ثانياً - بما أن الاوضاع في حيدر آباد حالياً غير مرضية بجانب قلة من يهتم بامثال هذه الكتب، وعدم اكتراث الشباب بهذه القضية لانشغالهم بامور الحياة الصعبة وتكاليها الباهضة المرهقة، ثم وجود ضغوط خفية من الدولة وارباب النفوذ من البراهمة على المسلمين وعرقلة سير الدعوة الاسلامية، وكان بطبيعة الحال ان ينصرف

لتنفيذ شراء المكتبة بكاملها. وسافر السيد حسن مدرسي الى الهند ووصل الى حيدر آباد موفداً من قبل الحوزة العلمية لاتمام الاجراءات اللازمة في انهاء شراء المكتبة ونقلها الى ايران بموجب الشروط المتفق عليها.

مضى وقت واذا بي افاجأ برسالة من السيد حسن مدرسي يخبرني انه فوجئ بصدمة عنيفة عندما وصل الى حيدر آباد واجتمع باحفاد السيد ابن شهاب عندما بلغوه ان الكتب كلها شحنت وارسلت الى المكلا باليمن الجنوبي الديمقراطي.

وواقع الامر انه حدثت ظروف طارئة لأسرة السيد ابن شهاب بعد انتظار، خامرهم الياس والشك، وحبّب اليهم احد القادمين من جنوب الجزيرة والموفد من قبل حكومة عدن عدم بيع المكتبة، فمن الاصلح حفظاً لهذه الكتب الكثيرة والقيمة إهداؤها الى احد المعاهد العلمية بجنوب الجزيرة. وبالفعل شحنت الكتب كلها في صناديق عديدة وارسلت الى المكلا. وقد قام بتجهيزها وتحمل مصاريفها بعض المحسنين.

وصلت الكتب الى المكلا والبلاد تحت سيطرة الحكم الماركسي الشيوعي، وقد قيل ان الدولة صادرت الكتب طبقاً للتعاليم الماركسية التي تحارب الاديان والمبادئ الاخرى باعتبار هذه الكتب كلها سامة مخدرة للعقول يمنع تداولها وقراءتها، ما عدا الكتب الماركسية الشيوعية.

لا يعلم احد مصير هذا الكتب، وتعدّدت الاقاويل، فمنها قول انها احترقت بكاملها لثلا تتعب الرقابة من مراجعتها بحجة انها كتب سامة، ومنها انها جمعت وضمت الى كتب المكتبة العامة للدولة. وهكذا كانت الخسارة فادحة عامة.

١ - ضياع الكتب وعدم انتفاع احد بها، وفقدان تراث كبير بفقدانها وهي اكبر خسارة.

٢ - الخسارة المادية، فلم تنتفع اسرة السيد ابن شهاب بشيء منها.

٣ - التكاليف التي تحملها المحسنون لشحن الكتب الى المكلا ضاعت هباء.

قضي الامر وفات الاوان وعاد السيد حسن مدرسي بعد تحمل مشقة السفر،
آسفاً خائباً، وعاد من حيث اتى بخفي حنين يعرض اصابعه ندماً من ضياع المكتبة فوق
ما تحمله من المتاعب ومشقة الاسفار والتنقلات وما صرف لاجلها من مصاريف.
بعد عودته الى ايران بعث الي برسالة جاء فيها:

بسمه تعالى

الى اخي في الله العلامة الجليل الاستاذ محمد اسد شهاب:
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ارجو ان تكونوا على صحة وعافية
كاملتين وأن يديم الله عليكم نعمه وان يرزقكم خير الدنيا والآخرة. فأني لا انسى مالكم
عليّ من الفضل فيما قمت به من تكريم وحفاوة لاختك والمخلص لك اثناء تشرفي
لاداء العمرة في رجب من هذه السنة. وإن هذا إلاّ تعبير عن اصالتك ونجابتك ودليل
على فضائلك الجمّة وانتسابك الرّوحي والتّسبي إلى آل البيت صلوات الله عليهم. ومالي ازاء
خلقك الرفيع وادبك الجليل سوى ان ادعو إلى الله ان يكثر من امثالك وان يمنّ علينا
ببقائك.

وبعد فان كان عليّ ذكرك سألتني ان اسافر الى الهند لحمل كتب العلامة السيد ابي
بكر بن شهاب الدين رحمته الله ونقلها الى ايران لان تبقى ذكرى خالدة له في احدى المكتبات
العامة. وقد وفّقني الله لهذا السفر في شهر ذي القعدة المنصرم فذهبت الى الحبيب احمد
بن عبدالله مديح في حيدرآباد وسلّمته كتابك الذي كتبت له بواسطتي إلاّ انه اخبرني
انّ الكتب نقلت الى حضرموت قبل سبع سنوات فرجعنا بخفي حنين....

آل البيت النبوي ﷺ

السيد ابن شهاب ممن تملك قلوبهم حب الرسول سيد البشر سيدنا محمد ﷺ، وخامر عواطفه وجوب الدفاع عنه وآل بيته الطاهرين الميامين رضوان الله وسلامه عليهم اجمعين، بعقيدة راسخة وايمان قوي، يتجلى ذلك واضحاً في احاديثه وما يلقيه من محاضرات وما في مؤلفاته، منها: رشفة الصادي في بحر فضائل بني النبي الهادي^(١) وما يجده القارئ في قصائده الكثيرة المثبتة في ديوانه المطبوع وغير المثبت منها، واحاديثه خصوصاً بعد بلوغه مرحلة النضوج وتجاوزه سن الاربعين من عمره الى ايام شيخوخته. ففي قصيدته التي يمدح فيها رسول الله النبي المصطفى محمد ﷺ ميزة ظاهرة وبارزة لا نرى هذه الميزة لدى الكثيرين من الشعراء المادحين، لقد قالها بدافع العقيدة واحساساته المرفهة، فنلمس في كل بيت من ابيات تلك القصيدة العواطف الرقيقة والشعور الدافق الذي يقطر من نفسية الشاعر المليئة بالركة والتأثر ويصور منتهى الحنو وهو راجع لسبب العلاقة الوثيقة النسبية، فوق الصلة الدينية التي يشارك فيها غيره ممن لا صلة لهم بالنبي نسباً ولا رحماً، فهو لا يثني مجرد ثناء فحسب ولكنه يحن حنو الطفل الرضيع الى امه وحنو الام الى طفلها الرضيع.

ففي ثنايا كلماته وعباراته نغمة عميقة مليئة بالعطف والود والولاء ولا غرو فهو يحن بروح الرحم وعاطفة البنوة المتسلسلة في بيت النبوة الي المصطفى ﷺ وكأنه يضرب على وتر لا يوجد في قيثاره غيره.

إذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى
الا تراه في مرثيته في الامام الشهيد علي ابن ابي طالب ﷺ كيف ينوح ويتألم

(١) راجع فصل موضوع رشفة الصادي في هذا الكتاب.

ويبكي ويحن ثم يثور غيرة وحمية وحماسة^(١).

للسيد ابن شهاب مولفات كثيرة في آل البيت عليهم السلام كلها دراسات علمية وبحوث تاريخية، وكذا قصائده التي جاش بها صدره وتبلورت في مدائحه للنبي صلى الله عليه وآله ومراثية للامام علي عليه السلام وسائر الائمة من آل البيت النبوي الشريف عليهم السلام.

نأتي هنا بنتف ومقتطفات مما تعد فرائد عصماء من قصائده. ونستفتح بقصيدته التي ناجى بها سيد الانبياء الاصفياء نبينا محمد صلى الله عليه وآله عند تشرفه بزيارته بالمدينة المنورة عام ١٣٠٢ هـ وكان عمره انذاك ٤٠ عاماً، وقف امام مقصورة الضريح الشريف وانشد قصيدته هذه جهراً امام الملائكة من الزوار من جميع الاقطار وهم امام الضريح الطاهر والزوار يصغون اليه، وما ان أتم إلقاء قصيدته حتى تسابق الجمع الغفير من الزوار ينهلون عليه مسلمين بمزيد من الاعجاب والتقدير وطلبوا منه نص القصيدة وتناقلوها.

لقد كان الوضع في ذلك الزمن سمحاً، خلافاً للوضع الحاضر الذي يعتبر الزيارة والتقدير والتعظيم شركاً عظيماً لا يغتفر.

وقد شرح كثير من الادباء والعلماء هذه القصيدة وعلق عليها آخرون من الكتاب والمؤرخين، منهم الاستاذ المؤرخ السيد محمد ضياء شهاب، ولا يزال الكتاب مخطوطاً، ومطلع هذه القصيدة التي توسل بها الى النبي محمد صلى الله عليه وآله هو:

لذي سلم والبان لولاك لم اهوا ولا ازددت من سلع وجيرانه شجوا
ولولاك ما انهلنت على الخد ادمعي لتذكار ما الروحاء تحويه من احوى^(٢)
ثم يصف السيد حالته عندما تشرف امام الضريح الطاهر لسيد البشر أنه كيف عرته هزة الجلال والعظمة، معترداً عن تأخره عن اداء واجب الزيارة، فيقول:

(١) السيد صالح الحامد مجلة النهضة الحضرمية - سنغافورا العدد الحادي عشر عام ١٩٣٤.

(٢) الروحاء: موضع بين مكة والمدينة، وهو الى المدينة أقرب.

وانني لتعروني لذكراك هزة كما اخذت سلمان من ذكرك العروا
وها انا قد وافيت للروضة التي بها نير الايمان ما انفك مجلوا
وقفت بذلي زائراً ومسلماً عليك سلام الخاضع الرافع الشكوى
يجد القارئ القصيدة بكامها وهي طويلة مثبتة في فصل (القصائد التي اوصى بها).

وقصيدة اخرى من جملة قصائده قالها في مدح سيد الكائنات النبي المصطفى
محمد وآله عليهم افضل الصلاة وازكى التسليم. هذه القصيدة، وهي من روائع قصائده،
عدد ابياتها ٤١ بيتاً بالحروف المهملة، وهي تدل على منتهى نبوغه الشعري ومطلعها:
ساد رسل الله طه احمد مصدر الكل له والمورد
هو روح الله والامر ومع لولو له العالم وهو المدد
والقصيدة هذه مثبتة ايضاً في فصل القصائد التي اوصى السيد بنشرها.
إن مرثيته في مولانا الامام علي بن ابي طالب عليه السلام التي حازت شهرة عالمية،
قالها في يوم ذكرى استشهاد الامام علي عليه السلام في ٢١ رمضان المعظم عام ١٣٠٦ هـ وكان
عمر السيد بن شهاب آنذاك ٤٤ عاماً، وقد اصبحت هذه المرثية العصماء الفريدة تتلى
في شهر رمضان من كل عام في ذكرى يوم استشهاد الامام عليه السلام، ومن هذه المرثية:
قفا وانثرا دمعا على الترب احمر وشقا لعظم الخطب اقبية الكرى
ولا تجعللا غير السواد ولبسه شعاراً لتذكّار المصاب الذي جرى
ولا تألوا جهدا عن النوح والطما صدوراً بها الايمان اثرى واثمرا
ويستطرد في هذه القصيدة موجهاً خطابه الى الامام علي عليه السلام يشكو ويشرح له
ما يلاقيه ابناؤه وسلالته واتباعه من طغيان الظلمة الذين يسعون لابطال هذه المجموعة
من الوجود انتقاماً لما حدث في معركة بدر حيث يفتخر المنتقم يزيد الاموي بقوله:
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

ليت اشياخي ببدر شهدوا جزع الخزر ج من وقع الاسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل
لست من خندف ان لم انتقم من بني احمد ما كان فعل
يقول السيد ابن شهاب وهو يخاطب الامام علياً عليه السلام فيما حدث وصار لابنائهم
وسالته من بعده من ظلم الظالمين وطغيان الطاغين:

وبعدك جاءت ذات ودقين يا ابا تراب وجاءت بعد ام حبوكري
دماء بنيك الغر طلت وبدلت حفيظة قرباهم عقوقا مكفرا
لقد عم كرب الدين في كربلاء اذ بتربتها امسى الحسين معفرا
ويتلهف متأسفاً لتأخر عصره وعدم مشاركته في تلك المعارك، متمنياً لو تاحت
له الظروف وحظي بحضور تلك الايام، لينضم إلى صفوف آل البيت المجاهدين
الميامين ومن معهم من الابرار، واسمعه اذ يقول:

ويا ليتنا في يوم صفين والذي يليه شهدنا كي نفوز ونظفرا
ونشرب بالكأس الذي تشربونه فاما واما او نموت فنعدرا
وكلها مليئة بالحماسة المتدفقة والعواطف السامية.

امله الوحيد في حياته

ليس للسيد ابن شهاب امل في حياته بعد ادائه فريضة الحج واداء العمرة
والتشرف بزيارة سيد الكونين المصطفى خير البشر سيدنا ونبينا محمد ﷺ بالمدينة
المنورة سوى شيء واحد فقط، هو زيارة العتبات المقدسة بالنجف الاشرف حيث
مثنى سيد الاوصياء امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب عليه السلام ثم كربلاء حيث مثنى
سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام، هذه الامنية ظلت تراود نفسه وتؤجج قلبه وهو يعاني
منتهى الحسرة، شاعراً بشيء من النقصان اذ لم تتح له ظروف الوصول إلى هناك لزيارة

تلك البقاع الطاهرة. تتجلى امنياته تلك في احاديثه وفي قصائده، اذ يصور فيها مشاعره المعبرة عن عمق احساساته الدفينة، فيقول:

وهل لي الى ساح الغريين زورة	لاستاف رّيّا رندها وبشامها
اذا جئتها حرمت ظهر مطيتي	وحررتها من رحلها وخطامها
واخلع نعلي في طواها كرامة	لساكنها الثاوى أريض اكامها
اذا شاهدت عيناى انوار قبة	بها مركز الاسرار قطب انتظامها
سجدت اليها سجدة الشكر خاشعاً	وعفرت وجهي من شذي رغامها
هنالك ذات المرتضى ومقرها	وجنة مأواها وحسن مقامها

وقبل ان يختتم السيد قصيدته هذه، التي يجدها القارئ كاملة في فصل آخر من هذا الكتاب، وجّه السيد التماسه مخاطباً الامام علي بن ابي طالب معتذراً عن التقصير ومؤملاً منه الحضوة:

اليك ابا الريحانتين مديحة	بعلياك تعلقو لا بحسن انسجامها
مقصرة عن عشر معشار واجب الث	بناء وان ادت مزيد اهتمامها
مؤملة زلفى لديك وحظوة	ومعذرة عن عيها واحتشامها
واذكى صلاة بالجلال تنزلت	من المنظر الاعلى واذكى سلامها
على المصطفى والمرضى ما ترنمت	على عذبات البان ورق حمامها
وفاطمة الطهر التي المجد كله	محيط بها من خلفها وامامها
وسبطي رسول الله ريحانتيه وال	ائمة من اعقابه وفئامها
واصحابه الموفين ايمان عهده	وبيعته في بدئها واختتامها

الغدير^(١)

لما بلغ السيد ابن شهاب ٦٨ عاماً من عمره وهو متمتع بروحية النضال الوثابة المليئة بنشاط الشباب، انشأ هذه القصيدة في عام ١٣٣٠ وتليت قراءتها في حفل عيد الغدير في وصف وثناء امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام. وعدد ابياتها (١١٠) أبيات وهو العدد الابددي المطابق لاسم مولانا امير المؤمنين علي عليه السلام. وسميت القصيدة «النبأ اليقين» وتعرف بالقصيدة الغديرية لان الهدف والقصد الاول هو التطرق لذكر تنصيب النبي محمد صلى الله عليه وآله للامام علي عليه السلام بالخلافة من بعده فهو وليه ووصيه. وببيعة ٨ الغدير هو الحدث التاريخي العظيم الذي امتلأت به بطون امهات كتب التاريخ، والذي يحاول انكاره ضعفاء النفوس الحاقدون.

القيت هذه القصيدة أول مرة في الحفل العظيم امام الجمع الغفير من معظم الشخصيات والطبقات البارزة من علماء ورجال التربية والساسة في الهند، نالت الاستحسان والتقدير وتناقلها المعجبون ونسخها الناسخون وتناولتها الايدي وانتشرت بصفة واسعة في جميع الاوساط في المهجر الشرقي وجنوب الجزيرة، ولمع نجم السيد ابن شهاب.

مطلع هذه القصيدة:

خذو الحذر ان تطوفوا بخيامها وان تجهروا يوماً برد سلامها
وما زال السيد يسترسل في مدحه للامام علي عليه السلام حتى يصل الى لب الموضوع فيطرقه بقوله:

ليس بخم عزمة الله امضيت الى الناس انذاراً بمنع اختصامها
بها قام خير المرسلين مبلغاً عن الله امراً جازماً بالتزامها

(١) لمن يريد المزيد من الاطلاع في هذا الموضوع عليه مراجعة كتاب (الغدير) للعلامة الشيخ الاميني في احد عشر مجلداً.

الست بكم اولى ومن كنت صادق بمن هو مولاهما وحبل اعتصامها
هو العروة الوثقى التي كل من بها تمسك لا يعرفه خوف انفصامها
اما حبه الايمان نصا وبغضه جلي امارات النفاق وشامها^(١)
اما حبه حب النبي محمد بلى وهما والله ازكى انامها

سواد العين

هذه المراثية العصماء المسماة «سواد العين» في استشهاد مولانا الامام الشهيد
ابي عبدالله الحسين بن علي عليه السلام، وهي مراثية مشهورة متداولة ومعروفة بين اوساط
محببي آل البيت واتباعهم، تتلى في مجالس المآتم الحسينية يوم ذكرى استشهادها في
العاشر من شهر محرم كل عام، وتقرأ ايضاً في مناسبات اخرى، ومطلع هذه المراثية:
براءة بر في براء المحرم عن اللهو والسلوان من كل مسلم
فهل خامر الايمان قلب امرئ يرى بتلك الليالي لاهياً ضاحك الفم
ويسترسل السيد ابن شهاب الى ان يقول:

فهاجت جماهير الضلال واقبلت بجيش لحرب ابن البتول عرموم
تألب جمع من فراش جهنم غواة يرون الشرك اكبر مغنم
ثم يصف الحسين البطل المغوار التي ابت نفسه الكريمة الا العز والشرف
والكرامة بقوله:

ابت نفسه الشماء الا كريهة يموت بها موت العزيز المكرم
ثم يوجه السيد ابن شهاب خطابه الى تلك الاسرة الحاقدة التي تكره الاسلام
بقوله:

فيا اسرة العصيان والزيغ من بني أمية من يستخضم الله يخضم

(١) شامها: يريد علاماتها، وهي جمع شامة.

هدمتم ذرى اركان بيت نبيكم لتشيد بيت بالمظالم مظلم
الى ان يقول:

ولا بدع ان حاربتم الله انها لشنشة من بعض اخلاق اخزم
ونازعتم الجبار في جبروته ولكنه من راغم الله يرغم
ثم يصف السيد ابن شهاب غيظه تأسفاً من عدم المشاركة في المعركة الشريفة
حيث الطغيان في محاولته لطمس الحق وابطادته:

وإنا وان كنا من الضيم والاسى وفرط التلطي نمزج الدمع بالدم
فلسنا الألى ننحو بندب سراتنا نياح الغواني خفن سوء التأيم
ولكننا غيظاً نعض اكفنا لما فاتنا من ثأرنا المتقدم
ثم يوجه السيد ابن شهاب خطابه الى النبي محمد خير البرية ويشكو له عبث
الايادي الاثيمة بآل بيته بعد وفاته:

نبي الورى بعد انتقالك كم جرى بيتك بيت المجد والمنصب السمي
دهتهم ولما تمض خمسون حجة خطوب متى يلمن بالطفل يهرم
ثم يقول:

فكم كابد الكرار بعدك من قلى وخلف الى فتك الشقي ابن ملجم
ثم يقول السيد ابن شهاب بعد ان يسترسل في شكواه: إنه يعظم كل من عظمه
النبي محمد ﷺ، حيث يقول:

نعظم من عظمت ملء صدورنا ونرفض رفض النعل من لم تعظم
هاج النواصب فكالوا عليه التهم بانه رافضي لقوله: نرفض رفض النعل، وفي هذا
الموضوع يقول السيد ابن شهاب من قصيدة طويلة:

قال لي بعض مدعي العلم ممن اضرم الحمق بين جنييه نارا
هل ترفضت قلت لم ادر ما الرف ض لديكم حقيقة واعتبارا

الى آخر القصيدة.

يقول السيد محمد بن عقال: وقد ولع اخايت النواصب وسفهاؤهم باطلاق كلمة
الرفض على كل موال لاهل البيت معاد لاعدائهم.

وعلق الاستاذ المؤرخ السيد صالح العامدي عل هذه القصيدة التي يجدها
القارئ كاملة في فصل خاص بالقصائد التي اوصى السيد بنشرها في مكان آخر من
هذا الكتاب. يقول السيد الحامدي: رحمك الله يا بن شهاب، ليس الثأر ثأرك، ولا ثأري
انا، ولا ثأر هاشمي ومطليبي، ولكنه ثأر محمد ﷺ وترة كل من أشرب في قلبه دين
محمد ﷺ وحب محمد ﷺ، وتلك فتن يأتى الله بها مقاييس يقاس بها عمق الايمان،
وبعد فماذا؟

تلك اسرار، وفي طيها اسرار، وقد ذهب الظالم والمظلوم، وعند الله تختصم
الخصوم، اما نحن فنشارك في تمنى أنه لو أُتيح لنا ان نشهد في صف آل محمد ﷺ تلك
الوقائع ونخوض معهم تلك المعامع ونشرب بالكأس الذي يشربونه، فاما واما او نموت
فنعذرا.

تتلى هذه المراثية الحسينية المعروفة بقصيدة (سواد العين) في كل مناسبة في
مجالس العزاء الحسينية.

الثناء العاطر

هذه احدى قصائد السيد بن شهاب التي اوصى بها للنشر، وجل قصائده التي
اوصى بها تتعلق بآل البيت النبوي الطاهر ﷺ وهذه القصيدة التي سماها «الثناء العاطر
على اهل البيت الطاهر ﷺ» تتكون من ٩١ بيتاً وهي من القصائد المطولات.
اشتهر السيد ابن شهاب بمدائحه للنبي محمد وآل بيته ﷺ. فكان له بسبب ذلك
ما رفعه الى سدة شاعر آل البيت. وبهذا اشتهر وعرف، فطار صيته، وله في مدائحه لآل

البيت فن خاص رائع، ومنحىً مستقل ممتاز بأسلوبه الاخاذ في شعره، فلم يكن تابعاً لغيره بل ظل متشبهاً متمسكاً بطريقته الخاصة واسلوبه المعروف بسمو المعنى وشائق العبارة، وسلاسة التركيب حيث تنعكس فيه روح الشاعر ونفسيته من حب ودفاع واستماتة، والمأمول من الجيل الصاعد ان يتولى ويقوم بشرح واف لقصائد السيد ابن شهاب.

وقصيدته هذه المسماة بالثناء العاطر مطلعها:

دع ذكر ايام الشباب الراحل وحديث لابسة الحلى والعاطل
ويستطرد في ابياته الى ان يقول:
واملاً ضميرك من محبة سيد ال كوني هادينا الشفيع الكافل
وبحب صهر المصطفى ووصيه واخيه حيدرة الشجاع الباسل
ذى العزم ساقى الحوض مولى المؤمنين من الحبر علام القضاء الفاصل
والدرة الزهراء فاطمة التي بعد الرسول قضت بحزن الشاكل
ذات السيادة مطلقاً بالنص لا يأباه غير مكابر متحامل
والسيدين اللابسي حلل الشها دة من فريق في الشقاوة واغل
خانوا بقتلهما الامانة والديا نة، لكن الجبار ليس بغافل
ثم يصف اهل الكساء الذين نزلت فيهم الآيات البينات وانهم حجة الله على
الناس اجمعين وهم الآيات البينات الكبرى، وماذا يقول الجاحد؟
اهل الكساء الخمسة الاشباح ح حجة ذى الجلال على المريب الداجل
هم بينات الله، هم آياته ال كبرى لا رغام الجحود الجافل
ثم يصف الاحاديث المروية عن آل البيت عليهم السلام المعروفة بالسلسلة الذهبية
وكيف اخذوا عن النبي اخذاً مباشراً متسلسلاً من إمام الى إمام عليه السلام:
الآخذى علم الرسول شريعة وحقيقة من فاضل عن فاضل

منهم يشم شذى النبوة بالولا دة والوراثة والسلوك العادل
 وهم الائمة والأدلة يوم تز دحم الخلائق كالجراد العاظم
 شرف النبوة والعروج ورؤية الـ باري تبارك والكتاب النازل
 شرف الى العرش انتهى، فامامه تقف الثوابت وقفة المتضائل
 من لم يصل عليهم فصلاته بتراء في اسناد اوثق ناقل
 اثني عليهم ذو الجلال فكل ما نشني به تحصيل امر حاصل
 ثم يصف فضائل آل البيت عليهم السلام بما مجدهم الله به في القرآن الكريم من سورة
 (هل اتى) وتطهير ذواتهم تطهيراً كاملاً شاملاً:

في هل اتى تمجيدهم وبآية الا حزاب قطع لسان كل مجادل
 من سبق تطهير الذوات ومن ذها ب الرجس عن ماضيهم والقابل
 ويبشر السيد ابن شهاب محبي آل البيت عليهم السلام ومؤدي حقوقهم بالجزاء الاوفى
 من الله عز وجل:

وعلى محبيهم لواء الحمد يخفق بالامان من العقاف الهائل
 وبعد ذلك يصف الذين يستحلون بغض الآل بأن مثلهم كمثل كلاب السوء التي
 تبول في المساجد وان نور الشمس لا يطمسه دخان، وهم ليسوا الا ككلاب السوء او
 كحمار السوء المعربد وكلا السوأين لا يضران ولا ينفعان.

مثل الذين استحلوا اذى بيت الرسو ل كجرو سوء في المساجد بائل
 ولربما سود الكلاب على البدو ر تهر ان منيت بداء عاضل
 اضر اشعال الدخان لطمس نو ر الشمس بل تعشى عيون الشاعل
 واذا حمار السوء عربد ناهقاً ايحط من قدر الجواد الصاهل
 هذه القصيدة طويلة كما ذكرنا، وانما أوردنا منها بعض الابيات لنعطي للقارئ
 الصورة الواضحة الحقيقية لروح السيد بن شهاب، ونود في هذه المناسبة لفت نظر

القارئ الى البيت الذي وردت فيه الصلاة على آل البيت عليهم السلام من هذه القصيدة، وذلك قوله:

من لم يصل عليهم فصلاته بترأ في اسناد اوثق ناقل
لان الصلاة على الآل مقرونة بالصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وآله، إذ عندما سئل النبي محمد صلى الله عليه وآله: كيف نصلي عليك؟ أجاب صلى الله عليه وآله بقوله: قل: «اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد».

هذه هي الصلاة كما امرنا بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وهي الصلاة المعروفة بالصلاة الابراهيمية، كما نهى النبي محمد صلى الله عليه وآله عن الصلاة البتراء اي حذف ذكر الآل. وفي هذا الموضوع يقول الامام محمد بن ادریس الشافعي:

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن انزله
كفاكم من عظيم القدر انكمو من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

بشرى للمحبين

بشرى للمؤمنين الذين يقتفون آثار النبي محمد صلى الله عليه وآله وآل بيته الكرام بأن لهم مستقبلاً أخروياً زاهراً، وهنياً لهم بذلك المقام الاعلى مع المصطفى الرسول الاعظم وآل بيته الميامين، يقول السيد ابن شهاب فيهم:

بشرى مؤدي حقهم بالشرب من حوض تتم به نجاة الناهل
يحار الانسان ويتعجب من القوم الذين يكرهون آل بيت النبي الميامين، وهم يتلون القرآن تكراراً، وفيهم يقول السيد:

عجباً لمن يتلو الكتاب مكرراً وحديث انسان الوجود الكامل
فيرى ويسمع ثم يجحد مجدهم حسداً و تكذيباً لأصدق قائل

افرحم الجبار من يؤذي بني مختاره هيهات ليس بفاعل
وللسيد ابن شهاب ابيات اخرى في مبغضي آل البيت عليهم السلام وهم الذين اسودت
قلوبهم لكراهيتهم للنبي محمد صلى الله عليه وآله فكرهوا ايضاً اهل بيته.

اما الذين يوالون آل بيت النبوة صلى الله عليه وآله فيقول عنهم السيد ابن شهاب:
ومن دينه حب النبي وآله بيوم التنادي كيفما كان يقبل
فحب النبي وآله هو النهج القويم والطريق السوي وهو الصراط الحق للذين انعم
الله عليهم بالخير العميم، ولذا يحث السيد الناس على محبة الرسول وآل بيته صلى الله عليه وآله:
وكن محب محبيهم وناصرهم فبغضهم وجلال الله يؤذيه
ووال بالود من والى خليفته والزم عداوة من اضحى معاديه
يقصد السيد من سياق واضح العبارة وجوب موالة الخليفة امير المؤمنين
الامام علي بن ابي طالب، وموالة الائمة من بعده، وعلى المرء أن يملأ قلبه وضميره
بمحبة النبي وآله. يقول السيد:

واملاً ضميرك من محبة سيد ال كوين هادين الشفيع الكافل
وبحب صهر المصطفى ووصيه واخيه، حيدرة الشجاع الباسل
ذي العزم ساقى الحوض مولى المؤمنين من الحبر علام القضاء الفاصل
وبهذا الصدد رد السيد ابن شهاب على ابن الكلوازي الناصبي الذي تطاول على
مقام آل البيت لبغضه لهم وكان يحسب انه قادر على مس كرامتهم، فرد عليه السيد
بقصيدة مطلعها:

قل لابن كلوازي وخيم المورد اوقعت نفسك في الحضيض الاوهد
وفي نهاية القصيدة يقول السيد:
ان المحب مع الحبيب مقره ولسوف تعلم مستقرك في غد
فعليكما سخط الاله ومقته وعلى الذي بك في العقيدة يقتدي

آل بيت النبوة

يقول السيد ابن شهاب في كتابه رشفة الصادي صفحة (١٣٤) عن آل بيت النبوة الكرام ما يلي:

ولما رأيت ألسن المحبين بمدائحهم لاهجة، وقلوبهم لسماعها مرتاحة ومبتهجة، وشاهدت لأئمة البلاغة الى ذلك البيت المعمور ولوجاً، ولمخدرات القرائح الى ذلك الفلك العالي صعوداً وعروجاً، ولا يكاد المعاني في تلك الرياض الانيقة دخولاً وخروجاً، وكنت قديماً لفقت ابياتاً تشبثت فيها بخدمة ذلك الجنب الرفيع، وتشبهت فيها باهل الادب، ولكن انى يدرك الضالع شأو الضليع، استخفني على اثباتها الطرب لحديث المرء مع من احب.

وهذه نتف من القصيدة التي اشار اليها السيد، ومطلعها:

من غرامي بقرطها والقلاده ان امت مغرما فموتي شهاده
وبعد ابيات طويلة يتخلص الى ذكر آل بيت النبوة بقوله:
آل بيت الرسول اشرف آل في الورى انتم اشرف ساده
انتم السابقون في كل فخر اسس الله مجدكم واشاده
واستمر السيد في مدح آل بيت النبوة الى ذكر فضلهم وفضائلهم بالكمال والشمول ثم يقول:

من يصلّ ولم يصل عليكم فهو مبدٍ لذى الجلال عناده
معشر حاكم على الناس فرض اوجب الله والرسول اعتماده
ويستطرد السيد الى ذكر الأئمة عليهم السلام واصفاً موقفهم يوم الحشر والنشر حاملين الوية الحمد والخفاقة ومحبوهم من ورائهم شاكرون حامدون آمنون مستبشرون:

وبكم ايها الائمة في يوم
يوم تأتون واللواء عليكم
والمحبون خلفكم في امان
فاز والله في القيامة شخص
كل من لم يحبكم فهو في النا
خاب من كان مبغضاً أحداً من
ظل من يرتجى شفاعته طه

ويختتم السيد ابن شهاب قصيدته هذه بقوله:

وعليهم من الرسول سلام ليس يحصي سوى الكريم عداه
يقول السيد ابن شهاب في كتابه رشفة الصادي صفحة (١٣٧) عن قصيدته هذه
بعد ان نقل الكثير من القصائد في مدح آل البيت الطاهر من قصائد فحول الشعراء
المتقدمين والمعاصرين ما يلي:

اقول: وفيما نقلته من الابيات من النظم في هذه الوريقات، نزهة رائقة، لخواطر
المحبين، ورشفة من صبيب ذلك العذب المعين، وإشارة الى ما وراء ذلك مما مدح به
اهل البيت الاطهار، وإيماء الى ما نظم في حقهم من الشعر الذي لا تحتمله كبار
الاسفار، وجناب النبي ﷺ يسع جوائر الجميع، والمقدم الى حضرته وحضرات اهل
بيته لا يضيع، وقد اصغى عليه الصلاة والسلام الى بانث سعاد وقد كسا كعباً البردة عند
الانشاد.

* * *

الشجرة العلوية:

اهدى احد سراة العلويين للسيد ابن شهاب كتاب (الشجرة العلوية) وبعد اطلاعه عليه، كتب في الحال أبياتاً على ظهر الكتاب، نقتطف منها ما يلي:

فروع سمت بالمجد من دوحة العليا	لها الصب يصبو لا لهند ولا ميا
فاكرم بها من دوحة طاب اصلها	ومن سلسيل الوحي طاب لها السقيا
ومن حيدر اعني ابن فاطمة الذي	اذا صال لم يغلب وان قال لم يعيا
وفاطم والريحانيتين ومن جرى	من النسل جري الاصل اكرم به
جـريـا	اولئك حزب الفضل من آل هاشم
بناة العلى ليسوا عدياً ولا طيا	وعنهم حديث المجد يروى وفيهم
مواريث طه العلم والحلم والفتيا	عليهم مدار الحق بل وبهديهم
تناط امور الشرع اثباتاً او نفيا	

الحب والولاء:

الحب والولاء، والبغض والكراهية، ضدان متعاكسان لا يجتمعان، والمحـب مع من احب، والحب النقي لله تعالى يدفع بالمحب للولاء والاخلاص له والاستماتة من اجله، ومحبة الله تدفع المؤمن الى المحبة والاخلاص لنبيه رسول الرحمة ﷺ والدفاع عنه بالمال وبكل ما اوتي من قوة، ذلك هو الحب الصادق، وحب النبي ﷺ يمتزج حتماً بحب آل بيته  والى ذلك يشير السيد ابن شهاب ويقول:

حب اهل البيت قـربه	وهو اسمى الحب رتبه
ذنب من والاهم يغـ	سـله مـزن المـحبه
والذي يبغضهم لا	يسكن الايمان قلبه
علمه والنسك رجس	عسل في زرع كلبه

لمن الله عدو الآ ل إبليس وحزبه

يقول السيد حسين حامد المحضار في مؤلفه عن السيد ابن شهاب:

ان مذهب السيد ابن شهاب هو مذهب العالم المهتدي السائر على النهج النبوي على ضوء صحيح المنقول وصحيح المعقول.

النجاة

ان الايمان بالحق والدفاع عنه ومحاربة الباطل هو السبيل الوحيد الى النجاة واليه يدعو السيد ابن شهاب ويحث الجميع للتشبث بمحبة النبي محمد ﷺ المنقذ الاعظم باتباع اوامره والابتعاد عن نواهيه وانتهاج منهج النبي المصطفى ﷺ واهل بيته ﷺ والافتداء بهم وباعمالهم والسير على طريقهم وموالاتهم، وآل البيت ﷺ هم العترة الطاهرة الذين ورثوا علم النبي محمد ﷺ، وكل من سلك طريقتهم نجا من الضلال.

اذا كنت ذاعين الى المجد رامقه	ونفس الى اسمى المراتب تائه
عليك بحب المصطفى من بهديه	ودعوته نجى الجليل خلائقه
وايده بالمعجزات فاصبحت	براهينه للشرك بالحق ماحقه
وحب الوصي المرتضى حيدر الذي	له هجمات في المواقف خارقه
وتعظيمك الزهراء سيدة النسا	فليس لها منهن في الفضل لاحقه
وحب الشهيدان اللذين اعتدت على	حبتهما غلف من الدين مارقه
واولادهم حمال اسرارهم وحا	فظي الدين من كيد الفئات المفارقه
وهم كابر عن كابر قد توارثوا	غوامض علم المصطفى وحقائقه
اولئك اهل البيت والعترة الألى	بفضلهم الآي الكريمة ناطقه
وعن جدهم قد جاء ان وجودهم	امان لئلا تصبح الارض غارقه

وان محبيهم بيوم الجزاء في معيتهم اذ رايت الحمد خافقه
 ومبغضهم حشو الجحيم وهل ترى لهم مبغضاً الا القلوب المنافقه
 وكم اورد الحقاظ اخبار فضلهم بنقل ابانوا عزوه وطرائقه
 الوف من الاعلام دانوا ودونوا جلائل ما امتاز وابه ودقائقه
 بتقبيل ايديهم نوال المنى لمن له نية التعظيم للمجد سائقه
 ولكن اذا لم يرضه ابن^(١) فحبذا ودعواه حقا خلة غير لائقه
 فكن مخلصا في حبههم كي تنير في فؤادك من افق العنايةات بارقه

بنو الزهراء:

من الكتب التي ألفها السيد ابن شهاب، كتاب (رشفة الصادي من بحر فضائل بني النبي الهادي) ألفه في عنفوان شبابه، واسلوبه في هذا الكتاب اسلوب المتقدمين الذين يتخذون السجع في العبارات، طبع اول طبعة عام (١٣٠٣هـ) بالقاهرة وفيها بعض اخطاء وهنات ليست من عنده، ربما كانت متعمدة، فقد تبرأ السيد منها، فلا يخلو الأمر من ايد اثيمة تلاعبت بحذف كلمة اضاعت المعنى والمقصد وإضافة كلمة اخرى اخلت بالمعنى وعكست الواقع فاضاعت الهدف. ولم يطبع الكتاب بعد تلك الطبعة الى الآن فأصبح من الكتب النادرة.

ذكرنا في فصل خاص هذا الكتاب بعنوان (رشفة الصادي) بيّنا فيه الحقيقة وامطنا اللثام لازالة الشك من الازهان. والكتاب في مجموعه كتاب قيم، يحتاج به كثير من الباحثين والعلماء الاعلام منهم العلامة حجة الاسلام السيد شرف الدين الموسوي مؤلف كتاب النص والاجتهاد والمراجعات وغيرها من مؤلفاته الشهيرة، وكذا السيد العلامة آية الله شهاب الدين المرعشي يعتبر كتاب رشفة الصادي من الكتب المعتمدة

(١) المضاف محذوف يقدره القارئ.

المعتمد عليها، راجع رسالته المثبتة في هذا الكتاب.

أثبت السيد ابن شهاب هذه القصيدة في مقدمته لكتابه رشفة الصادي، وهي أيضاً مثبتة في ديوانه المطبوع، حيث يصف بني الزهراء بقوله:

هم الراقون في اوج الكمال	وهم اهل المعارف والمعال
وهم سفن النجاة اذا ترامت	باهل الارض امواج الضلال
امان الارض من غرق وخسف	وحصن الملة الصعب المنال
وهم في غرة الدنيا بدور	تسامت بالجميل وبالجمال
وهم ساداتنا من غير شك	فنحن عبيدهم وهم الموالي
كفى خبر الوصية انهم وال	كتاب معاً الى يوم الجدل
وان محبهم في الحشر ناج	من النيران ذات الاشتعال
بنو الحسين للثقلين شادوا	قصور المجد والرتب العوالي
بنو الزهراء افضل كل انثى	وحيدر السמידع للنزال
بنو الهادي وبضعته التي لا	تقاس لدى التفاضل بالمثال
عليهم بعد جدهم صلاة	وتسليم ورحمة ذي الجلال

الائمة:

ان الذود والدفاع عن النبي واهل بيته امر محتتم مفروض على كل فرد من المسلمين بدون استثناء، فالنبي والائمة هم خلاصة الخلاصة، والائمة هم الآخذون ارث الرسول بالتلقي والاجازة، يروون الاحاديث النبوية عن اب وجد مسلسلة الى النبي محمد ﷺ، تلك الاحاديث التي يطلق عليها اسم السلسلة الذهبية، وبهذا يحث السيد ابن شهاب كل مسلم على موالة النبي محمد ﷺ وآل بيته ﺍﻟﻤﺘﺒﻴﻦ فيقول:

لُدْ بالنبي وبالأئمة من بني علوي الغر الهداة الحائر

فهم الخلاصة من سلاله احمد
والآخذو إرث الرسول اجازة
والمقتفون سبيله قَدَمًا على
حتى انتهى سر النبي مسلسلاً
يروون عن آبائهم عن جدهم
وهم بحور العلم فاض اذيتها^(١)
تحیی بها موتی القلوب ولم تزل
بمعارف وعوارف ولطائف
ومواهب ومناقب ومراتب
وبدا هناك من الحقيقة حقها
بمشاهد تصفو لكل مجاهد
ومدارك ومناسك ومسالك
وبذلك امتزج امتزاج الراح بال
فاسلك سبيلهم وزرهم والتزم
ثم الصلاة على النبي وآله

ومعين فياض الندى المتواتر
وتلقيا من كابر عن كابر
قدم الى القدم الشريف الطاهر
فيهم الى اهل الزمان الحاضر
عن جبرئيل عن العزيز الفاطر
من ذلك البحر المحيط الزاخر
تسقي حدائق كل قلب عامر
وعواطف من ذي الجلال الغافر
وغرائب وعجائب للناظر
في سرّ سير باطن عن ظاهر
وموارد عذبت لكل موازر
للقوم لم تسلك لغير الضامر
ماء الاوائل منهم بالآخر
شرط التأدب في وقوف الزائر
والصحب ماهب النسيم الحاجري

(١) اي موجهها.

كيف الخلاص؟

ان الاسراع للتوبة والاعتراف بالخطيئة هو المسلك السوي للعودة الى الصراط المستقيم لكسب رضا الله الغفور الرحيم، والى هذا الموضوع يشير السيد ابن شهاب في قصيدة طويلة نقتطف منها ما يلي:

حتى متى الرجعى الى الغفار والى متى التسويف بالاعذار
وعلام تحجم ان تتوب فينمحي درن الذنوب بماء الاستغفار
كيف الخلاص وما الوسيلة للنج اة سوى الحبيب المصطفى المختار
ويختتم السيد قصيدته الطويلة هذه بهذه الابيات:

وارفع اذى متمردي جيرانها ال غاوين واقطع شأفة الاشرار
وعليك بعد المصطفى واخيه وال زهراء والحسين صلي الباري
والعتره الاطهار اقمار السرى ومهاجري الاصحاب والانصار

الامام جعفر الصادق عليه السلام:

يقول العلامة السيد محمد بن عقيل صاحب المؤلفات ما يلي: احتج الستة في صحاحهم بجعفر الصادق عليه السلام الا البخاري فكأنه اغتر بما بلغه عن ابن سعد وابن عياش وابن القطان في حقه على انه احتج بمن قدمنا ذكرهم (اي بعض شياطين النواصب ومنافقيهم) وهنا يتحير العاقل ولا يدري بماذا يعتذر عن البخاري.

ويقول السيد ابن عقيل في كتابه العتب الجميل على اهل الجرح والتعديل، المطبوع في صيدا - لبنان عام ١٩٤٢ في صفحة ٣٣ ما يلي:
وقول القطان آنفا في الامام جعفر الصادق عليه السلام: «ومجالد احب الي منه»

كلمة جافة مؤذية، ومجالد بعينه هو مجالد بن سعيد الهمداني وقد ذكره في تهذيب التهذيب وذكر مقالاتهم، ومنه تعلم في اي درك انزلوا عالم اهل البيت الطاهر، والله المستعان.

واسمع الآن ما يقوله السيد ابن شهاب:

قضية اشبه بالمرزئه	هذا البخاري امام الفئه
بالصادق الصديق ما احتج في	صحيحه واحتج بالمرجئه
ومثل عمران بن حطان او	مروان وابن المرأة المخطئه
مشكلة ذات عوار الى	حيرة ارباب النهى ملجئه
وحق بيت يممته الورى	مغدة في السير او مبطئه
انّ الإمام الصادق المجتبى	بفضله الآي أتت منبئه
اجل من في عصره رتبة	لم يقترف في عمره سيئه
قلامة من ظفر ابهامه	تعدل من مثل البخاري مئه

ان كراهية وبغض آل البيت عليه السلام داء وبيل اجتث القلوب السقيمة، والنفوس المريضة ينبعث نتنها بدون شعور المرء المبغض مهما حاول إخفائه، وكل اناء بما فيه ينضح.

القصائد التي اوصى بها:

للسيد ابن شهاب قصائد كثيرة لا تحصى، فهو المعروف بالشاعر المكثّر في انشاء القصائد الطويلة، وقد يرتجل القصائد في المناسبات، وجل قصائده من النوع الجيد والممتاز، ولا تمر عليه مناسبة دون ان يقول شعراً، حتى قيل عنه الشاعر المكثّر والشاعر القصصي. وما جمع في ديوانه هو الجزء اليسير مما استطاع جمعه القائلون

بطبعه في اندونيسيا. مع ان مركز عمله ومكتبته كان في حيدر آباد بالهند. جل اشعاره متفرق هنا وهناك، لم يعتن بها كما لم يهتم بها غيره. ما عدا القصائد التي اوصى بها، فهي متداولة بين الأيدي وله مراسلات نثراً وشعراً كان يبعثها الى زملائه ولم تكن لديه مسوداتها، فان وجدت فلدى المرسل اليه اذا كان ممن يحتفظون بالرسائل، لان العصر الذي عاش فيه لم تكن معروفة فيه اساليب نقل الرسائل وحفظها وطبعها بالآلات الحديثة.

القصائد التي احتفظ بها السيد هي قصائد قيلت بمجموعها في آل البيت النبوي الطاهر مدحاً أو رثاء، جمعها ورتبها واوصى بنشرها ولا تزيد عن خمس وعشرين قصيدة.

إننا نقدر جهود القائمين على جمع ما يمكن جمعه من تلك القصائد المتناثرة والمتفرقة في وقت قصير بعد وفاة المرحوم مباشرة حفظاً لثرائه من الضياع. ولو لا ما بذلوه من جهد لما طبع الديوان ولضاعت القصائد كما ضاعت سابقتها.

من القصائد المفقودة التي لم نعثر عليها قصائده الارتقيات من حرف الطاء الى حرف الياء ومجموعها اثنتا عشرة قصيدة، وهي من روائع قصائده. أما الارتقيات من الالف الى الطاء فهي مثبتة في الديوان ومجموعها ست عشرة قصيدة، كلها تتسم بسمو المعنى ومتانة التركيب وسلاسة الاسلوب على منوال ما هو مثبت. ارجو ان يجدها الغير في وقت لاحق لتضاف وتكمل ما نقص حتى تتم الارتقيات كما نظمها السيد وكذا بعض قصائده الاخرى التي لا تزال مفقودة ومجهولة المصير. وما وجدنا منها فقد الحقناه بقصائده واشرنا إليه.

هذه هي القصائد التي اوصى بها للنشر مستهلاً إياها بقصيدة في مدح النبي

المصطفى خير البشر محمد ﷺ، وعدد ابياتها بيتان ومئة وهي مليئة بالحنو والعاطفة والشوق له ملتصقاً فضله وفيض بركاته العميمة، جاءه زائراً مسلماً تائباً مقدماً شكواه فجاشت نفسه بكل ما يكنه قلبه من آلام من معاكسة بني قومه ومعاناته اذاهم وعداوتهم له، فقد نفذ صبره وضاق صدره راجياً من الله النصر. وقد شرح القصيدة وعلق عليها تعليقا وافياً لغة وتأريخاً، اخي المؤرخ الباحثة السيد محمد ضياء شهاب فجاء بمجلد ضخم لا يزال مخطوطاً.

لذي سلم

القصيدة الاولى الغراء في مدح سيد الاصفياء عليه السلام:

لذي سلم والبان لولاك لم أهوا
ولولاك ما انهلت على الخد ادمعي
فانت الحبيب الواجب الحب والذي
وانت الذي لم أصب الا لحسنه
وحيث اتخذت القلب مثوىً ومنزلاً
أورّي اذا شبيب يا ظبي حاجر
واني وان نلت المني منك نازحاً
أبي الحب الا أن أذوب صباة
تحملت أثقالاً بها أطّ كاهلي
وبي بين أحناء الضلوع لو اعج
إلام احتمالي بالنوى مضض الهوى
شكلت حياتي أن أقمت ولم أقد
خليلي من فھر أجيباً منادياً
وكونا لدى الترحال والخط رفقة

ولا ازددت من سلع وجيرانه شجوا
لتذكّار ما الروحاء تحويه من احوى^(١)
سريرة قلبي دائماً عنه لا تطوى
ولم يله عن ذكره سري ولو سهوا
ففتشه وانظر سيدي صحة الدعوى
بزينب او سلمى وانت الذي تنوى
على البعد عن مغناك مولاي لا أقوى
وغصن شباي كاد للبين ان يذوى
من الشوق لا يقوى على حملها رضوى^(٢)
تنادر في الاحشاء جمر الغضا حشوا
وحتاماً أفلاذي بنار الجوى تشوى^(٣)
مطية عزمي نحو منزل من اهوى
الى الفوز يدعو لا للبنى ولا علوى
لنضو اشتياق يمتطي للسرى نضوا^(٤)

(١) الروحاء: موضع قرب المدينة.

(٢) يقال: أطّ البعير اذا أنّ تعباً أو حنيناً، فاستعاره هنا للكاهل.

(٣) مضض الهوى: ألمه.

(٤) النضو: المهزول من الابل وغيرها.

فياحبذا ازماعنا السير ترتمي بنا
 بإرقالها نرمي الفجاج ونقطع الـ
 ونهوى بها ولاشوق يحدو قلوبنا
 وما الغاية القصوى سوى المنزل الذي
 حاب بها القرآن والوحي نازل
 بلاد بها خير البرية ضارب
 مدينة خير المرسلين وخاتم النبـ
 حبيب إله العرش مأمونه الذي
 نبي براه الله من نور وجهه
 وابرزه من خير بيت أرومة
 لآباء مجد ينتمي ولأممها
 وبانت لدى ميلاده ورضاعه
 ومنذ نشأ لم يصب قط ولم يزغ
 الى أن أتاه الوحي بالبعثة التي
 فأضحت به الاكوان تزهو وتزدهي
 واسرى به الرحمن من بطن مكة
 فقدمه الرسل الكرام وهل ترى
 وزج به الروح يخدمه الى
 الى الملاء الاعلى الى الحضرة التي

اليعملات السهل والشقة الشجوا^(١)
 هضاب ونطوي في سرانابها الدوا^(٢)
 مجدين حتى نبلغ الغاية القصوى
 لحصبائه العيوق يغبط والعوا
 وجبريل في أرجائها ينشر الألوا
 سرادقه واختارها الدار والمثوى
 بين والهادي الى الاقنوم الاقوى
 بغرته في الجذب تستمطر الانوا
 وأوجد منه الكون جلّ الذي سوى
 وأظهره ذاتاً واشرفه عزوا^(٣)
 ت عزنجيات الى امنا حوا
 براهين آي لا ترد لها دعوى
 ولم يأت محظوراً ولم يحضر اللهوا
 برحمتها عم الحضارة والبدوا
 ولا بدع ان تاهت سروراً ولا غروا
 الى القدس يختال البراق به زهوا
 لبكر العلا غير ابن آمنة كفوا
 طباق السما والحجب من دونه تطوى
 بها ربه ناجاه يا لك من نجوى

(١) الشجواء: الصعبة.

(٢) الدوّ: الفلاة.

(٣) عزاه الى كذا عزواً: نسبته، وعزا هو اليه: انتسب، فقلوله: عزواً أي انتساباً.

فأولاه ما أولاه فضلاً ومنته
وفي النزلة الاخرى تجلى إلهه
فما كان أزهى ليلة قد سرى بها
فأكرم بمن أضحى بمكة داعياً
أتى وظلام الشرك مرخ سدوله
فما زال يدعوهم بحكمة ربه
واصبح يتلو سيد الكتب بينهم
فأعجز أرباب البيان بديعه
تنبئهم عن كل علم سطوره
فصدقه أهل السوابق والألئ
وكذبه قوم عن الحق قد عموا
فسفه أحلام المشايخ منهم
فهاجر من بطحاء مكة سارياً
فما راعهم الا الصباح وأن رأوا
وأم مع الصديق أكالة القرى
فشرف إذ وافى منازل طيبة
وألقي عصا التسيار إذ أحسنوا له
وفيها فشا الاسلام وانبجست بها
وناصره الانصار فيها وآمنوا
وقاتل من لم يدخل الدين طائعاً

وأشهده بالعين ما جل ان يروى
لدى سدره من دونها جنة المأوى
وعاد ولما تبد من فجرها الأضوا
وأمسى الى عرش المهيم مدعواً
وبالناس عن نهج الرشاد عمى أروى^(١)
الى اليمن والايمان والبر والتقوى
فيالك من تال ويالك متلوا
وأخسرهم رغماً والغى به اللغوا
وتخبرهم بالغيب من آيه الفحوى
أتيح لهم أن يشربوا كاسه صفوا
وصموا بإعجاب النفوس وبالطغوا
وآذوه لماعاب دينهم الالوى
وباتت عيون القوم عن نوره عشوا
على رأس كل منهم الترب محثوا
تلين له الشجوا وتطوى له الفجوا^(٢)
وسكانها والترب والماء والجوا
وللمؤمنين الاوس والخزرج المأوى
عيون الهدى والحق وانزاحت الأسوا
به وارعووا عن جهلهم أحسن الرعوى
وشن على اعدائه الغارة الشعوا

(١) اسم امرأة بالمدينة حلفت كاذبة فدعا عليها سعيد بن زيد الذي اقتطعت ارضه بيمينها فعميت ف ضرب المثل بها.

(٢) أكالة القرى هي المدينة، والشجواء: الصعبة، والفجاء: ما اتسع من الأرض، ويُقصران ضرورة للشعر.

وفرق شمل المشركين بعزمه
وقاد اليهم جحفاً بعد جحفل
يصبّحهم من صحبه بفوارس
يخوضون لج الهول علماً بأن من
مآثر تروى عن حنين وخير
ولم لا وهم في نصر من سيح الحصى
وكلمه ضب الفلاة وسلمت
وحن اليه الجذع شوقاً وإننا
فأى فؤاد لم يهم في وداده
ولما شكوا العافون ما حل عندما
دعا فاستهل الغيث سبعاً بصيب
فأينعت الاثمار فيها وأخرجت
وعم العباد الخصب وانجاب عنهم
أتى ناسخاً دين اليهود وشرعة الـ
فما لغلاة السبت أبدوا جحوده
وما للنصارى انكروا بعته الذي
فبعداً لكم أهل الكتابين إنكم
ولا بدع ان يرضى العمى بالهدى من ار

ثباتٍ فما اسطاعوا لتمزيقه رفوا^(١)
ووالى عليهم في ديارهم الغزوا
يرون مذاق الموت ان جالدوا حلوا
نجا من حتوف الحرب تقتله الادوا
وعن أحد والفتح والعدوة القصوى
بكفيه والاشجار جاءت له حبوا
عليه ولانت تحت اخمصه الصفوا^(٢)
من الجذع اولى ان نحن وان نجوى^(٣)
وأية نفس لا تزال به نشوى
بأنيا بها عضتهم السنة السنوا^(٤)
مريع سقى سفلى المنابت والعلوا
غشاء من المرعى لأنعامهم أحوى
بدعوته البأساء والقحط واللاؤا
نصارى وأحيا بالحنيفية الفتوى
عناداً وفي التوراة أنباؤه تروى
بأخباره الإنجيل قد جاء مملوا
ظللتم على علم وآثرتم الأهوا
تضى القوم والقشاء بالمن والسلوى

(١) رفا الثوب رفواً: أصلحه.

(٢) الصفواء: الحجر الضخم الصلب.

(٣) جوي جوى: حزن.

(٤) سنة سنواء: شديدة.

ومن يبتغ التثليث ديناً فلن ترى
ولو أنهم دانوا بدين محمد
ألا يا رسول الله يا من بنوره
ويا خير من شدت اليه الرحال من
اليك اعتذاري عن تأخر رحلتي
على أن خمر الشوق خامرني فلم
وإنني لتعروني لذكراك هزة
وما غير سوء الحظ عنك يعوقني
وها أنا قد وافيت للروضة التي
وقفت بذلي زائراً ومسلماً
صلاة وتسليم على روحك التي
عليك سلام الله يا من بجاهه
عليك سلام الله يا من توجهت
عليك سلام الله يا سيداً سرت
سلام على القبر الذي قد حللته
اليك ابن عبدالله وافيت مثقلاً
غفلت عن الاخرى وأهملت امرها
ومنك رسول الله ارجو شفاعته
ولي في عريض الجاه آمال فائز

له أذننا للحق واعية خذوا^(١)
وملته لاستوجبوا العز والبأوا^(٢)
وطلعت يستدفع السوء والبلوى
عميق فجاج الارض تلتمس الجدوى
الى سوحك المملو عمن جنى عفوا
يدع في عرقا لا يحن ولاعضوا
كما أخذت سلمان من ذكرك العروا
ولكنني احسنت في جودك الرجوا
بها نير الايمان ما انفك مجلوا
عليك سلام الخاضع الرافع الشكوى
اليها جميع الفخر أصبح معزواً
ينال من الآمال ما كان مرجوا
الى سوحه الركبان تطوي الفلا عدوا
بهيكله العضباء ترفل والقصوا^(٣)
فأضحى بأنوار الجلالة مكسوا
بأوزار عمر مر معظمه لهوا
وطاوعت غي النفس في زمن الغلوا^(٤)
تغادر مسودّ الصحائف ممحوا
بما رامه من فيض فضلك مبدوا

(١) اذن خذوا أي خفيفة السمع.

(٢) البأو: الفخر.

(٣) العضباء والقصواء: اسمان لثاقتيه ﷺ.

(٤) الغلواء، وتسكن اللام: اول الشباب.

ومن سرك ابذر في فؤادي ذرة
على عتبات الفضل انزلت حاجتي
وقد صح لي منك انتماء ونسبة
وانت الذي تؤوي النزيل وتكرم الـ
وقد مسني من اهل بيتي وبلدتي
فكن منصفني فالصبر ضاق نطاقه
وقابل باللطاف القبول مديحة
بمدحك تزهو لا برونق لفظها
الشأوا^(١)

من الكوثر المورد كأساً بها يروي
من المزن فاخضلت بجناته الجنوى
تفوح بها في الكون رائحة الغلوى^(٢)
وصحبك والاتباع في السر والنجوى

لأرجع بالعلم اللدني محبوا
وتالله لا يمسي نزيلك مجفوا
اليك لسان الطعن من دونها يكوى
سليل وترعى الجار والصهر والحموا
اذى وكثير منهم اكثروا العدوا
وخذلي بحقي يا بن ساكنة الأبوا
مبرأة عن وصمة اللحن والاقوا
وترجو على الاتراب ان تدرك
تؤمل ان يسقى محررها غداً
وصلى عليك الله ما انهل صيب
صلاة كما ترضى معطرة الشذا
ويسري الى أرواح آلك سرها

(١) الشأوا: السبق.

(٢) الغلوى: الغالية، وهي ضرب من الطيب.

سيد الكائنات

القصيدة الثانية بموجب ترتيب فقيدنا الشاعر في مدح سيد الكائنات النبي
الاعظم محمد ﷺ. تمتاز هذه المديحة الفريدة بكونها مهملة الحروف اي أنها خالية من
الحروف المنقطعة. ليس من السهل كتابة صفحة واحدة نثراً بالحروف المهملة فكيف اذا
كانت شعراً موزوناً ومقفى؟

تتكون هذه القصيدة من ٤١ بيتاً، بينما يعجز البعض عن انشاء عدة ابيات
بالحروف المهملة، وهذا نوع من تفنن وقدرة شاعرنا ونبوغه في الشعر والادب.

ساد رسل الله طه احمد	مصدر الكل له والمورد
هو روح الله والامر ومع	للوله العالم وهو المدد
كامل لما سرى الهمة	علم ما اللوح حواه الصمد
للورى هادٍ وللأملاك وال	ملاً الاعلى الامام الاوحد
وله الكرار رداء حامل	علم الاسلام وهو الامرد
صهره المملوء علماً صدره	وله العم الهمام الاسد
وعلى الاعداء حسام صارم	سله الله ورمح املد
والظهور الظهر لو لا حلمها	لدهى الاسلام هول اسود
وعلى كل اماء الله ط	را لها والله صح السؤدد
واماما العدل ما ودهما	وله الحمراء مأوى احد ^(١)

(١) يقصد الشاعر بكلمة الحمراء النار.

ولدا الحوراء مريحى لهما
حاملا الاسرار ما ساءهما
علما علم على مسطور ام
لا رعى الله الألى عادوا رسو
اسلموا طوعاً وكرهاً ورأوا
هم اولو ارحامه لارحموا
وعلى حل عرى الاسلام والس
صرموا العهد أسالوا دم او
عاملو السوء لهم ما عملوا
واصل الله على اهل الكسا
هم لعمر الله اعلام العلى
ملأوا الامصار علماً واسعاً
كم أمالٍ حرروها ومعا
وحسود ساءهم ضمّ صدا
كرم الاصل الى الأولاد سا
وسرى الاولاد مسرى الاصل حا
مدحهم والطور والمسطور وال
سُورَ محكمها كالدهر وال
ظهروا والإصر ممحو كما
كل راء سامع والاهم

معصم المعصوم مهد امهد^(١)
ساء طه والصراط الموعد
رهما صال العدو الملحد
ل الهدى لولا هواهم لهدوا
عودهم اولى الى ما عودوا
مكرهم ارداهم والحسد
لم مرداً وكهولاً مردوا
لاده والآل طرراً هددوا
ولهم حر السموم الموصد
ء سلاماً وعلى ما ولدوا
وهم أس الهدى والعمد
وله أعلى عماد اظدوا
ل محال حصرها والعدد
ه واصماه الاسى والكمد^(٢)
ر ولو طال المدى والامد
ل محل لهم ما وعدوا
حرم المعمور اوحى الاحد
حمد اطراء لهم مطرد
حكم الله الممد المسعد
ولوى الرأس الاصم الارمد

(١) كلمة مدح يقال للرامي المصيب.

(٢) يقال: أصم الله صده اي اهلكه.

مرسلو دمعههم مهما دَعَوَا	سحرّاً او هللوا او حمدوا
ولهم درس كلام الحكم الـ	عدل راح والمصلى المعهد
حرم الله على الحمراء لحـ	مهم مهما سواهم وردوا
كرم الواسع لا ما عملوا	ومراد الله لا ما حصدا
معهم حول لواء الحمد كـ	ل موالٍ وعداهم طردوا
كلما امّ حماهم آمل	حصل السعد له والسدد
أصلح اللهم اكراماً لهم	كل حام ومحام وخدوا
واعد رحماك للاسلام حو	لأً وطولاً وسمواً عهدوا
وكد الاعداء واردهم حسـ	ارى اسارى عمدوا أو هودوا
وعلى اهل الكساء الله صـ	لى دواماً والسلام السرمد
ما دعا داع وما ساع سعى	وحدا حاد وصاح الهدهد

الامام علي بن ابي طالب عليه السلام

بعد مدحه سيد المرسلين، سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد ﷺ، تأتي مباشرة بالترتيب الموصى به هذه القصيدة العصماء وهي مرثية في مولانا امير المؤمنين وامام المتقين سيدنا علي بن ابي طالب عليه السلام بموجب امره في حياته وترتيبه بدون فاصل بعد النبي محمد ﷺ، ومن هنا يتضح كل الوضوح ما يذهب اليه.

انشاء هذه المرثية في ٢١ من شهر رمضان المعظم عام ١٣٠٦ هـ بمناسبة ذكرى استشهاد امير المؤمنين الامام علي عليه السلام، وتقرأ هذه القصيدة سنوياً من هذا الشهر في مجالس خاصة لمحبي آل البيت ومواليهم.

انشأ هذه المرثية بروحه المتأثرة واحساسه المنكسرة، تتفجر منه الآلام والاحزان من ثنايا كل كلمة من الكلمات. ومن مطلع المرثية يظهر منتهى تأثره العميق من الفاجعة، ألمته وتوجع منها ثم حث على لبس السواد ونثر الدموع وشق الاقيبة لهذا المصاب الأليم. والسيد ابن شهاب لا يصانع ولا يجامل اذ يقول بوضوح في اعداء آل البيت عليه السلام ومخالفهم من النواصب:

وتباً لقوم خالفوك وزخرفوا لاشياهم زوراً من القول منكرا
وتباً لمن والاهم وارتضاهم أئمتهم في الدين يا بئس ما اشترى
وصب عليهم ربهم سوط نقمة وجرعهم طين الخبال وتبرا
ثم يقول باعتزاز وافتخار بعقيدته ومبدأه انه من الموالين للامام علي عليه السلام يحب من احبه ويعادي من عاداه:

نوالي مواليكم ونقلي عدوكم ونجتث عرق النصب ممن به اجتري

وهذه هي القصيدة كاملة:

قفا وانثرا دمعاً على الترب احمر
ولا تجعللا غير السواد ولبسه
ولا تألوا جهداً عن النوح والطما
وما النوح مجد في الخطوب وإنما
وما كل خطب يخلق الدهر حزنه
ألم تريا ما في قلوب أولي التقى
إذا مضت العشرون من رمضان
مصاب به الايمان اضحى مكبلاً
بضربة اشقى الآخرين ابن ملجم
دم لو مزجت البحر منه بقطرة
فيا ضربة اهوت بضاربها ومن
ويا ضربة عنها الامين ابن عمه
فجاء لها ليث الكتائب موقناً
ولم يلتفت اذ ناحت الوز دونه
هو الحين لكن حكمة الله اشقت الـ
والا فما قدر الخبيث اللعين ان
بسبق القضا نالت يد الكاب هامة
فآه على ضو النبي وصهره
وأعلم اهل الارض بعد ابن عمه
واولهم من حوض الايمان مشرباً
واضربهم للهام في حومة الوغى

وشقا لعظم الخطب اقبية الكرى
شعاراً لتذكار المصاب الذي جرى
صدوراً بها الايمان اثرى واثمرا
يخفف من نيرانها ما تسعرا
وينسخه كر الجديدين مذعرا
لفقد وصي المصطفى سيد الورى
تصدع فيها كل قلب تذكرا
وامسى به الاسلام منهدم الذرى
دم الراس فوق العارضين تحدرا
لاصبح مسكاً ذلك البحر اذفرا
يواليه في الكفر الصريح الى الثرى
بصادق وحى الله نبأ وخبرا
بها لم يشب ايقانه دونها امترى
ليمضي أمرا في الكتاب مقدرا
مرادي وخصت بالشهادة حيدرا
يساور بازاً او يصاول قسورا
تهاب شبا اسياؤها اسد الشرى
وثانيه ايام التحنث في حرا
واعظمهم جوداً ومجداً ومفخرا
وارفعهم في محف الزهد منبرا
إذا از قدر الحرب كر وكبرا

اذا قارع الابطال ظلت نفوسهم
 الا يا امير المؤمنين وسيد ال
 عليك سلام الله يا من بهديه
 وتباً لقوم خالفوك وزخرفوا
 وتباً لمن والاهم وارتضاهم
 لئن ظفروا من هذه الدار بالذي
 وبعذك جاءت ذات ودقين يا ابا
 دماء بنيك الغرّ طلت وبدلت
 لقد عم كرب الدين في كربلاء اذ
 على حين قرب العهد بالوحي اصبحت
 ومن دونه العباس خرّ مجندلاً
 ولا بدع ان نالوا الشهادة بل لهم
 لتذكّار ذاك اليوم فليبك كل ذي
 فكم ماجد من آل بيت محمد
 ومن لس الاقينة او حظيّة
 ضغائن في سود الكلاب أمية
 مواليّد سوء حاربوا الله عنوة
 على ظالمي آل الرسول صواعق
 على ظالمي آل الرسول وهم هم
 وصب عليهم ربهم سوط نقمة
 الا يا ذوي المختار انا عصابة
 ترّدّد بين الاسر والقتل مهذرا
 ممنيّين أن جن الدجى وتعكرا
 تبلجت الانوار والحق اسفرا
 لأشباعهم زوراً من القول منكرا
 ائتمته في الدين يا بئس ما اشترى
 أرادوا فإن المرء يحصد ما ذرا
 تراب وجاءت بعد ام حبوكرى
 حفيظة قرباهم عقوقاً مكفرا
 بتربتها امسى الحسين معفرا
 موثيق طه فيه محلولة العرى
 فيا لأخ والى فاودى فاعذرا
 بيحيى وعيسى اسوة بالذي جرى
 فؤاد به خط السعادة سطرأ
 تحكم فيهم نابذو الدين بالعرا
 قصاراه او عوداً وخمراً وميسرا
 اكنّت بها من بدر الغدر مضمرا
 وفي الارض عاثوا مفسدين تحبرا
 من اللعن ما لبى الحجيج وكبرا
 شآبيب لعن كلما بارق شرا
 وجرّعهم طين الخبال وتبرا
 نمت اليكم بالولادة والقرا^(١)

(١) يريد والقراءة.

نوالي موالیکم ونقلي عدوكم
ويا ليتنا في يوم صفين والذي
ونشرب بالكاس الذي تشربونه
بني المصطفى طبتم وطاب ثنائکم
فلا زلت مهما عشت ابكي علیکم
ودونکم عذراء نظم بکم زهت
ونجت عرق النصب ممن به اجترى
يليه شهدنا كي نفوز ونظفرا
فاما واما او نموت فنعذرا
رثاء ومدحاً بالبدیع محبرا
وانظم دراً من ثناکم وجوها
يحق له اوالله ان تتبخترا

النبأ اليقين

القصيدة المسلسلة الرابعة من الترتيب، في مدح امير المؤمنين الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام وسماها «النبأ اليقين في مدح امير المؤمنين»، وعدد ابياتها (١١٠) أبيات وهي من القصائد المطولة، وعدد ابيات هذه القصيدة كعدد اسم الممدوح، انشأ هذه المديحة في عام ١٣٣٠هـ تقرأ هذه القصيدة في شتى المناسبات. ويقول السيد ابن شهاب ان الناس مهما بلغوا ما بلغوا من سمو المكانة فانهم مقتدون بالامام علي عليه السلام مصداقاً لقول الرسول الاعظم نبينا محمد صلى الله عليه وآله «علي مع الحق، والحق مع علي» وقول الامام علي عليه السلام: «سلوني قبل ان تفقدوني» والسيد ابن شهاب يقول:

مذهبي مذهب الوصي ابي السب — طين، فالحق دائر حيث دارا
وفي معنى ان الناس اتباع للامام علي عليه السلام يقول السيد ابن شهاب ملخصاً آياه في هذا البيت:

فكل امرئ من سابقى امة الهدى وان جل قدراً مقتدٍ بغلامها
ثم يستطرد ويقول:

ولا سيف الا ذو الفقار ولا فتى سوى المرتضى جاءت بصدق حدامها
يسرد السيد ابن شهاب ويصف فضائل الامام علي عليه السلام وجهاده جنباً لجنب مع النبي لتعزيز مكانة الاسلام مفادياً بنفسه وروحه.. يبارز اعداء الاسلام كمبارزته لعمر بن ود يوم الخندق حيث احجم الغير واعرضوا عن دعوة الرسول، ولبي الامام وحده.
يقول السيد ابن شهاب:

وعمر ابن ود يوم اقحم طرفه مدى هوة لم يخش عقبى ارتظامها

دنا ثم نادى القوم هل من مبارز ومن لسبنتي^(١) عامر وهمامها
تحدى كماء المسلمين، فلم تجب كأن الكماء استغرقت في نيامها
فناجزه من لا يروع جنانه اذا اشتبت الهيجاء لفح ضرامها
وعاجله من ذي الفقار بضربة بها اذنت انفاسه بانصرامها
وكم غيرها من غمة كان عضبه مبدد غماها وجالي قتامها^(٢)

ذكرني هذا الوصف بما قاله شاعر آل البيت عليه السلام الاستاذ محمد كاظم الازري
البغدادي في قصيدته المشهورة بالشمسية في مدح النبي محمد صلى الله عليه وآله وآل بيته عليهم السلام.
وقيل ما مدح النبي محمد وآل بيته بمثل القصيدة الشمسية، وقد خمسها كثير من فحول
الشعراء القدماء والمعاصرين. يقول الازري في قصيدته الشمسية عن وقعة الخندق
ومبارزة الامام علي عليه السلام ابن ود:

ظهرت منه في الوغى سطوات ما اتى القوم كلهم ما اتاها
يوم غصت بجيش عمرو بن ود لهوات الفلا وضاق فضاها
وتخطى الى المدينة فرداً لا يخاف العدى ولا يخشاها
فدعاهم وهم الوف ولكن ينظرون الذي يشب لظاها
اين انتم من قسور عامري تختشي الاسد بأسها في شراها
فابتدى المصطفى يحدث عما يؤجر الصابرون في اخراها
قائلاً ان للجليل جناناً ليس غير المجاهدين يراها
من لعصر وقد ضمنت على الله له من جناته اعلاها
فالتوا عن جوابه كسوام لا تراها مجيبة من دعاها
واذا هم بفارس قرشي ترجف الارض خيفة ان يطاها

(١) السبنتى: الجريء.

(٢) القتام هو الغبار.

قائلاً ما لها سواي كفيل هذه ذمة علي وفاها
ومشى يطلب البراز كما تم شي خماص الحشى الى مرعاها
فاتتضى مشرفيه فتلقى ساق عمرو بضربة فبراها
والى الحشر رنة السيف منه يملأ الخافقين رجع صداها
يا لها ضربة حوت مكرمات لم يزن ثقل اجرها ثقلها
هذه من علاه احدى المعالي وعلى هذه فقس ما سواها
هذا ما اردنا نقله من القصيدة الشمسية للازري.

استرسل السيد ابن شهاب في مديحته (النبأ اليقين) في وصف الوقائع وجهاد
الامام علي عليه السلام الذي ثبت فيها حيث هروا الآخرون فارين مدبرين جزعين ثم تطرق
الى ذكر البيعة في غدير خم التاريخي، وما جرى فيها من خطبة النبي محمد ﷺ لبيعة
الإمام واختتم قصيدته المديحية بقوله:

وأزكى صلاة بالجلال تنزلت من المنظر الأعلى وأزكى سلامها
على المصطفى والمرضى ما ترنمت على عذبات البان ورق حمامها
وفاطمة الطهر التي المجد كله محيط بها من خلفها وامامها
وسبطي رسول الله ريحانيه وال أئمة من اعقابه وختامها
قلنا: ان السيد ابن شهاب رجل واضح الى ابعد الحدود لا يمالئ ولا يتزلف، بل
يحارب التزلف والتفاق بشدة.

وهذه قصيدة النبأ اليقين في مدح امير المؤمنين كاملة:

خذوا الحذر ان تطوفوا بخيامها وان تجهروا يوماً برد سلامها
واياكم ان تنعتوها وتعلنوا محاسن يقضي حبها باكتتامها
فعنها وعن خلع العذار بعشقتها عواذل تخفي الغل تحت ابتسامها
يحاولن غصاً من كرامة قدرها ويلحظن شراً من قضى في هيامها

يلاطفن من لم يصب نحو جمالها
 دعوهن في عشوائهن وعرضوا
 ولا تنكروا اطراء ضراتها وقوا
 وعن غمرات الحب كونوا بمعزل
 ولا تقتدوا بي حيث اقدمت انني
 ذروني وشأني واقبلوا النصح واطبعوا
 فليس لكم عزمي وبأسي ونجدتي
 ساحمل نفسي في هوى عادة النقا
 واجري جيادي بين عشاق حسنها
 واصمي غوي العاذلات بثاقب
 وخير لنفسي خوضها حومة الوغى
 منازل سلمى وجهتي وهي كعبتي
 ينازعها في امرة الحسن نسوة
 افيهن كلاً من صباحة وجهها
 فما السحر الا من سقيم جفونها
 اليها صبا اهل البصائر والنهى
 واسعدهم حظاً بها من لصدقه
 وقد علمت ان ليس غيري من الألى
 تجرعت مر الصاب صوناً لعهدا
 محاسنها الغراء عين محاسن الـ
 علي اخي المختار ناصر دينه
 واعلم اهل الدين بعد ابن عمه

ويغمرن من لبي دعاة غرامها
 بسلوانها واصغوا لدعوى اتهامها
 نفوسكم من ثلبها وانثلامها
 قصي ولا تستهدفوا لسهامها
 خبير باخطار الهوى واقتحامها
 على جبهات الذل عارا هتضامها
 واهدار روعي في مرامي مرامها
 على الصعب ركضاً او تسام لسامها
 الى ان ارى قدحي معلى استهامها
 من الشهب حتى تنزوي في كمامها
 لمرضاتها من بردها وسلامها
 ارى الفوز في تقبيلها واستلامها
 واين خزامى رامة من ثمامها
 مشابهة او من قناة قوامها
 وما السكر الا من مروّق جامها
 ومن خبروا خذم الطُّبا من كهامها
 اذا زارها منت برفع لثامها
 بها شغفوا كُفّاً لعالي مقامها
 وحفظ موثيق الهوى وذمامها
 وصي قريع الحرب حال احتدامها
 وملته يعسوبها وامامها
 بأحكامه من حلها وحرامها

واوسعهم حلماً واعظمهم تقىً
وأولهم وهو الصبي اجابة
فكل امرئ من سابقى امة الهدى
ابى الحسن الكرار فى كل ماقط
فتى سمته سمت النبى وما انتقى
فدت نفسه نفس الرسول بليلة
تعاهد فيها المشركون وأجمعوا
على الفتك بالذات الشريفة غيلة
فبات على فى فراش محمد
لعمرى هل تدري بأن أمامها
له فتكات يوم بدر بها انثنت
تذوب على اهل القلبى قلوبها
سقى عتبة كأس الحتوف وجرع الـ
وفى أحد أبلى تجاه ابن عمه
بعزم سماوى ونفس تعودت
اذاق الردى فيها ابن عثمان طلحة
وفى لعمرى جاء جبرئيل شاكرًا
ولا سيف الا ذوالفقار ولا فتى
وفى خبير هل رحبت نفس مرحب
حصون حصان الفرج كان بسيفه
رماها امام الرسل بالاسد الذى
ولولاه قاد الجيش ما دُكَّ معقل

وازهدهم فى جاهها وحطامها
الى دعوة الاسلام حال قيامها
وان جل قدرًا مقتدٍ بغلامها
مبدد شوس الشرك نقاف هامها
مواخاته الا لعظم مقامها
سرى المصطفى مستخفياً فى ظلامها
على الختر بئس العهد عهد لثامها
على طمس انوار الهدى باصطلامها
ليبتاع ما تهذى به فى سوامها
على الفرش ساقىها حميم حمامها
صناديد فھر هُمُّها فى انهزامها
اسى وترثىها بعض بنامها
وليد ابنه بالسيف مَرَّ زُوامها
وفل صفوف الكفر بعد التئامها
مساورة الابطال قبل احتلامها
امير لواء الشرك غرب حسامها
مواساته فى كشف غمى غمامها
سوى المرتضى جاء بصدق حدامها
بغير شبا قرضابه لاخترامها
كما قيل اقواها وفض ختامها
فرائسه الآساد حال اغتلامها
ولا اذعنت ابطالها باغتنامها

وعمرو بن ود يوم اقحم طرفه
دنائم نادى القوم هل من مبارز
تحدى كمة المسلمين فلم تجب
فناجزه من لا يروع جنانه
وعاجله من ذي الفقار بضربة
وكم غيرها من غمة كان عضبه
به في حنين ايد الله حربه
تقدم إذ فرّ الجماهير وانبرى
سل العرب طراً عن مواقف بأسه
وناشد قريشاً من اطل دماءها
وكسر معبوداتها ثم قادها
اجنت له الحقد الدفين واظهرت
ولما قضى المختار نجباً تنفست
اقامت ملياً ثم قامت ببغيها
قد اجتهدت قالوا وهذا اجتهادها
ليس لها في قتل عمار عبرة
ليس بخم عزمة الله امضيت
بها قام خير المرسلين مبلغاً
الست بكم اولى ومن كنت صادع
هو العروة الوثقى التي كل من بها
اما حبه الايمان نصاً وبغضه
مدى هوة لم يخش عقبي ارتطامها
ومن لسبنتى عامر وهماها
كأن الكمة استغرقت في منامها
اذا اشتبت الهيجاء لفح ضرامها
بها آذنت انفاسه بانصرامها
مبدد غماها وجالي قتامها
وقد روعت اركانه بانهدامها
لسفك دم الاعداء وشل لهماها
تجبك عراقها ونازح شامها
وهـد ذرى ساداتها وكرامها
الى دين طه المصطفى بخزامها
له الود في اسلامها وسلامها
نفوس كثير رغبة في انتقامها
طوائف تلقى بعد شر أثمها
لجمع قوى الاسلام ام لانقسامها
ومزدجر عن غيها واجترامها
الى الناس انذاراً بمنع اختصامها
عن الله امراً جازماً بالتزامها
عن الله امراً جازماً بالتزامها
تمسك لا يعروه خوف انفصامها
جلي امارات النفاق وشامها^(١)

(١) جمع شامة وهي العلامة.

اما حبه حب النبي محمد
 تزاحمن في فكري اذا رمت نظمها
 أننعتة بالعلم وهو عبابه
 او الكرّ والاقدام وهو هزبره الـ
 او الجود وهو السحب منهلة او الـ
 هو الحبر قوام الليالي تحنثاً
 شمائل مطبوع عليها كأنها
 حنانيك مولى المؤمنين وسيد الـ
 ابثك شكوى لوعة وصباة
 فلي قلب متبول ونفس تدلته
 وداد تمشى في جميع جوارحي
 هو الحب صدقاً لا الغلو الذي به
 ولا كاذب الحب ادعته طوائف
 تخال الهدى والحق فيما تأولت
 وتبزني بالرفض والزيف ان صبا
 تلوم ويأبى الله والدين والحجا
 فاني على علم وصدق بصيرة
 الا ليت شعري والتمني محبب
 متى تنقضي ايام سجني وغربتي
 وهل لي الى ساح الغريين زورة
 اذا جئتها حرمت ظهر مطيتي

بلى وهما والله ازكى انامها
 فتحجم اقلامي لفرط ازدحامها
 فسائله عن امواجه والتظامها
 غضوب فما العبي وابن كدامها^(١)
 بلاغة وهو المرتقي في سنامها
 وفي وقداث القبط خدن صيامها
 سجايا اخيه المصطفى بتمامها
 منيبين والساقي بدار سلامها
 يهيجها بالليل سجع يمامها
 بحبك يا مولاي قبل فظامها
 وخامرها حتى سرى في عظامها
 يفوه معاذ الله بعض طغامها
 تشوب قلاها بانتحال وئامها
 غروراً وترميني سفاهاً بذامها
 اليك فؤادي في غضون كلامها
 وحرمة آبائي استماع ملامها
 من الامر لم انقد بغير زمامها
 الى النفس تبريداً لحرراًوامها
 وتنحل روعي من عقال اغتمامها
 لاستاف رياء رندها وبشامها
 وحررتها من رحلها وخطامها

(١) اي عنبرة وربيعه بن مكدم.

واخلع نعلي في طواها كرامة
 اذا شاهدت عيني انوار قبة
 سجدت اليها سجدة الشكر خاشعاً
 هنا لك ذات المرتضى ومقرها
 وثمة يحيى من موات القلوب ما
 يفيضون من تلك المشاعر مائي الـ
 واني على نأي الديار وبينها
 منوط بها ملحوظ عين ولائها
 امت اليها بالبنوة واقتفا
 اليك ابا الريحانيتين مديحة
 مقصرة عن عشر معشار واجب الثـ
 اذا لم تصب رياءً فنغبة طائر
 ونفثة مصدور تخفف بعض ما
 مؤملة زلفى لديك وحظوة
 وازكى صلاة بالجلال تنزلت
 على المصطفى والمرضى ما ترنمت
 وفاطمة الطهر التي المجد كله
 وسبطي رسول الله ريحانتيه والأـ
 واصحابه الموفين ايمان عهده
 لساكنها الثاوي اريض اكامها
 بها مركز الاسرار قطب انتظامها
 وعفرت وجهي من شذي رغامها
 وجنة مأواها وحسن مقامها
 سقته شآبيب الرضا بانثجامها^(١)
 حقائب من جم الهبات جسامها
 وصدع الليالي شعبنا واحتكامها
 قريب اليها مرتو من مدامها
 سبيل هداها صادعاً باحترامها
 بعلياك تعلو لا بحسن انسجامها
 سناء وان ادت مزيد اهتمامها
 وطلّ اذا لم يهم وبل رذامها
 تراكم في احنائها من جمامها
 ومعدرة عن عيها واحتشامها
 من المنظر الاعلى واذكى سلامها
 على عذبات البان ورق حمامها
 محيط بها من خلفها وامامها
 ثمة من اعقابه وفئامها
 وبيعته في بدئها واختتامها

ثارت حفاظ النواصب من هذه القصيدة وتقولوا على السيد ابن شهاب وتعرض
 لمؤامرة المتآمرين، فقاومهم بصرامة كما هو معروف عنه وكما يتعرض له كل مصلح في

(١) أنجم: دام، والسماء: اسرع مطرها.

التاريخ، فهزمهم شر هزيمة وبأؤوا بالخسران المبين.

لم يكن السيد ابن شهاب في موقفه المتصلب ورسوخ ايمانه وقوة عقيدته إلا امتداداً لمن سبقه من كبار المصلحين والقادة الافذاذ واجلاء العلماء العاملين. وبوجود السيد ابن شهاب وقيامه ودعوته للنهضة الاصلاحية تفتحت الازهان وتحررت العقول فشيدت المعاهد العلمية وفتحت المدارس وتقاطر طلاب العلم ينهلون من معينه الدافق الذي لا ينضب، نبغ الكثير منهم فكانوا احسن اسوة لمن بعدهم.

أشار السيد ابن شهاب مؤكداً في قصيدته الى حادثة تاريخية مهمة جداً، وهي الاجتماع الذي عقده رسول الله سيدنا محمد ﷺ لجميع الذين شاركوه في تأدية الحج، وهو الحج الاخير بالنسبة للنبي. فان هذا الحادث التاريخي الخطير في تاريخ الاسلام، الذي حاول اعداء الاسلام واعداء الحق غمطه وطمسه ثم انكاره ما وسعهم الانكار والتزييف والتضليل والغمط لهو حادث معلوم. وتاريخ ابلج كالشمس في رابعة النهار. وقد تولى المؤرخون والباحثون تحقيق هذه الحادثة من جميع جوانبها، وقد حاول بعض الحمقى انكارها كراهية وبغضاً للنبي ﷺ وتكذيباً لاقواله ﷺ. وكفى الجميع ما قام به العلامة الشيخ الاميني من تاليف كتابه القيم (الغدير) الذي جمع فيه كل ما يتعلق بهذا الحادث وما قيل فيه مستنداً الى المصادر التاريخية من قديم الزمن الى يومنا هذا. ومستفيضاً في بحثه، وقد بلغ عدد مجلداته احد عشر مجلداً، ومع ذلك لم يستوعب كل ما قيل في الموضوع نثراً وشعراً.

اود ان اثبت هنا ما قاله شاعر النبي، حسان بن ثابت الذي كان من جملة الحاضرين الذين شهدوا البيعة للامام علي عليه السلام يوم غدير خم، «يا معشر مشيخة قريش اتبعها قولي بشهادة من رسول الله في الولاية ماضية».

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم واسمع بالنبي مناديا
وقد جاءه جبريل عن امر ربه بأنك معصوم فلا تك وانيا

وبلغهم ما انزل الله ربهم
فقام به اذ ذاك رافع كفه
فقال فمن مولاكم ووليكم
الهك مولا نا وانت ولينا
فقال له قم يا علي فأني
فمن كنت مولاه فهذا وليه
هناك دعا اللهم وال وليه
فيا رب أنصر ناصرهم لنصرهم
اليك ولا تخش هناك الا عاديا
بكف علي معلن الصوت عاليا
فقالوا ولم يبدوا هناك تعاميا
ولن تجدن فينا لك اليوم عاصيا
رضيتك من بعدي اماماً وهادياً
فكونوا له انصار صدق مواليا
وكن للذي عادى علياً معاديا
امام الهدى كالبدر يجلو الدياجيا
اما نص خطبة البيعة التي خطبها النبي محمد رسول الرحمة ﷺ بغدير خم
فمعروفة ومشهورة، ذكرتها كتب التاريخ^(١).

(١) كتاب العيون والمحاسن للشيخ المرتضى، وكتاب الغدير للشيخ الاميني، وجلة من كتب التاريخ القديم والحديث.

سواد العين

المسلسلة الخامسة من القصائد المرتبة في رثاء مولانا الامام الحسين بن علي أبي الشهداء عليه السلام، سماها الشاعر «سواد العين في رثاء الامام الحسين عليه السلام» وهذه المراثية هي احدى قصائده الشهيرة، يحفظها الكثير عن ظهر قلب وتتلى في كل مناسبة خصوصاً في المآتم الحسينية، وتتكون المراثية من خمسين بيتاً كلها غرر.

ما رأيت اهتمام الناس من جميع الاجناس من مسلمين وغير مسلمين كاهتمامهم بما كتبه عن شخصية الامام الحسين بن علي عليه السلام دراسة وبحثاً وتحقيقاً وتعليقاً من نواح شتى من تاريخ حياته ومنهم من جمعوا اقواله وخطبه وما قيل عنه نثراً وشعراً وما قيل في ذكرى استشهاده من الخطب والقصائد. ولم تنحصر في لغة دون اخرى وإنما كتبت بلغات كثيرة من لغات العالم. وقد جمع الاستاذ الاديب السيد جواد شبر ما قيل في الامام الحسين عليه السلام من قصائد منذ القرن الاول الهجري الى يومنا هذا وسماه (ادب الطف)، فكانت موسوعة شعرية ادبية جاءت في عشر مجلدات ولا تزال الكتب تؤلف إلى اليوم وتستمر الى المستقبل عن الامام الحسين عليه السلام؛ فالكُتاب يكتبون والمطابع تطبع عن هذه الشخصية الفذة، والدارسون والمحققون والمؤرخون يهتمون بهذا المعين العذب الذي لا ينضب، والقراء متلهفون لقراءة كل ما يكتب عن هذه الشخصية العملاقة.

ولا تحصى المجاميع ما قيل ويقال وما كتب ويكتب من مؤلفات في هذا الموضوع. هذا على رغم وجود محاولة من البعض ممن سماهم السيد ابن شهاب كلاب النار الذين ارادوا طمس الحقائق فطمسهم الله، وحاول البعض الآخر تحريف التاريخ

وتزويره لصالح اعداء آل البيت عليهم السلام فجرفهم الزمن وحق بهم سوء المنقلب. وبقي الحسين بن علي شامخاً بارزاً وهو الرائد الاول للاصلاح ومحاربة الفساد. بقي الى اليوم وسيبقى الى الابد مبجلاً محترماً. انه قبس من نور جده محمد المصطفى عليه السلام وشعاع من أشعة النبوة وهذه هي المراثية:

براءة بر في براء ^(١) المحرم	عن اللهو والسلوان من كل مسلم
فهل خامر الايمان قلب امرئ يرى	بتلك الليالي لاهياً ضاحك الفم
ليالٍ بها الخطب الجسيم الذي اكتسى	به افق الجرباء صبغة عند ^(٢)
ليالٍ بها ايدي اللئام تلاعبت	بهام بدور للمعالي وانجم
ليالٍ بها في الارض قامت وفي السما	مآتم اعلى الناس قدراً واعظم
ليالٍ بها نتنى الخنازير او لغوا	مدى غيهم والبغي في طاهر الدم
ليالٍ بها ذبح ابن بنت محمد	وعترته رمز الكمال المترجم
فأي جنان بين جنبي موحد	بنار الأسى والحزن لم يتضرم
وأي فؤاد دينه حب احمد	وقرباه لم يغضب ولم يتألم
على دينه فليبك من لم يكن بكى	لرزه الحسين السيد الفارس الكمي
همام رأى رايات ملة جده	منكسة والشرع غير محكم
وسنة خير المرسلين تجذمت	عراها ودين الله بالجحد قد رمي
فاغضبه من ذاك ما سرّ اسرة	هواهم قنى القينات او شرب حنتم
ويمم سكان العراق لينزعوا	شجاء وهم والله شرّ ميمم
توجه ذو الوجه الاغر مؤدياً	لواجبه لم يملوه لحي لوم
فوازره سبعون من أهل بيته	وشيعته من كل طلق مقسم

(١) البراء اول الشهر.

(٢) الجرباء: السماء، والعندم: شجر ذو صبغ احمر.

فهاجت جماهير الضلال واقبلت
تألب جمع من فراش جهنم
يقرون بالقرآن لكن لعله
لتعزيز طاغ جاءت ابنة بحدل
وخذلان هاد اشرقت في جبينه
وحين استوي في كربلاء مخيماً
احاطت به تلك الاخايب مثل ما
وصدوه عن ماء الفرات ليطردوا
وساموه اعطاء الدنية عندما
وهيها ان يرضى ابن حيدرة الرضا
أبت نفسه السماء الاكريهة
هو الموت مر المجتنى غير انه
فأذكى شواظ الحرب بالعسل الظما
وقارع حتى لم يدع سيف باسل
وصبحهم بالشوس من صيدقومه
على ضمير تأتم في حومة الوغى
يبيعون في الجللى نفائس أنفس
ولما أراد الله ايوقف روحه
اتاح له نيل الشهادة راقياً
فديتك بدران برجه سرج سابح
خضيب دماء كالعروس يزف في

بجيش لحرب ابن البتول عرمرم
غواة يرون الشرك اكبر مغنم^(١)
لسخرية اقرارهم او تهكم
به نابذ الدين الحنيفي مجرم
اشعة انوار الحبيب المعظم
بتربتها اكرم به من مخيم
يحيط سوار من حديد بمعصم
عن الحوض حتى يقذفوا في جهنم
رأوا منه سمت الخادر المتوسم
بخطه خسف او بحال مذم
يموت بها موت العزيز المكرم
ألذ واحلى من حياة التهضم
وشب لظاها من شبا كل مخذم
بمعترك الهيجاء غير مثلم
نسور الفيافي من فرادى وتوأم
بيحمومه او ذي الجناح المحوم
لنصر الهدى لا نيل جاء ودرهم
بمنظره الاعلى وقوف المسلم
معارج مجد صعبة المتسئم
هوى فانطوى سر العباء المطلسم
قبا بصبغ الارجوان مرسوم

(١) في نسخة: الشر.

معفرة بالترب أعضاء جسمه ال
وما ضره ان أوطأوا حر صدره
ولكنها شنعاء توجب لعنهم
هي الفتنة الصماء لم يلف بعدها
بنير دين الله سبط رسوله
كليث الشرى العباس والشبل قاسم
عرفنا بهم معنى اذا الشمس كورت
بها اهتز عرش الله وارتجت السما
بها اسودت الدنيا اسى وتهتكت
اولاك الكرام المبتغو فضل ربهم
سقى الله بالطف الشريف قبورهم
وزادهم المولى على وكرامة
وبعداً لقوم لم يقوموا لنصرهم
رأوا شيعة الرجس ابن سعد وشمروا
ولم تتحرك للحفيظة منهم
ايزوى ابن طه عن منصة جده
كأن الهدى من بيت صخر تفجرت
فيا اسرة العصيان والزيغ من بني
هدمت ذرى اركان بيت نبيكم
تداركتم في البغي ولداً ووالداً
ولم تمنح حتى الان آثار زوركم
فاصل الشقا انتم ومن يحذ حذوكم

كريم وهذا سرُّ حلّ التيمم
سنابك ورد ذي نعال وادهم
وتحسر عن وجه النفاق المثلث
منار من الايمان غير مهدم
وعترته خوص المنية ترتمي
وعميه والفتاك عون ومسلم
ورمز انكدار في النجوم مكتم
باملاكها من هولها المتجشم
بها حرمة البيت العتيق وزمزم
ورضوانه تحت العجاج المقتم
بوبل من الجود الالهى مثجم
بافضل تسليم عليهم وادوم
على قدرة منهم بعزم مصمم
تجاولهم وابن الدعي الجهنمي
حفائظ تطغي منهم كل مرقم
ويرضى لها ترب الخلاعة عبشمي
ينابيعه والوحي من ثم ينتمي
امية من يستخضم الله يخضم
لتشييد بيت بالمظالم مظلم
وزخرفتم افك الحديث المرجم
وتصديقه ممن عن الحق قد عمي
له يسد جلاباب العذاب ويلحم

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم
ولا بدع ان حاربتم الله انها
ونازعتم الجبار في جبروته
ولم تحسبوا من طيشكم ان عنكم
ستجزون في الأخرى نكالاً مؤبداً
غدرتم بسادات البرية غدره الـ
وأننا وان كنا من الضيم والاسى
فلسنا الألى ننحو بندب سراتنا
ولكننا غيظاً نعض اكفنا
وما من بواء في بني اللؤم تشتفى
ولكن اغضاء الجفون على القذى
ومن شؤم سوء الحظ كان بروزنا
ويا ليت أننا والاماني عذبة
لخضنا عباب الهول تشتد تحتنا
وقائدنا يوم الذمار ابن فاطم
لندرك احدى الحسنين بنصره
اجل قدرة المولى تبارك انفذت
لتبيض يوم الحشر بالبشرا وجه
نبي الورى بعد انتقالك كم جرى
دهتهم ولما تمض خمسون حجة
فكم كابد الكرار بعدك من قلى
وضبت على ريحانتك مصائب

ليخفى ومهما يكتنم الله يعلم
لشنشنة من بعض اخلاق أخزم
ولكنه من راغم الله يرغم
عيون قصاص الغيب ليست بنوم
على ما اقترفت من عقوق ومأثم
يهود بيحيى والمسيح بن مريم
وفرط التلطي نمزج الدمع بالدم
نياح الغواني خفن سوء التأيم
لما فاتنا من ثأرنا المتقدم
به النفس من بلبابها والتذم
وتمهيد عذر المعتدي شر ميسم
من الغيب بعد المشرب المتوخم
شهدنا وطيس الحرب بالطفاد حمي
خماص الطوى من كل طام مطهم
كاشبال غاب امها خير ضيغم
منال الاماني اومنية مقدم
ارادته طبق القضاء المحتم
وتسود اخرى لارتكاب المحرم
بييتك بيت المجد والمنصب السمي
خطوب متى يلمن بالطفل يهرم
وخلف الى فتك الشقي ابن ملجم
شهيد المواضي والشهيد المسمم

ضغائن ممن اعلن الدين مكرهاً
 اضاعوا موثيق الوصية فيهم
 فسق غير مأمور الى النار حزبه
 حبيبي رسول الله انا عصابة
 لنا منك اعلى نسبة بائنا
 ونسبة ميلاد فم الطعن دونها
 نعظم من عظمت ملء صدورنا
 لدى الحق خشن لا نداجي طوائفاً
 سراعاً الى التأويل وفق مرادهم
 هل الدين بالقرآن والسنة التي
 ولكن عن التمويه ينكشف الغطا
 وأزكى صلاة الله ما ذر بازغ
 على روحك المعنى الذي الفيض منه في
 وعترتك المستودعي سر علمك المـ
 واصحابك المروين في نصرة الهدى
 صلاةً كما احببت مشفوعة الادا

ولولا العوالي لم يوحد ويسلم
 ولم يرقبوا الا ولا شكر منعم
 اذا قيل يوم الفصل ما شئت فاحكم
 بمنصبك السامي نعز ونحتمي
 لهديك في اقوى طريق واقوم
 على رغم مغتص بصاب وعلقم
 ونرفض رفض النعل من لم تعظم
 لديهم دليل الوحي غير مسلم
 لرفع ظهور الحق بالمتوهم
 بها جئت ام احكامه بالتحكم
 لدى الملك الديان يوم التندم
 وما افترت ثغر البارق المتبسم
 مجرّد هذا الكون والمتجسم
 صون عن الاغيار عرب واعجم
 صدى كل مشحوذ الغرار ولهزم
 بنشر سلامٍ بالعبير مختم

الثناء العاطر

القصيدة السادسة من القصائد المسلسلة، سماها «الثناء العاطر على اهل البيت الطاهر عليهم السلام».

بدأ مديحته هذه كما يبدأ في كثير من قصائده الأخرى بالغزل، ولكن غزله هذه المرة عكس المألوف، فهو يدعو الى ترك الغانيات وذكرهن ونسيان الماضي وايام الشباب الراحل والابتعاد عن الخدور، والعودة الى الله العظيم الشأن وطلب التوبة والتماس الغفران، والى محبة سيد المرسلين الهادي الشفيع الامين ومحبة وصيه الامام علي عليه السلام، ومحبة فاطمة الزهراء عليها السلام التي فاضت روحها حزناً مما جرى عليها وهي سيدة نساء العالمين على الاطلاق بالنص الصريح، يسر النبي ما يسرها، ويسوؤه ما يسوؤها، ثم الامامين الشهيدين الحسن والحسين وهم اهل الكساء الذين طهرهم الله تطهيراً وهم حاملوا علم الرسول ولواء الحمد.

يقرر السيد ابن شهاب قول الرسول صلى الله عليه وآله: «لا تصلّوا علي الصلاة البتراء» بقوله:

من لم يصل عليهم فصلاته بتراء في اسناد اوثق ناقل
والشافعي محمد بن ادريس يقول في هذا الموضوع:

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن انزله
يكفيكم من عظيم القدر انكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

فان محبي آل البيت يحشرون تحت لواء الحمد الخفاق في يوم لا ينفع مال ولا بنون. ويتعجب السيد من أولئك الذين يتلون القرآن تكراراً ومراراً ويقرأون الاحاديث النبوية الطاهرة ثم ينكرون ما تلوه ويكذبون ما قرأوه وما سمعوه وما رأوه، يجحدون فضائل آل البيت عليهم السلام بل يكذبون الاحاديث وينكرونها ويغالطون في الآيات القرآنية

ويفسرونها حسب أهوائهم كأنهم لا يعرفون العربية.

فيرى ويسمع ثم يجحد مجدهم حسداً وتكذيباً لا صدق قائل
هذه هي القصيدة «الثناء العاطر» ومجموع أبياتها ٩٢ بيتاً:

دع ذكر أيام الشباب الراحل	وحديث لابسة الحلى والعاطل
وانبذ بقية ما بقلبك من هوى	ليلى ومائس قدها المتمايل
وذر الخدور وما بها من خرد	كيلا تصاب بسهم طرف بابلي
نهنه فؤادك ما بقيت فأنت في	شغل عن البيض الكواعب شاغل
واركب نجيب التوب في المثلى الى	ساحات ذي الطول المجيب السائل
وال التململ تحت أروقة الظلا	م وكن الى الرحمن أوّل آئل
واعزم سؤالك ان تكون مدى الحيا	ة وبعد مغموراً بلطف شامل
واملاً ضميرك من محبة سيد ال	كونين هادين الشفيع الكافل
والعلة الغائية القصوى لخلد	ق الكائنات سميها والسافل
وبحب صهر المصطفى ووصيه	واخيه حيدرة الشجاع الباسل
ذي العزم ساقى الحوض مولى المؤمن	ن الحبر علام القضاء الفاصل
والدرة الزهراء فاطمة التي	بعد الرسول قضت بحزن الشاكل
ذات السيادة مطلقاً بالنص لا	يأباه غير مكابر متحامل
والسيدين اللابسي حلل الشها	دة من فريق في الشقاوة واغل
خانوا بقتلهما الامانة والديا	نة لكن الجبار ليس بغافل
اهل الكساء الخمسة الاشباح ح	جّة ذي الجلال على المريب الداجل
هم بينات الله هم آياته ال	كبرى لارغام الجحود الجافل
الآخذي علم الرسول شريعة	وحقيقة من فاضل عن فاضل
يدلون بالحسب الصميم الضخم وال	نسب الصحيح الثابت المتداول

نسب بأجنحة الملائكة ارتقى
نسب لباذخ مجده تغنو الوجو
ناهيك من نسب على نافية لعد
شرف الى العرش انتهى فأمامه
شرف النبوة والعروج ورؤية ال
من لم يصل عليهم فصلاته
سفن النجاة امان اهل الارض من
حبل اعتصام المؤمنين فحبذا الم
منهم يشم شذا النبوة بالولا
وهم الأئمة والادلة يوم تز
في يوم تذهل كل مرضعة عن ال
وبنيهم البيت المبارك والمقد
عمد الهدى من كل ممتطئ سنا
الحافظين السر حتى الآن لم
القانتين الراكعين الساجدي
الذاكرين الله بين مخافت
السالكي السنن القويم النابذي
وعلى محبيهم لواء الحمد يخ
ورد الحديث بذا وليس محمد
تنفر على الركبان حمل مشاتهم
بشرى مؤدي حقهم بالشرب من
اثنى عليهم ذوالجلال فكل ما

شأواً اليه الوهم ليس بواصل
ه فكم هنالك من عليك مائل
سنة ربه وعلى الدعي الداخل
تقف الثوابت وقفة المتضائل
بباري تبارك والكتاب النازل
بتراء في اسناد اوثق ناقل
غرق مصاييح الظلام الحائل
تمسكون وخيبة للناكل
دة والوراثة والسلوك العادل
دحم الخلائق كالجراد العاقل
طفل الرضيع ووضع حمل الحامل
دس والكثير الطيب المتناسل
م المجد وضاح الجبين حلال
يعلم لحاف غيرهم او ناعل
من بخشية وغزير دمع سائل
بدعائه وثنائه او زاجل
شبهات كل مخالف ومخاتل
فق بالأمان من العقاب الهائل
فيما يقول بهازئ أو هازل
طوبى لمحمولهم والحامل
حوض تتم به نجاه الناهل
نشني به تحصيل امر حاصل

في هل اتى تمجيدهم وبآية الأح
 من سبق تطهير الذوات ومن ذها
 قضت الارادة وهي وصف الذات والتب
 بالعفو عن صوري ذنبهم فما
 ولئن اصاب البعض منهم محنة
 فلهم بذلك أسوة في الانبي
 مثل الذي استحل أذى بيت الرسو
 ايضر اشغال الدخان لطمس نو
 ولربما سود الكلاب على البدو
 واذا حمار السؤ عربرد ناهقاً
 عجباً لمن يتلو الكتاب مكرراً
 فيرى ويسمع ثم يجحد مجدهم
 اغويه اغراه؟ ام في قلبه
 ينهي فيأبى النصح ملتجئاً الى
 والعلم يخبت حيث تحسد عترة ال
 سل شائئ الاشراف هل ابقيت بي
 افيرحم الجبار من يؤذي بني
 اتصح دعوى حب احمد مع قلى
 هم منقذو غرقى الغواية والضلا
 نزلوا باقطار البلاد نزول ما
 من عالم يهدي ومن متمول
 فلكل ارض حظها منهم فلا

زاب قطع لسان كل مجادل
 ب الرجس عن ماضيهم والقابل
 سديل فيه من المحال الباطل
 معنى انتقاد الاحمق المتعادل
 واذى عدو خارجي خاطل
 ساء ورفعة لمقامهم في الآجل
 ل كجرو سوء في المساجد بائل
 ر الشمس بل تعشى عيون الشاعل
 ر تهر إن منيت بداء عاضل
 ايحط من قدر الجواد الصاهل
 وحديث انسان الوجود الكامل
 حسداً وتكذيباً لا صدق قائل
 مرض سقاه نقيع سم قاتل
 مخصوص نص او سقيم دلائل
 هادي وخير منه جهل الجاهل
 ن لظى وبينك من حجاب حائل
 مختاره؟ هيهات ليس بفاعل
 اولادنه؟ ام هل لها من قابل
 ل الى ذرى ارخى واخصب ساحل
 ء المزن امطر في المحل الماحل
 يسدي وأواه منيب عامل
 يخشى على الدين اغتيال الغائل

وبسفع وادي حزموت لهم عدي
بوركت من سفع فسيح زاهر
سيما تريم الخير سدره منتهى
بلد مقدسة العراض كثيرة الـ
فلك تدور به بدور بني الرضى
زهر ولكن ان تغب أجرامها
حرم الديار الحضرمية مطلع الأ
دبغت باقدام الاكابر ارضها
وسماؤها أمتازت بكثرة صاعد الأ
تزهو مساجدها بانواع العبا
لله عز وجل لا لرياء او
شمم العفاف عليهم بادٍ فلا
أنف فلا الاشراف شيمتهم ولا
تلك الديار بها عقدن تماثمي
لاهم زدها رفعة وكرامة
واهدا الجميع الى الصواب وتب على الـ
غث من سحاب الفضل جذب قلوبنا
واسلك بنا نجد الكرام الاتقيا
وامنح رضاك مقصراً يدعوك من
واعده للغناء جم الحظ من
وانله ما ينوي من الاصلاح والنـ

سد معابد ومعاهد ومنازل
زاه بغرّ بني المهاجر آهل
مسرى العطاش الى الغزير الوابل
ببركات والخيرات للمتناول
ونجوم اكدر والفريط^(١) الحافل
فضياؤها في الكون ليس بأفل
قمار للثاوي بها والقافل
فترابها طب السقيم الناحل
نوار من عمل التقى المتراسل
دة من مؤد فرضه او نافل
دعوى مقام اولرجوى نائل
يدري الغني من الفقير العائل
يتزلفون لذي ثراء طائل
وبها عرفت فرائضي ونوافلي
واغمر بنيتها بالندى المتواصل
مغمور في غفلاته والناهل
بمجلل لصدى البصائر صاقل
المخلصين شهيرهم والخامل
قلب بأودية البطالة جائل
ارث الاصول واخذ سهم عائل
سفع العميم لاهلها في العاجل

(١) اسما مقبرتين.

واجمع وسدد رأي قادتها وكن
وابعث الى متخطفي اطرافها
وعليك اقسمننا بجاه محمد
أن تستجيب كما وعدت دعاءنا
وعلى ثرى اجداثهم جد من صلا
واغمر به الصحب الألى نصروا الهدى
ما اهتز روض بالحيا وترنمت
معههم لدرء المعتدي والصائل
من عاجل التشيت اكبر خاذل
والآل امن المستجير الواجل
وبحقهم حقق رجاء الآمل
تك والسلام بمستهل هاطل
بالمشرفي وبالاصم الذابل
اطياره من صافر او هادل

آل البيت عليهم السلام

ليس احب للسيد ابن شهاب من آل البيت عليهم السلام فهو مغرم بحبهم وولائهم والدفاع عنهم، تكبد في حبهم عداوة المعتدين وتحمل اذيتهم، فهو يجد في حبه لهم والاستماتة من اجلهم ما يشفي اواره ويروي غليله، فيكثر مدحهم والاستغاثة بهم والتضرع اليهم، وفي هذا يقول:

فيكم يعذب المديح ويحلو وبه يسرع القريض انقياده
استهل مديحته في آل البيت بغزل لطيف متخلصاً الى مدح آل البيت عليهم السلام وهذه القصيدة هي المسلسلة السابعة، وفي هذه المديحة اعاد نفس المعنى والمقصد بأسلوبه الظريف وعبارته الطريفة مهاجماً الذين يصلون الصلاة البتراء، تحاشياً منهم الصلاة على الآل، معاكسين لأوامر النبي محمد ﷺ مخالفين لسنته متحدين أوامره ونواهيه استعلاء. يقول السيد عنهم:

من يصل ولم يصل عليكم فهو مبد لذي الجلال عناده
معشر حبكم على الناس فرض اوجب الله والرسول اعتماده
ثم يتوسل بأئمة آل البيت عليهم السلام واصفاً يوم الموقف، والناجين من اتباع آل البيت عليهم السلام، واللواء انذاك خفاق في الوقت الذي تقول فيه جهنم: ﴿هل من مزيد﴾ فيقول:

وبكم ايها الائمة في يوم م التنادي على الكريم الوفاده
يوم تأتون واللواء عليكم خافق ما اجلها من سياده
والمحبون خلفكم في امان حين قول الجحيم هل من زياده
اما مبغضو آل البيت عليهم السلام فقد خابوا فيما يعتقدون، لانهم لا يؤمنون بشفاعه النبي

محمد ﷺ، ولأنهم هم الذين ينصبون العداء لآل البيت ﷺ وفيهم يقول السيد:

كل من لم يحبكم فهو في النار
إلى أن يقول:

لم يمت والعياذ بالله حتى
وهذه هي القصيدة برمتها:

من غرامي بقرطها والقلاده
غادة حل حبها في السويدا
نحوها تنزع النفوس فتلقا
وإذا عرج النسيم عليها
زارني طيفها ومن بوعدٍ
من لصب يصب صيب دمعٍ
ليس إلا لها وللنفر البـ
يا عريباً بأي وادٍ اقاموا
آل بيت الرسول اشرف آل
انتم السابقون في كل فخر
انتم للورى شمس واقما
انتم منبع العلوم بلا ريب
انتم نعمة الكريم علينا
لم يزل منكم رجال واقطا
انتم العروة الوثيقة والحب
سفن للنجاة ان هاج طوفا
وبكم أمن امة الخير اذ ان

ان امت مغرماً فموتي شهادة
ورمى سهمها الفؤاد فصاده
ها لداعي مزارها منقاد
هز تلك المعاطف المياده
هل ترى الطيف منجزاً ميعاده
مذ صبا نحوها اصابت فؤاده
ض بنظم القريض يجري جياده
من فسيح البلاد صاروا عهاد
في الورى انتم واشرف ساد
اسس الله مجدكم واشاده
ر إذا ما الضلال أرخى سواده
ب وللدين قد جعلتم عماده
اذبكم قد هدى الاله عباده
ب لمن اسلموا هداة وقاده
ل الذي نال ما سكوه السعاده
ن الملمات او خشينا ازدياده
تم نجوم الهداية الوقاده

اذهب الله عنكم الرجس اهل ال
 وبستطهير ذاتكم شهد القر
 لا بما قد عملتموه من الخي
 من يصل ولم يصل عليكم
 معشر حبكم على الناس فرض
 فاز من رأس ماله من رضاكم
 حبكم يغسل الذنوب عن العبد
 وبكم أيها الأئمة في يو
 يوم تأتون واللواء عليكم
 والمحبون خلفكم في امان
 فاز والله في القيامة شخص
 كل من لم يحبكم فهو في النا
 هكذا جاءنا الحديث عن الها
 كل قال لكم فابعده الله
 خاب من كان مبغضاً أحداً من
 ضلّ من يرتجي شفاعته طه
 باء بالمقت في الحياة من الله
 وروى القوم ان من كان سب الله
 لم يمت والعياذ بالله حتى
 ليت شعري من الذي كان تعذيب
 فهم الخصب للبرية لولا
 آل بيت الرسول كم ذا حويتم

بيت في محكم الكتاب افاده
 آن حقاً فيا لها من شهادة
 ر ولكن قضت بذاك الإراده
 فهو مبدل لذي الجلال عناده
 أوجب الله والرسول اعتماده
 لم يخف قط ذات يوم كساده
 د ولا غرو أن يزيل فساد
 م التنادي على الكريم الوفاده
 خافق ما اجلها من سياده
 حين قول الجحيم هل من زياده
 لكم بالوداد أدّى اجتهداده
 روان او هنت قواه العباد
 دي فمن ذا الذي يروم انتقاده
 ه وعن حوضكم هنالك زاده
 كم ومن قد اساء فيه اعتقاده
 بعد ان كان مؤذياً اولاده
 ه الذي صير الجحيم مهاده
 فاطمين دأبه واعتياده
 نرى عن ملة الرسول ارتداده
 ه للمصطفى الى الحشر زاده
 هم لخفنا من الزمان اشتداده
 من عفاف وسؤدد وزهاده

انتم زينته الوجود ولا زل
 فيكم يعذب المديح ويحلو
 وبكم يلهج المحب ويشدو
 كيف يحصي فخاركم رقم اقلا
 انتم انتم حلول فؤادي
 انا خدامكم وترب حذاكم
 وانا العبد والرقيق الذي لم
 ارتجي الفضل منكم وجدير
 فاستقيموا لحاجتي ففؤادي
 ان لي يابني البتول اليكم
 خلفتني الذنوب عنكم فريداً
 فلکم عند ربکم ما تشاؤو
 رب غثنا بهم فأنك العبد
 وبهم أنعش الشريعة واكشف
 وارض عنهم وزدهم فيض فضل
 وعليهم مع الرسول سلام

تتم بجيد الزمان نعم القلاده
 وبه يسرع القريض انقياده
 يا بني المجد لا بغانٍ وغاده
 م ولو كانت البحار مداده
 فاز والله من حللتهم فؤاده
 والاسير الذي ملكتم قياده
 يكن العتق ذات يوم مراده
 بكم المن بالرجا وزياده
 مخلص حبه لكم ووداده
 في انتسابي تسلسلاً وولاده
 فارحموا عجز عبدكم وانفاده
 ن وجاه لاتختشون نفاده
 اس غث الانام عام الرماده
 ان طما الجهل شؤمه واسوداده
 منك يا من له التفضل عاده
 ليس يحصي سوى الكريم عداده

رشفة الصادي

كتبنا فصلاً خاصاً عن هذا الكتاب (رشفة الصادي) الذي يعتبر من المراجع القيمة المهمة، وكشفنا فيه الاعيب تلك الايادي الاثيمة التي لعبت دوراً بالتعمد في حذف كلمات وتحويلها الى كلمات اخرى، واشرنا اليها في مواضعها من خيانة المشرف على الطباعة.

هذه هي القصيدة الثامنة حسب التسلسل المأمور به:

هم الراقون في اوج الكمال	وهم اهل المعارف والمعالي
وهم سفن النجاة اذا ترامت	باهل الارض امواج الضلال
امان الارض من غرق وخسف	وحصن الملة الصعب المنال
وهم في غرة الدنيا بدور	تسامت بالجميل وبالجمال
وهم ساداتنا من غير شك	فنحن عبيدهم وهم الموالي
كفى خبر الوصية انهم وال	كتاب معاً الى يوم الجدل
وان محبهم في الحشر ناج	من النيران ذات الاشتعال
بنو الحسنين للثقلين شادوا	قصور المجد والرتب العوالي
بنو الزهراء افضل كل انثى	وحيدر السמידع للنزال
بنو الهادي وبضعته التي لا	تقاس لدى التفاضل بالمثال
عليهم بعد جدهم صلاة	وتسليم ورحمة ذي الجلال

الشجرة العلوية

تحافظ الاسر والسلالات في العالم على أنسابها، كما تحتفظ السلالات والاسر العلوية بانسابها ومشجراتها بدقة متناهية محافظة على اتصالها بالبضعة الطاهرة فاطمة الزهراء بنت الرسول الاعظم محمد عليهما الصلاة والسلام، لان حفظ الانساب جزء لا يتجزأ من صلب التراث وحقيقة التاريخ، وهو مما لا تمنع منه العقيدة السمحة. بالاضافة الى ما في ذلك من اسلوب تربوي، ومحافظة على السير في الجادة المستقيمة.

فالامام السيد عبدالله بن علوي الحداد من رجال القرن الحادي عشر (١٠٤٤ - ١١٣٢هـ) وأحد أئمة العلويين البارزين وشاعرهم المفلق يقول في قصيدة له:

عطفة يا جيرة العلم	يا أهيل الجود والكرم
نحن جيران بذا الحرم	حرم الاحسان والحسن
نحن من قوم به سكنوا	وبه من خوفهم أمنوا
وبآيات القرآن عنوا	فاتتد فينا اخا الوهن
نعرف البطحا وتعرفنا	والصفا والبيت يألفنا
ولنا المعلى وخيف منى	فاعلمن هذا وكن وكن
ولنا خير الانام اب	وعلي المرتضى حسب
والى السبطين ننتسب	نسباً ما فيه من دخن
كم امام بعده خلفوا	منه سادات بذا عرفوا
وبهذا الوصف قد وصفوا	من قديم الدهر والزمن
مثل زين العابدين علي	وابنه الباقر خير ولي

والامام الصادق الحفل	وعلي ذي العلى اليقن
فهم القوم الذين هدوا	وبفضل الله قد سعدوا
ولغير الله ما قصدوا	ومع القرآن في قرن
اهل بيت المصطفى الطهر	هم امان الارض فاذكر
شبهوا بالانجم الزهر	مثل ما قد جاء في السنن
وسفين للنجاة اذا	خفت من طوفان كل اذى
فانج فيها لا تكون كذا	واعتصم بالله واستعن
رب فـانفعنا ببركتهم	واهـدنا الحسنـى بحرمتهم
وامتنا في طريقـهم	ومعافاة من الفتن
الى آخرها وهي مثبتة في ديوانه.	

والمحافظة على انساب السلالة هي إكرام لهذه الارومة، وتوثيق للروابط
الوشيجة والعلاقات الكريمة المتسلسلة، مع الابتعاد عن الغرور والاعتداد بالنفس، ان
لم يكن هناك مآثر وفضائل. وفي هذا يقول السيد الحداد:

ثم لا تغتر بالنسب	لا ولا تقنع بكان ابي
واتبع في الهدى خير نبي	احمد الهادي الى السنن
واختتم السيد عبدالله الحداد قصيدته بهذه الصلوات:	

صلوات الله ذي الكرم	تغشى المصطفى العلم
ما سرى ركب الى الحرم	وصبا صب الى السكن
فهو ختم للنبيينا	وامام للمطعينا
وامان للمجيينا	يوم نودوا خير مؤتمن
وعلى آل النبي الكرما	وعلى اصحابه العلما
وعلى اتباعه الحكمـا	وأولي الالباب والفتن

والامام الحداد هو حامل مشعل آل البيت عليه السلام ورافع رايتهم، آثاره باقية خالدة وتأليفه كثيرة نافعة. ترك وراءه تلامذة هم خيرة العلماء العاملين. ساروا على نهجه ومشوا على منواله وحملوا اعباء الرسالة وادوها فاحسنوا التأدية. والامام الحداد ممن يعتصمون عقيدة بالامام المهدي وظهوره. اسمعه يقول:

لقد آن صبح العدل ينشق فجره	وقد حان ليل الجور ينزاح حاله
بطلعة ابن المصطفى علم الهدى	حليف التقى خير الانام وناسكه
محمد المهدي خليفة ربنا	امام الهدى بالقسط قامت ممالكه
كأنني به بين المقام وركنها	يبايعه من كل حزب مباركه
به ينعش الرحمن ملة جده	ويحيى به دين الهدى ومناسكه

وله قصيدة اخرى يقول فيها:

نبي الهدى بحر الندى سيد الورى	وسامي الذرى الماحي لكل ظلام
وخير وصي بعده وابن عمه	علي الرضا الجالي لكل قتام

الى ان يقول:

وسبطي رسول الله مع زين عابد وباقرهم والصادق المتسامي
والسيد الحداد يؤمن ان الامام المهدي حي موجود، ويخالف من يقول انه سيولد، ولذا فانه يقول: حان حين خروجه، وذلك في قوله:

ومنا إمام حان حين خروجه	يقوم بأمر الله خير قيام
فيملأها بالحق والعدل والهدى	كما ملئت جوراً بظلم طغام

الدوحة العليا

هذه هي المسلسلة التاسعة في آل البيت عليه السلام

فروع سمت بالمجد من دوحة العليا	لها الصب يصبو لا لهند ولا ميا
فأكرم بها من دوحة طاب اصلها	ومن سلسبيل الوحي طاب لها السقيا
زكا تربها في ربوة المجد فانتهدت	اليها معالي قسمي الدين والدنيا
وطابت لطيب الأصل اغصانها التي	ببهجتها تزهو كأن لبست وشيا
وارج ارجاء البلاد وضوع الـ	عوالم من ازهارها الطيب والريا
وهل أثمرت إلا قطوفاً جنية	بها انفس الموتى بداء الهوى تحيى
سرى سرها في الكائنات وقارنت	كما أخبر المختار في هديها الوحيا
إذا اشتد قيظ النائبات على الورى	تغشاهم من ظلها وارف الافيا
هي العصمة الكبرى لمن حام حولها	من الغمة السوداء والفتنة الدهيا
ولا غرو فاستمدادها من محمد	اجل الورى قدراً واحسنهم هديا
اقام لها بيتا من المجد شامخا	وورثها نشر المعارف والطيا
ومن حيدر اعني ابن فاطمة الذي	إذا صال لم يغلب وان قال لم يعيا
وفاطم والريحانيتين ومن جرى	من النسل جري الاصل اكرم به جريا
اولئك حزب الفضل من آل هاشم	بناة العلى ليسوا عدياً ولا طيا
ولا زال منهم من به يقتدى وعن	ضلالتهم يهدي به الخالق العميا
وعنهم حديث المجد يروى وفيهم	مواريث طه العلم والحلم والفتيا
عليهم مدار الحق بل ويهديهم	تناط امور الشرع اثباتاً أو نفيا
عليهم سلام زائر روح من مضى	وأزكى تحيات تحيى بها الاحيا

المرتبة السامية

وهي خمسة ابيات، كلها تدور في ولاء آل البيت عليهم السلام وحبهم، وهي المسلسلة

العاشر:

حب اهل البيت قربه	وهو اسمى الحب رتبه
ذنب من والاهم يغ	سئله مزن المحبه
والذي يبغضهم لا	يسكن الأيمان قلبه
علمه والنسك رجس	عسل في زرع كلبه
لعن الله عدو الآ	ل ابليس وحزبه

ارث الرسول او السلسلة الذهبية

ان التمسك بتعاليم الرسول صلى الله عليه وآله واتباع طريقته والافتداء بسنته وآل بيته هي الطريقة الصحيحة المثلى، فأئمة آل البيت هم الآخذون ارث الرسول اباً عن جد، يروون احاديث الرسول كما نطق بها النبي محمد صلى الله عليه وآله مسلسلة عن آبائهم واجدادهم عن النبي، فهم قرناء القران الكريم، من تمسك بهم نجا.

وهذه هي القصيدة الحادية عشرة من المسلسلة التي اوصى بها الشاعر:

لذ بالنبي وبالأئمة من بني	علوي الغر الهداة الحائر
فهم الخلاصة من سلالة احمد	ومعين فياض الندى المتواتر
والآخذو ارث الرسول اجازة	وتلقياً من كابر عن كابر
والمقتفون سبيله قدماً على	قدم الى القدم الشريف الطاهر

حتى انتهى سر النبي مسلسلاً
يروون عن آبائهم عن جدهم
وهم بحور العلم فاض اذيتها
تحیی بها موتی القلوب ولم تزل
بمعارف وعوارف ولطائف
ومواهب ومناقب ومراتب
وبدا هناك من الحقيقة حقها
بمشاهد تصفو لكل مجاهد
ومدارك ومناسك ومسالك
وبذلك امتزج امتزاج الراح بالـ
فاسلك سبيلهم وزرهم والتزم
ثم الصلاة على النبي وآله

فيهم الى اهل الزمان الحاضر
عن جبرئیل عن العزيز الفاطر
من ذلك البحر المحيط الزاخر^(١)
تسقي حدائق كل قلب عامر
وعواطف من ذي الجلال الغافر
وغرائب وعجائب للناظر
في سرّ سير باطن عن ظاهر
وموارد عذبت لكل مؤازر
للقوم لم تسلك لغير الضامر
ماء الاوائل منهم بالآخر
شرط التأديب في وقوف الزائر
والصحب ماهب النسيم الحاجري

(١) الآذي: الموج.

شمس الهدى

يحث السيد دائماً في قصائده واقواله على محبة النبي محمد ﷺ، ومحبة وصيه الامام علي عليه السلام، ومحبة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، وحب الامامين الشهيدان الحسن والحسين ثم الأئمة من سلالتهم الذين لا يدانيهم احد في الفضل، فهم وحدهم الذين ورثوا علم النبي ﷺ وتعاليمه فلا نجاة الا بسلوك طريقته، اما من خالفهم من المبغضين والمعاندين لهم، فيقول السيد فيه:

ولعننته تترى على كل فاسق يرى بغض اهل البيت ديناً وفاسقه
هذه هي القصيدة الثانية عشرة المسلسلة بموجب الوصية:

اذا كنت ذاعين الى المجد رامقه	ونفس الى اسمى المراتب تائقه
عليك بحب المصطفى من بهديه	ودعوته نجى الجليل خلائقه
وايده بالمعجزات فأصبحث	براهينه للشرك بالحق ماحقه
وحب الوصي المرتضى حيدر الذي	له هجمات في المواقف خارقه
وتعظيمك الزهراء سيدة النسا	فليس لها منهن في الفضل لاحقه
وحب الشهيدان الذين اعتدت على	حياتهما غلف من الدين مارقه
وأولادهم حمال اسرارهم وحا	فظي الدين من كيد الفئات المفارقه
وهم كابر عن كابر قد توارثوا	غوامض علم المصطفى وحقائقه
أولئك أهل البيت والعترة الألى	بفضلهم الآي الكريمة ناطقه
وعن جدهم قد جاء ان وجودهم	امان لئلا تصبح الارض غارقه
وان محبيهم بيوم الجزاء في	معيتهم اذ رايت الحمد خافقه
ومبغضهم حشو الجحيم وهل ترى	لهم مبغضاً الا القلوب المنافقه

وكم اورد الحفّاظ أخبار فضلهم
الوف من الاعلام دانوا ودوّنوا
بتقبيل ايديهم نوال المنى لمن
ولكن اذا لم يرضه ابن فحبذا
فكن مخلصاً في حبهم كي تنير في
واياك ان تصغي الى ما تأولت
ففي الذكر لا أنساب في الحشر بينهم
ولكنه استثنى وخصه بأن
وكم فسروا امثال هذا بغير ما
فلا قدس الرحمن حزباً قلوبهم
طغى بهم الكبر المشوم فناطحو الـ
رأوا صادق الأنباء غير موافق
الى ضوء نار النصب يدعون جهرة
ومن انكر الاشياء لوم قبيحة
كحمر بسيما الصافنات تظاهرت
وكم جاوروا جهال قوم فأفسدوا
ولو اقلعو عن غيهم لتبوأوا
صلاةً على الهادي وعترته ومن
ولعنته تترى على كل فاسق

بنقل ابانوا عزوه وطرائقه
جلائل ما امتازوا به ودقائقه
له نية التعظيم للمجد سائقه
ودعواه حقاً خلة غير لائقه^(١)
فؤادك من افق العنايةات بارقه
وما حرفت حسادهم والزنادقه
وجاءت احاديث الرسول مطابقه
انسابه موصولة وعلاقه
يراد كما دانت بذاك البطارقة^(٢)
واقلامهم عن مهيع الحق آبقه
جبال أليس الصخر للرأس فالقه
هواهم فخاضوا في ضلال الازارقه
وينهون عن شمس الهدى وهي شارقه
مشوهة عشاق حسناء فائقه
ولكنها حول المعالف ناهقه
عقائدهم والنار للجار حارقه
منازل مجد بالثوابت لاصقه
بحبهم ارضى المهيمن خالقه
يرى بغض اهل البيت ديناً وفاسقه

(١) في قوله: إذا لم يرضه ابن، المضاف محذوف ويقدره القارئ.

(٢) المراد بهم بطارقة النصارى إذ حرفوا معاني النصوص كما حرفها النواصب.

رياض الأنساب

في احدى المناسبات الخاصة انشأ السيد هذه الخماسية وسماها (رياض الأنساب) لكتابه نزهة الألباب، عن الشجرة والأنساب العلوية. وهذه هي القصيدة الثالثة عشرة من المسلسل بموجب امره:

نسب اذا عدت فرائد عقده	ازرت بخالص مثمناات الجوهر
نسب يعير النيرين ضياءه	ويفوق نشر شذاه نفح العنبر
نسب له تعنو وجوه ربعة	وتخر ساجدة تباع حمير
نسب تهش له قلوب أولي النهى	شغفاً بعذب معينه المتفجر
نسب امام المرسلين رغامه	وعموده نور البتول وحيدر

الملاذ بسيد الكونين

في احدى مجالسه الدراسية وقد كانت القاعة مليئة بالحاضرين والذين جاؤوا بمعية الحجة العلامة السيد عمر المحضار احد الوجهاء وجمع من العلماء وطلبة العلم في ذلك الزمن جاش صدر السيد ابن شهاب بهذه القصيدة التي يتوسل فيها الى الله سبحانه وتعالى بجاه سيد الكائنات نبينا محمد عليه وآله افضل الصلاة وازكى التسليم متضرعاً متذللاً راجياً غفران الله الرؤوف الرحيم، فتلى هذه القصيدة بصوته الرنان امام هذا الجمع الغفير من الحاضرين. وهذه هي القصيدة الرابعة عشرة:

حتى متى الرجعى الى الغفار	والى متى التسوييف بالأعذار
وعلام تحجم أن تتوب فينمحي	درن الذنوب بماء الاستغفار

ياهل لنفس السوء عن ايغالها
 حادت عن السنن القويم وقصرت
 في الغي مرسله العنان كأنها
 فتنت بجمع الفانيات وحبها
 تنساب في شهواتها من غير ما
 واستبدلت بتلاوة القرآن نق
 لم يثنها عن سوء عاداتها مشي
 واذا استقامت للفروض تكاسلت
 واذا أتت عملاً حميداً مرة
 اين التضرع والتذلل والخضو
 كيف الخلاف وما الوسيلة للنجا
 نور الاله نجيه في عرشه
 نعم الملاذ بسيد الكون العريد
 عمر الذي بجنايه يستنجد ال
 ان يستجر بحماه من عصفت به
 يدركه أسرع ما يكون ممزقا
 أوتاه حيران ولاذبه اهتدى
 مبدي العجائب في جهاد النفس من
 صوم الهواجر دأبه والجد في
 الواسع العلم اللدني المحي

في مهمه العصيان من زجار
 عن واجبات أوامر الجبار
 مرتابة بجزاء تلك الدار
 ولهت بزخرف وشيها الفرار
 نظر الى النفع والضرار
 ر الطار والأوتار في الأسمار
 ب الرأس بل ركنت الى الإصرار
 عما يناط بها من الأذكار
 بالعجب تفسده والاستكبار
 ع واين دمع الخاشعين الجاري
 ة سوى الحبيب المصطفى المختار
 غوث الخليفة غيها المدار
 ض الجاه ثم بحضرة المحضار
 غرقى فينقذهم بإذن الباري^(١)
 ريح الخطوب وزعزع الخطار
 سحب الكروب وعاصف الأعصار
 بضياء ذاك الكوكب السيار
 صمت ومن جوع ومن ايثار
 سهر الدجى وتبتل الأسحار
 ط بمضمرات الاطلس الدوار

(١) المقصود بعمر هنا هو عمر المحضار المنتسب الى الامام جعفر الصادق عليه السلام والمذكور من الاتقياء الصالحين، تاريخه معروف وحافل بجلائل وصالح الاعمال.

الراسخ القدمين وهو القائد الـ
وعليه برد جلاله ومهابة
وله الخوارق والكرامات التي
ظهرت ظهور الشمس رابعة النها
أنسى تعد وكيف تحصى كثرة
فله التصرف في الوجود منفذا
أله نواميس الطبيعة سخرت
وبلا يزال العبد اعدل شاهد
وبزَّب اشعث تضحل وتنمحي
والحسن يشهد ان للمحضار آ
الوراث القطبية الكبرى عن الـ
وعن الشهيدين اللذين تكفل الـ
وعن الائمة فالائمة والنجو
من كل طود أو خضم زاخر
حتى انتهت احوالهم وعلومهم
كسباً وارثاً للخليفة بعدهم
حمال ائقال الأمانة كافل
فاضت على الجم الغفير هباته
وبسره المكنون اسرى في جب
ورقى به الشيخ العلّى ذرى العلا
ولنا به آل الشهاب تعلق
وعناية الآباء بالآبناء لا

حزبين اهل القرب والأبرار
يعنو لها متمرّد الكفار
فصمت عرى الرهبان والأخبار
ر منيرة في شاسع الأقطار
ايعد طش هواطل الامطار
ما شاءه بمشيئة القهار
ام طاوعته سوابق الأقدار
بالحق يخرس السن الانكار
شُبه الجحود ووقفه المحتار
يات يراها الناس بالأبصار
مختار ثم وصيه الكرار
بارى لجهما بأخذ الثار
م الزهر من آبائه الأطهار
او كوكب في الافق سام ساري
وجميع ما حملوا من الأسرار
عمر الشجاع الفارس المغوار
بوظيفة التبشير والانذار
ومن البحار مشاريع الانهار
مين العيدروس سواطع الانوار
وبأوجها القى عصا التسيار
ورعاية محمودة الآثار
تنفك عند تقلب الاطوار

يا رافع الأعلام يا من جاهه
أدرك حماك مدينة الأجداد من
فتريم أضحت غير ما غادرتها
وطريقة الأسلاف فيها أصبحت
وتكاد تعذب عن ربها دولة الـ
طمعت بمنصبها الضرائر إذ رأت
والى اجتماع سراتها لصلاحها
فاضرع لربك ان يعيد لها الذي
قم يا شجاع الدين واجبر صدعها
حرمته وضمنت امن ربوعها
فرض حمايتها عليك كما وعد
فاهزم بخيل الله خيل من اعتدى
وارفع أذى متمردى جيرانها الـ
وعليك بعد المصطفى واخيه والـ
والعترة الاطهار أقمار السرى
عند المهيمن شامخ المقدار
مرض سرى في الدار والديار
بتكاثر الأغرار والاغيار
مهجورة الايراد والاصدار
علم الشريف بصولة الدينار
ما نابها والنور غير النار
لم يلف من داع ولا أمار
فقدت فتصبح مطمح الانظار
عار عليك وقوعها في العار
يا كعبة الحجاج والزوار
ت وانت سلطان الحماة الجار
واحم الذمار بمجرك الجرار
غاوين واقطع شأفة الاشرار
زهراء والحسنين صلى البارى
ومهاجري الأصحاب والانصار

طهور الشراب

ينتمي نسب مصلحنا الكبير الى بيت آل شهاب احدى الأسر والبيوتات العريقة المعروفة بالصلاح والعلم في جميع الاوساط العلمية والاجتماعية. نبغ الكثير فيهم ومنهم رائدنا المصلح المترجم له.

انشأ السيد هذه القصيدة باعتزاز لانتمائه الى هذه الأسرة والى هذا البيت، بيت الفضل، وسمى هذه القصيدة (طهور الشراب من شمائل السادة آل شهاب) وهي القصيدة الخامسة عشرة، حسب الترتيب المسلسل.

الا لا يعيب المجد والفضل إقلال	وكل لئيم لا يسوّدده المال
إذا امتحنت بيض الصفايح وجربت	فالتصل لا بالغمد يتضح الحال
وهل حول بازي وان جاع يجتري	غراب كثير الشحم يزهو ويختال
ولا مال في الدنيا لمن قل مجده	صحيح وفي التنزيل للعكس إبطال
وان يفقدا أو يفقد المجد وحده	فجهد جهيد أوقيان وجريال
أجل كل مال عند ذى اللؤم ضائع	كحلي على زنجية عمها الخال
وان يجتمع مال ومجد فحبذا	فذاذك للحسنة عقد وخلخال
كما اجتمعت شتى المعالي لسادة	حسينية للفضل روح وتمثال
فروع شهاب الدين غوث الورى الذي	عليه من النور الإلهي سربال
الى حضرات القرب من ربه ارتقى	فجرت له فوق المجرة أذيال
له الانس والجن استجابوا فلم تخب	لمن أم منهم رحبة الفضل آمال
أنابت به لما استضاءت بنوره	طوائف لا تحصي غواة وضلال
سرى سره في المقتفين سبيله	فنالوا الأمانى عالمون وجهال

تبارك ذو العرش الذي قد احله
ويا حبذا ابناؤه الكمل الألى
وكم جهبذ من صيد احفاده اقتفى الـ
كآل علي القانت ابن محمد
وشم بني المشهور والزاهر ابنه
أولئك حتى الآن وراث شعبيهم
ولم لا وهم من صفوة العلوية الأ
فعالهم بين المحابر عاكف
منوط به تفسير ما كان غامضا
وعابدهم مستغرق في سلوكه
به يرههم الله العباد ويمطر الـ
وذو المال منهم للمكارم والندی
يواسي ذوي الحاجات غير مجاهر
لديهم من الأجداد طه وحيدر
تحلى به آباؤهم ثم عنهم
ومن لدن المحضار أوفى عناية
كمال ولا دعوى ونسك ولاريا
منزهة اخلاقهم عن كثافة التـ
يمرون ان مروا بلغوا أعفة
وان خوطبوا من جاهل اعرضوا ولو
إذا نابهم خطب فبالحلم والنهى
على ان مولاهم حفيظ وناصر

مقاماً له جبريل جار وميكال
لهم خلفه سير حثيث وايغال
جدود الى ان نال بالجد ما نوالوا
بناة المعالي والمجلين ان جالوا
وغرّ بني الهادي الهداة لمن مالوا
وهل أرثهم الا علوم واعمال
لى لهم بالسبع تعترف الآل
لعقد عويصات الوقائع حلال
وتفصيله ان كان في الأمر اجمال
اذا ما توالى واردات وأحوال
بلاد وتزوى طارقات وأحوال
أخ ولأثقال النوائب حمال
وبالباب للأضياف حط وترحال
وفاطم والسبطين ارث وانفال
تلقاه أبناء كرام وأنجال
عليهم بها سيب المواهب هطال
ومنّ ولا منّ ووصل وايصال
نطع والاعجاب صدق اذا قالوا
كراما فلا قيل يعاب ولاقال
أرادوا لردّوا لكن العقل عقال
تدك رواسي كل خطب وتنهال
لهم فلهم بالله عزّ وإجلال

متى نزلوا في قرية أو مدينة
هنيئاً لكم آل الشهاب وكيف لا
سلكتهم طريق الاتباع فحزتموا
ردوا مورد الأسلاف واسروا سراهم
ولا تهنوا وابغوا المزيد وثابروا
وها أنا منكم غير اني مقصر
وحاشا أيادي واسع الجود أنه
وازكى صلاة الله ثم سلامه

ففيها الندى والعلم والحلم نزال
يهنى الذي لم يطفه الجاه والمال
من المجد ما لم تحصه العين والبال
أليس لأسد الغاب إن غبن أشبال
فليس على أبواب ذي الطول أقفال
عن السعي في نجد الفضائل مكسال
يصادر فرد في الفريق ويغتال
على المصطفى والآل ما لمع الآل

رحلة العمل

واصل السيد ابن شهاب رحلاته لتحقيق النهضة الإصلاحية الى جنوب شرقي آسيا عام ١٢٩٠هـ / ١٨٧١م متنقلا بين مدنها وقراها للاتصال بوجهاء القوم وزعمائهم لتحقيق فكرة النهضة الإصلاحية التي يقوم بها ويدعو اليها، وليرى الى اي مدى تسير النهضة الإصلاحية التي وضع اسسها ودعا اليها ورعاها، حاثا للهمم وموقظاً للارواح ومنورا للاذهان. وصل في رحلته هذه الى جزيرة جاوا وقد بلغ من العمر ٥١ عاماً، وكان واكثر اقامته في مركز عمله مدينة سورابايا عاصمة جاوا الشرقية والمدينة التجارية الاولى في تلك الربوع، وما ان علم به محبوه من زملائه ومقدراته حتى انها لوال عليه واتصلوا به فكان يجمعهم ويوجههم لتنفيذ مشروع النهضة الإصلاحية عمليا وتطبيقيا، وكان بينه وبين العلامة السيد محسن علوي السقاف صلات وثيقة، فقد جمعت بينهما وحدة المبدأ والعقيدة والهدف والغاية. والسيد محسن السقاف من المعجبين بالسيد ابن شهاب والمقدرين له حق التقدير والمعترفين بفضلته في ريادته للنهضة الإصلاحية والمقدرين لاعماله وجهاده، ودائماً يقول: ان السيد ابن شهاب هو مفخرة الزمن.

السيد محسن السقاف احد اكابر العلماء وفحول الادباء والشعراء، وله ديوان مطبوع، وهو سياسي ضليع بعيد النظر ومن رجال النهضة الإصلاحية يحارب الظلم والظالمين حتى تعرض للمشاكل حيناً وللسجن حيناً آخر، لكنه انتصر عليهم رافع الرأس. انتخبته الأمة بالاجماع لتولي القضاء فتولاه فترة ثم اعتزله على رغم الحاح الملحين للبقاء في هذا المنصب، وظل رافضاً مفضلاً عيش الحرية وعدم التقيد. بعث اليه السيد ابن شهاب بهذه القصيدة مفتتحاً بغزل لطيف ومطلعها:

على سلمى وإن نأت الخيام من المضنى التحية والسلام
وما أكثر ما يردد الشاعر كلمة سلمى في هذه القصيدة، ولا نعلم ماذا يقصد بهذه
الكلمة ومن هي سلمى هذه في حقيقتها، ولكن القارئ يدرك ذلك إذا تمعن وتبع
القصيدة بيتاً بيتاً.

هذه القصيدة هي السادسة عشرة من المسلسل.
عجب السيد محسن السقاف بهذه القصيدة واجاب عليها بقصيدة أخرى بنفس
الوزن والقافية وهي مثبتة في ديوانه.

على سلمى وإن نأت الخيام	من المضنى التحية والسلام
سلام من فؤاد منذ ولّى	وفارقها تولته السقام
على سلمى السلام ومن سواها	فإهداء السلام له حرام
مهابة صانها الرحمن عما	به العشاق تعذل أو تلام
كلفت بها وبى كلفت فكل	بصاحبه معنّى مستهام
كلانا مغرم ولنا حديث	غريب لا يترجمه الكلام
ولم أنس الوداع وما جرى لي	غداة السير إذ عز المقام
بكت خوف النوى وبكى قهرا	دما فيها وبى لعب الغرام
تبث اليّ شكواها فأشكو	اليها والدموع لها انسجام
تناشدني أترجع عن قريب	فقلت نعم وللدهر احتكام
وازمعت الرحيل وفي فؤادي	لوحدها لهيب واضطرام
رحيلاً أشرعت نحوي عوالي	اسننته وفؤقت السهام
يهون علي دون فراق سلمى	فراق الروح لو هجم الحمام
الا يادارها من بطن واد	به نبت الخزامى والبشام
سقاك العارض الوسمي سحا	وحيا ذلك الشعب الغمام

تري هل تجمع الايام شملي
فاني من محبتها قتيل
اليها قبلتي ولها صلاتي
ويعروني لذكراها اهتزاز
لها مهما تراءت في معاني
بها اتسقت كما بأبي جديد
بنى في كاهل العلياء برجا
قواعده على التقوى أقيمت
فريد الدهر طود الفخر إنسا
الى السمحا دعا حتى استجابت
أتاه الطالبون من النواحي
فأرشد للهدى من ليس يدري
به افتخر الزمان على عصور
اذا عدت أئمتهم فهذا
به سيوون باسمه سرورا
به ابتهجت مدائن حضرموت
امام من بنى الزهراء ما ان
ضحوك للارامل واليتامى
يناجي ربه بحضور قلب
ويفنى بالحبيب عن البرايا
ابا الأشبال خذ بيدي فقير

بها أو هل لفرقتنا التئام
وكم بالحب قد قتل الكرام
وحجي والتنسك والصيام
عرفت به ووجد واصطلام
صفات الحسن بدء واختتام
خليفة جده اتسق النظام
منيعة لا ينال ولا يرام
وحسبك ما على التقوى يقام
ن عين العصر قدوتنا الهمام
لدعوتوه الى الله الانام
على اعتابه لهم ازدحام
لعمرك ما الحلال وما الحرام
بها انتشر الاكابر واستقاموا
مجدد عصرنا لهم الامام
وحق لها وربك الابتسام^(١)
تريم الخير والصفرا شبام
له الا بـخالقه اهتمام
عبوس اذ يخاطبه الطغام
وذل حين يعتكر الظلام
اذا اخذوا مضاجعهم وناموا
تولى سرمرضغته الحطام

(١) سيوون: اسم مدينة بحضرموت من اليمن الجنوبي.

غريب نازح في أرض شرك
أضاع العمر في لعب ولهو
عن الخيرات تقعه ذنوب
له نفس عن العليا جموح
بطلعتك استجار اسير ذنب
فانك محسن علماً ونعتاً
وانت العروة الوثقى يقينا
وحبل الله انت بلا نزاع
ودم في نعمة وعليك بعد الـ

على ارجائها انطبق القتام
بمعركة الخطاء له اقتحام
وأوزار وزلات عظام
وليس لها ليردعها زمام
وتسويق وجارك لا يضام
وذو الاحسان يلزمه القيام
فهل للعروة الوثقى انفصام
ولي بك ايها الحبل اعتصام
رسول صلاة ربك والسلام

منهج القوم

السيد احمد بن محمد المحضار احد العلماء الاعلام البارزين ومن كبار المجاهدين بالقلم والمال والنفوس والنفيس. شجاع مغوار ومن رجال الاصلاح في عصره. تتلمذ لدى السيد ابن شهاب وتلقى عنه ولازمه فاستفاد منه. وكان السيد المحضار معجباً بالسيد ابن شهاب اعجاباً كبيراً وكان يجله كثيراً.

وبجانب كون السيد المحضار علامة فهو رجل عمل اجتماعي وسياسي. ثم انه أيضاً أديب وشاعر، له اشعار كثيرة مفرقة، وقيل: له ديوان كبير مخطوط، لكنني لم اطلع عليه. ومن ابياته المعروفة السائرة على الألسن قوله في خديجة أم فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام:

في مراقبك كيف ترقى النساء يا خديج من بنتها الزهراء
من يساويك في كمال ودين انت شمس في كوننا والضياء
وله أيضاً في السيدة الزهراء البتول قوله:

بشراك سيدة النساء بشراك آل الرسول بنوك من والاك
وللسيد احمد المحضار انجال هم خيرة الرجال منهم العلامة محمد بن احمد المحضار الذي صادق السيد ابن شهاب وكان بينهما مودة وصلة قوية، (راجع فصل زملائه) في هذا الكتاب.

في مناسبة طيبة من عام ١٢٩٤هـ انشأ السيد ابن شهاب هذه القصيدة وبعثها الى السيد احمد المحضار الذي يجله ويقدره، وافتتح القصيدة بغزل ذكر فيها سلمى، كما ذكر في كثير من قصائده هذا الاسم.

وهذه هي المسلسلة السابعة عشرة التي اختارها شاعرنا واوصى بها للنشر:

خليلي رفقا فالهوادي وكورها
 رويدا فهذا حي سلمى وتلكما
 قفالي ولو لوث الازار فإن لي
 وعوجا على ذاك المعرّس ريشما
 فقد طالما امّلتُ ان ارمق الحمى
 معاهد روّاهها العهد لعلمها
 تروح وتغدو الغيد في عرصاتها
 بها سحبت اذيالها ابنة مالك
 ذراني بها اذري لعمرى مدامعا
 سأقضي اذ لم اقض منها لبانة
 ولا بدع ان ذابت بها مهجتي فما
 الا ليت شعري والاماني عذبة
 ألصّب من سلمى على بخلها به
 عتاب ورمز بالذي يصنع الهوى
 فحسي من الدنيا هواها وحبها
 تأرجت الارجاء طيبا بها كما
 يتيمة عقد الآل والدرّة التي
 مسيل الندى الفياض من جود احمد
 وان عقدت في مجلس القرب حضرة
 أبو المجد ترب المكرّمات اخو الندى
 بنى في ذرى العليا واسس بالتقى
 اذا اعتكر الداجي يناجي بلذة
 ويعبده حبا له لا لجنّة

اضربها ادلاجها وبكورها
 مضاربها ذات اليمين ودورها
 حشاشة نفس قد تعالى زفيرها
 الى سمعها يبدي السلام أسيرها
 بعين يروّي الترب منها غدورها
 كعهدي بها يروي الصدي مطيرها
 احال الثرى فيها عبيراً عبورها
 وحسبكما للترب فخرا مسيرها
 يضارع هتان الغوادي غزيرها
 فمن شأنها يقضي بها من يزورها
 سوى مهج القوم الكرام مهورها
 وهيئات هيات الاماني وزورها
 وقوف على باب الخبا لا يضيرها
 وتذكّار ايام تقضى حبورها
 وسيّان عندي حلوها ومريرها
 تبلج بالمحضر احمد نورها
 دراريها دارت بها وبدورها
 ومسطور آيات التجلي وطورها
 فما بسوى المحضر يزهو حضورها
 ربيب العلى رب المعالي اميرها
 قصوراً سمت حتى استحال قصورها
 إلهاً له بعث الورى ونشورها
 يرغبه جريالها وحريرها

ولا رهبة من ناره اذ مقامه
خليفة سر المصطفى في منصة
كريم من القوم الجواري صلاتها
هو القطبان دارت رحي الفخر مطلقا
واسس في السفح المبارك مسجدا
بقاع له مثل البقيع تشرفت
مشاهد تغشاها الوفود تبركا
فبورك من سفح وبورك مسجد
فمن لي بان اسعى الى عرصاته
وأستمطر الهطال من بركاته
ابا حامد لا زلت بالحمد راقياً
فديتك اني مستجير بطلعة
ودونك سرّاً لم اطق بعد كتمه
لقد لمعت للقلب والقلب مجذب
أبن لي أبرق العامرية خلّب
ام الحالة الاخرى وان تك هذه
وكنت اذا زرت ليلي تبرقت
على انني ادرى بنفسي ونقصها
واصعب ما تنقاد للمجد والعلی
سقام وامراض عليها تراكمت
وليس لها بعد الرسول سواكم
ومسك ختام القول ازكى تحية

جدير به يضحى سلاما سعيها
بها ازدان منها تاجها وسريها
بلا منة والراسيات قدورها
فيا بأبي من ذا سواه يديرها
به طاف ولدان الجنان وحورها
باحمد تلك الساحتين ظهورها
فيا حبذا زوارها ومزورها
يلوذ به اعرابها وحضورها
ليبشر نفسي بالصلاح بشيرها
فتغمرنى حتى المعاد خيورها
ذرى ربوة في العزّ عزّ نظيرها
مباركة من نور احمد نورها
وهل يكتم الاسرار الا خبيرها
لوامع لما يأن منها فتورها
ومكر فغرّ النفس منها غرورها
فيا فوز نفسي اذ تناهى سرورها
وقد رابني منها الغداة سفورها
وغير خفي عجزها وقصورها
واقرب شيء عن غناها نفورها
مراهمها احسانكم وذورها
اليكم ومنكم وردّها وصدورها
على جدنا الهادي ذكيّ عبيرها

البشرى

الصلات الوثيقة بين السيد ابن شهاب ومفتى الشافعية بالديار الحجازية السيد احمد زيني دحلان صلات صداقة، بدأت بالمراسلات وتوطدت عند اللقاء به في زيارة السيد ابن شهاب للحجاز. اجتمع به كثيرا خلال اقامته بالحرمين الشريفين، وكان السيد دحلان يحافظ ويحرص كل الحرص على مجالس السيد ابن شهاب، فهو متأثر به، وكان لآراء وافكار السيد ابن شهاب مكانة سامية لدى السيد دحلان، فحبب إليه البقاء في مكة المكرمة او بالمدينة المنورة باعتبارها مركزا من مراكز الاسلام. ولكن السيد ابن شهاب له نظرة اخرى، فشكر السيد دحلان معذرا.

بعد تأديته فريضة الحج والعمرة وتشرفه بزيارة الرسول سيد الكائنات محمد ﷺ، اطال مكثه في الديار الحجازية عدة اشهر اخرى. ثم اتخذ طريقه متوجهاً الى الاستانة عاصمة دولة الخلافة، فوصلها عام ١٣٠٣هـ وفي عاصمة الخلافة جاشت نفسه بهذه القصيدة وبعث بها الى صديقه السيد احمد زيني دحلان في اواخر تلك السنة، والسيد دحلان من الرجال المرموقين ومن الشخصيات الاسلامية البارزة.

في اوائل عام ١٣٠٤هـ اعاد السيد ابن شهاب الكرة لزيارة الرسول محمد ﷺ بالمدينة المنورة، ومن غرائب الصدف ان ما ذكره السيد ابن شهاب في قصيدته قد تحقق، وتوفي السيد دحلان بالمدينة المنورة في ٤ من شهر صفر عام ١٣٠٤هـ رحمه الله رحمة الابرار.

وهذه هي القصيدة المختارة بموجب اختيار السيد ابن شهاب واوصى بها للنشر وهي الثامنة عشرة حسب المسلسل:

دعتك لك البشرى الى عرشها أسما لترقى على ما فيك معراجها الأسمى

وتشهد منها فاخلع النعل خاضعا
وتقطف من غرس التمني لرفعها
هنالك مغزى العاشقين ومنتهى
وثمة تحظى بالملاحظة التي
ومهما بدت فاسجد اليها ولا تذر
إذا أشرقت شمس الجمال فهل ترى
ويا حبذا ان روقت من رحيقها
فطف واسع وانو الاعتكاف بحانها
ففي سلبها الادراك ايجابه فيا
وتلك التي توحى بجبريل جامها
وتسري بها الاسرار في سر من دنا
وما الفضل الا فضلة من عصيرها
وما الشرف السامي سوى في ارتشافها
وهل غير ساقها بأقداح راحها
نعم انه الفرد ابن دحلان أحمد
ثريا امان الدين من كل ملحد
ومن كان للاسلام شيئا وللهدى
أغربني الزهراء اكليل تاجهم
وأصبح في علياء شيب بن هاشم
تبوأ من بطحاء مكة منزلا
به أصبحت ام القرى تحسد القرى
به غرة العلم الشريف تهللت

بطور تجليها سنا الذات والأسما
حجاب التجني يانع الجلوة العظمى
أمانى أهل الحب والشيمة الشما
تنال بها أقصى مرامك والمرمى
بسرك معنى من سواها ولا رسما
بعينيك بدرا بادي النور أو نجما
كوؤسا وفضت عن أباريقها الختما
ولا تخش عارا إن ثملت ولا إثما
لسالبة جزئية عكسها تما
الى الروح آي الغيب في ذلك الإغما
من الدن او من عرف مختومها شما
ومن اجل هذا جانس الكرم الكرما
وفي ذوقها المعنى الذي ينطق البكما
عن الغي يهدي العمي أو يسمع الصما
امام الورى طرا وأوسعهم علما
ونبراسه الماحي بأنواره الظلما
أبا ولسيار العلا أمه أما
وأوفرهم في إرث آبائه قسما
يتيمة ذاك العقد والدرة العصما
فأشرق فيها للورى بدره تما
وتحبو الضيوف المستفيدين بالنعما
سرورا وثمر الفضل اضحى به ألمى

خبير بأسرار الكتاب وسنة الـ
وعى بين الايات مشروح صدره
وما زال يبري من براهين آيه
وأصبح كشاف الحقائق خازن الـ
بدعوته أحيى شريعة جدّه
والقح بالسر الذي في ضميره
فأنهلها صفو اليقين وعلاّها
مجلى سباق المجد أخطب من رقى
فأخلاقه كالروض تزهو وعلمه
بخفض الجناح استوجب الرفع ناصبا
الى أن رقى في القرب متن المنصة الـ
له بلطيف الروح في كل حضرة
كراماته كالمعجزات وانها
ومن يستجر في سوحه مخلصا فلا
له في جمال الحق شغل ورغبة
يقوم اذا ارخى الدجى ذيله الى
وحينئذ يفنى السوى في شهوده
فيدرك من سر العلوم غرائبها
تضح اذا ماقام للوعظ بالبكاء
وكان اشد الناس بالناس رافة

رسول وباستنباطه منهما الحكماء
وآتاه في القرآن مُنزله فهما
سهام هدى يرمي فيصمي بها الخصما
معالم تبين الهدى منفقا مما
الى أن نفى عنها التأيم واليتم
قرائح كانت عن تلقي الهدى عقم
وزحزح عنها الشك والظن والوهما
ذرى منبر العلياء اشرف من أمّا
يجل مقاما ان يشبه بالداما^(١)
موازين وصف العدل واستعمل الجزما
مشار اليها بالأصابع والموما
حضور وإن كنا نشاهده جسما
لمنها وشبه الأصل لا يقتضي ظلما
يخاف من الأيام ظلما ولا هضما
عن الخوض في أوصاف زينب أو سلمى
مناجاة من في حبه حرم النوم
لدى حضرة الذات المقدسة الاسما
بها يهتدي من كان في هذه أعمى
قلوب وكانت قبل كالصخرة الصما
وأنفذهم في ظالمي قومهم سهما

(١) الدأماء: البحر.

اليك ابن زيني مدحة من مقصر
تنوب إذا حيتك عن ذي بضاعة
غنامي امانها القبول ونفحة
فان له في السير بعض عوائق
وقد ناله بعض الاذى من عصابة
وما لصلاح الكل الاك كافل
وبالصلوات الطيبات على الذي
تخوض وتطوي نحوك اليم واليهما^(١)
من الشعر مزجاة وتنشدك الرحما
لمنشئها بالفتح في الوجهة العظمى^(٢)
تؤخره عن جد اجداده قدما
ذوي حسد في قومها تكره النعما
ولا ريب ان المستجير بكم يحمي
الى قاب قوسين ارتقى نختم النظم

(١) اليهما: الغلاة.

(٢) غنامي الشيء: قصاره، وهي غاية جهده ومبلغ طاقته.

مم الأسى؟

فوجئت الاوساط العلمية نبأ مؤلم هو وفاة العلامة الحجة رجل التربية والتعليم وأحد اركان النهضة وعلم من اعلام العلويين البارزين السيد علي بن حسين الحداد. ارتجت البلاد واعلنت الحداد وكانت وفاته في الخامس عشر من شهر ذي الحجة عام ١٣٠٩هـ اثر مرض طفيف الم به لم يمهلہ اياما. خسرت الامة وفقدت البلاد مصلحا كبيرا وعالما نحريرا وشخصية فذة كبيرة. لم يمت السيد علي الحداد، لانه ترك تراثا عظيما وأثرا حسنا وسمعة طيبة وذكرًا جميلا وفضلا عميما انتفع الناس بعده مما تركه من علم ومآثر وتراث. رثاه الشعراء وأبّنه الخطباء والادباء وفي مقدمة الجميع السيد ابن شهاب الذي رثاه بهذه المرثية المؤثرة من ديار الهجرة.

هذه هي القصيدة التاسعة عشرة من المسلسل المختار:

مم الأسى وتوجع الاكباد	وعلام حل الحزن كل بلاد
وبم اسوداد الافق حتى اظلمت	ارجأؤه في مقلة المرتاد
فاسأل عن النبأ العظيم وما جرى	في الارض من سبع الزمان العادي
اتراك تجهل لا ولكن دهشة	مما عرا استهوتك بالمرصاد
هو نكبة الاسلام بالمرفوع في	ييده لواء الفتح والامداد
المستوي في عرش منصب جده	قطب الورى المشهور بالحداد
سر السلالة من نجار محمد	وخلاصة الابدال والاوتاد
فرع زكا من دوحة علوية	سقيت بماء الوحي والاسعاد
جاء البريد ولا نعما صارخا	بمفتت الاصلاب والاعضاد

خطب به ذهب الندى وتضعضت
 حكم الاله وليس يسأل قد جرى
 محيي الدياجي اذ يناجي ربه
 حف الملائك والملوك بنعشه
 وارته وانقلبت تعض اكفها
 عجباً لذاك الطود كيف تقله
 ام كيف هذا البحر في جرز القلو
 قل للمكارم فلتشق جيوبها
 اسد خلوا الغاب عنه غدا به الـ
 وغدت ازمة يعملات العلم والـ
 كم من فيوضات له منحت بها
 مقري الضيوف كأنهم شركاؤه
 وله بأفئدة الملوك مهابة
 بالحق يصدع لا يخاف وماله
 ما انفك في جلب المصالح ساعياً
 كنّاً به في جنة ووقاية
 حتى دعاه الى الكرامة واللقا
 فاجابه وقلّى الديار وأهلها
 بعلاه أقسم ما لنيران الاسى
 لكن لنا بمصاب احمد أسوة
 ولنا من التسليم خير سراق

عمد الهدى والبر والارشاد
 بافول نير دينه الوقاد
 بـتلاوة القرآن والاوراد
 وطوائف العلماء والعباد
 وتصيب صيّب دمعها المنقاد
 نحو الضريح نواحل الاعواد
 ب يفيض ثم يغيض في الألحاد
 وتلبس العليا ثوب حداد
 هم المبرح ملء كل فؤاد
 بتحقيق ملقة على الاكتاد
 اهل الطريق باقرب استمداد
 في طارف من ماله وتلاد
 تثنيتهم عن سوء الاستبداد
 في قول غير الصدق من ميراد
 ولدرء ما يخشى من الافساد
 من طاميات الزبغ والإلحاد
 من ربه الرحمن خير منادي
 وجئى بحضرة مكرم الوقاد
 بفراقه والحزن من اخماد
 ووصيه وبنيه والاحفاد
 متمكن الاطناب والاوتاد

ولنا بعد القادر الشهم الذي
حبر ترشح للرقى الى علا
سمة وشنشة وارث عنهم
وبرهطه اعني بني الحداد سا
الطيبين الطاهرين الراكعين
السالكين بهديهم قدماً على
الوارثين عن الرسول علومه
وعن الشهيد بكرلاء ونجله
وعن الاكابر فالاكابر والakra
يروون ما لم يرو غيرهم من الس
الناظرين الى العباد برأفة
دُمث الشمائل طيب نشر حديثهم
لا بيت أسبق للمكارم والندى
يهتز طفلهم اشتياقا للعلا
تأبى نفوسهم الابية ان ترى
بالله عزهم وطه المصطفى
لا يركنون الى ذوي ملك ولا
زاد الاله علو كعبهم ولا
صبراً بني الحداد ان فقيدكم
فعلى ضريح ضم اعظمه من ال

خلف الفقيد نكاية الاضداد^(١)
أسلافه بكمال الاستعداد
والشبل يعرف مسرح الآساد
دات العباد شمس ذاك الوادي
الساجدين القادة الامجاد
قدم الى قدم الحبيب الهادي
وعن الخليفة سيد الزهاد
الأواه ذي الثففات والسجاد
م عن الكرام وكمل الاجداد
— المصون بصحة الاسناد
نظر الحكيم مصالح الاولاد
يسرى النسيم به ويحدو الحادي
من بيتهم في حاضر او بادي
والمجد طبعاً ساعة الميلاد
حوامة في ساحة الاوغاد
ومقام جدّهم الفسيح النادي
يتضرعون لظالمي الاجناد
برحوا قذى في اعين الحساد
جار الاله وجار طه الهادي
رضوان رائح صوبه والغادي

(١) هو السيد عبد القادر بن احمد الحداد. كان موصوفاً بالشجاعة والثبات والاناة والعقل والجود والاستقامة. ويكنى ان
تقول: انه من مؤسسي رباط العلم بترميم، بل اسمعهم صوتاً واشدهم جداً وجهداً في ذلك. اهـ مصححه.

ولئن مضى عنكم فقد ابقى جميع
والموت سنة من تفرد بالبقا
كل ابن انثى لا محالة صائر
فلنرفع الأيدي ونضرع للذي
ان يكتب الاجر الجزيل ويجعل الـ
واليكم مسنون تعزية اتت
وتحية من نازح عنكم له
وعلى الحبيب الهاشمي وآله

ل الذكر في الاغوار والانجاد
في الخلق وهو الصادق الميعاد
قنصاً لمخلب ذلك الصياد
آلاؤه جلّت عن التعداد
صبر الجميل لكم اجل الزاد
من ذي حشئ حشيت من الانكاد
فيكم صحيح محبة ووداد
أزكى السلام على مدى الآباد

يا غارة الله سلي سيف نقمته

يصف السيد ابن شهاب أولئك البغاة والطغاة الذين يحاربون الله ورسوله ظلما وطغيانا اشد من طغيان نمرود وظلم فرعون. ويتوسل بنبي الرحمة محمد ﷺ وبالامام علي عليه السلام وبفاطمة الزهراء والامامين الحسن والحسين عليهما السلام ثم بالصالحين والاولياء من ذريتهم، ان يسلط الله عليهم سوط عذابه. ثم يشرح الوقائع والحقائق والاوضاع المؤلمة المزرية المنصبة على العلويين من هتك الاعراض ونهب الأموال وتشريدهم، وليس لهم ذنب سوى انهم يتبعون الحق ويحاربون الباطل ويحبون النبي ويوالون آل بيته، فاتباع الحق ومحبة الرسول وموالاة آل بيته في نظر وعرف هؤلاء الطواغيت البغاة جريمة لا تغتفر.

بعث السيد ابن شهاب هذه القصيدة الى العلامة السيد علي الحبشي. وهو عالم من علماء زمانه له مؤلفات كثيرة في عدة فنون، منها السيرة النبوية تقرأ في كل مناسبة وفي ولائم الافراح وحفلات عقد النكاح، وبالاخص في طيلة شهر ربيع الاول من كل سنة. وهو خطيب مفوه له ديوان مطبوع باندونيسيا عام ١٣٣٩هـ سمعته طبقت آفاق المهاجر الشرقية وجنوب الجزيرة من اليمن السعيد، تولى التدريس في الاقسام العالية بربى العلم بحضرموت! كان كريما سمحاً سخياً بذولا، ينفق بسخاء للاعمال الخيرية من جيبه الخاص. بيته مأوى الوافدين من كل قطر. تخرج على يده فطاحل العلماء وكبار الزعماء. ظل السيد ابن شهاب محافظا على المودة والاتصال به من مهجره شعرا ونثرا، وبعث هذه القصيدة اليه عام ١٢٩٣هـ وهي القصيدة العشرون من الترتيب لهذا المسلسل:

للمدح فوق حدودي اي تخديد مذدد الدهر شملي اي تبديد

وهذه سنة الدهر الخؤون بمن
يا أيها الموت هلاً زرت منتصراً
من فرقة حاربوا مولاهم وبنوا
عائت بنو اللؤم في أبناء فاطمة
ممن تدبر في سفح النعير وفي
يا عين جودي بهتان الدموع دماً
من هتك عرض ونهب للتراث وتخ
وروعوا صبية الهادي وافئدة الـ
وطردوهم على رغم الانوف من الـ
وكم أسالوا دموع الخائفين بها
وكم سوى اهل بيت المصطفى قهروا
لم يرقبوا فيهم إلا ولا ذمماً
سحقاً لهم لا اطال الله مدتهم
يا غارة الله سلي سيف نغمته
الله اكبر صبّ الله سوط عذا
لا غادرت سطوة القهار من احد
يا سيد الرسل عطفنا اننا فئة
قد مسنا الضر حتى لا اضطبار لنا
وليس الاك بعد الله نقصده
بك التوسل ان ضاق الخناق الى
وبالامام أمير المؤمنين وبالـ

الى ذرى الفضل يغدو خابط البید
فما البقاء على ضيم وتنكيد
في أرضنا بغى فرعون ونمرود
اهل الفضائل والعزّ المحاميد
اكناف خيلة او في سفح عید^(١)
لما جرى في ذراري المصطفى جودي
ويف النساء واسر السادة الصيد
بيض الرعايب بالبيض الرعايد
غنائ ظلما وبغياً أي تطريد
على الخدود بتبكيك وتهديد
بنهب مالٍ وتخويف وتشريد
كأنهم لم يكونوا أهل توحيد
وأعدم الله منم كل موجود
على طغاة الطواغيت المناكيد
به على والد منهم ومولود
من فرقة البغي الا يابس العود
من اهل بيتك بيت المجد والجود
من كل خبٍ خبيث الفعل مبعود
لكشف تلك الخطوب الهول السود
مجيب دعوة مضطّرٍّ ومجهود
زهرء فاطم ست النسوة الخود

(١) ثلاثة أودية تمر أثناء مدينة تريم وفي جانبها.

وبالحسين وزين العابدين وبال
وبالمقدّم مع اشباله والى
وشيخنا المنتضى حامي الحمى عمر ال
وبالامام الهمام العيدروس وبال
وبالامام شهاب الدين والعلم ال
وشيخنا العيدروس ابن الشجاع اما
سيف الاله على الباغي وبالك من
وبالاخ المرتقي أوج الكمال ومن
إرثا وكسباً مشى فيها على قدم
ليث النزال ومسلاق المقال علي
يا أيها السادة الملقون سمعهم
قوموا بنا وارفعوا عنا الاذى فلقد
وارعوا الذمام فقد اضحت بلادكم
ثم الصلاة على الهادي الشفيع بيو

مهاجر القطب مرسيتها على الجودي
سقافنا غوث ملهوف ومطرو
محضار يحضر عن قرب اذا نودي
شيخ العليّ أرجي نيل مقصودي
حدّاد في كل هول غير محدود
م العصر من يخضم العادي اذا عودي
سيف على مبغضينا غير مغمود
في غير أهل المعالي غير معدود
في سير أهل الطريق الحق معهود
بن الجمال شفائي ان ذوى عودي
الى استغاثات ملهوف ومكمود
لذنا بحبل الى الرحمن ممدود
كناظر من قذى الاغيار مرمود
م العرض يوم عظيم الهول موعود

الصدمة العنيفة

فوجئ السيد ابن شهاب بصدمتين عنيفتين في حياته اثرت في نفسه تأثيراً عميقاً، الاولى عند وفاة والده وهو في حداثة سنه، والصدمة الثانية النبأ الجلل المفاجئ بوفاة زوجته المصونة الشريفة سيده بنت علي بن عبدالله بن شهاب وهو في سفرته الى الخارج، وكان آنذاك بالقاهرة عام ١٣٠٣هـ.

هذه الفاجعة كانت عنيفة عليه وقد آلمته كثيراً واثرت في مجرى حياته، وهدت من قواه، فتراخت اعصابه وشعر انه فقد بفقدتها كل شيء في حياته حتى نفسه، واسودت الدنيا وانهارت عزماته. ولكن ثقته العظيمة بالله جعلته يرضى بحكمه ويستسلم لقضائه، ففوض امره الى الله. وهو اعلم بمصالح عباده، وهو الرؤوف الرحيم بهم.

فاجأه النبأ المؤلم وهو بعيد عن اهله وذويه، وظل على اثر هذه الفاجعة اياماً وليالي منعزلاً في منزله يعاني الآلام النفسية من تلك الصدمة، فافتقده زملاؤه واصدقاؤه من العلماء والادباء الذين اعتادوا الاجتماع به في اكثر الامسيات. عجبوا لغيابه واخذوا يتساءلون فيما بينهم عنه، فتوافدوا الى منزله يستفسرون عنه وعما الم به فخرج يستقبلهم برباطة جأش مرحبا بهم كعادته المألوفة، غير انهم رأوا في ملامحه شيئاً ما يستدعي الشك والارتياب، ويدل على حدوث امر طارئ، فاستفهموه، فانبأهم بالنبأ المؤلم، فتأثروا وشاركوه في الم المصاب وفي احزانه وعزوه في فقيدته، وتحولت الجلسة الى مجلس عزاء. سرعان ما انتشر الخبر فتوافد الجميع من معارفه ومقدراته الى منزله لتقديم التعازي والمشاركة في الم المصاب حتى ضاق المكان بالوافدين على رغم سعته. ثم أقيم سرادق امام البيت لاستقبال المعزين وقراءة الفواتح والآيات

القرآنية من الذكر الحكيم حسب الاصول المتبعة والقواعد المرعية في مصر. واستمرت اياما، وكان لتوافد المعزين والمشاركين في المصاب الجلل بقراءة الفواتح على روح الفقيده ما خفف شيئا في نفسه من لوعة الالم، فجاشت شاعريته بهذه المراثية التي بلغت تسعين بيتا هي قطعة من روحه إذ إن كل مصاب لديه هين الا هذا المصاب.

هذه هي القصيدة الحادية والعشرون من المسلسل الذي أوصى به:

اسىً وافىً بحادثه البريد	وحزن دائم وجوىً يزيد
مصاب هد من جلدي وصبري	بكارث خطبه الركن المشيد
على اني ربيط الجأش ثبت	وان حشدت من الدهر الجنود
ولكن الليالي فاجأتني	بموجة يذوب لها الحديد
كأن ضئيلة لسعت فؤادي	فحم بسمها الجسد الجليل
فكل مصيبة جلل سواها	لدي وكل ذي خطر زهيد
لقد قطفت يد الايام غضا	محل غراسه قلبي العميد
احال الدهر رونقه واذوى	نضارة عوده الزمن العتيد
وأنشبت المنية فيه ظفراً	فكاد الحي من جزع يميم
وجدن عليه بالدمع البواكي	وكان بنفسه كرمأً يجود
وسامته الكواعب أن يفدى	بهن لو الفداء هنا يفيد
واصبح وهو في حشم عديد	وامسى وهو مغترب وحيد
ترحل قاصداً نزلاً قريباً	رجوع النازلين به بعيد
وام رحاب من تلقى منهاها	اذا نزلت بساحته الوفود
مضى واختار بعد جوارنا أن	يجاوره الرؤوف به الودود
فيا لله من قمر بقبر	تعظمه لساكنه اللحدود
وكم يا ليت شعري من عفاف	تضمن ذلك الجدث الجديد

وطيب شمائل وجميل ذكر
وعرض طاهر وخلال حمد
غرائز هاشميات وخلق
يرشحه لها نسب منيف
نمته عروق مجد اخلاصه الـ
لقد أودى فأودع نار وجد
فقدت بفقده الدنيا جميعاً
اقام لعشريتي عشرين عاماً
به ابتهجت سميات المغاني
يصرف كيف شاء نفيس مالي
وكل فعالة أعمال برّ
فما نقم الحفيّ عليه أمراً
وليس وان سما قدراً وشأناً
ولم يرفع على الجيران صوتاً
ولم يغتب سواه ولا اشتكى من
وليس بسبيّ ظنّاً اذا ما
ولم ينطق ولو مزحاً بعورا
نفور عن سفاسف كل امر
تسرّبل بالنزاهة واكتسى بالنـ
دعته الغيد سيدهن طوعا
وأجمعت العقائل انه في
لهنّ بحسن سيرته اقتداء

عليه خرائد الغنّا شهود
لها الميزان والشعري عقود
جميل زانه الخلق الحميد
لمحتده ذرى العليا سجود
عمومة والخؤولة والجدود
لها ما بين أضلاعي وقود
بروحي ذلك الالف الفقيـ
وكل اولئك الأيام عيد
وتاه بعزّه القصر المشيد
ونفسي والعبيد له عبيد
وكل خصاله كرم وجود
يعاب به ولا فاه الحسود
بذى صلف ولا الشكس الكنود
وان جاروا ويصفح ان يكيدوا
نميمته القريب ولا البعيد
أساء الظن بالناس الحقود
عدو المرء ما لا يستعيد
وعن ما لا يليق به شرود
بباهة والحياء له عقيد
ومن ذا بعد غيبته يسود
سمات المجد ليس له نديد
يزين ورأيه الرأي السديد

صفات جاء مطبوعا عليها
وارث خـلفته له أصول
ولو منها فرضنا جحد شيء
نفيس قد تكون من نفيس
بلا ثمن حظيت به لحظي
ايحسن بعده في رأي عيني
وهل اسلو بلئ اسلو سلوي
وهل بتداول الأيام حزني
وهل يبلى معاذ الله ود
فلا عيشي يطيب ولا شرابي
وتأبى شيمتي ان يزدهيني
وكيف يلذ بالعلات وصل
سييدولي خيال منه مهما
بحرمة وده اقسمت اني
ومالي في الحياة هوى ولكن
أبقى والمغاني عنه صفر
وتحزنتي الولائد ان اراها
اسى يبكين لا لحذار ذل
وقين السوء طالعهن الآ
ولولا ان هذا الرزء حكم
لقارعت المنون قراع حرّ
وخضت لدرئه غمرات حرب

له ولها به اقترن الوجود
كرام من بني الزهراء صيد
لألقم دونه الحجر الجحود
وحيد في محامده فريد
بخ لود ام في الدنيا سعود
من الدنيا طريف او تليد
الى يوم يقوم به الهجود
يقل لفقده لابل يزيد
له بالقلب ممتزج اكيد
يروق ولا كرى جفني يعود
عقود في الخراعب او بنود
نعم منهن لذ لي الصدود
تراءت غرة للعين خود
احب اليه لوساغ الورود
قضى ببقاي ذو العرش المجيد
وآونة الحياة البيض سود
وقد صبغت بادمعها الخدود
فان أباته العدد العديد
بغية شخصه ابداً سعود
من الفعال فينا ما يريد
تهاب شبا قواضيه الاسود
يشيب لهولها الطفل الوليد

ولكن ليس هذا الخطب مما
فخفّض يا فؤاد عليك واصبر
وما جزع على ميّت بمغن
وسلم ان في التسليم اجراً
جرى قلم القضاء فكل ماض
وليس لذي مقام او حطام
لريب الدهر في كل ابن انثى
ومن من صرفه ينجو ومن ذا
وبالامم التي سلفت وصارت
فكم غدر الزمان بذات قرب
وكم نقضت من الدنيا عليهم
وكم ذي زهو افترست سباع الـ
ولكن الورى في غفلة عن
سفاه باين آدم حين يلهو
تناخ بسوچه نجب المنايا
وليس بما يؤول اليه يدري
لعمرك انه لقرين خسر
ولم يفلح سوى عبد له في
صدق واتقى المولى وأعطى
ولو لا سبق رحمته تعالى
على جدث به ممن فقدنا
تحيات معطرة الحواشي

تقهقره الجيوش ولا الجنود
فما الموتور قبلك مستفيد
ولا ضرب الحسام ولا النقود
وفي عدم الرضا ورد الوعيد
من الدنيا اليها لا يعود
يتاح بهذه الدار الخلود
سهام لا تطيش ولا تحيد
على ظهر البسيطة لا يبيد
من المنسي يعتبر البليد
ومبعدة كما بعدت ثمود
موائيق وكم نكثت عهود
سفناء وخانه الأمل المديد
مصارعهم كأنهم رقود
ويلعب والحمام له عقيد
وشيمته القساوة والجمود
امقبول فينجو أم طريد
ومحفوظ الكتاب بذا شهيد
ربى الايمان بنيان وطيد
ولم تتعد منه له الحدود
لحل عذابه بهم الشديد
لطيف الروح والجسم الوئيد
يضع بنشر عبهرها الوجود

وصيب رحمة وسجال غيث
وشيعت الملائك منه روحاً
واسكنه المهيمن في جنان
يطوف رياضها في عبقرى
تسامره هنالك ام هند
وكل شريفة تنمى الى من
الى آل الرسول عليه أزكى
من الرضوان جاد به الحميد
الى الافق المبين لها صعود
دعائم دورها الدر النضيد
مجللة لهيكلها البرود
وفاطمة المطهرة الخرود
هم في مركز الفخر العمود
صلاة الله ما حن الرعود

برق الرضا

السيد فضل بن علوي بن محمد بن سهل احد زعماء العرب وقادتها السياسيين المحنكين، وخطيب مفوه في جنوب الجزيرة العربية واحد رجالها الافذاذ المكافحين لتدعيم حركة النهضة الاصلاحية. العامل المصلح للصالح العام والمدافع عن حقوق الشعب لتحقيق وحدة الصف الاسلامي تحت راية دولة الخلافة. لا يؤمن بالقوميات ولا الوطنيات ولا الاتجاهات الاوروبية او الليبرالية الفرنسية او غيرها، واتجاهه اسلامي محض، وهو من اصدق اصدقاء السيد ابن شهاب.

للسيد فضل أثر كبير في خدمة الامة. تولى اماره سلطنة ظفار بجنوب الجزيرة العربية باستحقاق وجدارة عن اب وجد ولكنه آثر تركها، لان اصلاح الامة في نظره اهم من التربع على كرسي الامارة او تبوء عرش السلطنة.

قدرته دولة الخلافة ومنحته لقب الباشوية وقلدته بعد ذلك بالوشاح السلطاني والنياشين اعترافا بفضله وتقديراً لكفاحه وجهوده في سبيل المصلحة الاسلامية العامة. وما كانت النياشين ولا الأوشحة ولا الالقاب الضخمة كل امله، فهو يخدم لله وللمسلمين.

استقر في اواخر ايام شيخوخته في تركيا، وله عقب اولاد واحفاد واسباط اتخذ البعض منهم مدينة اللاذقية بسوريا موطناً لهم ولا يزالون بها الى الآن، زرتهم كثيراً باللاذقية واجتمعت بهم، وهم المعروفون بأسرة آل فضل في سوريا وتركيا.

في كل مناسبة لا بد ان يذكر السيد ابن شهاب في خطبه او قصائده مادحا او راثيا ومتوسلا بما لآل البيت النبوي الطاهر من فضل، من النبي محمد ﷺ والامام علي والزهاء الفاطمة والحسين ثم الائمة عليهم السلام علي زين العابدين والحبر الذي

انار طرق الهدى محمد الباقر والعلم الشامخ وبحر الندى جعفر الصادق ثم الائمة من بعده كابر عن كابر. فهم كنوز علم الرسول الاعظم المصون ووارثو تراثه العظيم، وهم قرناء القرآن الى يوم الورود على الحوض.

وطهرهم عن كل رجس ووصمة فلم يلدوا الا تقياً مطهراً
عليهم سلام الله قوم اقامهم لاسمائه الحسنى دليلاً ومظهراً
انشأ هذه القصيدة تقديرًا للسيد المكافح فضل بن سهل عام ١٣١٢هـ وبعثها اليه وهي الثانية والعشرون من ترتيب السيد ابن شهاب.

عليّ لها ان تنبذ المقلة الكرى	وتذري دمعاً كالواقيت احمرأ
وان ليس يسلوها الفؤاد ولو مدى	فواق ويبقى والهأ متحيراً
وان لا تصيخ الأذن سمعاً لعاذل	يزخرف تزويراً من القول منكراً
وان ليس الا في نعوت جمالها	ينوس لساني بالبديع محبرأ
وان ليس تجري في ضميري مطامع	من الوصل تأبأها الفتوة مصدراً
نعم غرضي والشاهد الله وقفة	انازعها فيها الحديث وأنظراً
ويا حبذا ان روقت كأس قرقف	يعود به غرس الأمانى مثمراً
ومن لي بآمالي ودوني من النوى	ومن نكبات الدهر قاصمة العرى
لحا الله سوء الحظ من صاحب أما	لها لحظة عني بمن جار واجترأ
كأن خلال المجد مهما تجمعت	لدى المرء مغناطيس كل حبو كرى
اذ رمت أمراً منصبي فوق نيله	أبى الدهر الا أن يرى غير ما أرى
ويا طالما كانت صها المجد مفرشي	لنيل العلا والمجد يعدو الى الورا
ولو غض عني الطرف في حب فاطم	لأبرأته عن كل حق تأخراً
اذا فزت من ذاك المحيا بنظرة	علمت يقينا ان برق الرضا شرى
محجة يصبو بها كل ماجد	اذا مازناد الحب في قلبه ورى

شموع اذا ما الريح مرّ بحيتها
وما شم أذكى من شذاها سوى ثرى
هو الفضل رب الفضل قطب دوائر الـ
اغر المحيا في أسارير وجهه
ومعلي منار الدين بالدعوة التي
له طأطأت اعناقهم كمل الورى
بطلعته يهمي الغمام وينجلي الـ
اذ رفع الكف الكريمة داعيا
هو القانت السجاد في حندس الدجا
مقيم قناة الملحدين بعزمه
له همة علياء لو رام لاقتنى
وبالحكمة القطعية الصدق لو يشا
يشير ببادي رأيه ثم لم تكذ
يريك مصير الأمر قبل وقوعه
اذا زرتة شاهدت من نور وجهه
شآ في العلا حتى اذا لم يجد له
بمن ذا لعمرى او بمن ذا اقيسه
له العزمات المجفلات خصومه
مفيض العطايا من ندى راحة اذا
ومهما جثى الراجي بأرجاء جوده
إذا أمه حر لخطب فاني
شمائله مثل النسيم لطافة

تضوعت الدنيا عبيرا وعنبرا
بنعل ابي سهل الامير تعطرا
ولاية ركن الملة الشامخ الذرى
سرى السر من نور الرسول واسفرا
بها عاد ليل المدلهيات مقمرا
ولم يرمهم من ابي وتكبرا
سقتام ويلفى الخصب انى تديرا
ترى وابل الجود الالهى ممطرا
هو الملك السامي اذا الليل ادبرا
مقلا وفعلا للكعوب مكسرا
بها الأرض ملكا والبرية عسكرا
لساس امور الخافقين ودبرا
فراسته تخطي القضاء المقدرا
ولم يأت إلا مثل ما كان خبرا
وهيئته بدر الدجا والغضنفا
نظيرا بنى برجاً هناك ومنبرا
هدى وندى اين الثريا من الثرى
جفول الأطباء العفر إن شمن قسورا
بها مس عودا يابساً عاد أخضرا
رأى الكف بحرا والأنامل انهرا
ضمين له في ان يؤوب مظفرا
يفوح لنا من عرفها المسك اذفرا

واخلاقه كالروض باكره الحيا
سريّ عظيم الشأن مختار فتية
يـتـيـمـة عقد ودّت الزهر انها
تفرع من بيت عنت لمقامه
هو البيت مرفوع القواعد بالذي
وبالأنزع الكرار والجأش ثابت
وبالدرة العصماء سيدة النسا
وبالسيدان السابق حلبة التقى
عليهم سلام الله قوم أقامهم
وطهرهم عن كل رجس ووصمة
كذي الثغفات الحبر والباقر الذي
وأولادهم من كابر بعد كابر
ولا سيما أعلامهم وهداتهم
فهم وارثو علم الرسول وسره الـ
وهم وكتاب الله في قرن الى
لهم نسبة بالاتباع لجدهم
ونسبة ميلاد قويم عمادها
ملوك على كل الملوك أعزة
ونخبة تلك العصبة العلوية الـ
هو السابق الذكر الامام الذي انتمى
وكـلـلـه دّر الندى ثم أزهر
لهم من بني الهادي الخيار مكررا
به انتظمت درا نفيسا وجوهرا
ورفعته الأملاك جونا واحمرا
الى القاب او ادنى من الحجر قد سرى
اذا فار تنور الردى وتسعرا
مقدسة الذات الزكية عنصرا
وصف الوغى ريحانتي سيد الورى
لأسمائه الحسنى دليلا ومظهرا
فلم يلدوا الاتقيا مطهرا
ابان الهدى والصادق البحر جعفرا
وفرع على منهاج أجداده جرى
بني علوي موقدي النار للقرى
مصون عن الاغيار كي لا تغيرا
ورودهما حوضا لأحمد كوثر
سلوكا وإرشادا وورداً ومصدرا
مسلمة لا ريب فيها ولا امترا
ملائك أن جن الدجا وتعكرا
ـعليه قدرا والعظيمة مفخرا
الى المجتبى مولى الدويلة يبحرا^(١)

(١) يبحر اسم بلد يسمى الدويلة اي العتيقة فرقا بينها وبين يبحر الجديدة التي بناها ابن مولى الدويلة عبد الرحمن، وهما باسفل حضرموت. والمراد بمولى الدويلة الامام محمد بن علي بن علوي ابن الفقيه المقدم.

هو الفضل من والاه امسى مبجلا
الى الفضل فليهرع ضرورة كونه
ولا غرو أن شدت اليه الوفود من
فيا أيها المولى الذي لم يزل من الـ
اليكم من النائى الذي عضه النوى
خريدة آداب تـجر ذـيولها
وتبسـط كف الاعتذار اليكم
تمتّ بصدق القول اذ لم تكن بها
حظيا ومن عاداه أمسى متبرا
لسائر انواع الفضائل مصدرا^(١)
عميق فجاج الارض كي تحمد السرى
ـبرية مخدوم الجناب موقرا
بناجذ طول الاغتراب وكشرا
على ابن ابي سلمى وحارث يشكرا^(٢)
لناظم غالي درها حيث قصرا
مدائحك الغرا اختلافا ولا افترا

(١) قوله: ضرورة كونه، عبارة يستعملها بعض المتكلمين ومعناها التعليل بالضرورة، اي لضرورة كونه.

(٢) اولهما زهير بن ابي سلمى، وثانيهما الحارث بن حلزة البشكري.

حمى العلويين او اسرة بيت ابن يحيى

السادة الاشراف من اسرة آل ابن يحيى من البيوتات العلوية المشهورة بالتقوى، والمعروفة بالصلاح والاصلاح. هذه الاسرة تنتمي نسبا الى الامام جعفر الصادق عليه السلام وهي من بيت علم ونجابة وجود. نبغ منها العلماء والصلحاء ورجال الاعمال والادباء والشعراء والاطباء، وهم منتشرون في المهاجر الشرقية. وفي كثير من البلدان العربية يعرفون بآل عقيل، وقد اندمجوا بالشعب اندماجا، وتولوا مراكز عالية حساسة مهمة في الدولة، منهم الوزراء والحكام والاطباء والمحامون والشعراء والادباء.

من هذا البيت نبغ العلامة السيد محمد بن عقيل السياسي المحنك والمصلح الكبير صاحب المؤلفات العديدة. تلقى عن شيخه السيد ابن شهاب وهو من النوابغ الممتازين في زمانه، يجله السيد ويدافع عنه وهو احد اركان النهضة الاصلاحية. اصدر عدة صحف في المهجر الشرقي، منها (الاصلاح) التي تصدر من سنغافورا ومجلة (الامام) من ماليزيا عام ١٣٢٤هـ اسس الجمعيات الاصلاحية وشيد المعاهد العلمية ومن هذه الاسرة الشاعر الاديب السيد عبدالله بن احمد بن يحيى الذي مثل دولة اليمن في المحافل والمؤتمرات الدولية، وحضر مؤتمر آسيا وافريقيا في مدينة باندونغ باندونيسيا. له تقرير شعري في مجلد ضخيم، وله دواوين كثيرة جلتها مطبوع. ومنهم أيضاً الشاعر الاديب السيد هاشم بن علي بن يحيى وهو رجل من رجال التربية والتعليم. اسس كثيراً من المدارس والمعاهد العلمية، ويقوم حالياً في مدينة (فاسوروان) بجاوا الشرقية في اندونيسيا. له ديوان مخطوط.

يقول السيد ابن شهاب عن هذه الاسرة:

إذا ما رماك الدهر بالقهر فانتجع حمى العلويين الكرام بني يحيى
ففي دورهم يغنى الفقير ويجبر الـ كسير وهل من مات الابههم يحيى
أولي العزمات الشم والهمة التي بها سبقوا في نجد الدين والدنيا
بايديهم الأعلام للبر والتقوى واصلاح ذات البين والعلم والفتيا^(١)

بدت البشرية

من اسر السادة العلويين، اسرة السادة آل الكاف، وهي احدى البيوتات
المعروفة بالوجاهة وحب الاعمال الخيرية. نبغ منهم الكثير من الشعراء والادباء في
اليمن الجنوبي وفي المهاجر الشرقية، واليهم يشير السيد ابن شهاب بهذه الابيات.
وهي الرابعة والعشرون من المسلسل المرتب المختار:

بني الكاف^(٢) من علياء آل محمد عليكم من الباري تحياته تترى
بني الكاف ان الله كاف وباسمه دعيتم ومن سراسمه بدت البشرية
كفيتم وواسيتم أناسي مسهم أذى الدهر فاستوجبتم الأجر والشكرا
وقمتم بانشاء المدارس حسبة بخ فلکم اضعاف ما يؤجر القرّا
فما أحسن الاحسان من أي مصدر ويزداد حسنا ان يكن من بني الزهرا
هم العروة الوثقى وهم قادة التقى وهم سادة الدنيا وهم سادة الاخرى

(١) هذه هي الثالثة والعشرون من المسلسل المرتب.

(٢) والمراد منهم هنا بنو السيد المحسن الشهير شيخ بن عبدالرحمن الكاف وبنو اخيه عبدالله، وهم الذين يشار اليهم
الآن في تريم بالوجاهة والثروة والصدقة والبر كما ذكره الناظم رحمه الله تعالى.

التقصير و الحمل الثقيل

اختتم السيد ابن شهاب هذه المجموعة من قصائده التي اختارها ورتبها واوصى بها للنشر بهذه الابيات وهي الخامسة والعشرون من المسلسل. قالها معترفاً بالتقصير ومقراً بان الحمل ثقيل، ولكن ايمانه بالله عظيم، وجهاده وكفاحه في سبيل الله، وحبه للنبي الاعظم محمد ﷺ وآل بيته الطاهرين الكرام ﷺ كل ذلك الشفيع المشفع له.

يظنون في خيراً واني لمخطئ مقرّ بان الظهر بالوزر مثقل
ولي امل ان يجعل الله خير ما يظنون حقاً والخطايا تبدل
ومن دينه حب النبي وآله بيوم التنادي كيفما كان يقبل
ولو عبدالله امرؤ وهو مبغض لهم حبطت اعماله والتبتل
وقد جاء نصا ان هذا وان يلذ ويصفن بركن البيت فالنار يدخل
وبهذا نأتي الى ختام هذا الفصل من مختارات السيد ابن شهاب المرتبة حسب امره ووصيته، كما بدأنا بالحمد والشكر لله الواحد الاحد الفرد الصمد.
رحم الله السيد ابن شهاب وغفر له، واسبغ عليه المولى شآبيب رحمته الواسعة،
واسكنه فسيح جنات النعيم.

النهضة الادبية

من المعلوم الثابت ان السيد ابن شهاب هو باعث النهضة الادبية في جنوب الجزيرة العربية وفي المهجر الشرقي، وهو الذي نفخ في شعر الحضارم روحا جديدة وألبس القريض حلة زاهية طريفة، فهو بحق واستحقاق مجدد الأدب العربي في جنوب الجزيرة والمهجر الشرقي. انه قائد الحركة المباركة الذي يرجع اليه الفضل الأكبر والقدح المعلى في انعاش الادب العربي وترغيب الناشئة فيه. انه شاعر اليمن الاعظم بعد الجاهلية بالطبع، وهو دعامة هذه الحركة الادبية الفتية وغارس بذورها الطيبة التي بدأنا نستثمر نتائجها ومحصولاتها، وهو الشخص الوحيد الذي تأثر بشعره الادب العربي في جنوب الجزيرة وكرع من حياض ادبه. فكان لادبه وشعره العربي الاسلوب السلس العباثر، البديع الانسجام، اكبر أثر في تغذية وتكوين الادب الحضرمي الحالي واعداده بكل مؤن القوة والمنعة.

انتعش الادب العربي في حضرموت والمهجر الشرقي في عهد السيد ابن شهاب انتعاشا باهرا، تدرّج في النمو الى تغيير تلك الآراء الآسنة التي كان يتسم بها بها الادب، ونزع تلك الكمائم المرخاة على عيون اولئك البعض حتى اعمتهم عن فوائد الادب الجمّة وأثره البليغ في تهذيب النفس وتلطيف الحس وصقل الذوق.

ولقد كان ذلك الانتعاش سببا اساسيا في ظهور أدباء وشعراء وعباقره هم اليوم او اكثرهم في طليعة القافلة التي تحمل علم الشعر خفاقا، وهم الذين وضعوا اول حجرة في بناء زاوية الشعر العربي السليم من اللحون والزحافات والعلل بعد استاذهم العظيم السيد ابن شهاب.

وقد كان السيد ابن شهاب قد تطلع ببصره الثاقب الى نتائج هذه الحركات الادبية ونهضة الشعر الفنية واستشف من ورائها مستقبلا للشعر بوادي الاحقاف يطرب كل من

يهمه شأن الادب ولا تغيب عن باله فوائده وثماره.

الشعر العربي الحضرمي مدين لابن شهاب اذ هو أثر من آثاره (اثر غيره بالغ كأثره) ونبع من معينه الفياض وجدول من كوثره العذب، فابن شهاب يعتبر بحق وجدارة واستحقاق مدرسة الشعر العربي الحضرمي. وفضل تلك المدرسة لا يحتاج الى تنويه واشارة، فان آثارها شاهدة عليه. واولئك الشعراء الذين ظهوروا في زمن ابن شهاب انما استقوا من حياضه وكرعوا من معينه، فهو الذي نفخ فيهم روح الادب فلا بسوها ولا بستهم.

ضمت مدرسة ابن شهاب ادباء عظاماً لا يزال اكثرهم حيا يرزق ولو ان بعضهم الآن - الآن فقط - قد هجر الشعر ورياضة الفكر في فيافيه. وثقل عليهم قرضه - اي شعر المناسبات طبعاً - ففقدنا بصمتهم نغمات كانت انشودة وادي الاحقاف في عصر ما، وكانت رسالة الشعر الكلاسيكي الناضج^(١).

القصائد والأبيات المحذوفة:

هناك قصائد غير مثبتة في ديوان السيد ابن شهاب، اما أن تكون حذفت عن قصد وتعمد، او لم يتسن لجامع الديوان العثور على الابيات والقصائد المفقودة، وهذا امر معروف لخلو الديوان من تلك القصائد.

يرى السيد صالح الحامد احد كبار الشعراء البارزين ان عدم اثبات الكثير من قصائد السيد ابن شهاب في ديوانه المطبوع هو كونه شعراً فنياً من النوع الوجداني والغزلي، فرغب السيد ابن شهاب عن نشره فحذفه من ديوانه رغبة عنه فلم يره رائجاً في سوق هذا المجتمع المولع بشعر المناسبات، ولم يتشبع المجتمع بعد بالروح الفنية للشعر ولم يتذوق ميزة الشعر الصادر عن رشح العاطفة ووحى الضمير.

(١) مجلة النهضة الحضرمية - سنغافورا عام ١٩٣٣.

وهذا رأي شاعرنا السيد صالح الحامد، ولكنني لا اوافق رأيه لعدة اسباب منها:
اولاً - ان الديوان طبع بعد وفاة المرحوم السيد ابن شهاب، فكيف يمكن له
حذف شيء مما لا يرغبه، لان المجتمع لم يتشبع بروح الفن ولم يتذوق رشح العاطفة
ووحى الضمير.

ثانياً - نجد جل قصائده في الديوان تفتتح بالغزليات شان القصائد الكلاسيكية،
وكان تغزل السيد ابن شهاب من النوع العاطفي الوجداني الممتاز ووحى الضمير
الراقي.

ثالثاً - لم يوص السيد ابن شهاب فيما يتعلق بقصائده بشيء سوى القصائد
المثبتة في القسم الاول من الديوان بموجب امر السيد ابن شهاب في وصيته قبل وفاته،
واما ما سوى القسم الاول فلم يذكر السيد ابن شهاب عنه شيئاً، واما القسم الثاني من
الديوان فهي القصائد التي استطاع السيد محمد بن عقيل العثور عليها وجمعها في وقته
تمهيداً لطبع الديوان.

رابعاً - يعلم ان هناك قصائد لم تثبت في الديوان كما ان ابياتاً كثيرة حذفت من
القصائد الموجودة في الديوان، ربما لرأي ارتآه القائلون على طبع الديوان في ذلك
الوقت نظراً لظروف ذلك الزمن غير المناسب لنشرها.

وعلى رغم تقديري للقائمين بجمع قصائد السيد ابن شهاب المبعثرة وما بذلوه
من جهود لطبع الديوان عام ١٩٢٤م فأني ارى ان عدم نشر اية قصيدة ولو كانت تافهة
او حذفت ابيات من القصيدة مخالف لامانة النشر، بغض النظر عن الوقت والزمن
والظروف، او التعلل بالتوقعات من كلمة (ربما وربما) اليس من الممكن ان الابيات
المحذوفة قد تكون هي بيت القصيد والتي تدل على مبدأ وشخصية القائل.

السلسلة الذهبية

ذكرت الباحثة الدكتورة سيدة شمس الكاشف استاذة التاريخ الاسلامي في جامعة عين شمس بالقاهرة في كتابها (مصادر التاريخ الاسلامي ومناهج البحث فيه) بالقاهرة، في صفحة ٢٠ من بحثها عن احاديث السلسلة الذهبية ما يلي:

ولما كان المجتمع الاسلامي يستند في اساسه الى الدين، فقد استند الى القرآن والسنة. اما القرآن فان نصه معين محدود. واما السنة والاحاديث فقد استطاع ذوو الاغراض المختلفة ان يدخلوا فيها ما يحلوهم لخدمة اغراضهم.

والواقع ان ائمة الحديث متفقون على ان احاديث كثيرة وضعتها جهات مختلفة. ويشير ابن حزم صاحب الفصل في الملل والاهواء والنحل، الى وضع احاديث في الرسول ﷺ. ومنذ الفتنة الاولى في الاسلام زمن عثمان بن عفان اخذ وضع الحديث يزداد وينمو حتى استفحل الامر فيما بعد. فنرى الامويين يروجون الاحاديث في فضائل عثمان وفضائل الأمويين. وقد وضع العباسيون احاديث تؤيد حكمهم وتثبت حقهم في الخلافة. وينسب الى المهلب بن ابي صفرة بطل محاربة الخوارج زمن الامويين احاديث ضد الخوارج، وكذلك وضع انصار المرجئة الاحاديث في تعزير المرجئة كما وضع بعض الصوفية الأحاديث في تأييد الصوفية. وهكذا نرى ان كل فرقة وضعت الأحاديث نصره لرأيها وتعزيدها لمسلكتها، اما الشيعة فأنهم يسمون الاحاديث (الاخبار) ولا تنتقل الاحاديث عندهم بالاسناد وانما تروي عن ائمة الشيعة وحدهم.

ان ما ذكرته الدكتورة سيدة شمس الكاشف حول اعتماد اتباع آل البيت على الاحاديث النبوية المروية عن الائمة عليهم السلام هو عين ما يقوله السيد ابن شهاب بأن ائمة آل البيت هم حاملو علم الرسول الاعظم سيدنا محمد ﷺ، وان الاقتداء لا يكون الا بهم وعلى طريقتهم. وفي ذلك يقول السيد ابن شهاب عن ائمة آل البيت في موضوع الاحاديث المروية بطريقتهم:

الآخذى علم الرسول شريعة وحقيقة من فاضل عن فاضل
تبعاً لما جاء عن الرسول ﷺ في احاديثه الشريفة بأنهم قرء القرآن، ويفصل
السيد ذلك في قصيدة له عن الاحاديث النبوية المروية بطريق ائمة آل البيت عليه السلام
بالطريقة المعروفة بالسلسلة الذهبية، فيما يلي:

لذ بالنبي وبلائمة من بني علوي الغر الهداة الحائر
فهم الخلاصة من سلالة احمد ومعين فياض الندى المتواتر
والآخذوا ارث الرسول اجازة وتلقيا من كابر عن كابر
والمقتفون سبيله قدما على قدم الى القدم الشريف الطاهر
حتى انتهى سر النبي مسلسلا فيهم الى اهل الزمان الحاضر
يروون عن آبائهم عن جدهم عن جبرئيل عن العزيز الفاطر
وهم بحور العلم فاض اذيتها من ذلك البحر المحيط الزاخر
تحى بها موتى القلوب ولم تزل تسقى حدائق كل قلب عامر
بمعارف وعوارف ولطائف وعواطف من ذي الجلال الغافر
الى آخر القصيدة. وفي هذا الموضوع أيضاً يقول السيد في قصيدة اخرى ما
يلي:

واولادهم حمال اسرارهم وحا فظي الدين من كيد الفئات المفارقة
وهم كابر عن كابر قد توارثوا غوامض علم المصطفى وحقائقه
اولئك اهل البيت والعترة الألى بفضلهم الآي الكريمة ناطقه
وشاعر آخر يقول عن السلسلة الذهبية ما يلي:
روتها هداة قولهم وحديثهم روى جدنا عن جبرئيل عن الباري
ما اكثر اقوال وقصائد السيد ابن شهاب في هذا الموضوع والتركيز على الا يكون
الآخذ الا عن طريق آل البيت العترة الطاهرة عليه السلام.

سبق اهل البيت عليهم السلام الى تدوين العلم، واهتم اتباعهم والموالون لهم بحفظ تراثهم وبالانتهاال من عذب غديرهم المعين الذي لا ينضب، ووجدوا السند قويا والمرعى خصبا. تتصل سلسلة احاديثهم بصاحب الرسالة وهي الترياق المجرب. كان الامام الصادق عليه السلام عندما يحدث بحديث نبوي يقول: حدثني ابي محمد الباقر عن ابيه زين العابدين عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب عن النبي محمد صلى الله عليه وآله.

وكان الامام الصادق اذا ارسل حديثه فهو اتصال بهذه السلسلة ^(١) لانه كان يقول: حديثي حديث ابي، وحديث ابي حديث جدي، وحديث جدي حديث ابيه، وحديث ابيه حديث امير المؤمنين عليه السلام وحديث امير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله. فائمة اهل البيت حلقة متماسكة ومدرسة مستقلة تتصل برسول الله صلى الله عليه وآله بأوضح السبل واقرب الطرق. ويقول السيد ابن شهاب عنهم:

هم بينات الله هم آياته الـ كبرى لارغام الجحود الجافل وفيهم يقول أيضاً:

حبل اعتصام المؤمنين فحبذا المـ — تمسكون وخيبة للناكل وهم الائمة والأدلة يوم تزـ دحم الخلائق كالجراد العاظل وله قصيدة أخرى في نفس الموضوع نقتطف منها ما يلي:

وعنهم حديث المجد يروى وفيهم موارد طه العلم والحكم والفتيا عليهم مدار الحق بل وبهديهم تناط أمور الشرع اثباتا او نفيا واذا اردنا الاسترسال في اقوال وتقارير السيد ابن شهاب عن السلسلة الذهبية فاننا سوف لا نصل الى نهاية، لان اقواله متواصلة في مؤلفاته وقصائده وتقاريراته ومحاضراته، ونكتفي بهذا وفيه الكفاية لاعطاء الصورة الحقيقية الواضحة أن

(١) الامام الصادق والمذاهب الاربعة للاستاذ اسد حيدر الجزء الثاني: ص ٥٦١.

الاحاديث التي يرويها آل البيت عليهم السلام احاديث السلسلة الذهبية هي الاحاديث الصحيحة حتميا، لان النبي محمد صلى الله عليه وآله كان في تربيته للامام علي وفاطمة الزهراء يلقيهما ما يجب ان يعلما به، فيحدثهم احاديثه، وكانا يسمعان من النبي كل ما يقوله ويحفظانه بعبارته واسلوبه ومعناه كما نطق به النبي محمد صلى الله عليه وآله كلمة كلمة وجملة جملة، وقام الامام علي بدوره في تربيته لابنيه الحسن والحسين بنفس الطريقة والاسلوب اللذين تلقاهما من الرسول صلى الله عليه وآله. يلقيهما تلقينا ما نطق النبي به محافظاً على النص متحاشيا التصحيف والتحريف، ولقن الامام الحسين عليه السلام ابنه علياً زين العابدين بنفس الطريقة والقاعدة والاسلوب، ولقن الامام علي زين العابدين ابنه محمداً الباقر كما لقن الامام محمد الباقر ابنه جعفر الصادق، بنفس الطريقة والقاعدة والاسلوب وهكذا دو اليك. وهذه اسرة واحدة رباهم النبي صلى الله عليه وآله تربية صالحة وترعرعوا ونشأوا في احضان النبوة وعاشوا في بيت الوحي الطاهر، من الآباء الى الابناء الى الاحفاد وما نزل من سلالة الائمة من آل البيت عليهم السلام الذين حافظوا على نصوص الاحاديث محافظة تامة بلفظها وعباراتها واسلوبها ومعناها كما نطق النبي بها ولا يتساهلون فيها كالاتماد على المعنى دون اللفظ او بالعكس، وبذلك لا يقبل الشك فيها مطلقا، تلك هي احاديث السلسلة الذهبية.

ظل آل البيت حتى في احلك العصور عليهم محافظين على الاحاديث المروية عن آبائهم معتنين بها كل العناية، وهي الاحاديث الصحيحة.

رشفة الصادي

لابد لنا هنا من وقفة ولو قصيرة فيما يتعلق بهذا الكتاب الجليل (رشفة الصادي من بحر فضائل بني النبي الهادي) للسيد ابن شهاب، فلقد كثر الحديث إما اعجابا به و تقديرا له او نقدا واستهجانا له، كما اخذ البعض على ما جاء في مضامين الكتاب من كلمات نابية غير مستساغة ومعاكسة للعقيدة الصحيحة والمبدأ القويم والعرف المألوف، وعليه يجب علينا دراسة الوضع وتقصي حقائق الامور حتى نصل الى النتيجة الحقيقية.

وقبل ان ندخل في الموضوع ونسهب فيما جاء في الكتاب من كلمات اثارت بعض اللغظ والشكوك على رغم قيمته العلمية ومستواه الرفيع والذي اصبح مرجعا مهما من المراجع العلمية المعتمدة نود ان نلفت النظر الى امور:
اولاً: ألف السيد ابن شهاب كتابه هذا وهو في دور النضوج من عمره وفي مرحلة ريعان شبابه الممتلئ حماساً وغيرة.

ثانياً: طبع الكتاب عام ١٣٠٢هـ في القاهرة بعد فترة من الزمن من تأليفه.

ثالثاً: لم يشرف المؤلف على طبع كتابه وتصحيحه حين الطباعة مطلقاً.

رابعاً: لم يكن لدى المؤلف نسخة أخرى سوى المرسلة الى المطبعة.

خامساً: بُعد المسافة وصعوبة المواصلات بين القاهرة وبين مقر السيد ابن شهاب

في مهجره.

سادساً: الثقة التامة بالمطبعة.

سابعاً: لم يكن المشرف على طبع الكتاب امينا، فقد حذف كلمات وادخل

كلمات اخرى حتى جاء المعنى معاكساً للواقع.

ثامناً: وجود نسخ اخرى بأيدي البعض مما ابان وجود التزوير والمغالطات عن

تعتمد.

هذه النقاط التي ذكرناها تنبه اليها الكثيرون منهم السيد هاشم بن شيخان السقاف احد تلامذة مدرسة ابن شهاب، كما لفتت نظر القراء فاتتبهوا لتلك الهنات من كلمات أضيفت واخرى حذفت حتى تخلخل المعنى وتغير ترابط العبارات فصارت غير مستساغة. وقد كتب السيد هاشم بقلم يده عند كل هنة من تلك الهنات بقوله: تأمل ما ادخلته يد التصحيف على عبارات العلامة السيد ابن شهاب.

وفيما يتعلق بالكتاب ومحتوياته فعلى رغم ما أدخلته ايدي التصحيف والتحريف من كلمات او حذف كلمات اخرى وهي بالطبع قليلة، فالكتاب يعد من محاسن مؤلفات المؤلف بحثاً وتمحيصاً وتحقيقاً.

اما من جهة الطباعة فتعتبر في ذلك الوقت من الطباعة الجيدة المتقنة، ولكن بتقدم الطباعة تعتبر الآن من الطباعات القديمة غير المستوفية لشروط الطباعة والاخراج.

قلنا: ان مؤلف كتاب رشفة الصادي حين تأليفه كان في ريعان شبابه وقد بلغ من سمو الدراية وبعد النظر ودقة البحث ما جعله حجة وبرهاناً مستحقاً لتبوءه المكانة المرموقة في المجتمع على ما بلغ مستواه العلمي وسعة اطلاعه وعمق تفكيره. كان السيد في جميع مراحل حياته معتدلاً بنفسه ولم يجد حرجاً ان ينبه الجميع اذا بدا منه ما يخالف المألوف، فكيف اذا كانت الأخطاء من غيره للاساءة له؟ فلا غرابة ان اعلن براءته صراحة مما أدخل في كتابه.

إذا فرضنا ان الهنات كانت من عنده، فإنه لا يتحاشى ان يقول الحق ولو على نفسه، لثقتة بشخصيته واعتداده باستقلال فكرته ورأيه الواقعي الحر، حيث قوله المعروف. قال حقاً وأبطل باطلاً فأصلح و صوب على نفسه مما قاله في شبابه من جملة نايبة او عبارة شاذة او ما روى عنه انه قالها وكانت مخالفة لمبدأه وعقيدته، أو كانت

تافهة قد تمس من طرف خفي عقيدته التي يستमित من أجلها، فانه لا يتحاشى من قول الحق وتصحيح الخطأ وليس في اعتراف الانسان بخطئه ما يؤخذ عليه أو يثير الشك فيه كما يرى البعض ممن يجعلون الحبة قبة ولذا نرى كثيراً ما يكرر السيد ابن شهاب دحضا لتلك الاقاويل بانه يشهد الله ونبيه وملائكته والناس اجمعين على براءته من كل قول يخالف عقيدته او مبدأه مما صدر منه أو روي عنه. يقول في ذلك: اني أشهد الله ونبيه وملائكته والملا اجمعين اني بريء واتبرأ من كل قول صدر مني او روي عني او بدر مني سابقاً لا يوافق عقيدتي او مبدئي او موقفي.

هذه براءة السيد ابن شهاب وليس بعد هذا مجال للشك والريب فيه، لانفضاح تلك المفتريات من الاقاويل التي تقولوها عليه، كاضافة كلمة من المصحح في كتابه رشفة الصادي وحذف كلمة، حيث جاء المعنى معاكساً. ومثالاً لهذه التصحيفات والتحريفات نذكر ما فعل المشرف المصحح على طباعة الكتاب حيث تجرأ فحذف كلمة (الخوارج) ووضع محلها كلمة (الشيعة)، وابدل كلمة (النواصب) بكلمة (الشيعة) فانقلب المعنى رأساً على عقب، لتنصب اللعنات على الشيعة.

ان المنطق السليم والاسلوب القويم يثبت بعد هذا الدليل الواضح اثباتاً قطعياً ان كل ما جاء في الكتاب من تحريف او تصحيف من حذف كلمة او وضع كلمة اخرى مكانها، كان عن قصد وتعمد وسابق اصرار من المشرف والمصحح، وهذا العمل هو الخيانة بعينها، وإن كانت تلك الكلمات لا تتجاوز عدد اصابع اليد. فهي شاذة، وكل شاذ لا حكم عليه. ولو فرضنا ان تلك الكلمات من قول المؤلف او صادرة منه، فهو قد تبرأ منها.

المطالع لكتاب (رشفة الصادي) يرى جلياً واضحاً وملموساً ان تلك الكلمات مدسوسة ومدخلة بدون شك ولا ريب، لمخالفتها صياغة اسلوب المؤلف وعقيدته المعروفة عنه. وتدل دلالة واضحة على استحالة صدور تلك الكلمات النابية والمخالفة

للعقيد ته منه.

ان الاخطاء قد تقع من تصحيف او تحريف عند طبع الكتاب او استنساخه او عند تنضيد حروفة في المطبعة، فيبرر البعض ان ذلك حدث لسهو او خطأ من الناسخ او منضد الحروف، بحجة رداءة الخط او قدم عهد الكتاب بحيث يعسر على الناسخ او مصرف الحروف قراءتها، فيشتبه عليه كلمة او عبارة فيقع في الخطأ غير المتعمد، وتسمى تلك الاخطاء اخطاء مطبعية، وكثيراً ما يحدث مثل ذلك ثم يتلافى هذا السهو او الخطأ غير المتعمد بوضع جدول لقائمة تلك الاخطاء في اواخر صفحات الكتاب، ليتسنى للقارئ تصحيح تلك الاخطاء الموجودة في الكتاب، وهذا لا يمكن مقارنته بمن يتجرباً بتعمد وسابق اصرار لتختل صيغة العبارة ويأتي المعنى معاكساً للواقع وضد ما وضعه وكتبه المؤلف.

ما هو دور المشرف والمصحح على الطباعة ؟ يجب على المشرف والمصحح على الطباعة ان يكون امينا، وعليه تقع المسؤولية الاولى في حفظ الامانة التي اوّتمن عليها، ولا يتجرباً لسبب من الاسباب او لدافع من الدوافع او بايعاز من جهة معينة لهدف معين مقصود، فإن ذلك العمل هو عين الخيانة وعمل اجرامي، والعامل به هو انسان فاقد الشعور لا ضمير له ولا يشعر بأدنى مسؤولية لان الجريمة متأصلة فيه.

وجوب المحافظة على التراث خدمة للعلم والتاريخ

ان المحافظة على التراث والمحافظة عليه وتقديره هو خدمة للعلم والتاريخ، ولا يقوم بهذا العمل الا رجال العلم الذين يخدمون العلم بأمانة تامة، فيتحررون بدقة في مراجعة الكتب المطبوعة او المخطوطة ليتوصلوا الى النصوص الاصلية الموجودة في المكتبات العالمية او المكتبات الخاصة لدى الافراد، لمراجعتها وتحقيقها ومقارنتها حتى يتمكن المحقق من الوصول الى حقيقة اصل الكتاب كما كتبه المؤلف بدون زيادة

ولا نقصان او خلل خالياً من التصحيف والتحريف والتلبيس.

التصحيف والتحريف في كتب التراث الاسلامي

ما اكثر التصحيف والتحريف في كتب التراث الاسلامي، وقد يمر على القارئ فيعتقد صحته اذا لم يمعن النظر امعانا بدقة. ومثالاً بسيطاً على هذه التصحيفات والتحريفات نذكر ما نجده في شرح ابن ابي الحديد لكتاب نهج البلاغة المطبوع في مصر والذي تكرر طبعه وتكرر نفس الخطأ فيه، فنرى ما جرى في السطر الخامس من الصفحة الثانية من طبع دار الكتب العربية بالقاهرة، كما جاء نفس الخطأ والتصحيف والتحريف في طبعات بيروت، فتحرف المبني والمعنى، كما يلي:

«وصلى الله على رسوله محمد الذي المكنى عنه شعاع من شمسه وغصن من غرسه وقوة من قوة نفسه ومنسوب اليه نسبة الغد الى يومه، واليوم الى امسه، فهما الاسبق واللاحق، وقائد وسائق، وساكت وناطق، ومحل ومصل، سبقا البارق، وانا سدف الفاسق صلى الله عليهما ما استجلب خبير، وتناوح حراء وثبير».

يجد القارئ المتمعن في سياق هذه العبارة جملاً مخلخلة لا يستطيع الذوق السليم هضمها، وقد تعمدت وضع خط تحت كل كلمة من تلك الكلمات للدلالة على الكلمات المحرفة، واللافت للنظر انه عندما تصرف المحرف في النص، فاته تحريف ضمير المثنى، فاختل المعنى وتزعزع المبني، والفت نظر القارئ واسترعي انتباهه الى حذف اسم (علي) واستبداله بكلمة (الذي)، وفي بعض النسخ الاخرى بواو العطف فصار (والذي). ومهما يكن فكلمة (الذي) أو (والذي) تدل دلالة واضحة على اختلال العبارة وعدم انسجامها، إذ من يفهم هذه العبارة: (محمد الذي المكنى عنه شعاع من شمسه)؟ واضح ان العبارة مخلخلة فاسدة وغير سليمة، وكل قارئ فاهم يشعر بفساد الاسلوب وعدم وضوح معناه. والغريب المحير ان المصححين والمشرفين على الطباعة

الثانية التي بعدها لم يلفت انتباههم هذه الاخطاء الفاحشة الشاذة.
لنرا الآن الوضع الحقيقي والعبارة الصحيحة لتلك الكلمات المصحفة والمستبدلة
بكلمات اخرى.

الكلمة الصحيحة في الاصل (علي) استبدلت بكلمة (الذي) في بعض النسخ،
وكلمة (والذي) في نسخ اخرى. وكلمة (سابق) بكلمة (الاسبق)، واستبدلت كلمة
(استخير) بكلمة (استجلب).

وهناك كلمات جاءت بضمير المثني غاب عن المصحف تصحيفها، وهي: (سبقا
- انا - عليهما -).

وعليه يكون سياق العبارة الصحيحة هو: «شعاع من شمس، وغصن من غرسه،
وقوة من قوة نفسه... فهما سابق ولاحق، وقائد وسائق، وساكت وناطق، ومجل
ومصل».

وبهذا نصل الى سياق العبارة الصحيحة كما يلي:

«وصلى الله على رسوله محمد وعلي المكني عنه شعاع من شمس، وغصن من
غرسه وقوة من قوة نفسه، ومنسوب اليه، نسبة الغد الى يومه، واليوم الى امسه، فهما
سابق ولاحق، وقائد وسائق، وساكت وناطق، ومجل ومصل سبقا لمحمة البارق، وانا
سدقة الفاسق، صلى الله عليهما ما استخير خبير وتناوح حراء وثبير».

هذه هي الجملة الصحيحة والعبارة ذات المعنى المفهوم، وعلى هذا الاساس
والمنطق السليم لا يمكن ان يقال: ذلك سهو، لتبرير اعمال المصحح. وكيف يستمر
السهو الى اليوم؟ ألم يكن ذلك عن تعمد وسابق اصرار؟

بعد هذا، نأتي الى صلب الموضوع الذي نحن بصدده، مما ارتكبه المصحح
والمشرف على الطباعة حين طبع كتاب رشفة الصادي من بحر فضائل بني النبي
الهادي، مما صار من حذف كلمات او اضافة كلمات اخرى من عندياته التي تخالف

النص الاصيلي، ففي الصفحة (٤٤) اضاف المصحح اسم (معاوية) وكلمة (هما) حيث انقلب المعنى وصارت العبارة كما يلي:

«عن علي بن ابي طالب ومعاوية رضي الله عنهما»

بينما السيد ابن شهاب يقول في قصيدة له مشهورة معروفة قبل تأليفه كتاب رشفة الصادي بعدة سنوات، نقتطف منها هذه الابيات التي هي بيت القصيد:

ركبتم بتبرير المسيء مطية الـ	ضلال ولفقتم احاديث بهتاننا
رويدكم استجيبوا من الله انكم	جعلتم رؤوس البغي للدين اركاننا
اذا ما ذكرنا المصطفى او وصيه	وفاطم والسبطين اعلى الورى شاننا

الى ان يقول:

ذكرتم لنا الباغي معاوي وابنه	وصخرا وعمرا والدعي ومروانا
وهم شر صعب للنبي وبعده	غدوا لكلاّب النار في الدين اخوانا
قروء كما قال الرسول وانما	رقصتم لهم لما استوى القرد سلطانا
اما حاربوا الجبار لما تحزبوا	لحرب اخي المختار بغيا وطغيانا
ولما مضى ازدادوا عتواً وأطفأوا	مصاييح بيت الدين مبددين اضغانا

الى آخر القصيدة وهي طويلة.

انظر الى قول السيد ابن شهاب ثم التفت الى ما حدثته اليد الاثيمة من تحريف. وفي السطر السادس من الصفحة (١١٠) حذف المصحح كلمة (الخوارج) ووضع مكانها كلمة (الشيعه) حتى صار المعنى معاكسا بذلك التغيير المتعمد وانقلب المبنى والمعنى. ان اقل الناس دراية يدرك ويفهم ذلك ويعتبر المحرف خائنا مجرما في حق السيد بن شهاب.

والسيد بن شهاب هو الذي يصرح جهاراً في خطبه بالدعاء على الخوارج، ومنها خطبته الرمضانية الشهيرة المعروفة التي تعاد تلاوتها وقراءتها الى اليوم في شهر

رمضان، اذ يقول في اواخر أواخرها:

«اللهم اصلح سائر ولاية المسلمين واستأصل شأفة المشركين ودمر بهم
الخوارج والملحدین واقمع بهم شوكة البغاة المعاندين».
الى آخر الخطبة حيث يجد القارئ نصها كاملاً من خطبه في فصل آخر من هذا
الكتاب.

وفي صفحة (١٣٩) من السطر (١٦) حذف المصحح اسم الامام محمد الباقر عليه السلام
حتى اختلت سلسلة النسب. ولكنه تدارك في آخر الصفحة.

ان الامانة تفرض على الناسخ والناقل والمصحح والمشرّف وضع كل كلمة في
موضعها، فهم مسؤولون يتحملون امانة النقل، والا فانهم خانوا امانة النقل وامانة العلم.
ما كان المشرّف على الطباعة عندما حرف جملاً في عبارات كتاب رشفة
الصادي يحسب ان السيد ابن شهاب لا يزال حياً يرزق على قيد الحياة وان للسيد
مؤلفات اخرى، وكان الجاني مطمئناً ان امره وفعله لن ينكشف ولن يعرف احد من فعله
شيئاً، وربما كان يعلم ان التزوير والتحريف مهما طال الزمن لا بد ان ينتهي الى فضيحته،
وسبب اقدام هذا على فعله هذا هو الذي يتسمى باسم المصحح فقدانه الضمير وعدم
شعوره بالمسؤولية وقد غلبت عليه نفسه الامارة بالسوء فاتبع هواه.

ومن اكبر ادلة التزوير اضافته اسم (معاوية)، وهو ما يتناقض تمام التناقض مع
عقيدة السيد ابن شهاب المتجلية في اقواله وقصائده والتي لا تحتاج الى ايضاح، وكما
هو الثابت في مؤلفاته وما جاء في القسم الأول من ديوانه المطبوع بموجب وصيته
وامره في حياته، ومما يدل على هذا المعنى قول السيد في قصيدة له:

كأن الهدى من بيت صخرٍ تفجرت ينابيعه والوحي من ثم ينتمي
فيا اسرة العصيان والزيغ من بني أمية من يستخضم الله يخضم
هدمت ذرى اركان بيت نبيكم لتشديد بيت بالمظالم مظلم

تداركتهم في البغي ولدا ووالدا
ولم تمح حتى الآن آثار زوركم
فأصل الشقاء انتم ومن يحدّ حذوكم
فلا تكتمن الله ما في نفوسكم
ولا بدع ان حاربتهم الله انها
ونازعتهم الجبار في جبروته
ولم تحسبوا من طيشكم ان عنكم
غدرتم بسادات البرية غدرة الـ
ستجزون في الاخرى نكالا مؤبدا
ضغائن ممن اعلن الدين مكرها
اضاعوا موثيق الوصية فيهم
فسق غير ما مور الى النار حزيم
حبيبي رسول الله انا عصابة
فهاجت جماهير الضلال واقبلت
تألب جمع من فراش جهنم
يقرون بالقرآن لكن لعله

وزخرفتكم افك الحديث المرجم
وتصديقه ممن عن الحق قد عمي
له يسد جلاباب العذاب ويلحم
ليخفى ومهما يكتنم الله يعلم
لشنشنة من بعض اخلاق اخزم
ولكنه من راغم الله يرغم
عيون قصاص الغيب ليست بنوم
يهود بيحيى والمسيح بن مريم
على ما اقترفتهم من عقوق ومأثم
ولولا العوالي لم يوحد ويسلم
ولم يرقبوا إلا ولا شكر منعم
اذا قيل يوم الفصل ما شئت فاحكم
بمنصبك السامي نعز ونحتمي
بجيش لحرب ابن البتول عرمرع
غواة يرون الشرك اكبر مغنم
لسخرية اقرارهم او تهكم

ثم اسمع ما يقوله السيد بن شهاب في قصيدته اللامية:

أفيرحم الجبار من يؤذي بني مختاره هيهات ليس بفاعل
ثم الى موقفه من النواصب الذين يعادون آل البيت عليهم السلام وهم اهل الهدى والحق،
فأصل الهدى عندهم، ومستقره في دورهم، واما عند غيرهم فشيء مستعار.

عن ابيهم اتى الهدى ثم عنهم يتلقى ويودع الاسفار

فهو فى دورهم وفيهم عريق ولدى غيرهم يرى مستعارا
ما من الشام جاء او ارض طوس او سمرقند او اتى من بخارى
ديننا حب اهل بيت رسول الله ————— حبا يكفر الاوزارا
وليس بعد هذا دليل على خيانة المشرف على طبع الكتاب وتزويره، والسيد
ابن شهاب في غنى عن الدفاع عنه، فهو المعروف في جميع مواقفه بحسن عقيدته
واستماتته في حب آل البيت عليهم السلام، ومتى احتاج ضوء الشمس الى برهان؟ فمؤلفاته ثم
ديوانه هي الدليل القاطع والحجة البالغة.

وبهذه المناسبة اود لفت نظر القارئ مرة اخرى الى ما جاء في ختام الفصل
الاول من ديوانه، حيث شهد الناس كما شهد تلميذه الوفي السيد محمد بن عقيل الذي
اشرف على طباعة الديوان، بقوله: «الى هنا تم القسم الاول مرتبا حسب امر الناظم».
تلك هي قصائد الناظم التي اوصى بها حسب امره وهو لا يزال على قيد الحياة،
اما القصائد الاخرى في القسم الثاني من الديوان فهي القصائد التي جمعها تلامذته
ومحبوه مما استطاعوا الحصول عليها انذاك، فجمعوها لطبعها، وهي ليست كل ما قاله
من قصائد.

اذن ان ما ارتاب منه البعض من مآخذ في كتاب رشفة الصادي لا تنقص شيئا
من قيمة الكتاب ولا من قدر المؤلف ومكانته، والقارئ المرتاب معذور اذا شك، لان
تلك المآخذ قد تجعله في حيرة، الا الذين سبق لهم متابعة تاريخ ادوار حياة المؤلف.
ذكرنا في فصل آخر من هذا الكتاب مراحل حياة السيد ابن شهاب ولكل
مرحلة من مراحل حياته صفاتها الخاصة ودورها الخاص، لكنها كلها مرتبطة بعضها
ببعض ارتباطا وثيقا، فما صدر وبدر منه وهو في مقتبل عمره وريعان شبابه من مراحل
حياته من قول او ما جاء في بعض مؤلفاته بالطبع يحتاج بلا ريب الى صقل وتهذيب
وتوضيح كما يقول المؤلف نفسه، وقد كفانا ما يجب توضيحه وفي ذلك ما يرفع قدره.
اما في مرحلة نضوجه ومرحلة قوة استقراره فقد بلغ من الثبات والرسوخ التام

والايمان القوي ما تشهد له به مواقفه، فلا مجال بعد ذلك لمستريب.

لوفرنا ان الظروف سخت للمؤلف في حياته لاعادة طبع كتبه تحت اشرافه مباشرة او اشراف احد تلامذته لجاء الطبع صحيحاً منقحاً خالياً من كل ما يشوبه شك او ريب.

ولا بأس ان نذكر هنا نتفاً من احدى قصائده الغديرية المعنونة بعنوان النبأ اليقين، احقاقاً للحق واثباتاً للواقع ودفعاً لاسترابة المستريب، وهي من القصائد التي اوصى بنشرها والمحافظة عليها:

ولما قضى المختار نجبا تنفست	نفوس كثير رغبة في انتقامها
اقامت مليا ثم قامت ببغيها	طوائف تلقى بعد شر اثمها
ليس بخم عزمة الله امضيت	الى الناس انذارا بمنع اختصامها
بها قام خير المرسلين مبلغا	عن الله امرا جازما بالتزامها
الست بكم اولى ومن كنت صادع	بمن هو مولانا وحبل اعتصامها
هو العروة الوثقى التي كل من بها	تمسك لا يعرفه خوف انفصامها
اما حبه الايمان نصا وبغضه	جلي امارات النفاق وشامها ^(١)
اما حبه حب النبي محمد	بلى وهما والله اذكى انامها
صغار معالي المرتضى تملأ الفضا	فقس اي حد جامع لضخامها ^(٢)

هذه مقتطفات من القصيدة المذكورة بعنوان النبأ اليقين التي يبلغ عدد ابياتها مئة وأحد عشر بيتا كعدد اسم الممدوح وهو الامام علي بن ابي طالب عليه السلام بالاحرف الابدئية، وقد اثبتنا القصيدة برمتها في (السيد بن شهاب وآل البيت عليهم السلام).

(١) شامها: علاماتها.

(٢) ومثل هذا يقول شاعر آل البيت عليهم السلام محمد كاظم الازري:

هذه من علاه احدى المعالي
وقالها في الفيتة الازرية في مدح النبي محمد وآل بيته.

الفاضل والمفضول

يقول السيد بن شهاب بوجوب تفضيل الفاضل العادل وتقديره على غيره حتماً جازماً على جميع المستويات مهما كان الامر، فلا يمكن الافراط او التفريط في ذلك، ومن تذرّع بتقديم المفضول على الفاضل فهو غير محق. كما انه يرى عدم امكانية الانصياع لحكم ظالم او جائر او باغ او مستبد. وليست الطاعة لحكم ظالم او باغ حفظاً للنفس بعذر مبرر، فالسكوت على ظلم ظالم هو الاعتراف بالظلم والحكم الجائر الذي يجر الى تعاظم الفساد في البلاد فيفقد الامن ويختل الاستقرار وتزول الطمأنينة ويعم الفساد. فالعلماء مسؤولون امام الله لسكوتهم، الا اذا كانوا من علماء السوء وتجار الاديان.

حداني لذكر هذا مناسبة قدوم احد الاخوان الكرام من اللذين اكن لهم كل تقدير، جاءني مرتابا شاكا حيرانا، عندما قرأ في كتاب رشفة الصادي حيث وجد في طياته ما أخذ حسب قوله، وما كان يحسب ان يصدر ذلك من السيد ابن شهاب، فارتاب وشك في امر السيد، اذ لم يدر بخلده ان في الكتاب كلمات مدسوسة دخيلة ادخلتها ايدي المدلسين الخونة، مثل ما يقع في الكتب الاخرى مما يفسده اولو الاغراض السيئة الذين ينشدون من وراء ذلك هدفاً معيناً.

شرحت للزميل الشاك حقيقة الامر شرحاً وافياً واوضحت قضية الاوضاع مفصلاً وبينت له كل ما يمكن له الاقتناع به، والاطمئنان اليه، حتى اذا رأيت اقتناعه، استطردت في استدلالني مشيراً الى اعتماد كثير من العلماء الاعلام على كتاب رشفة الصادي في تدريسهم ومؤلفاتهم، حيث جعلوا هذا الكتاب مصدراً من المصادر المعول عليها في ابحاثهم، ومن بين اولئك العلماء الاعلام العلامة الحجة الجليل السيد شرف الدين الموسوي في كتابه الشهير (المراجعات)، وكان السيد شرف الدين يلقب السيد

ابن شهاب بالامام. ويكفي هذا الكتاب قيمة علمية أنه صار مصدرا من المصادر ومرجعا من المراجع العلمية للبحث الذي يعتمد عليه العلماء والباحثون. يحسن بنا ان نثبت هنا ما كتبه السيد ابن شهاب في مقدمة كتابه رشفة الصادي في الصفحة الثانية ننقله حرفيا بنصه.

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد، فان من المعلوم لدى كل بر وفاجر ما اوجبه الله تعالى من مودة اهل البيت الطاهر والشرف الباهر، وكيف لا وقد نزل بذلك القرآن المبين، وتواترت به الاخبار عن الصادق الامين، وعلى ذلك درج اعلام الصحابة والتابعين، وائمة السلف المهتدين؟ بيد انه شاع في هذه الازمنة عدم الاحتفال بتلك البضعة الكريمة، وتجاهر من لا خلاق له بغمط ما لهم من المفاخر الجسيمة، حتى بلغني من علماء السوء في هذا الزمان انه يقول: كل ما ورد في فضل اهل البيت من آية او حديث او اثر فهو في حق خواصهم لا غير. وتالله ما حمله على ذلك الا حسد اضره في سريره، وبغض ناشئ عن خبث طويته، ولا ريب في انه تفوه بذلك سفيه واي سفيه، وكل اناء ينضح بما فيه. اذا اجتمع الناس في واحد وخالفهم في الرضى واحد فقد قام اجماعهم دونه على عقله انه فاسد فحينئذ بادرت الى جمع ما سهل علي جمعه مما جاء في فضل ابناء المختار، وسارعت الى رقم ما تيسر نقله مما ورد في حقهم من الآيات والاحاديث والآثار، مقتصرًا في النقل على ما شمل جميع افراد اهل ذلك البيت الطاهر، صارفا عنان القلم عن تحرير ما ورد لخواصهم من المناقب والمفاخر، الفتة ارغاماً لذلك البعيد المحروم وطرذا لخناسه المرجوم، وتحريضا لنفسي ولاخواني من المسلمين، على اغتنام الاعتصام بذلك الحبل المتين، اذهم شجرة النبوة الطاهرة، ودوحها الزكية الفاخرة، شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء.

فئة لم تلد سواها المعالي والمعالى قليلة الاولاد
فهم مصابيح الظلام، ورونق الليالي والايام، ولقد كان الزمان ضاحكا بوجودهم
وانتشارهم، مشرقا بسواطع انوارهم، فاقصد ذلك الارج، وحدث عن فضائلهم ولا
حرج.

اذا ذكر الرواي احاديث فضلهم يقول الورى هذا الحديث المصدق
ولعمري ان ما رقمته بالنسبة الى علو مفخرهم وعظيم مظهرهم كقطرة من البحر
او كلحظة من الدهر.

جلوا قدوراً ان يحدد فضلهم واثيل مجدهم بحصر الحاصر
انى لمادحهم احاطته بما يحوون من كرم ومجد شاهر
يا من يروم احاطة بكمالهم ايحاط بالبحر المحيط الزاخر
فهم الألى جلت مناقبهم وقد ورثوا السيادة كابرا عن كابر
فالله يرضيهم ويرضى عنهم وعليهم ازكى السلام العاطر
﴿اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون﴾ واولياؤه الذين لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾، ﴿اولئك يسارعون في
الخيرات وهم لها سابقون﴾.

اولئك الناس ان عدوا وان ذكروا ومن سواهم فلغو غير معدود
ضوعفت لهم الحسنات، وغفرت لهم السيئات، وظهرت بركاتهم في الخافقين
ظهور الشمس في رابعة النهار، وحازوا ببنة النبوة كل مرتبة عالية. يراهم الله نجوما
للهداية ورجوما للغواية.

هم الراقون في اوج الكمال وهم اهل المعارف والمعالى
وهم سفن للنجاة اذا ترامت باهل الارض امواج الضلال
امان الارض من غرق وخسف وحسن الملة الصعب المنال

وهم في غرة الدنيا بدور تسامت بالجميل وبالجمال
وهم ساداتنا من غير شك فنحن عبيدهم وهم الموالى
كفى خبر الوصية انهم وال ككتاب معا الى يوم الجدل
وان محبهم في الحشر ناج من النيران ذات الاشتعال
بنو الحسنين للثقلين شادوا قصور المجد والرتب العوالى
بنو الزهراء افضل كل انثى وحيدة السميدع^(١) في النزال
بنو الهادي وبضعته التي لا تقاس لدى التفاضل بالمثال
عليهم بعد جدهم صلاة وتسليم ورحمة ذي الجلال
ثم اني اوردت هاهنا جملة من الاحاديث والآثار محذوفة الاسانيد، ليسهل
سردها على المستفيد، متأسيّاً في ذلك بمن سلف من ائمة السلف والخلف، مع اني لم
اذكر ما لا يستحسن ايراده، مما وضع او ضعف جدا اسناده.

وان احسن قول انت قائله قول يقال اذا ما قلته صدقا
وكلها منقولة من كتب ائمة الشرع، وليس لي في ذلك الا السبك والجمع،
وسميت هذه المجموعة (رشفة الصادي من بحر فضائل بني النبي الهادي). الخ.
يجد القارئ في كل كلمة من عبارات هذه المقدمة ما ينم عن مدى قوة ايمانه
وصلابة عقيدته وثبات مبداه، ومما يلفت النظر هنا انه نشأ في بين امة لا خلاق لهم في
الخير من علماء السوء يجاهرون علنا بعداوة العترة النبوية ﷺ. واكتفى المؤلف
بالتلميح وتحاشى ذكر اسمائهم، والكل يعلم من يقصده السيد ابن شهاب.
ان بغض آل البيت ﷺ وكرهية العترة النبوية حقد دفين ومرض متأصل في
قلوب المنافقين منذ ايام البعثة النبوية، واستمر هذا الحقد الى اليوم وسيستمر الى يوم
الدين. انه مرض وآفة ابتليت بها الاوساط الاسلامية في جميع ازمانها وتذكرت قول

(١) السميدع: السيد الكريم الشريف الشجاع.

العلامة الشيخ محمد جواد مغنية: «ان لكل شيء في هذا العالم حداً الا بغض آل البيت (عليه السلام)».

وبعد، فهذه كلمة مقتضبة سردها لاماطة اللثام وازالة ما علق بالاذهان عن حقيقة كتاب رشفة الصادي وما قيل عنه، حتى يفهم الجميع الحقيقة ولا يحدث لهم ما حدث لزميلي الذي جاءني شاكيا شاكا مراتبا.

على الذين يريدون اعادة طبع كتب السيد بن شهاب التحري الدقيق وشدة التأكد لازالة كل ما يشير الشك والريب، ولا نود ان تتكرر الاخطاء نفسها ويستمر التحريف بدون تصويب وتصحيح، وعلى كل فان الكتب التي صدرت حديثا في هذا الموضوع كافية للدلالة واعطاء القارئ والمطالع والباحث الحقائق الناصعة الثابتة، حيث يغنيه عن مراجعة الكتب الاخرى السابقة في الموضوع.

والخلاصة ان امر التحريف والتزوير والتصحيف والاختلاف قضية معروفة من قديم الزمن وغير مستغربة ممن يتعمدون الكذب ويتلذذون به، اذ في قلوبهم مرض وحقد من الفرد او من السلطان، حتى يحسب الناس ان الزور حق فيؤمنون به ولا يتورعون عن الكذب حتى على النبي محمد ﷺ وعلى الله الحي القيوم، ما دام في الكذب شفاء الغليل، وما اكثر الوضاعين الذين كذبوا زورا وبهتانا على النبي محمد ﷺ، ومن يتجرأ على النبي فإنه يهون عليه الكذب على غيره خصوصاً اذا كان في الكذب مصلحة. خلقوا اساطير كاذبة وجعلوها جزءاً من التاريخ، وما قضية ابن سبأ ببعيدة.

ان فقدان الشعور بمسؤولية الامانة تجر المرء الى ارتكاب الآثام والجرائم. البغض والكراهية والحقد امراض مزمنة من الامراض الروحية المستعصي علاجها، وكفانا علماء النفس درس وبحث وتحليل هذه الامراض دراسة علمية في مؤلفاتهم سوى ما كانوا ينشرونه في الصحف والمجلات مما يستجد من الابحاث في

كل مناسبة.

ان البغض والكراهية للنبي الاعظم سيدنا محمد ﷺ لم يكن حديثا ولكنه عرف ونشأ منذ عصر هاشم جد النبي الاعلى ولم ينحصر في زمن دون آخر، مع العلم ان مرض الحقد والبغض والكراهية معروف من اول تاريخ البشر.

وقد تخف زوبعة الحقد على النبي محمد وآل بيته واتباعه حينما بمحاولة اخفائه والتظاهر بالتسامح، ولكن مع اتخاذ سبل اخرى للتعبير عنه من قبيل العبارات السامة التي كفروا بها وزعموا ابويه انهما ماتا مشركين، واتهامه انه كان يهجر، وانه سحر ابطلا لعصمته، وانه ربي وترعرع في حضن كافر مشرك، يعنون بذلك عمه أبا طالب، وحاكوا حول تاريخ حياته الترهات والاقاويل الملفقة ونسجوا الاساطير وان الشيطان كان يلعب به. وما قضية الغرائق ببعيدة حاولوا بكل الوسائل السخرية منه والخط من مكانته وتشويه تاريخه نكاية بالاسلام. ومنعوا الناس من تعظيم واجلال رسول الله. خطب خطيبهم في محفل قائلاً: ان محمدا قد مات ومن مات فات فانه لا ينفع ولا يضر، ثم اشار الى عصاه وقال: ان عصاى هذه انفع من محمد فاني استعين بها واتوكأ عليها كموسى ليهش بها غنمه، فان تعظيم النبي او احياء ذكره من البدع المستهجنة بل هو الى الشرك اقرب او هو الشرك بعينه.

وتعاطمت كراهيتهم للنبي فكرهوا اهل بيته بل كرهوا اتباع النبي وآل بيته وانصب جام حقدهم عليهم جميعا.

امام هذا الحقد الدفين على النبي وكراهيتهم له ومن معه من اتباعه، وامام هذه الحملات الدنيئة والتطاول على مقام خير البشر النبي الاعظم محمد ﷺ تصدى السيد ابن شهاب وهو في عنفوان شبابه يتفجر غيرة وحمية وحماسة وتولى أمر الدفاع عن النبي وآل بيته ضد تلك الفئة الحاكمة التي تحارب الحق بالباطل والتي تحسب انها قادرة على مناورة الحق ومنازلته. لم يسكت السيد ابن شهاب لان السكوت قد يوهم

الناس ان تلك الفئة الباغية محقة في دعواها، وتصدى السيد ابن شهاب بحملة واسعة من على المنابر في النوادي العلمية وفي الجوامع الكبيرة والمساجد وفي قاعات المحاضرات للرد على تلك الفئة الضالة المضلة فحطمها تحطيمًا وفضحها وكشف عوراتها لا لترعوي عن غيها فان تلك الفئة ابعد الناس عن الهداية فهي والمرتمسة في غوايتها، وجاشت صدره بهذه القصيدة التي صور فيها بكل وضوح عقيدته ومبدأه.

ففي البرايا وخلقهم اطوارا	حكمة تترك العقول حيارى
فحليما منهم ترى وسفيهاً	وجباناً وباسلاً مغوارا
ومصيباً ومخطئاً وقويا	وضعيفاً ومستجيراً وجاراً
ودعاهم ليعبدوه فماذا	لوا مـنـيـيا وفـاجـرا كـفـاراً
سنة الله في العباد اختلاف	بينهم يملأ الصدور نفاراً
ولهذا تحزبوا وادعى العـ	اقل والاحمق الصواب ومارى
ومن المضحك الغريب اقتحام البـ	غل بين الفوارس المضمارا
قال لي بعض مدعي العلم ممن	اضرم الحمق بين جنبيه نارا
هل ترفضت قلت لم ادر ما الرفـ	ض ^(١) لديكم حقيقة واعتبارا
فرفع مقام قومي وسام	ان يجاروا السفه والمهذارا
غير ان الضرورة اقتضت الايـ	ضاح فالصمت يوهم الاقرارا
فاستمع ما اقلوه ثم قل ما	شئت بعد اعتذارا أو انكارا
ان لي من تمسكي بكتاب الله	ما اتقي به الاخطارا
ولما صح من حديث ابي القا	سم انقاد راضياً مختاراً

(١) ولع اخابت النواصب واعداء آل البيت عليهم السلام باطلاق كلمة رافضي اخترعوها على كل موال للنبي محمد صلى الله عليه وآله وآل بيته عليهم السلام ومحب لهم، وتبعهم السفهاء والجهلة من مدعي العلم.

لا اعاني التأويل فيها اتباعا
 مذهبي مذهب الوصي ابي السب
 اعلم الصحب للمدينة باب
 وتمسكت بالشهيدين اني
 اشرف العالمين اما وجدا
 والمثنى ابن الحسين علي
 وعلى الباقر اعتمادى وزيد
 حصنوا العلم اذ بنو عبد شمس
 غيروا بدلوا طغوا وتعامى
 للهوى او تعصبا او ضرارا^(١)
 طين فالحق دائر حيث دارا^(٢)
 كم به الله ارغم الكفار^(٣)
 سائر في عقيدتي حيث سارا^(٤)
 اطيب الناس عنصرا ونجارا
 من به كل مقتد لن يضارا^(٥)
 في سبيلي فلست اخشى العثارا^(٦)
 خبط عشواء يخطون سكارى^(٧)
 حاملوا العلم خيفة واضطارا^(٨)

(١) صرح اكابر العلويين مثل العلامة السيد عبدالله الحداد من رجال القرن الحادي عشر الهجري وكذا اكابر العلويين في العصر الحاضر يقولون: ان طريقتهم هي الاعتصام بالثقلين.

(٢) ليس بعد هذا التصريح الجلي مجال للتوضيح، فهو الذي يقول: ان مذهبه وعقيدته هو مذهب الامام علي ابن ابي طالب عليه السلام يوالي من والاه ويعادي من عاداه مقتفيا اثر الامام.

(٣) اشارة لقول النبي المعصوم الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله: «انا مدينة العلم وعلي بابها».

(٤) الشهيدان هما الامامان الحسن والحسين عليهما السلام شهيد المواضي والشهيد المسموم.

(٥) الامامان هنا هما الحسن بن الحسن السبط عليهما السلام توفي عام ٩٧هـ. والامام علي بن الحسين السبط زين العابدين عليهما السلام توفي عام ٩٤هـ مسموما. سمه الوليد بن عبد الملك الاموي وهو الذي يقول متحديا المولى جل شانه بعد ان مزق القرآن الكريم وهو يخاطبه:

اتوعد كل جبار عنيد فها انا ذاك جبار عنيد

اذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

(٦) الامام محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط عليهم السلام توفي عام ١١٤هـ واخوه زيد بن علي زين العابدين عليهما السلام قتل يوم عاشورا اول سنة ١٢٢هـ.

(٧) يقصد بحصون الحلم الامام علي عليه السلام ومن بعده الائمة الذين ادوا الرسالة وبلغوا الامانة لم يتملقوا لحاكم او مستبد بل جاهدوا لإحلال العدل والامن والاستقرار ضد الطغاة العابثين المستبدين.

(٨) عاث الحكام المستبدون الطغاة في الارض فسادا فحاربوا الاسلام واستعدوا الشعوب وغيروا معالم الحكم الاسلامي وابطلوا الشورى وحل محله الحكم الفردي الاستبدادي وازيلت الخلافة وصارت ملكا عضواً =

الف شهر تمتعوا ثم حقت نقمة الله فاستحقوا الدمارا^(١)
وباقوال جعفر حيث صحت عنه نقضي ونتبع الآثارا^(٢)
ولموسى ابن جعفر والعريضي ومن خلفا نرى الخلف عارا^(٣)
هو لاء الاعلام اشرف بيت في الوري بيتهم واعلى منارا^(٤)
ايها الغمر هل سؤالك ايا ي لجهل ام خفة واغترارا
اننا ايها المغفل نقفو هو لاء الائمة الاطهارا

= بالتوارث والتناسل وجعلوا كل شيء ملكا لهم يتصرفون فيه كما تشاء اهوؤهم واستولوا على اموال الشعب غصبا ونهبوا ممتلكات الدولة وكانوا اخبث من الاقطاعيين المستعمرين، حتى جاء الى سدة الحكم عمر بن عبدالعزيز فاعاد اموال الشعب الى ذويها ومستحقها واعاد (فذك) الى آل البيت وحقوق الخمس لمن يستحقون. (١) يشير بهذا الى الحديث الذي رواه الحاكم في المستدرک أنه قام رجل من النواصب الى الامام الحسن بن علي عليه السلام يسبه بقوله: يا مسود وجوه المسلمين... فأجابه الامام الحسن عليه السلام قائلاً: لا تؤنبنني رحمك الله فان رسول الله صلى الله عليه وآله قد رأى بني امية يخطبون على منبره رجلاً فسأه ذلك، فنزلت سورة ﴿انا انزلناه في ليلة القدر * وما ادراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من الف شهر *﴾ تملكها بنو امية... الخ. وقد صححه الذهبي نفسه على رغم نصبه والحاكم بقوله: قال رسول الله صلى الله عليه وآله اني رأيت في منامي كأن بني الحكم بن العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة. قال: فما روى النبي صلى الله عليه وآله مستجمعاً ضاحكاً حتى توفي.

(٢) هو الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين عليهم السلام سادس الائمة من اهل البيت ولد عام ٨٣ هـ وتوفي عام ١٤٨ هـ.

(٣) الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق عليه السلام ولد عام ١٢٨ هـ وتوفي عام ١٨٣ هـ في عهد الرشيد فني السجن مسموماً. والعريضي هو ابن الامام جعفر الصادق وسمي بالعريضي نسبة الى العرض وهو موضع سكنه بالقرب من المدينة المنورة وكان ممن نصر اخاه محمد بن جعفر بن محمد الباقر حين اجتمع عليه اهل الحجاز وبايعوه وكان ذلك في زمن المأمون، وطال عمره حتى لحق الاحفاد بالأجداد توفي عام ٢١٠ هـ وعن ابن عتبة قال: انه عاش الى ان ادرك الامام الهادي.

(٤) لانهم من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وكفاهم بذلك فضلا مع مالهم من جليل الفضائل والمناقب التي لا يحصيها قلم كاتب ولا حساب حاسب وحسبك انه يوجد فيهم الى اليوم من لم ينقطع العلم والصلاح في سلسلة نسبه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وهذه منقبة قل ان توجد لاحد على وجه الارض والى مثل ذلك اشار الامام عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس بقوله:

عالم صالح ابي ثم جدي هكذا هكذا الى المختار

ولنا الشافعي خير امام
ان يطوفوا نطف ونستلم الرك
اعلم الناس بالكتاب وبالسد
بالذي صح عنهم الاخذ اخرى
ان تقل ما به يدينون رفض
او تقل اخطأوا المحجة فاذهب
أعلى الحق تجتري ام عليهم
عن ابيهم اتى الهدى ثم عنهم
فهو في دورهم وفيهم عريق
ما من الشام جاء او ارض طوس
ديننا حب اهل بيت رسول اللّ
ما تريدون بعد انا شرحنا
هل تسوموننا انتقاص علي
او على ابيه نجتري وسخيف
ام تريدون ان نحب ابن هند
لم تجد مؤمنا كما اخبر الل
وحديث النبي اقوى عرى الإ
فهو باغ ولا كرامة للبا
حارب المرتضى وسمم سبط ال
يقتل الصالحين صبرا كحجر
وتمادى يعيث فيهم فسادا
خاض لج الضلال عشرين عاما
ان وجدنا في النقل عنهم غبارا
من ونرمي كما رموها الجمارا
سنة حيث الهدى هناك استنارا
فاقرأ الكتب وافحص الاخبارا
فهو ديني عقيدة وائتمارا
خاسئا لا تعود الاحمارا
كيف تسري سري النسر الحباري
يتلقى ويودع الاسفارا
ولدى غيرهم يرى مستعارا
او سمرقند او أتى من بخارى
هـ حبا يكفر الاوزارا
ما الصدور انطوت عليه مرارا
فنغيظ المهيمن القهارا
من يعيب الشمس والاقمارا
وعن النص مثلكم نتواري
هـ محبا من حارب الجبارا
يمان في الله بغضنا الاشرارا
غي ومن النار الشرار استطارا
مصطفى بئس ما ارتضاه قرارا
ياكل الفياء يلعن الكارارا
وعلوا في الارض واستكبارا
ثم ولى يزيده الخمارا

وتقولون باجتهاد مثاب	يا لهذا معرة وشنارا
لو يكون الذي زعمتم صوابا	لأرعى بعد قتله عمارا
هل ترى عالم الخفيات يرضى	ما صنعتهم ويقبل الاعذارا
ومن المخجل احتجاج اناس	باحاديث تشبه الاسمارا
ساقهم نصبهم اليها افتراها	ورواها من يعبد الدينارا
ولهم كم مقلد رام ربها	لم يزدته التقليد الاخسارا
اين ربح الذي يرى القارمسا	يقتني او يرى النحاس نضارا
ربنا افتح بين الجميع بحق	وارفع الخلف بيننا والشجارا
واهدنا أقوم السبيل ولا تحم	لعل علينا اصرا ولا اصرا
وارفع الضنك عن عبادك والبأ	ساء وارحم وارخص الاسعارا
وصلاة على نبيك طه	اعظم الرسل رتبة وفخارا
وعلى العترة الكرام امان	الارض من ان تميد او تنهارا
وعلى الصحب من لنصر رسول الله	سه ساموا النفيس والاعمارا
وعلى التابعين ما غرد القم	ري او ناوح الحمام الهزارا

من خُطب السيد ابن شهاب

في وداع شهر رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بجلاله وكبريائه، المتوحد بعظمته واعتلائه المفيض على عبيده برّه وعطاءه المسبل على ذنوبهم كنف ستره واغضائه، سبحانه وتعالى عما يقول الجاحدون من اعدائه نوّع لعبيده القربات، وعرّفهم مواسم الطاعات واستجلبهم بذلك الى حبه وولائه من علينا ببعثة نبيه الامين وأنزل عليه الفرقان المبين وجعله نوراً يهتدي به من أرتبك في مهامه جهله وعمائه وخصنا معشر الامة المحمدية بشهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وأتاح لنا فيه من مواهبه ما تكل الافهام عن ادراكه واحصائه نحمده سبحانه وتعالى ان وفقنا لصيامه وقيامه ونشكره ان يبلغنا بكرمه الى ليلة تمامه ونسأله ان يكتبنا في ديوان الفائزين فيه بمغفرته ورضائه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يحشرنا بها في زمرة السابقين من أوليائه وأشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله المؤتمن على أنبيائه صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الذين جاهدوا بين يديه وعلى التابعين لهم باحسان الى يوم لقائه. أيها الحاضرون رحمكم الله هذه آخر ليالي الشهر الفضيل ولعله لا يدركها منكم في القابل الاقليل فاكثروا فيها من البكاء والعويل وابسطوا كف الابتهاال الى الملك الجليل فما كان اجملها بالانابة والرجوع وما كان أحقها بسكب العبرات والدموع وما أجدر هذه الساعة الشريفة بالحضور والخشوع فهلموآ الى موارد الفضل والاحسان وسارعوا

الى مواقف الندم والاذعان وبادروا للتوديع بالاسف والاشجان وأقيموا مأتم البكاء
والاحزان وقولوا: السلام عليك يا شهر رمضان السلام عليك يا شهر العبادۃ والصيام،
السلام عليك يا شهر التلاوة والقيام السلام عليك يا سيد الشهور السلام عليك يا شهر
الفرح والسرور السلام عليك يا شهر التضرع والهجود السلام عليك يا شهر الركوع
والسجود سلام مودع لا يدري أيعود إلى القابل أم لا يعود السلام عليك من شهر تقال
فيه العثرات السلام عليك من شهر تسكب فيه العبرات وتنال فيه الخيرات والبركات
فيا شهر الانوار والفضائل لعلك تعود في العام القابل وقد طرقتنا طارقات المنون ونحن
بالتراب متوسدون قد تمزقت منا الاوصال وقد منا على ما قدمنا من الاعمال فكُن
شفيعنا الى ذي العزة والجلال. روي عن ابن المنكدر رضي الله تعالى عنه انه قال: قال
رسول الله ﷺ: إذا كان آخر ليلة من رمضان بكت السموات والارض والملائكة مصيبة
لامتي: قيل: يا رسول الله وأي مصيبة على أمّتك؟ قال: شهر فيه النفقة صدقة
والسكوت تسبيح والنوم عبادة والدعاء مستجاب والذنب مغفور ولا يكتب على
مذنب ذنب. فأَي مصيبة أعظم من هذه؟ اخواني قد أزمع هذا الشهر على الارتحال
وشمّر ذيل الثقلۃ والانحلال وقد عمرتم فيه مساجدكم بالصلوات والقيام واجهدتم فيه
جوارحكم بالعبادة والصيام فليت شعري من الذي صام فيه عن الحرام كما امسك عن
الشراب والطعام؟ ومن الذي حفظ صيامه عن الآفات وفطم نفسه عن تناول
الشهوات؟ فلعمري أين دلائل الاجابة والقبول وأين أمارات البلوغ والوصول أين آثار
الخشية والاجتهاد أين اصفرار الالوان ونحول الاجساد أين زفراتكم المتصاعدة وأين
عبراتكم المتزايدة؟ فوا عجباً ما لهذه العيون لا تدمع ويا أسفا ما لهذه القلوب لا تخشع
او ثوقاً منكم بحسن المآب والمنقلب أم استخفافاً بورود ذات اللّهب؟! فالمحروم والله
من كان في أيام شهره غافلاً والبعيد من كان عن التوبة في هذه متكاسلاً فيا حملة
الذنوب والاوزار هذه ساعة التوبة والاستغفار فليت شعري هل فيكم من عكف في هذه

الليلة على بابه وتصاعدت زفراته خوفاً من غضبه وعقابه ويا أيها المفرطون شمروا في الطاعة فإنكم مثابون ويا أيها الباكون تضرعوا الى الله فإنكم مجابون وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ويا من هتك في هذا الشهر المحارم وتهاون فيها بعظيم الجرائم أمستيقظ أنت أم نائم؟ ان تتدارك نفسك بالتوبة والاستغفار والنزوع عن ارتكاب الاوزار والا فاعدد نفسك من المكيبين في دار البوار فلعلك إذا رجعت بصدق التوبة ووقفت بتذكلك في هذه الساعة بين يديه أجابك بما أجاب به الخائفين أقبل ولا تخف إنك من الآمنين ويا من قطع بالغفلة أوقاته وأيامه وأفنى فيها شهوره واعوامه وقدم عليه هذا الشهر الكريم فصامه ما لي أرى آثار المعصية بادية عليك فاين صيامك الذي قدمته بين يديك أين خلوتك تحت أروقة الظلام أين تململك والناس نيام؟

إلى متى أنت على غرة وتـدعي أنك مـقبول
كم مظهر أعمال أهل التقى وهو بسيف الجهل مقتول
فارجع إلى الله وكن موقناً إنك مـطلوب ومسؤول
ظفر والله المخلصون وحمد سراهم المدلجون وندم على تفريطهم وخسر هنالك
المبطلون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ويا من أعرض في هذا الشهر عن
ابواب الرحمة والكرم وتشاغل عن مواسم المنة والنعم بادر الى التعلق بأذيالها فقد
عزمت على سيرها وارتحالها لج أبواب التوبة في هذه الليلة قبل انتقالها فإنه لم يبق
من ليالي شهرك غير ليلتك هذه فلعلك تدخل بها في جوار الله وعباده ويا من غرق في
بحار الزلات والذنوب وبارز بمعصيته علام الغيوب ما الذي أخرك عن التوبة في شهر
البركة وما الذي ألهاك عن الفرار من مفاوز الهلكة؟ داو في هذه الليلة جراح الاقتراف
بمراهم الذل والاعتراف لقد آن لك ان تتادب تأدب العبيد وتقف معترفا بين يدي
العزيز الحميد ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ويا من

أنفق أنفاسه في البطالات هذه ليلة استداركك لما فات مالدنياك محروسة من كل جانب
ودينك مبذور للمختلس والغاصب أظننت أن الله سبحانه وتعالى لا يراك أم حسبت أنه
لا يعلم سرّك ونجواك؟ كلا والله انه لسميع بصير ﴿الا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير﴾ اين حسرتك أيّها العاجز المتخلف واين عبرتك ايها الحزين المتخوف وأين
حيرتك أيّها القلق المتلهف؟ ما تنفعك القوارع والعظات اذا لم تكن منك انابة والتفات
ماذا يعنيك النصّح والتذكير اذا الم يثمر الجدد والتشمير؟

إن المواعظ لا تغني أسير هوئى مقفل القلب في حيد عن السنن
فرحم الله عبداً أيقظ قلبه من سنة لهوه وغفلته وقاده بزمام خوفه وخشيته ورحم
نفسه بالتوبة قبل فراق شهره هذا ورحلته فلعمري لقد زمت لبينه ركائبه وشدت لرحيله
نجائبه وكأن ذهب أنواره وانقطعت بهجته وعفت آثاره وبعد قريبه وشط مزاره
يا غافلاً فيما مضى قد مر شهرك وانقضى
ببادر بجدّك طالبا سوق التفضل والرضا
نبهنا الله وإياكم من سنه الغفلة وألهمنا وإياكم بطاعته في أيام المهلة وتاب
علينا وعليكم وعلى جميع المسلمين في هذه الليلة. هذا ورحاب كرم المولى سبحانه
واسعة وعواطفه على من أم سوح افضاله متتابعة فنرجو أنّه تعالى قد أثبتنا في ديوان
المنظور إليهم بعين العناية في هذا الشهر ونظمنا في سلك المحفوظين فيه بالعق
والعطاء الوافر وفتح لنا فيه أبواب الاجابة والقبول وأدخلنا في حيز أهل الانابة
والوصول وضاعف لنا فيه أجور الحسنات وأقالنا فيه جميع العثرات إنه الجواد
الكريم.

ايا صاحب الذنب لا تقنطن فان الاله رؤوف رؤوف
ولا ترحلن بالعدة فان الطريق مخوف مخوف
قال رسول الله ﷺ: بكاء العيون وخشية القلوب من علامات رحمة الله فاذا

رأيتموها فاغتنموا الدُّعَاء. إلهي زلت بنا عن مهيع نجاتنا الاقدام وغرقنا في لجج المعاصي والآثام وها نحن ببابك واقفون وبركابك عاكفون ومن عقابك خائفون ولثوابك مؤملون لا مالك لنا غيرك فنرجوه ولا رب لنا سواك فندعوه وقد تعرّضنا لعفوك وثوابك وأنيخت قلائص إبتها لنا بفناء رحابك فانظر اللهم بعين رحمتك إلى هذا الجمع السَّعيد وتقبل منا ما عملناه في شهر الزلّفي والمزيد وبلغنا في طاعتك من خيرات الدنيا والآخرة ما نريد اللهم اعمر بالتَّوبة خراب قلوبنا وطهر بعفوك سرائرنا عن دنس عيوبنا وهب لنا في هذه اللَّيلة من مواهبك الجسام ما يكون ذريعتنا الى حلول دار السَّلام اللهم لا تفضحنا في عرصات القيامة واعذنا من موجبات الخزي والندامة وأدخلنا بفضلك دار الكرامة أَللّهُم اجمع قلوبنا على الخشية بين يديك واهدنا إلى أقرب الطريق إليك فإنك تقضي ولا يقضى عليك أَللّهُم أنك تعلم ما نزل بنا من قساوة القلوب لما تراكم عليها من درن الاوزار والذنوب فامطرها اللهم بهو اطل جودك وإحسانك واغدقها بشآبيب مغفرتك ورضوانك واحيها بوابل محبتك وعرفانك اللهم اجعلنا من عتقائك في هذا الشَّهر الكريم وأزلفنا بجوارك في جنات النعيم واجرنا برحمتك من عذاب الجحيم اللهم لا تهلكنا بذنوبنا ولا توبقنا بكشف عيوبنا ولا تعرض عَنَّا بوجهك الكريم وعد علينا بكرمك العميم اللهم من كان منا فاسد القصد فتفضل باصلاحه ومن كان صالح القصد فوفقه لانجاحه اللهم تفضل علينا بالاستجابة لما سألناه وحققنا يا مولانا بما منك رجوانه وافعل كذلك بوالدينا واولادنا وقراباتنا وأحبابنا والمسلمين أجمعين اللهم وانظر بعين رعايتك الى هذه العصابة المصطفوية حتى تقيم بهم أود هذه الأمة المحمدية وتنعش بهم علوم الشريعة النبوية اللهم اصلح الراعي والرعية ووفقهم جميعا لسلوك المحجّة السَّويّة اللهم اصلح سائر ولاة المسلمين واستأصل بهم شأفة المشركين ودمر بهم الخوارج الملحدين واقمع بهم شوكة البغاة المعاندين، اللهم اصلح هذه البلدة وسائر البلاد الاسلامية واجعلها ابد

الآبدین آمنۃ رخیۃ، اللّٰهم اجعل جمعنا هذا جمعا مرحوماً وتفرّقنا من بعده تفرّقاً معصوماً
اللّٰهم اسقنا الغیث والرّحمة ولا تجعلنا من القانطین برحمتک یا أرحم الرّحمین وصل
بجلالک علی اشرف المرسلین سیدنا محمد وعلیّ آله وصحبه أجمعین ﴿سبحان ربک
رب العزّة عما یصفون﴾ وسلام علی المرسلین والحمد لله رب العالمین ﴿

تمت بحمد الله

من رسائل السيد ابن شهاب

اخترنا هذه الرسالة من بين مكاتباته ورسائله الكثيرة نموذجاً بسيطاً لما في هذه الرسالة من موضوع مهم، وهذه الرسالة موجهة للعلامة الجليل السيد احمد بن حسن العطاس، وذلك اثر بليلة من الاقاويل من ألسنة المنافقين المتملقين الذين يريدون اثارة فتن عمياء والذين لا يحلو لهم الا اشعال الشحناء والتقول زورا وكذبا على العلامة السيد محمد بن عقيل وانه اصدر كتابا سماه النصائح الكافية، واتهموه بان الكتاب مليء بالزندقة والكفر والخروج من طريق السلف، فابن عقيل مارق وملحد. وعندما بلغ السيد ابن شهاب هذا الخبر، بادر وكتب للسيد احمد بن حسن العطاس هذه الرسالة، والسيد ابن شهاب ممن يقدرون السيد احمد بن حسن العطاس لجلالة قدره وعلو محتده وسمو مكانته في المجتمع، فكانت رسالته هذه كرسائله الاخرى بأسلوبه المعروف وعباراته الرقيقة المليئة بالتواضع والوقار لتوضيح ما ارتاب فيه المرتابون احقاقا للحق وازهاقاً للباطل المبطن وقطعا لدابر النمامين الذين يعيشون في الارض فسادا.

العلامة السيد احمد بن حسن العطاس ممن يقدرون السيد ابن شهاب حق قدره ويجلون العلامة السيد محمد بن عقيل ويعجبون به إذ تجمعهم جميعا وحدة المبدأ والعقيدة والمشرّب والهدف والغاية والاستماتة والولاء لآل البيت النبوي الطاهر عليه السلام. اتضح للسيد احمد بن حسن العطاس بعد استلامه رسالة السيد ابن شهاب بهتان النمامين وكذب الخراصين وفتن المغرضين وبانت له الحقائق، فاطلع على كتاب النصائح الكافية فوجد فيه الضالة المنشودة، فاعجبه حسن الادلاء ودقة البحث وعمق التحقيق الذي يدل على رجاحة المؤلف وتبحره في العلم وسعة اطلاعه فشكر للسيد

محمد بن عقيل جهوده الكبيرة ومسايعه الخيره لانه الطريق وقدره تقديرا ورجاه
في مواصلة السعي والمثابرة في العمل لقطع السنة الخراصين اعداء آل البيت النبوي
الظاهر الكريم ولجم افواه المفسدين، ثم قلد السيد احمد بن حسن اخاه السيد محمد
بن عقيل وافر تشكراته وعظيم تقديره.
وهكذا خاب الخراصون المغرضون.
نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يا من بيده ازمة نجائب التوفيق الى السعي في ادراك الحقائق والهادي لمن
اختصه من عباده المخلصين الى سلوك اقوم الطريق، نحمدك الكثير على نعمة الاسلام،
وكفا بها من نعمة، ونشكرك بما لا مزيد عليه ان جعلتنا ممن شرفتهم بقولك ﴿كنتم خير
امة﴾ وتضرع اليك ان تصلي وتسلم على نبيك وحبيبك الذي اوضح سواء السبيل،
وابان المدلول باقوى دليل، سيدنا محمد بن عبدالله الصادق الامين، وعلى آله الطيبين
الطاهرين، واصحابه المهتدين الراشدين، والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين، ونبتهل
اليك ان تعلي منار الاسلام والدين، وترفع العلوم النبوية بين المسلمين، باطالة ايام
مولانا وسيدنا الحجة البالغة في هذا، والاسوة الحسنة لاهل الاسلام، والايمان
والاحسان، الزكي الانفاس المولى احمد بن حسن العطاس امطر الله صيب نواله، واسبل
عليه كرمه وافضاله، وعم بنفعه العباد والبلاد، وهدى بمعارفه الحاضر والباد، يهدي
اليكم المحب المشتاق اسير البعاد والفراق، تحيات تعرب عن الود الخالص، وتفصح
عن الولاء الصادق، ثم اني اعتذر الى تلك الحضرة السامية، والعذر مقبول لدى الكرام،
عن عدم تأديتي ما يجب علي من خدمته بالمكاتبات والاستفسار عن حاله الشريف
ومقامه المنيف، وما ذلك إلا اني عودت نفسي على الانكماش وعدم الكتابة إلى

الاخوان والاصحاب، الا ما قضت به الضرورة والجأت اليه حالة شديدة، ويشهد الله تعالى ان لجنا ب سيدي المشار اليه في الفؤاد وداً صادقاً وتعلقاً روحياً وارتباطاً قلبياً، وارجو من الله ان نكون من المتحابين في الله. واني مع مداومة خضوعي لمقامه والتماسي لصالح دعواته وتعرضي لفيض نفحاته، لا ارى بأساً في البحث معه في امر بلغني عنه، لعلمي انه لا يستنكف من المباحثة ولا يأنف من المراجعة شأن الكامل من الرجال، على اني لا اعتقد فيما بلغني صدق الرواة ولا ابرئهم من الزيادة والتحريف، وذلك الامر هو انكاركم كما قالوا على اخينا السيد محمد بن عقيل حفظه الله في جمعه الرسالة التي رد فيها على صاحب المنار الذي افتي باستحباب تسويد معاوية واستحسان الترضي عنه وتعظيمه والمنع من سبه ولعنه حتى قال: (لا ابالي ان اقول: لو اطلع مطلع على الغيب وعلم ان معاوية مات كافراً، لم يجز لعنه وسبه) الى غير ذلك من الانتصار لمعاوية، ودعوى انه امام حق وخليفة صدق. وقد رأيت هذه الرسالة الفريدة وفحصتها، فرأيت جامعها حصر الحكم فيها على كتاب الله وحديث رسوله، ورفض ما سواها مما يخالفهما. ومن جعل كتاب الله وحديث رسوله حكماً فلا ينكر عليه. ﴿انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا﴾.

يا سيدي، نقل المرجفون، انكم تنهون عن نشر الرسالة، بل وعن النظر فيها جملة واحدة، وقد استغربت ذلك غاية الاستغراب.

اولاً - انكم لم تفقوا على هذه الرسالة ولم تنظروا ما تضمنتها من الصواب او الخطأ، وحكم الانسان على ما لم يقف عليه ولم يدرك حقيقته تسرع لا يليق بامثالكم من ذوي العقل والحكمة والفضل.

ثانياً - ان ادلة الرسالة المذكورة كلها من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية واقوال المفسرين فيها. افيجمل ان يقال في تلك الادلة ما قاله مشركو قريش؟ ﴿وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾. اما البحث في معاني الآيات والاحاديث فلا بأس

به، ولكن بعد النظر والتحقيق.

ثالثاً - ان كلمة من كلما تكلم، اذا تكلمتم بها ولو عرضا يتخذها الناس، ولا سيما اهل حضرموت حجة ودليلاً يعتمدونها، لما لكم من العلم والفضل والمقام السامي وانتم تعلمون ان اهل الاغراض والاغواء والاهواء يجعلون الحبة قبة ويفسرون ما شاؤوا من كلامكم، ولذا ينبغي التثبت في القول الا عند الثقات من الخاصة. ولهذا ادخلني الريب في صدور ما بلغني عنكم ولعل فيه زيادات والحاقات في معاوية، فاني انزه مقامكم واجل قدركم عن وجود مثقال ذرة في فؤادكم. كيف وقد قال الله تعالى: ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ﴾؟ واما الامر بالسكوت عنه كما سكت اكثر السابقين فليس بمستصوب، لان للسابقين اعذاراً قد زالت وانمحت آثارها وذهبت. وغاية الشخص اليوم اذا لم يتضح له الحق ان يسكت ولا يجوز له قطعاً ان يأمر من عرف الحق وجاء به بالسكوت. ولماذا نسكت عن مخزيات معاوية؟ ألسبحته كما يقول انصاره؟ وقد علم الكل انها أسوأ صفة، والصحة لا تعصم عن الكفر ولا من النفاق فضلاً عن الفسق، وان زعم من زعم وقال به من قال تحكما في دين الله. وقد عرف الكل عبد الله بن ابي وثلعة والوليد بن عقبة وامثالهم عدوهم من اصحاب النبي ﷺ ولكن الله سماهم منافقين وفسقة في كتابه العزيز وقد قال ﷺ: «ان من اصحابي من لا اراه ولا يراني ابدا» وقال ايضا: «يؤمر باقوام ذات الشمال، فاقول: اصحابي فيقال: انك لا تدري ما احدثوا بعدك، فاقول: سحقا سحقا» واي صحابي اكثر احداثاً من معاوية؟ ام نسكت عنه لاجل الاحاديث التي يذكرها انصاره في فضله؟ كيف وقد اتفق الحفاظ انه لم يصح في فضله حديث واحد الا قول النبي ﷺ فيه «لا اشبع الله بطنه»؟ ام نسكت لكتابته للنبي محمد ﷺ؟ ونحن نعلم انه قد ارتد قبله اثنان ممن كتبوا للنبي ﷺ ولم تعصهما الكتابة، ولا بدع ان عززهما معاوية بمواقفه، اخترق صريح كتاب الله ونبد صحيح احاديث رسوله ﷺ لشطحة من شطحات ابي الحسن

الاشعري وهفوة صدرت من الغزالي او للمخاريق التي لفقها ابن حجر الهيتمي واغرى بها الاخوان والاولاد ونقله المقالات المكذوبة على اهل البيت. ان التحملات والتاويلات التي شوهوا بها وجوه معاني الآيات والاحاديث لجديرة بالرفض وعدم القبول وكتاب الله واحاديث رسوله هو الحجة وبه يحكم الدين، دين محمد لا دين الاشعري واصحابه الا ما وافقوا فيه الحق. لماذا نسكت عن معاوية او ننهي عن ذكر مخزياته وفضائحه؟ والنبي محمد ﷺ يأمر بهتك الفاجر والفاسد ليحذرهم الناس. ولماذا نعظمه ونسوده ونبيننا يقول: « اذا مدح الفاسد والفاسق غضب الرب »؟ لماذا نعدله وقد فسقه كلام الله تعالى وحديث رسوله ﷺ.

ان الدين والعقل والمرأة والحمية والغيرة كلها تحكم برفضه وبيان حاله وتحذير الناس منه وبغضه في الله والنهي عن تعظيمه وتسويده والترضي عنه. ان كان للسابقين عذر في ترك ذلك فلا عذر لنا اليوم. اليس معاوية هو الداعي الى النار كما في البخاري؟ اليس هو الباغي على امام الحق وهو القاتل بسبب بغيه مئات الالوف من المسلمين؟ اليس هو الذي سن لعن الامام علي عليه السلام على سبعين الف منبر اكثر من ستين سنة؟ اليس هو الذي قتل الحسن بن علي عليه السلام بالسم؟ اليس هو الذي قتل حجر بن عدي واصحابه بمرج عذراء؟ حيث لم يلعنوا علياً ولم يتبرأوا منه وقد اخبر النبي انه سيقتل بمرج عذراء سبعة نفر، مثلهم كمثل اصحاب الاخدود، وانه يغضب لقتلهم جبار السماء. اليس هو الذي اصطفى البيضاء والصفراء من فيء المسلمين واستولى على بيت المال وصرف اكثره في غير حقه؟ اليس هو الذي استلحق زيادا في الاسلام علنا واعاد بذلك حكم الجاهلية؟ اليس هو الذي نقض العهود والمواثيق التي اعطاها للحسن بن علي عليه السلام؟ اليس هو الذي غش الامة وعهد بها الى ابنه السكير الخمير وهو يعلم فسقه وفجوره؟ اليس هو الذي ارسل بسر بن ارطاة الى المدينة ليقتل الانصار والمهاجرين؟ اليس هو الذي سبى المسلمات الهمدانيات وباعهن في السوق؟ اليس هو الذي اوصى

ابنه يزيد ان يرمي اهل المدينة بمسلم بن عقبة، فعمل بوصيته وارسله الى المدينة واستباحها وقتل اهلها وفعلت الفواحش فيها حتى ولدت الف امرأة من غير زوج وافتضت اكثر من ثلاثمائة بكر؟ اليس هو الذي قلب الدين ظهرا لبطن وجعل الخلافة ملكا عضواً وكان اول طاغية في الاسلام؟ اليس معاوية هو الباذل لسمره بن جندب اربعمائة على ان يخطب في اهل الشام أن قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾ نزل في علي بن ابي طالب ففعل؟ اليس هو الذي قتل بالسهم مالكاً الاشر وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد؟ اليس هو الذي فرق الامة والقها في بحر لجي من الشبهات والظلمات؟ اليس هو الذي اشار على عثمان ان يقتل علياً وطلحة والزبير؟ اما لعن النبي السائق والقائد وهما معاوية وابوه؟ اما امر النبي بقتله كما في صحيح مسلم (اذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الثاني)؟ اليس هو الذي جمع غوغاء الشام وغرهم وخطب بهم الاسلام خبطة بقي غمار ضلالها الى اليوم؟ اليس هو رئيس القاسطين، وقد قال الله تعالى: ﴿واما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً﴾؟ اليس هو حزب الشيطان بنص الحديث؟ اليس هو الذي كان يقتل الناس اذا لم يتبرأوا من علي؟ اليس هو الذي ولي عمال السوء على المسلمين ليسوموهم سوء العذاب، كبسر والمغيرة ومروان وعمر وشرحبيل وسمره وزباد وابنه وامثالهم والزمهم لعن علي وأهل بيته على المنابر حتى في المدينة على منبر النبي، ففعلوا واتخذوه سنة؟ اليس هو الذي كتب اليه علي كرم الله وجهه بقوله: «انك دخلت في الاسلام كرها وخرجت منه طوعاً»؟ اليس هو الذي كتب اليه قيس بن عباد: اننا انصار الدين، الذي خرجت منه وعدت الى اعدائه؟ اليس هو الذي شرد بني هاشم وآذى من احبهم وشايعهم؟ اليست كلها بدعة وأولياء المسلمين اكثر من ان تحصي؟ اليس هو اول من عهد الى ابنه بالخلافة في الاسلام وجعلها قيصرية؟ اليس هو اول الملوك من اتخذ المقاصير في المساجد؟ اليس هو أول من قتل مسلماً صبراً؟ اليس هو اول من قيدت النجائب بين يديه؟ اليس

هو اول من ابطال حكم الحدود الشرعية ؟ الى غير ذلك من البدع التي يلزمه الاتم بها الى يوم القيامة.

والله لو تعلم ان الله ورسوله رضي في السكوت عنه لسكتنا. نعلم ان القعود عن الحق ذل ظاهر وعجز قبيح وعقوق للاجداد الطاهرين وسيئة غضب بها محمداً وعلياً يوم التلاق.

هذا وانا اعرف واعتقد انكم عارفون كل ما ذكرته من موبقات هذا الطاغية وما لم اذكره. ولا تخالون ان اسلافنا العلويين اعرضوا عن ذكر معاوية ومثالبه، ان قلنا: نعم اعرضوا عن ذلك حيث لم يدر البحث بينهم وبين احد من انصار معاوية في هذه المادة لاحقاق الحق وابطال الباطل، كما سكتوا عن جدال اهل الاهواء والبدع الاخرى كالمرجئة والمعتلة والخوارج واشباههم، ولو نوقشوا في هذه المادة فلا ريب انهم قائلون بما قال اجدادهم واسلافهم الطاهرون علي والحسن والحسين وزين العابدين والمثنى والباقر والصادق والكاظم وزيد والنفس الزكية وهلم جرا، اننا لا نجد من ساداتنا من ينافح ويكافح عن معاوية ويبدل سيئاته حسنات وينهى عن ذكر مخازيه ومثالبه ولا يوجد من يحبه ويتولاه بل قلوبهم نافرة عنه مبغضة له، اللهم الا افراد شاذة كصاحب المشرع ولا عبرة بالشاذولا بقوله في مقابلة الجمهور، بل في مقابلة الادلة القرآنية والحديثية وكلام كبار اسلافهم، الامام علي بن ابي طالب ومن بعده، يقول الحبيب علي بن حسن العطاس:

فويل ابن هند من عداوة معتد ينارعه في حقه ويطالب يعلم الله اني ذكرت رجالاً كثيراً من اجلائهم وهداتهم في معاوية ولا اجد منهم من يثني عليه. اقول: ان الحق الذي لا يجوز العدول عنه هو التمسك بالكتاب والسنة والاذعان له والرجوع الى ما فيهما محتتم على كل ذي ايمان.

لعله بلغكم اقوال المغرضين الذين يتقولون على السيد محمد بن عقيل، ان في

ادلة رسالته ومقدماتها وقضاياها شيئاً من اقوال الشيعة او نقلاً عن كتبهم او طعنوا او تنقيصاً لمقدار اكابر الصحابة. ثقلوا انها افتراء ومغالطات النواصب للحق الصريح، فان جميع ادلة رسالة السيد محمد بن عقيّل منقولة عن اهل السنة ومن كتبهم وقد اثبت جامعها ما لا كابر الصحابة رضي الله عنهم من الفضل، ومعاوية واعوانه راغموا الحق وهم يعرفونه عناداً واستكباراً.

واني والله ارجو كما اعلمه في شمائلكم من الانصاف وتوخي الحق اذا وقفت على تلك الرسالة ان تؤيدوا مبادئها وتسبروا بتحقيقاتها ولا عليكم ان سكتتم عنها حتى تقفوا عليها، ثم لكم حريتكم في القول وفاقاً او خلافاً، وعلينا ان شئتم نشر كلما تبدونه عنها رداً او تأييداً اذ الحق ضالة الكل.

ان رسالتي هذه الموجهة اليكم لا خلاصي لكم واطمئنان نفسي بكم لما اعهدته فيكم من صدق القصد وحسن النية وعدم المداينة والتجافي عن الاغراض وحب الجاه الزائل والمال المائل ولما اعرفه منكم من حرية القول ورفض التقليد المحض المقيد للانسان. فالجاهل في درجة الصبي مع كفيّله والمرأة في يد وليها. اما بحثكم عن الادلة الاولى من الكتاب والسنة والرجوع اليها واعتنائكم الخصوصي بكتب الحديث والتفسير التي هجرها الاكثر اليوم، واعتبروها كالمنسوخة، ويسرني ميلكم الى كتب الحافظ الشوكاني وامثاله من اهل الحديث. ويؤسفني ما بلغني - ان صح ذلك - من قيام البعض مع معاوية والانتصار له. اما جهلاً منهم او عداوة وشماتاً لآل البيت النبوي الكريم وهم لا يعلمون انهم يغيظون الرسول الاعظم محمدًا ﷺ ويسبّون لآل البيت عليهم السلام فهم عدوهم الاكبر جاهلية واسلاماً ولعل ما بلغني عنهم على سبيل التقية وهو ما لا اظنه، ولكن لم يبق اليوم من يخاف ويتقى منه، وربما في كلمة التقية دفع المشاغل ورفع المنازعة وهو رفع تافه وضرره كبير عام، ولا سيما وانتم ممن يتخذ كلامه حجة ودليلاً، فينبغي الافصاح بالحق والتصريح بصحيح المعتقد، لئلا يجد

الحمقى واولوا النصب سبيلا الى تأييد الباطل بالزيادات، وانتم اعلم بكل ما ذكرته، ولا يستخفنكم الذين لا يوقنون، واسأل الله تعالى ان يوفقنا جميعا الى كل ما هو له رضا وطاعة، ويعصمنا من كل ما هو سخط ومعصية في جميع الحركات والسكنات والافعال والاقوال، وان يجمعنا واياكم اولا في الاوطان في اهناً عيش مريء، ثم في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، انه قريب مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ابو بكر بن عبدالرحمن بن شهاب

من الجدود الاعلون لاسرة بيت آل العطاس هو العلامة حجة زمانه والشاعر الاديب السيد احمد بن حسن العطاس المولود في عام ١١٢١هـ والمتوفى عام ١١٧٢ اي عمره (٥١) عاما، وهو واسع الاطلاع والمحقق والحجة في التاريخ الاسلامي وما جرى بعد وفاة الرسول الاعظم المصطفى محمد ﷺ والحوادث التي لازمت ولاست تولية الامام علي بن ابن طالب كرم الله وجهه وما تجرأ مولى بني امية الفضل عباس ابو الفرج الرياشي الاندلسي في قوله من ابيات له :

لعمرك ان في ديني لشغلاً لنفسي عن ذنوب بني اميه
على ربهم حسابهم اليه تناهي علم ذلك لا اليه
وليس بضائري ما قد اتوه اذا ما الله اصلح ما لديه

فرد عليه العلامة السيد علي بن حسن العطاس بهذه القصيدة :

الاقل للرياشي قد بدا ما لديك اليوم فاسمع ما لديه
تقول بني امية كنت فيهم على الحاليين في حكم السويه
الى ان يقول :

ولو قتلوا اباك لكنت قاض بأخذ الثار في تلك القضية

ولكن الألى قتلوا سواكم بنو الزهرا بدور الهاشميه
ثم قال السيد علي بن حسن العطاس مستطردا في هذه القصيدة:

فما لك لا تبوح ببغض قوم رضوا بالعار في حب الدنيه
ولو كنا حضورا حين ضلوا ضربنا رؤوسهم بالمشرفيه
ويكفينا علي ذو المعالي هو الهادي الى حكم السويه
وللعامة السيد علي بن حسن العطاس عدة مؤلفات تعد حجة في التاريخ منها:
١- القرطاس في ٤ مجلدات الذي يعتبر المرجع الاول لتاريخ بيت آل العطاس
والاسر العلوية.

٢- المقصد في زيارة المشهد.

والسيد العلامة احمد بن حسن العطاس هو احد المعاصرين للسيد بن شهاب
الذي بعث اليه بهذه الرسالة، وهو من احفاد العلامة السيد علي بن حسن العطاس،
المعروفين بالعلم والكرامة والصدارة، ولهم اعمال في التربية والتعليم وتشبيد
المدارس ودور العلم في جنوب الجزيرة وفي المهاجر الشرقية ولا تزال آثارهم باقية
خالدة.

كشف النقاب عن وجه الصَّواب لازالة ريب المرتاب، إفتاء علامة الزمان
ونادرة الاوان مولانا الاوَّاب الحبيب أبي بكر بن عبد الرحمن بن محمد بن شهاب
الدين العلوي الحسيني رحمته الله.

بسم الله الرَّحْمَن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد رسول الله محمد بن

عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اتبعه ووالاه. اما بعد فقد وصل اليّ سؤال من احد المحبين وفقه الله للخير ودفع عنه الضرر وهذه صورة السؤال بحروفه.

ما قولكم في ان الحقيّر قد وقف على الرسالة المسماة بالنصائح الكافية للفاضل الحبيب محمد بن عقيل وحيث انكم المؤيدون لها والداعون اليها واني بعد النظر والتأمل رأيت انها كالفتوى على السؤال الذي صدرت به الرسالة وهو ان بعض العلماء قال: ان من يلعن معاوية اقل خطراً ممن يترضى عنه فهل هو مصيب في ذلك أم مخطئ وحيث ان بعض العلماء اجاب بانه مخطئ بلا شبهة قام السيد محمد بن عقيل وانتصر للمفتي الأوّل وكانت الرسالة المذكورة هي في الحقيقة كالجواب عن هذا السؤال وانا لا اريد ان اتكلم بما اطلال به صاحب الرسالة مما لا تعلق له بهذا السؤال أصلاً. ولكني اريد ان اعرض على شريف مسامعكم اشياء لا تزال تتوارد على خاطر لا سيما وقد سمعت في يومي هذا تقول من جعل كتاب الله حكماً فلا يضره من ناواه أو نحو ذلك. ومن الاشتباه (هكذا) انه من الثابت ان اللعن ينقسم إلى اقسام ومن يطلق عليه اللعن كذلك. واسباب اللعن متفاوتة. فمنها جليلة ومنها خفية والناس في معرفة هذه الاسباب ايضا متفاوتون ومعاوية الذي وقع السؤال عن لعنه او الترضي عنه قد فات ومات. ونحن لا نعرف شيئاً من اخبار الماضين الا بما نقل اليّنا وليس الخبر كالعيان وليس هو ممن نص الله ولا المعصوم الصادق عليه السلام على لعنه وغاية ما كتب صاحب هذه الرسالة ان يكون قد حاول دخول معاوية في عمومات ولا يخفى ان ما يستدل عليه بالعمومات ان يكون مظنوناً او خطأ محضاً لا سيما وقد خصص العمومات بنقل المؤرخين وغالبها كالاسرائيليات لاشتغالها على الغث والسمين او يكون قد حاول مسألة اجتهادية يجوز أن تخفى على بعض الناس بل على اكثرهم وما كان كذلك كيف يكون الخطر في تركه اكثر مما لا خطر فيه البتة وهو الترضي؟ لان الترضي طلب الرضوان من الله تعالى والمشتبه امره ومجهول الحال على اكثر الناس والمختلف في حاله لا سيما ثبوت

إسلامه كيف يكون المترضي عنه في خطر أكثر من خطر من يلعنه؟ أو ليس قد ثبت عن الصادق المعصوم عليه السلام استغفاره للمنافقين وهو وإن نهاه الله تعالى عن الاستغفار لهم فمن البديهي أنه لم يكن المانع له عليه السلام مجرد الذنوب فهذا لم يقله مسلم بل هو إنما كان المنع للنفاق وما ابطنوه من الكفر ومن المقرر أن المذنب والفاسق تحت مشيئة الله تعالى ومما يشفع فيه الشفعاء وقد قال عليه السلام: شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي وقد اجتمع المسلمون على الإذعان بأن صلاة الجنابة مسألة مشروعة على ما سوى الكافر من كل بر وفاجر، ومن الادعية المأثورة فيها أن يقال: اللهم اغفر له وارحمه واكرم نذله وارضه وارض عنه إلى غير ذلك من الادعية الواردة المأثورة. ومعلوم أنني لا أعرف وجه الخطر في الترضي عن الفاسق المعلوم المتفق على فسقه فما بالك فيمن اختلف في فسقه أو اختلف في سبه وجوازه مع وجود الالفاظ الذي ذكرناها في صلاة الجنابة. وفوق ذلك كله أن صاحب الرسالة المذكورة معترف بإسلام معاوية ولم يثبت رده ولا كفره ولا مروقه، فإذا ثبت سيدي باتفاق منا ومن صاحب الرسالة إسلام معاوية ولم يثبت إلا الاختلاف في فسقه فما الذي يوجب الخطر في الترضي عنه؟ بل لو سلمنا كما زعمتم بفسقه أما كان الأولى والأحرى بالصواب جواز الاستغفار الذي الترضي فرد من بعض أفرادهم أن لم يقل صاحب الرسالة بنذب ذلك كما قال به غيره من المسلمين وكما أمرنا الله به فلا أقل من أن يقول لا خطر، لأن الله تعالى قد أمرنا به في غير ما آيه وكما قدمنا في صلاة الجنابة والشفاعة والدعاء وغير ذلك وأما ما استدلل به من لعن بعض المعاصرين فهو بعد حمله على لعن دون لعن فلعل لهم في ذلك مصلحة أو تأويلاً لأن ذلك إنما كان زمن حياته وأما بعد الموت فإنا نرى أن الداعي باللعنة أي بالطرد مناقض الداعي الشافع والمستغفر للذين هما مقام محمد عليه السلام يوم القيامة وإن كل مسلم لا يسعه إلا التأمين على دعائه عليه السلام يا ترى أن يدعو النبي عليه السلام لأناس ونقوم على نقيضه فندعو عليهم ولا اظن عاقلاً مجوزاً لذلك مع أننا لم نر نقلاً صحيحاً ولأن صاحب الرسالة لم

يثبت عن سيدنا علي أنه أمر بلعن معاوية بعد موته بل الثابت عنه كرم الله وجهه خلاف ذلك وايضا المسلم الفاسق المعين لم يصح في لعنه بعد موته شيء عن النبي ﷺ. نعم ورد لعن غير المعين وهو يجوز ان يتناول الاحياء والاموات فكذا الاستغفار والترضي عن الفاسق المعين قد ثبت بالنص فيما صح من دين الاسلام واللعن انما جاء في غير المعنيين فيا ترى ايهما مقدم على الآخر؟ وفرق بين هذا وذاك ونحن إذا نظرنا من يجوز لعن الفاسق المعين لم نر التنصيص عن أحد ممن يعتد به على معين بعد موته ولو سلمنا انه قال به احد فلا اكثر من ان يكون قوله اجتهاديا يجوز ان يخالفه مجتهد غيره ولما ذكرناه وما لم نذكره وقع الاختلاف في تجويز ذلك بين العلماء فيا سيدي حفظك الله تعالى اذا كان حال معاوية كما ذكرنا وقد مات منذ زمان وهو محسوب في اموات المسلمين الشامل لهم دعاء المؤمنين فكيف الترضي عنه والاستغفار له يكون اكثر خطرا من لعنه مع أمر الشارع لنا بالاستغفار للمؤمنين؟ بينوا لنا جوابا شافيا عن هذه الشبهات لان النفس فيها ما فيها والخوض في هذا العويص مشكل وانتم سراته والشبهة واقعة والحالة ما ذكرنا فالجواب مطلوب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وايضا تخصيص عموم الآيات بالتواريخ المخترعات هل قال به احد من مجتهدي الامة؟ بينوا لنا لان الذي في مراكز اذهاننا ان تخصيص عمومات الآيات لا يكون إلا بالسنة الصحيحة الثابتة او بالاجماع ولا شك انكم أدرى من الحقيير فلذا طلب البيان ليظهر الحق فقط انتهى.

فبعد ان تصفحت ذلك السؤال احببت ان اجيب عليه بما يذهب عن السائل الريب ويرفع عنه وعن كثير من امثاله حجاب الشبهة ويوضح له وجه الصواب على انه لو تأمل الرسالة المذكورة حق تأملها لم يشك عليه ما اشكل ولظهر له الجواب جليا ولكن اسعافا ومجاراة له وحرصاً على ايضاح الحق له وارشاده اليه. اقول مجيبا عن ما يلزم له الجواب من مجمل السؤال:

الجملة الاولى

قوله: ان معاوية الذي وقع السؤال عن لعنه او الترضي عنه قد فات زمانه ونحن لا نعرف شيئاً من اخبار الماضين إلا ما نقل الينا وليس الخبر كالعيان، انتهى. واقول: صدق السائل انا لا نعرف شيئاً من اخبار الماضين إلا بالنقل فاننا لا نعلم معجزات النبي ﷺ ولا شمائله ولا احكام شريعته إلا بالنقل، وكذلك لا نعرف فضائل الخلفاء الاربعة واكابر الصحابة من المهاجرين والانصار الا بالنقل، ولا نعرف كفر أبي لهب وأبي جهل وعتبة وامثالهم الا بالنقل، ولا نعرف نفاق عبدالله ابن ابي وثعلبة وامثالها الا بالنقل، ولا نعرف بغي معاوية واعوانه ومخادعتهم لله ورسوله وارتكابهم عظام الموبقات إلا بالنقل، فالنقل هو المرجع في الكل فليس لنا ذريعة لادراك الحقائق غيره، ويتحتم علينا قبول ما صح منه والاذعان به والاعتماد عليه فليكن هذا من السائل حفظه الله على بال.

الجملة الثانية

قوله: وليس هو ممن نص الله ولا المعصوم الصادق على لعنه. انتهى. واقول ان اراد السائل بالنص هنا التصريح بلعن معاوية باسمه في القرآن فذاك صحيح، فان الله تعالى لم يلعن احداً مصرحاً باسمه في القرآن الا ابليس. وان اراد النص المعتبر في الدلالة عند الاصوليين وهو كون الاستدلال بمنطوق القرآن ومنطوق الحديث فهو موجود في لعن معاوية وامثاله، فان الله جل جلاله نص على لعن الكاذبين على ربهم والظالمين والمفسدين في الارض والقاطعين ارحامهم والمؤذنين لله ورسوله والمعتدين والذين لا يتناهون عن المنكر ومن قتل مؤمناً متعمداً ومن نقض الميثاق والداعين إلى النار إلى غير ذلك. وقد نص رسوله عليه وآله الصلاة والسلام على لعن من احدث

حدثا أو آوى محدثا ولعن من سب أصحابه ومن ضار بمسلم أو مكر به وعلى لعن الراشي والمرتشي وعلى لعن من ولي من أمور المسلمين شيئا فأمر عليهم احداً محاباة وعلى لعن من لعن عمارا وعلى لعن من اخاف اهل المدينة ظلماً. وقد ثبت ذلك بالتواتر والنقل الصحيح تلبس معاوية واتصافه بجميع هذه الاوصاف المذكورة التي نص الله ورسوله على لعن من اتصف بشيء منها فكيف ومعاوية متصف وملابس لجميعها؟ والتواتر والنقل الصحيح اعظم شاهد على ذلك. وبهذا يتضح ان قول السائل: ليس معاوية ممن نص الله ولا المعصوم الصادق على لعنه خطأ ظاهر، ومن الجهل الفاضح ان تتطلب الدليل في الحكم على الاشخاص بالنص على اسمائهم ولا نعتبر بعموم الدلالة. ياترى هل نص الشارع على وجوب الصلاة والزكاة وتحريم الرباء والسرقه على فلان بن فلان اي السائل ام كان ذلك بعموم الآيات والاحاديث لا يشتبه ذلك على ذي تمييز، كيف وقد اتفق الاصوليون انه لو ورد حكم على شخص معين كان عاما في غيره فليرجع السائل ان جهله إلى مظانه من كتب الاصول.

الجملة الثالثة

قوله: وغاية ما كتب صاحب الرسالة ان يكون قد حاول دخول معاوية في العمومات. انتهى. واظنه يريد عمومات من لعنهم الله ورسوله. واقول: اما دخول معاوية في عموم تلك الآيات والاحاديث فلا يحتاج إلى محاولة ولا مزاوله ومن الذي ينازع في ان معاوية كان كاذبا وظالما ومفسداً في الارض وقاطعاً للرحم ومؤذيا لله ورسوله باذيته أهل نبيه وانصاره وقاتلاً للنفوس المؤمنة بغير الحق وداعيا إلى النار كما في حديث عمار ومحدثا للاحداث السيئة وسابا لأكابر أصحاب رسول الله وأكابر اهل بيته وراشياً ومحابياً بالامارة لابنه السكير الخمير واعوانه الذين هم من شاكلته ومخيفاً لاهل المدينة إلى غير ذلك من موجبات اللعن ومسبباته. ولكن انصار معاوية واذنابهم

واتباعهم هم الذين يحاولون خروجه عن عمومات هذه الآيات والاحاديث بما لا يجديه ولا يجديهم نفعاً ولا ينهض لهم بحجة، فترى بعضهم يدعي اجتهاده وصلاح نيته وبعضهم ينكر بعض ما ثبت من الموبقات وبعضهم يتصامم ويتغافل عنها ويأمر الناس بالسكوت عنه وبعضهم يزعم ان الصحبة عاصمة له ومكفرة عن ذنوبه إلى غير ذلك من التهويسات الباطلة والتاويلات الفاسدة. وأتى يتم لهم شيء من ذلك والتواتر يدحض أقوالهم والنقل الصحيح يسخر اعينهم والقلوب المؤمنة تنفر من تمحلاتهم ونور الحق يطمس ظلمات وساوسهم والله من ورائهم محيط؟

الجملة الرابعة

قول السائل: ولا يخفى ان ما يستدل عليه بالعمومات ان يكون مظنوناً أو خطأ محضاً لا سيما وقد خصص العمومات بنقل المؤرخين وغايتها كالاسرائيلات لاشتمالها على الغث والسمين. انتهى كلامه. واقول: قال الاصوليون: ان دلالة العام على افراده ظنية اي لاحتمال اخراج بعض الافراد عن الحكم بخصوص آخر كقوله تعالى: ﴿وما ملكت ايمانكم﴾ فما في قوله: «ما ملكت» لفظ عام يشمل كل امة مملوكة ولو كانت اختا او اما لكنه مخصوص بقوله تعالى: ﴿حرمت عليكم امهاتكم واخواتكم﴾ الآية. فيبقى الحكم ثابتاً في الباقي الذي لم يذكر في الآية المخصصة واذ اجاز اخراج شيء من افراد العام بدليل آخر يخصصه فدلالته بلا شك ظنية ولكنه ظن اقامه الشارع مقام اليقين في لزوم امتثاله وتحتم العمل بمقتضاه وهكذا غالب ادلة الفقه فان اكثرها ظنية واجبة الاتباع، فدليل وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة والتشهد ظني ودليل ربع العشر في زكاة النقد وشاة عن خمس من الابل ظني كذلك وهلم جرا، واحاديث الآحاد كلها ظنية المتن كاحاديث البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الحديث، اللهم إلا احاديث قليلة جاءت متواترة وقد ميزها الحفاظ وبينوها كحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه»

وحديث «تقتل عماراً الفئة الباغية» فتلك قطعية الورود. وحيث علمت ذلك تعلم لزوم العمل بعموم الآيات والاحاديث الدالة على جواز لعن معاوية بل ندبه واستحبابه تأسيساً بكتاب الله وبرسوله وبملائكته ولعل السائل اصلحه الله نظر في بعض الكتب ان دلالة العام ظنية فتخيله ضعفاً في الدلالة فلماذا تجاوز الحد وخالف الكل بقوله: او خطأ محضاً. لا بل قوله: خطأ محضاً هو الخطأ المحض والله أعلم. اما قول السائل: وقد خصص يعني صاحب الرسالة العمومات بنقل المؤرخين الخ. فعجيب، لان ما نقله صاحب الرسالة عن أهل الحديث وعن المؤرخين انما هو تعيين لافراد العام واثبات وتأييد لكون معاوية واعوانه من الداخلين في ذلك العموم، فكيف يدعي السائل أنه تخصيص؟ وكأنه لا يعرف معنى التخصيص. ولهذا نقول له: ان التخصيص هو اثبات حكم لفرد من افراد العام مخالف لحكم العام اما باستثناء في لفظ العام او شرط فيه او بدليل مخصوص خارجي منفصل كما قدمنا ذكره في الآية السابقة، فيخرج ذلك الفرد بذلك المخصص عن حكم العام وما نقله صاحب الرسالة عن المحدثين والمؤرخين ليس من التخصيص في شيء بل هو اثبات وتعيين لبعض افراد العام. ولو فرض وجود مخصص يخرج معاوية وامثاله من تلك العمومات لقلنا به، كما لو فرضنا وجود حديث بلفظ لعن الله المفسدين في الارض إلا معاوية لاخرجناه من عموم المفسدين، وكما لو جاء ان معاوية قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لقلنا به. ولكن انى ذلك؟ بل جاء في الاحاديث الصحيحة وبالتواتر ما يثبت انه من اكابر من يستحق ما دلت عليه تلك الآيات والاحاديث والاذعان لما جاءت به متحتم فليتنق الله امرئ اراد بعلمه وعمله وجه الله تعالى.

الجملة الخامسة

قول السائل: او يكون قد حاول مسألة اجتهادية، إلى قوله: مع وجود الالفاظ

التي ذكرناها في صلاة الجنازة. ونقول: هذا كلام مضطرب مختل التركيب والترتيب غير انا نجاري السائل حرصاً على افادته ونقول له: اما ما تتخيله وتظنه ان معاوية ربما كان مجتهداً طالب حق كما ادعاه له كثير من انصاره، فقد بسط صاحب الرسالة الجواب عنه بما فيه مقنع للمنصف ودحض لحجة المكابر والمتعسف. ويكفي في رد ذلك ان الاجتهاد لا يسوغ مع وجود النص وقد نص النبي عليه وآله الصلاة والسلام على بغى معاوية وخطائه في حديث عمار وغيره، وقد علمه معاوية وسمعه فكيف يسوغ له الاجتهاد بعده؟ ولكنه مراغم معاند محاد لله ورسوله نقول ذلك جهاراً رضي بذلك انصاره أم سخطوا. واما كون الخطر في الترضي عنه تعظيماً له اكثر من الخطر في لعنه فلا شك فيه ولا ريب لانا نقول: انه لا خطر في لعنه اصلاً لثبوت ارتكابه الكبائر التي لعن الله ورسوله فاعليها ولنا في رسول الله اسوة حسنة فيكون لعنه مندوباً للتأسي بكتاب الله ورسوله وملائكته ولو لم يكن التأسي مطلوباً في خصوص هذه المسألة لما ورد مكرراً لعنة الله والملائكة والناس اجمعين. كيف وقد قال الله تعالى ﴿اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ وهذا امر باللعن في صيغة الخبر، واما زعم من زعم أن ترك اللعن من الورع فله رأي في عمل نفسه وليس له أن ينهى الناس عن أمر شرعه الله ورسوله لعباده لراي رآه، وهذا الترك اقرب إلى التنطع والتعصب منه إلى الورع، وعلى قياس هذا الورع يكون الامتناع عن كل سنة اختلف فيها ورعاً ويسري في كل حكم وفضيلة احتمل بطلان دليلها. اللهم أن هذا تعطيل للدين وليس من الورع المحمود في شيء. واما التفريق بين المعين وغيره وبين الحي والميت كما زعمه بعض العلماء فقول مرجوح بل تحكم صرف لا دليل عليه، وقد بسط الجواب عنه صاحب الرسالة بما يبين فسادة فليرجع إليه ثمة. واما الخطر في الترضي عنه وتعظيمه وتسويده فعظيم لما يعلمه الكل ان الترضي هو شعار الاصفياء والصالحين من العباد كما ورد في القرآن الكريم مكرراً وصار من بعد شعاراً لهم ملازماً لتعظيمهم فلا يكون لغيرهم من الفسقة وذوي الكبائر

لملازمته العرفية للتعظيم وتعظيمهم مغضب للرب وسخط له كما في الحديث. وقد ذكر صاحب الرسالة من ذلك ما فيه مقنع للمنصف وكما قالوا في الصلاة على غير الانبياء استقلالاً بالمنع لأنها صارت شعاراً للانبياء، فكذلك الترضي هنا فهو شعار للاكابر وذوي الفضل وليس المنع سببا عن نفس طلب الرضا عن الفاسق والظالم فقط، بل لملازمته للتعظيم الممنوع أمّا الدعاء للفاسق بالرحمة والمغفرة وللكافر والمنافق بالهداية فلا منع فيه حيث خلا عن اقترانه بمحبة وموالة. اما ان كان مقترنا بهما فممنوع أيضا لقوله تعالى: ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ ومن هذا القبيل ما ذكره السائل بما ورد في الصلاة على الميت غير ان السائل زاد فيه وارضه وارض عنه ولم اقف على هذه الزيادة في رواية صحيحة على انه لو فرضت حياة النبي عليه وآله الصلاة والسلام عند موت معاوية فالظن الغالب انه لا يصلي عليه لان علامات النفاق كلها موجودة فيه مع انه عليه وآله الصلاة والسلام امتنع عن الصلاة على رجل من أصحابه بسبب كونه مديونا دينارين لم يؤدهما وامتنع من الصلاة على احد المجاهدين معه لما اخذ من فيء المسلمين خرزاً لا يساوي درهمين، فما بالك بمعاوية الذي تعلق بدمته الآلاف المؤلفة والقناطير المقنطرة من اموال المسلمين التي جمعها واغتصبها ظلما وعدواناً؟ وقد امتنع النبي عليه وآله الصلاة والسلام أيضا عن الاستغفار لمحلم بن جثامة القاتل رجلاً في المعركة، اسلم حين اقبل عليه محلم بالسيف فظن انه انما نطق بالشهادتين جزعاً من السيف، ولما طلب من النبي ﷺ ان يستغفر له أبى بل قال: اللهم لا تغفر لمحلم ثلاثاً. أترأه يستغفر لمعاوية الذي بغى على وصيه وسم سبطه وريحانته وبذل سنته وقتل الالوف من خيار امته بغير الحق. ثم لو كان الدعاء مشروعاً على الاطلاق كيف كان لكل مسلم لجاز ان يقال: اللهم صل وسلم وبارك على معاوية وعمرو ويزيد والحجل وابن ملجم وابن زياد والوليد وامثالهم، إذ الصلاة من الرحمة لكنها لما كانت مقرونة بالتعظيم امتنعت على هؤلاء الفسقة. وكذلك الترضي عن مثل

هؤلاء لما فيه من التعظيم. والحاصل ان تعظيم معاوية وتسويده وحبه هو الممنوع وكل ما اقترن به شيء من هذه فممنوع كذلك ومن هنا يعرف وجه الخطر بالتراضي عنه وعدمه في لعنه والله أعلم.

الجملة السادسة

قول السائل: وفوق ذلك كله ان صاحب الرسالة المذكورة معترف باسلام معاوية ولم يثبت رده ولا كفره ولا مروقه ولم يبق الا الاختلاف في فسقه. في كلام كثير اكثره تكرار إلى آخر السؤال. ونقول له: اننا وصاحب الرسالة وكثير غيرنا قائلون بان معاوية عاش منذ يوم الفتح إلى ان هلك وهو مظهر للاسلام، واما الباطن فلا اطلاع لاحد عليه الا بالوحي فنكل امره إلى الله. غير انا وجدنا في صحيح الحديث ما يستدل به على النفاق من العلامات، وهي الكذب في الحديث والخيانة في الامانة والخلف في الوعد والغدر في العهد والفجور في الخصومة وبغض علي بن ابي طالب ومعاداته وبغض الانصار. وقد اثبت التواتر والنقل الصحيح وجود كل هذه الاوصاف في معاوية. ومن اراد العثور على شيء من ذلك فلينظر في تلك الرسالة. ثم مع ذلك لا نعامل معاوية الا معاملة الفسقة وذوي الكبائر من المسلمين والله سبحانه وتعالى متولي سريره.

واما ما ذكره من الاختلاف في فسقه فواقع لكن حجة القائلين بعدم فسقه داحضة، فان الكل قد اجمعوا على ان الفاسق من ارتكب كبيرة او أصر على صغيرة، ومعاوية قد ارتكب كبائر كثيرة وبوائق عظيمة وأصر عليها. وقد عدد منها صاحب الرسالة ما اذا علمه المنصف لم يتردد في فسق ذلك الطاغية وفجوره ومحاداته لله ولرسوله. فليس بمجهول الحال ولا المشتبه أمره كما توهم السائل. والتمحل والتعسف والتأويل الفاسد لا ينفي عنه الفسق ولا يثبت له عدالة ولا براءة مما اقترف من الفواقر. والاحتجاج بذلك نفخ في رماد ﴿ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل

الله عنهم يوم القيامة ﴿﴾ اما الاستغفار له ممن لم يثبت عنده نفاقه فجائز ان لم يقترن بمحبة ومودة كما قدّمنا ذلك. واما قول السائل: يا ترى ان النبي أن يدعو النبي ﷺ (١) لاناس ونقوم على نقيضه فندعو عليهم؟ لا اظن عاقلاً يجوز ذلك. فنقول: صدقت ولكنك نفسك واقع في هذه الحفرة فان الله تعالى ونبيه عليه وآله الصلاة والسلام قد لعنا الظالمين والكاذبين على ربهم والمفسدين في الارض وغيرهم وانت تنهى عن لعنهم وتجادل عنهم وقد دعا عليه وعلى آله الصلاة والسلام على من عادى علياً أو ابغضه أو خذله بقوله، كما في الصحيح: اللهم عاد من عاداه وابغض من ابغضه واخذل من خذله. وانت تدعو لذلك المعادي لعلي والمبغض له والخاذل بالرحمة وتستدر له المغفرة. اما المؤمن الصادق الايمان فهو الذي يجعل هواه تبعاً لما جاء به نبيه ﷺ فيلعن من لعنه ويدعو لمن دعا له ويستغفر لمن استغفر له وبذلك تتحقق له المتابعة لنبيه عليه وآله الصلاة والسلام وتخالط قلبه بشاشة الايمان والتوفيق بيد الله. واما ما اشار اليه السائل فيما نقله صاحب الرسالة لم ينقل عن المؤرخين هل يحتج له ام لا؟ فنقول: ان صاحب الرسالة لم ينقل عن المؤرخين للاحتجاج به إلا ما صح أو تواتر واما غير ذلك فنقله إياه تقوية وبياناً للواقع ولم يعارض بذلك صحيحاً ولا رد به نصاً ولا خصص به عاماً كما زعم السائل. على ان الامام الشافعي رحمه الله يقول في الرسالة: أهل المغازي أقوى في بعض الامور من نقل واحد عن واحد. واكثر ما ينقله ثقات المؤرخين هو الواقع المتواتر والله أعلم. واما قول السائل: من المقرر ان المذنب والفاسق تحت مشيئة الله ومما يشفع فيه الشفعاء، وقد قال ﷺ «شفاعتي لاهل الكبائر من امتي». قلنا: نعم كل تحت مشيئة الله تعالى ولكن لا يجوز لنا ان نحيل كل فاقرة يفعلها فاجر على مشيئة الله ويلزم عليه لو فرض جوازه ان لا نعظم احداً من أهل الفضل والدين بعينه ولا نترضى عنه لأنه أيضاً تحت المشيئة وربما يكون من الاشقياء المخلدين في النار. ان هذا هو التعطيل بعينه. بل الواجب

(١) هكذا وردت العبارة في الاصل.

علينا أن نعامل كلا بما جاء به الكتاب والسنة كما كلفنا الله تعالى من مدح أو قدح أو ترض أو لعن أو حب أو بغض، وليس لنا الاحتجاج بالقدر ولا الاحالة على المشيئة. وأما قوله ﷺ «شفاعتي لأهل الكبائر من امتي» فمن هذا القبيل وليست هذه القضية كلية حتى نعلم ان معاوية ممن يشفع له النبي عليه وآله الصلاة والسلام بل القضية مهمة والمهمة لا يستدل ولا يحتج بها. على ان من كان خصمه الله تعالى ونبيه عليه وآله الصلاة والسلام يوم القيامة وعلي الحسن والحسين وخيار الصحابة بل والامة كلها التي بدل دينها واكل أموالها وقتل خيارها كيف ترجى له شفاعته النبي ﷺ؟ ان هذا من ابعد البعيد مع ان الله جل شأنه لا يغفر للمذنب تبعاته حتى يحله منها صاحب التبعة فكيف يغفر للمصّر الذي لم يتب ومن ذا الذي يرجو ان تحل جميع الامة معاوية المصّر على فواقره من تبعته؟ ولئن سامحه انصاره الذين ختم الله على قلوبهم بمحبته فلا طمع في ان يحله الباقون. ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾.

هذا ما حضرني في الجواب على هذا السؤال وارجو من ذلك السائل المحب أن يعفيني في المستقبل عن مثل هذه الاسئلة التي هي اوضح من ان يسأل عنها على اني في شغل عن تكرار الكلام في شأن ذلك الطاغية. وان في رسالة السيد محمد بن عقيل ما يغني الطالب المنصف، ويرغم انف المتعصب والمتعسف وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

الشهاب الثاقب على السباب الكاذب من املاء السيد ابي بكر بن عبدالرحمن بن شهاب الدين العلوي الحسيني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين
وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى اصحابه المنتخبين وعلى التابعين لهم باحسان الى
يوم الدين.

أما بعد فقد وقفت على رسالة صغيرة الحجم ألّفها جناب الملا فقير الله اصلحنا
الله واياه سماها:

«مفسق معاوية من الفرقة الغاوية»

فطالعتها من بدئها الى منتهاها وادركت معاني منطوقها وفحواها وتبينت ما
اشتملت عليه من عجب وعجاب وانحراف عن جادة الصواب. اوغل مولفها في سبيل
المدافعة عن بغى معاوية بن ابي سفيان وافراط حتى كفر وفسق بسببه كثيراً من أئمة اهل
الاسلام والايمان وصرح في ديباجتها ان باعث تحريرها والسبب الحامل على
تسطيرها هو وقوع البحث بيني وبينه في شان معاوية وعدالته او فسقه وبيان كذبه
وصدقه وزعم انه ناظرني فاسكتني وبهتني واعجزني وذكرني في ضمن الرسالة شيئاً
من عبارات المراجعة التي وقعت والتي يزعم وقوعها في كتيبة مولانا السيد عبدالحق
الاعظمي. واقول الآن: اما نفس رسالته فساقطة بذاتها لاحقة بأخواتها اذ كلها تاويلات
وتمحلات واكاذيب ملفقات لا تستحق وضعاً في بساط البحث والمراجعة ولا تنتج الا
فارغ المنازعة. يحتج فيها بكتاب الله وحديث رسوله مقلوباً ثم يدعي انه الغالب حالة

كونه مغلوباً. والرد على مثلها من باب تحصيل الحاصل واضاعة لنفيس الاوقات من غير طائل ولو اتى في جوهر دعواه بشيء من الحق الصريح او سلك فيها مسلك الاحتجاج الصحيح لتبعته في ذلك ورجعت اليه وكفى بالله شهيدا عليّ وعليه. ومن حيث اني لا غرض لي الآن في البحث معه في شيء من مواضيع رسالته فلندعه وشانه ونتركه وما اختاره من الاعتقاد في معاوية واحواله لعلمي انه لتعصبه وامثاله كثير لا يرجع الى السواء ولا يستطيع الخروج عن طاعة سلطان الهوى. ومن الذي يقدر ان ينقذ كل غارق او يسكت كل ناعق؟ وقد قلت في هذا المعنى شعرا:

كشفت بقال الله قال رسوله	ضلال ابن هند والذي فيه من عاب
واثبت ما نيطت به من بوائق	وبغي بما لم يبق ريباً لمرتاب
فسرت قلوب المتقين ورحبت	فحول ذوي التحقيق اجمل ترحاب
وانكسر اقوام يخالون انهم	رجال وان العلم لعبة لغاب
ومن هم وما هم لو عجمت قناتهم	سوى كل سباب سفیه وصخاب
سأضرب عنهم لا لعجز وانما	ارى الكف عن صيد الثعالب اولى بي
الم تر ان الليث يحمي عرينه	ويفرق من انبياه كل ذي ناب
ويعرض ان نقت ضفادع غابه	ولو ملأت اصواتها افق الغاب

نعم سأنبه على امرين واقعين في تلك الرسالة اذكرهما لما في السكوت عنهما من الأمر المحذور الموقع في ورطات الأمور حبا في اظهار الحق ونصيحة في الدين له ولباقي اخواننا المسلمين.

الأمر الأول ما شحنت به الرسالة من أيمان مؤلفها المكررة ببراءة معاوية واجتهاده وصلاح نيته واشباه ذلك، مما لا يطلع على حقيقته الا الله تعالى. وكل ذلك تأل على علام الغيوب جلّ جلاله، وافتيات عليه نسأل الله العافية والسلامة، ثم تكفير مؤلفها تارة وتفسيقه اخرى كل من سب طاغيته معاوية او لعنه او فسقه، مع علمه ان

كان عالماً كما يزعم بوقوع جميع ذلك في معاوية وبلوغه إلينا تواتراً واحداً من كثير من اكابر الصحابة وائمة اهل البيت وافاضل المسلمين، واذا صدر هذا من مدعي العلم مثل المؤلف لم يكن المحذور فيه مقصوداً على المؤلف فقط، بل ربما اقتدى به في ذلك من يعتقد علميته فيقع في هاوية الزلل ويتعرض لمقت الله عز وجل. أمّا ما خصني به في رسالته من نسبة الافتراء إليّ والبهتان والضلال وفساد الغرض والفسق والجهل بالعربية وبالأصول والدعاء عليّ بأن يطهر الله مني بلدة حيدر آباد بالنفي عنها وغير ذلك من السباب والشتائم فاني وان كنت احد منه لسانا وابلغ منه بيانا واثبت منه جنانا واكثر منه انصاراً واعوانا واقوى منه ان شاء الله ايماناً لا اقابله بمثل مقاله ولا انثل كنانتي لنضاله، فان قلمي يأبى ان يكتب كما كتب ويترفع عن الخروج من حدود الأدب فلا اؤاخذه بشيء من ذلك بل اصفح عنه تكريماً وطلباً لمرضاة الله تعالى ﴿وان تغفوا اقرب للتقوى﴾ واما ما استطال به لسان تلميذه في تقرير رسالته بأبياته التي يحسب انها شعر من السب والهجو فموكول امره الى الله تعالى وهو الحكم العدل وكل اناء ينضح بما فيه.

الأمر الثاني اللازم بيانه هو حكايته في تلك الرسالة ما جرى بيني وبينه من المباحثة بخلاف الواقع فانه غير وبدل وعرض وطول وزاد ونقص ودندن ورقص ولا اظنه في ذلك متعمداً للكذب لكونه من الذين يعلمون معنى قوله عز وجل: ﴿انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون﴾ لكنه ربما ساء حفظه في بعض المواضع وغلب عليه النسيان في بعضها، ولكيلا يبقى الأمر تحت ستار الابهام على قراء رسالته ان كان لها قراء سائبين هنا ما خالف الواقع والحقيقة التي صدرت مني ومنه، وكفى بالعدول الحاضرين شهوداً على صحة قلبي فيما اذكره هنا وهم والحمد لله احياء يرزقون. منهم السيد الفاضل عبد الحق الاعظمي البغدادي المدرس الآن بمدرسة علي كر والشيخ الفاضل صالح بن علي الياضي والمكرم الجمعدار صلاح بن احمد الاحمدي وغيرهم على ان شهادة الله وحده في الآخرة مغنية وكافية عن كل شهادة وكفى بالله حسيباً.

ادعى فقير الله سامحه الله اني سألته عن دليل مسألة عموم تعديل الصحابة وذلك واقع، ولكنه زعم اني قلت له أيضاً: وان الاجماع ليس بدليل بل هو من القول والقييل وان الامام احمد منكر للاجماع. انتهى. واقول الآن: هذا محض كذب لم اقله في تلك الجلسة ولا اعتقده بل اقول بحجية الاجماع اذا استكمل الشروط ومؤلفاتي الكلامية والاصولية والفقهية شاهدة بذلك ومصرحة به على انه لا الاجماع من الامة بل ولا من اهل السنة على عموم وعدالة الصحابة كما طنطن به ودندن كيف. وكتب الاصول وغيرها طافحة بذكر الخلاف في ذكر ذلك؟ واذا وجد خلاف فلا اجماع. ثم ذكر انه رد على هذا القول بكلام طويل ذكره في رسالته نسبني فيه الى الافتراء القبيح والبهتان الصريح والضلال المبين وسلوك مسلك الجهنميين. سامحه الله وعفا عنه. ثم قال بعده: فسكت السيد الحضرمي وبهت وما اعترض عليه شيئاً ولا ذكر فيه عيباً. واقول: هذا كله غير واقع فاني لم انكر حجية الاجماع كما قدمت ذلك ولم يرد علي هو في تلك الجلسة بما اطال به في رسالته ولم اسكت ولم ابهت من رده ويشهد لي وعليه بعد شهادة الحاضرين العرف بل العقل فانهما ان لم يحيلوا يستبعدان صدور ذلك الجواب الطويل منه في تلك الجلسة القصيرة، والحال انه لا يقتدر على المحاوراة بالعربية فضلاً عن ترتيبها وتميقها كما زعم واتنى يتيسر له في تلك الجلسة سرد عبارات الكتب التي نقل عنها في رده وحفظها كما يزعم؟ وانما جمع ذلك كله ثم رتبته في بيته بعد ان رجع الى بلده ثم حرره في رسالته وابرزه زعماً منه انه وقع في تلك الجلسة.

هكذا هكذا والا فلا. ثم ذكر فقير الله ارشده الله انه استدل على عموم العدالة بقوله عز وجل ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ والاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴿ وهذا واقع لكنه لم يذكر في رسالته جوابي عن هذا الاستدلال وكتمه، وهو قولي: ان معاوية وامثاله ليسوا من المهاجرين ولا من الانصار ولا من الذين اتبعوهم باحسان، بل من الذين بغوا على المهاجرين والانصار وقتلوهم وقتلوهم ظلماً وعدواناً، فلا دليل في الآية على دخول معاوية واشباهه. وما ادري

اتناسى فقير الله جوابي هذا حين حرر رسالته ام نسيه؟ فان الانسان مظنة النسيان. واما قوله بعد ذلك: وبينت وجه الاستدلال بها الى آخر ما اطال به وطنطن فغير واقع وانى له بحفظ تلك الاقاويل وترتيبها وسردها كما ذكر في الرسالة؟ ولو ذكرها في تلك الجلسة لوجد مني جوابا شافيا عنها لا تعصب فيه ولا حماقه. بل الواقع بشهادة الله وشهادة من حضر انه عدل بعد جوابي عليه بما مرّ من الاستدلال بهذه الآية الى الاستدلال بقوله تعالى: ﴿للفقراء المهاجرين﴾ الآية. واراد ان يقرأها فلم يفتح عليه منها الا قوله تعالى: ﴿اولئك هم الصادقون﴾ فطلب مصحفا يستخرج منه الآية فلم يجد فسأل تلميذاً له كان معه اذ ذاك عن الآية فلم يفده شيئاً فاستدل بعدها بقوله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ الآية. أما قوله بعد إيراد الآية: ووجه الاستدلال بهذه الآية، الى آخر الكلام الطويل الذي جزم فيه بكفر من انكر عدالة معاوية وخطب فيه خطب العشواء فلم يصدر منه في تلك الجلسة بل رتبته بعد ووضعه في رسالته كعادته، على انه لا يقيم له دليلاً ولا يغنيه فتيلاً. ثم قال هداه الله وتاب عليه: قال السيد الحضرمي: المراد من الذين معه الذين بعد الصحابة. واقول: هذه فرية عليّ عظيمة فليستغفر الله منها والواقع اني انما قلت: المراد بالذين معه هم اهل صلح الحديبية، لأن الآية نزلت عقيبها كما ذكر ذلك اكثر اهل التفسير والحديث. والمراد بالكفار في الآية المشركون الذين منهم اذ ذاك معاوية وابوه. وما ادري بماذا اتطلب لفقير الله العذر في تبديل جوابي هذا بجواب من عندياته سامحه الله وعفا عنه. وبناء على تلك الخزية الفاضحة اطال الكلام والهذر حتى قال: والعجب كل العجب من الذي يدرس علوم العربية ومع هذا هو من العرب ويفسر الآية القرآنيّة بهذه الهفوة التي تضحك كل صبي وصبيّة. هذا ما قاله فقير الله نترك الحكم فيه لاهل العلم والعقل والذوق السليم. وما اصدق ما قيل شعرا:

سكّنت بغايغة الزمان واصبح الوطواط ناطق
وتسابق عرج الحمير واخبرت فيه السوابق

ثم قال غفر الله له ونور بصيرته: فعجز السيد وانقطع وسكت، ثم قمنا وانتشر الجميع وافترق وذهب كل منا الى مذهبه وانطلق. واقول: هذه فرية اخرى لعلها صدرت منه عن غفلة او غيبوبة عقل سببها الغيظ والغضب، والواقع انه هو الذي تلثم لسانه واعتذر بأنه لا يقدر على المحاوراة بالعربية وانه سيكتب في هذا الموضوع ما يؤيد قوله (فبادر) الى شراء كتاب تطهير الجنان عن ثلب معاوية ابن ابي سفيان لابن حجر المكي ليستعين به في مطالبه فاشتراه من الكتبيه وخرج مغتبطا به ونقل كثيرا من مواده في رسالته. ثم كان المجلس الثاني فكان الواقع قريبا مما ذكره في الرسالة الا انه لم يذكر فيها ردّي عليه دعوى اجتهاد معاوية بأن الاجتهاد لا يصح في مقابلة المنصوص وانه لم ينزل وحي من الله على احد من القائلين به اطلعه الله به على حسن نية معاوية وصلاح قصده حتى يثبت به اجتهاده، بل القرائن القوية دالة على سوء قصده وفساد نيته. اما الكلام الذي ذكر انه احتج عليّ به على عادته فاكثره غير واقع.

هذا ما وقع بيننا وبين الاخ فقير الله اثبتناه بالصدق والامانة وهو يعلم ذلك ويعرفه. ثم اني لا ادعي اني عالم اعرف ما لا يعرفه غيري، وما اعتقد الا اني طالب علم اصّرّح بما اعلمه من الحق واقبله من غيري. وبحمد الله تعالى وفضله لا اعدل عن قوله تعالى وقول رسوله عليه الصّلاة والسلام الى قول فلان وفلان ولا اتعصب لامام ولا مذهب ولا اتشبث بالتاويلات البعيدة الفاسدة، واستعيذ بالله ما عشت من، اتّباع الهوى واستغفر الله تعالى من كل خطيئة او زلة قلم او لسان وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم والحمد لله رب العالمين.

كتبه العبد العاجز ابو بكر بن عبد الرحمن بن

شهاب الدين العلوي الحسيني غفر الله له

آمين اللهم آمين.

رحلاته

يميل السيد بن شهاب الى الرحلات في سبيل اهدافه لتحقيق مشروعه «النهضة الاصلاحية» شأنه في ذلك، شأن المكافحين المصلحين من دعاة المسلمين الاوائل الذين آثروا العمل للمصالح العامة، رغم ان الرحلات والتنقلات في تلك الازمنة ليست من الامور السهلة، فالمسالك وعرة ومضنية حتى وصف السفر بأنه قطعة من العذاب، فالراحة في الاسفار مستحيلة، وكانت الرحلات قديما وبالاخص الرحلات البحرية شاقة متعبة ومملة وتستغرق شهورا حتى يصل الانسان المسافر الى هدفه. وبتطور المراكب الشراعية الى بواخر تسير بقوة البخار تحسنت الاوضاع، ولكن هدير الآلات واصواتها المزعجة لا تستطيع مكافحة الامواج في البحار والمحيطات، وتضايق تلك الاصوات المسافرين ويتعرضون بسببها للصداع والملل والغثيان خصوصا اذا تعرضت الباخرة لهياج الامواج وتلاعبت بها بتقاذفها ذات اليمين وذات الشمال، فيتساقط الركاب صرعى. وقد تدوم بهم الحالة اياما وليالي لا يستسيغون طعاما ولا يحلوا لهم شراب ولا يهناون بنوم، كل يذكر الله ويسأله النجاة والسلامة. فان سكن الموج وهدأ البحر وتنفس المسافرون الصعداء وبدأ الانتعاش يساورهم شكروا الله الذي نجاهم وسلمهم وانقذهم من موت او بلاء محقق. وقد تتكرر تلك الحالة مرات عديدة، حتى يصلوا الى المرفأ الذي يقصدونه.

كانت البواخر تقطع المسافة من سنغافورا الى السويس في ٢٤ يوما وتعتبر في وقتها غاية ما وصلت اليها العقلية البشرية من تقدم، اذ اصبحت اقل من شهر بعد ان كانت شهورا على المراكب الشراعية. وبخلاف اليوم الذي اصبحت السفر متعة وراحة ومن الامور التي تسعد المسافر ويتطلبها، فهو يقضي رحلاته سعيدا متنقلا كما يريد وهو مرتاح البال والضمير.

ففي تلك الازمنة لم تكن هناك طائرات نفائة سريعة مريحة تقطع المسافات البعيدة في ساعات قلائل في الوقت الذي تقطع البواخر شهورا. وتحمل الطائرات النفائة اليوم مئات من الركاب، يرتاح المسافر على مقاعد وثيرة وتقدم اليه وجبات الطعام الشهية وهو في اعالي الجو والفضاء بين السحب لا يشعر بتعب او ملل، وقد يأخذه نوم عميق. وكأن الوقت قد قصر فينسى المسافر الم الفراق والبعد، واصبح المثل اليوم يقول «السفر متعة وراحة».

طاف السيد ابن شهاب في معظم البلدان الاسلامية قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها متجشما المتاعب، ولم تكن رحلاته استجمامية او سياحية او وسيلة للترفيه، ولكن كانت لهدف معين شريف ولغاية سامية للصالح العام الذي يؤمن به ويكافح من اجله، قائماً برسالة النهضة الاصلاحية، شأن اجداده السابقين الذين جاهدوا وهاجروا في سبيل الدعوة الاسلامية لخدمة المجتمع البشري بنشر الدين الاسلامي الصحيح بين امم وشعوب غير اسلامية ولم تصل الدعوة اليهم لبث التعاليم الاسلامية الحقبة الخالية من الشوائب والترهات. ثم ايقاظ الغافلين وتنوير اذهانهم حتى يتبين لهم حقيقة الاسلام واضحا ناصعا جليا. وكان عليه في كل رحلاته الاتصال المباشر بالشعوب والمسؤولين لبعث فكرة النهضة الاصلاحية وتفهمهم بالغاية والهدف والمقصد، فهو يولي مزيد اهتمامه الخاص بهم، ثم لمزيد التعرف على احوال الشعوب والامم عن كثب والوقوف على حقيقة اوضاعهم، فكان عليه الاتصال المباشر بالمفكرين والزعماء والعلماء والادباء والمسؤولين في الدولة ورجال الصحافة والشعب.

يوصل السيد بن شهاب رحلاته على متن البواخر وقد يضطر الى ركوب المراكب الشراعية للتنقل من جزيرة الى اخرى، اما في البر فعلى العربات وعلى ظهور الدواب.

ادى فريضة الحج والعمرة أول مرة عام ١٢٨٦ هـ وهو آنذاك في الرابعة والعشرين

وشريف مكة هذا هو عبد الله باشا بن عون امير الحجاز والوالي من قبل دولة الخلافة.
في احدى هذه الجلسات اسهب السيد بن شهاب في كلامه لشريف مكة عن
الاضاع المتردية في جنوب الجزيرة العربية وما يعانيه العلويون واتباعهم من ضغوط
وما يلاقونه من انواع التنكيل والظلم والطغيان والاضطهاد بصفة عشوائية وشرح له
الاضاع شرحاً وافياً، ثم سبكها في قالب قصيدة ثم سلمها لشريف مكة، ومطلعها:
حيّا الحيا حياً به حلّت سعا ومنازلا خطرت بهن واربعاً
والقصيدة طويلة يجدها القارئ كاملة في ملحق، مختارات من قصائده وكان
بيت القصيد منها هذه الابيات يخاطب فيها شريف مكة:

واليك من وادي ابن راشد انتهى وفد الألى شرفوا وطابوا متبعاً
آل الحسين بني ابيك عرتهم فتن واضحى شملهم متصدّعا
بثوا اليك شكية فيما جرى ممن اذاقهم العذاب الأوجعا
من فرقة اخزى واهون ان يسا ق الى جنابك ذكرهم او يرفعا
ورثوا فعال بني امية في قبا ئحهم وقتلهم الشيوخ الركعا
الى آخر القصيدة التي صوّر فيها مرارة الحالة والاضاع السيئة التي يعيشها
ويلاقيها رجال العلم والصلحاء من بني علوي من الظلم والطغيان.

في موضع آخر من هذا الكتاب افردت فصلاً لما يلاقيه العلويون من تعذيب
وتنكيل وقتل وتشريد، وهجر البلد كثير منهم الى بلدان اخرى طلباً للسلامة لاجئين،
مع ذكر اسمائهم من القتلى منهم والمعتبين.
تأثر شريف مكة بالواقع المؤلم كما تأثر الحاضرون على ما حدث لابناء عمومته
في جنوب الجزيرة العربية.

انتشر هذا الخبر وصار حديث المجالس العامة وبلغ اسماع النواصب فاهتموا
بالامر، إذ كيف يسيء السيد ابن شهاب الى سمعة ابناء جنوب الجزيرة واستأؤوا من

اعماله واعتبروها فتنة، فاجتمعوا فيما بينهم وتشاوروا ثم قرروا مجابهة اعمال السيد ابن شهاب والايقاع به والانتقام منه، فرفعوا عريضة لشريف مكة وشوا فيها بالسيد ابن شهاب زاعمين أن تلك القصائد التي يدعيها السيد انها له والتي قدمها لشريف مكة كلها منحولة وان تلك القصائد لشعراء آخرين، عزاهما السيد لنفسه، فهو لم يكن شاعرا ولا اديبا، سوى انه يحسن الكلام ولديه لسان وتعبير وسجيته الكذب على الناس بانتحال قصائد الغير، فهو بعمله هذا يعد سارقا والسارق والكاذب مجرم يجب محاكمته، ونحن ادري الناس به وبأفعاله. واشاعوا الخبر في طول البلاد وعرضها للحط من قدر السيد اولاً وحتى يرتاب الناس منه ثانياً ويعرفوا عنه الكذب.

اراد شريف مكة تحرّي الحقيقة في هذه الاشاعة ليعرف الصادق من الكاذب. وصادف الوقت يوم اجتماع السيد ابن شهاب بشريف مكة في احدى الجلسات في قصر الامارة بمكة وبحضور جمع من العلماء والوجهاء، فانتهاز الشريف تلك الفرصة السانحة امام الحاضرين ليمتحن السيد ويختبره بأسلوب لبق، فقال الشريف موجهها خطابه للسيد بهذا البيت من الشعر وطلب منه التذييل عليه.

قد صفى الوقت لآبناء الزنا ولمن يحسن ضربا وغنا
ادرك السيد ابن شهاب في الحال الهدف الذي يقصده الشريف، وان هناك وشاية من اناس رفعوها للشريف ضده، فقال السيد وهو هادئ البال مبتسما: ارجو ان يكتب من يسمع تذييلي على البيت المذكور ما سأقوله، واخذ بعض الحاضرين القلم والقرطاس ليكتبوا ما سيقوله السيد من تذييل على البيت المذكور، فقال مرتجلا:

وبنو الدهر كما قد مال ما لوا الى من كان منهم ذا غنى
قل ان يوجد منهم منصف انا قد جبت القرى والمدنا
وبلوت الناس طرا فاذا اكثر الناس ارقاء الدنا
جانبوا الصدق الذي من قاله بان ابريزا اذا ما امتحنا

عزفت انفسهم عن كل من كان من اهل المثاني والثنا
وغدوا لم يرفعوا راسا بمن لهم الآداب كانت ديدنا
من بني المجد الذي سيماهمو في وسيم الوجه يغني الفطنا
بئس حال الدهر لابل اهله اهل حقد وسباب وعنا
رشقوني بسهام الكرب ال سود حتى خفت ان افئتنا
قصدوا حتفي لولا انني في حمى من للمعادي سجنا
قمر البطحاء مولانا ابي شرف مروى المواضي والقنا

طرب الشريف بالتذليل المرتجل واعجبته بداهة السيد وسرعة ادراكه وبهت
الحاضرون من نباهة السيد ولطافة تذييله للبيت المذكور، وادرك الجميع وعرفوا ان
الواشين الذين تقوّلوا على السيد انما كان حسداً منهم له فاتضح الامر وبانت الحقائق.
حدثت هذه الحادثة في مجلس شريف مكة في ديوانه وبحضور كثير من وجهاء
القوم من الحجازيين ومن القادمين من الخارج، حيث تعقد امثال هذه الجلسات في
مناسبات معينة.

ان امثال هذه الوشايات والفتن من الاعمال الخسيسة تتكرر دائماً من اهل الفتن
ومحبي الفساد ومن عملاء الاستعمار الذين يعملون خفية من وراء الستار.
لقد كان السيد ابن اشهاب دائماً يقظاً فطنا لا يمر عليه شيء منها بل كان
لمعارضيه بالمرصاد فلا يترك لهم المجال ابداً، وفي امثال هذه المواقف ينتهز الفرص
لتحطيم كيدهم ويصدع بالقول فيفضح امرهم ونواياهم ومؤامراتهم. كانت كلماته قوية
تصرع الباغي ببغيه والفاسق بفسقه حتى لا تتاح له الفرص مرة اخرى للعودة لامثال
تلك الاعمال.

هذه القضية يمكن ان يقال عنها بالنسبة للسيد انها من القضايا العادية المألوفة
التي تعترضه دائماً في حياته. وهناك قضايا اخرى كبيرة وكثيرة يواجهها السيد برباطة

جأش ورحابة صدر وبروح فتياضة بالثبات حتى ولو كانت من أهل السلطة ومن بيدهم مقاليد الامور في الحكم واصحاب النفوذ في الدولة. فالسيد هو الرجل المعروف بالوضوح وقول الحق، وهي صفات التي امتاز بها وعرفت عنه.

بعد اداء فريضة الحج والعمرة وزيارة المراقد المقدسة في مكة المكرمة توجه الى المدينة المنورة للتشرف بزيارة الرسول الاعظم خير البشر سيدنا محمد ﷺ ومراقد آل البيت .

عندما وصل السيد الى المقصورة المشرفة حيث مثوى الرسول الاعظم والنبى الاكرم ﷺ اعترته هزة في نفسه وروحه سالت بها من مآقيه الدموع، فالقى قصيدته الغراء وانشدها بصوته الجهوري بعد اداء السلام وتلاه بالادعية الماثورة من آل البيت  تجاه الضريح الشريف، وكان المكان في الروضة المشرفة غاصاً بالزوار وبجمع غفير من الحجاج الزائرين، ومطلع القصيدة:

لذى سلم والبان لولاك لم اهوا ولا ازددت من سلع وجيرانه شجوى
ويجد القارئ هذه القصيدة كاملة في فصل (آل البيت) من هذا الكتاب. ومن المدينة المنورة بعد ان اقام فيها ردحا من الزمن، توجه الى الاستانة عاصمة الدولة الاسلامية ومقر سلطة الخلافة انذاك، وكان ذلك في عام ١٣٠٣هـ. واستقبله العلماء والوجهاء ورجال الدولة هناك استقبالا حافلاً ولقي منهم كل ترحيب وتقدير واجلال، واستضافته الدولة، وكان له مع زعماء المسلمين الاتراك لقاءات ومحادثات ومسابقات، كما عقدت له مجالس علمية متعددة القى فيها محاضرات في امور المسلمين بصفة عامة، وكان له في كل محل موضع التقدير والاكبار والاعجاب واحترام العلماء وتقدير الزعماء والادباء والوجهاء، ويتسابق القوم لحضور مجالسه للاستماع لاقواله والاستفادة من خبراته، بل ويترقب الجميع مواعيد مجالسه بلهف كبير للانتفاع من احاديثه العلمية وتوجيهاته السديدة في مشروعه النهضة اصلاحية.

وطلبت منه الدولة البقاء والاقامة في تركيا بل الحّت عليه كما التمس بعض زعماء تركيا ذلك وعرضت دولة الخلافة عليه مركزا ساميا في الدولة ليتقلده، ولكنه اعتذر من قبول اي عرض تقدمه له الدولة او منصب في الحكم، لانه يكره التقيد خصوصا بالوظائف الحكومية، ليتسنى له تأدية رسالته بمواصلة اعماله لخدمة المصالح العامة. تقديرًا لأعماله وخدماته وقيامه بالنهضة الاصلاحية لتوحيد كلمة المسلمين ونظراً لكفاحه لتحقيق الهدف السامي الاسلامي وجهاده المتواصل ومكائنه العلمية العالية قررت الدولة تقلّده اعلى الرتب الشرفية ومنحه اسمى النياشين، وقلده السلطان عبدالحميد الخليفة في حفلة استقبال مهيب في قصر الخلافة باستقبال نيشان الدولة الرفيعة وسيفا ذهبيا مرصعا بالجواهر الكريمة على الاصول الرسمية المتبعة في بهو قصر يلدز، والقي الخليفة عبد الحميد كلمة ضافية اشاد فيها باعمال السيد ابن شهاب وكفاحه وجهاده في سبيل المصلحة الاسلامية العامة مؤملا ان يكثر من العالم الاسلامي امثال السيد ابن شهاب. وختم الخليفة كلمته بالتقدير والشكر والاعتراف بما يبذله السيد ابن شهاب من اعمال موفقة وقيامه بالنهضة الاصلاحية. وكان الحفل بحضور الصدر الاعظم ونظار شؤون الدولة (الوزراء). ورد السيد بن شهاب بكلمة اسهب فيها عن الاوضاع وحالة المسلمين وكيفية مواجهة الغزو الاوروبي، وكانت كلماته مليئة بالحكم.

كان الهدف الاول من رحلات السيد ابن شهاب الواسعة هو دراسة وتقصي احوال المسلمين واوضاعهم الاجتماعية ومستواهم الثقافي ثم الاتصال المباشر بالزعماء المصلحين ورجال السياسة والمسؤولين والتفاهم معهم في سبيل تحقيق النهضة الاصلاحية والدعوة لمشروعه هذا وتطبيقها حسب الظروف المواتية وفي نطاق الامكانيات لدى كل قوم حتى يتسنى التطبيق على مراحل.

جاء السيد بن شهاب في رحلاته الشرق الاقصى وبلدان آسيا على الاجمال

فزار بلدان الملايو وحل في سنغافورا ثم في الهند الشرقية (اندونيسيا) حالياً وقضى بها اربع سنوات، اسس فيها المعاهد العلمية بالاساليب والطرق الحديثة واوعز الى الشباب المثقف ممن حوله باصدار الصحف، حيث صدر اول جريدة باللغة العربية باسم الاقبال تولي ادارتها شاب متحمس ناهض هو محمد بن سالم بارجاء، وزمرة من الشباب الآخرين، واتخذ السيد بن شهاب من مدينة سورابايا مقراً لنشاطه ومنطلقاً لأعماله، بعيداً عن عاصمة دولة الاستعمار الهولندي (باتافيا) جاكارتا حالياً، لغرس مبادئه وبث فكرته لتحقيق النهضة الإصلاحية من عام ١٢٨٨ الى عام ١٢٩٢هـ، ومع ذلك لم يسلم السيد بن شهاب من ضغوط الاستعمار الهولندي ومضايقاته له.

زاول السيد بن شهاب التجارة، وكان من رجال الاقتصاد الناجحين وعلى رغم نجاحه فانه لم يستسغ الحياة المادية الصرفة، لانها تلهيه عن تأدية رسالته الأساسية. وابتلى الارتباط بالأمور المادية التي تبعده عن عمله وتلهيه عن هدفه لتحقيق النهضة الإصلاحية، ولذلك قرر نهائياً ترك التجارة بدون رجعة، وبذلك يتسنى له مواصلة تأدية رسالته الإصلاحية ويتفرغ لها، بحيث لا تشغله مشاغل المادة، فالمادة في نظر السيد ابن شهاب وسيلة ولا يمكن ان تكون غاية، وليست المادة هي كل شيء في الحياة. المال وسيلة للخير اذا احسن التصرف به، وهو ايضا من دوافع الشراء اذا اسيء التصرف فيه.

ففي خلال اقامته في الهند الشرقية اربعة اعوام وضع الشيء الكثير من التصاميم الإصلاحية الواسعة المبنية على الدراسات والمخططات السديدة على نهج برنامج النهضة الإصلاحية، فكانت النتيجة كما ذكرنا تشييد المعاهد العلمية وفتح المدارس واصدار الصحف وبناء جيل واع متحمس يشعر بالمسؤولية في مجتمعه، فأُسست المطابع ونشرت الكتب لتغذية العقول بالآراء النيرة والافكار الإصلاحية.

رعى السيد بن شهاب هذا النبت والغرس حتى اثمر واينع، وتجمعت الاموال

وسرت هذه الفكرة الى جميع بلدان الهند الشرقية من مدنها الى قراها، وشيد اول جمعية اسلامية في باتافيا (جاكرتا حالياً) عام ١٩٠٠ باسم جمعية (خير) ثم بعد عام شيد اول مدرسة على النظام المعمول في تركيا والقاهرة ارسلت اول بعثة علمية من الطلبة لمواصلة دراساتهم في الجوامع التركية، وسميت هذه المدرسة باسم (مدرسة جمعية خير) ثم توالى تشييد المدارس الاسلامية والمعاهد العلمية، وفي مدينة سورابايا اسست اول مدرسة على النظام الحديث باسم المدرسة الخيرية بهمة المغفور له السيد محمد احمد المحضار وزمرة من الشباب المثقف في ذلك العهد وبذلك تسابق الاخوان لتشييد المعاهد العلمية في جميع بلدان الهند الشرقية، واسس السيد محمد بن عقيل احد تلامذة السيد ابن شهاب اول مطبعة حديثة في مدينة سورابايا عام ١٩١٣ قبل الحرب العالمية الاولى سميت المطبعة باسم (المساعي الخيرة).

وكان السيد عبدالله بن علوي العطاس من كبار المعاضدين لهذا المشروع في طبع الكتب المدرسية للمدارس الاسلامية باللغة العربية والاندونيسية وكتب اخرى حسب الظروف والمتطلبات، ثم اعدت لاصدار اول جريدة اسلامية يومية ونجح المشروع وتم اصدارها وقد اسندت رئاسة تحريرها الى الاستاذ عمر سعيد جوكر وامينو تو وهو من له علاقة مباشرة بالسيد ابن شهاب.

برز الاستاذ عمر سعيد جوكر وامينو تو في المجتمع الاسلامي وتلاً اسمهم وشق طريقه منافساً مكافحاً ومجاهداً لتحقيق استقلال اندونيسيا والتخلص من برائن الاستعمار الهولندي وتولى زعامة حزب شركت اسلام باندونيسيا ورفع راية الجهاد ومقاومة الاستعمار الهولندي والكفاح للحصول على الحرية والاستقلال التام لاندونيسيا.

ان الكاتب والمؤرخ والمتفرغ لاستقصاء وقائع تاريخ جنوب شرقي آسيا والمتجرد عن العواطف ليكتب التاريخ من اجل التاريخ وحده لا يمكن له الا ان يصل

الى نقطة واحدة اساسية، هي ان كل حركة اصلاحية او نهضة قومية او كفاح من اجل استقلال، كلها عائدة الى النهضة الاصلاحية التي دعا اليها السيد ابن شهاب وبذر بذورها في اواخر القرن التاسع عشر الميلادي.

صدرت صحيفة (الامام) بهمة وتحت رعاية السيد محمد بن عقيل ثم صدرت مجلة الهادي في ماليزيا تحت رعاية السيد الهادي كما تولى هو رئاسة تحريرها، والسيد الهادي احد زملاء السيد ابن شهاب المخلصين ثم توالى بعد ذلك صدور الصحف وتأسيس الجمعيات وتشبيد المدارس والمعاهد العلمية ونشر الكتب في جل المدن الكبيرة ثم القرى البعيدة.

رحلات السيد ابن شهاب رحلات عمل وكفاح مستمر وتنظيم، ودعوة الى النهضة الاصلاحية العامة ومقاومة للرعونات ونسف للباطيل المنتشرة، باذلاً في سبيل ذلك جهده وكل طاقاته للمصالح العامة لوجه الله سعياً لمرضاته جل شأنه. لم يفتر عزمه عن العمل ساعة طويلة حياته، حتى وافته المنية.

قطع في تنقلاته المسافات الشاسعة، وركب الاهوال الشاقة وتعرض لمقاومات عديدة فلم تثن من عزمه شيئاً، وجاب البلاد من اقصى جنوب شرقي آسيا حتى عاصمة دولة الخلافة باستنبول ومن الكنانة مصر الى الهند حتى الشرق الاقصى.

عندما يبلغ مسامع القوم نبأ قدوم السيد بن شهاب، يهرع القوم من الادباء والشعراء لاستقباله والاجتماع معه للمزيد من الاستفادة في فنون الادب، وقد يلازمه بعض الطلبة ليغترفوا العلم من منهله العذب، ويستزيدوا من معارفه. اما العلماء وزعماء الامة والقادة ومن بيدهم مقاليد امور الدولة ورجالها فانهم جميعاً يرحبون به ترحيباً حاراً.

اما صلاته كما قلنا فقد كانت واسعة، ففي عاصمة الخلافة كانت صلته بالسلطان عبد الحميد صلة وثيقة مباشرة، وبالصدر الاعظم ثم بنظارة الخارجية وبكثير من رجال

الصحافة والعلماء. وفي مصر كانت صلته الأولى بعلماء الازهر الشريف وبالخديوي توفيق وطبعا بالادباء ورجال الصحافة. اما صلته بالخديوي توفيق باشا فكانت صلة زمالة واخاء، ولذا نجد ذكر الخديوي توفيق في كثير من قصائده الارتقيات. وكانت صلاته بالعلماء صلات توسمت بالابحاث العلمية واستمرت هذه الصلات بالمراسلات والمكاتبات كما أن صلاته بالزعماء الوطنيين الاحرار كانت صلات تفاهم لتوحيد الصف الاسلامي وتدعيم الوحدة الاسلامية في دولة الخلافة.

وفي الملايو كان السلطان ابو بكر بن ابراهيم سلطان مملكة جوهور يعتبر السيد بن شهاب مستشاره الخاص الامين، وكان السلطان يستشيريه في كثير من اعماله ويستشير بأرائه مصغيا لاقواله وينفذ توجيهاته، وخطت مملكة جوهور في عهده خطوات كبيرة اصلاحية خصوصا في التربية والتعليم وازدهرت البلاد وانتعش الاقتصاد وتضاعف عدد المعاهد العلمية وتم ارسال بعثة علمية للدراسة في جامعات القاهرة واوروبا من ابناء المسلمين في مملكة جوهور للتوسع في العلوم والمعارف، وعادت البعثات العلمية فكان افرادها خير دعامة للبلاد والدولة.

اما في زنجبار فكان سلطانها برغش بن سعيد منصتا لنصائح وتوجيهات السيد بن شهاب، وفي عهده استتب الامن والسلام في البلاد واطمأن الشعب اطمئنانا بعد ان ذاق مرارة الفوضى، وعم الرخاء، غير ان الخلف عبث بالامر مستهترا، فاضرب الامن وساد القلق والخوف بين الامة، ولو اقتفى الخلف طريقة سلفه وسار على النهج الذي سار عليه لما حدثت تلك الحوادث المأساوية والكوارث التي لم تكن في حسابهم. لقد نصح السيد بن شهاب وحذر من عواقب الاعمال الاستهتارية غير المسؤولة لأنها تثير الحفاظ وتندّر بزوال الملك، والشاعر الاندلسي الحكيم يقول:

اعطيت ملكا فلم احسن سياسته كذاك من لم يسوس الملك يخلعه
فقد تحقق ما حذر منه السيد ابن شهاب قبل ستين عاماً وذلك في عام ١٩٦٣

حيث قضي على سلطنة زنجبار فكانت الكارثة والمجزرة الرهيبة في هذه الجزيرة الصغيرة التي لا يتعدى عدد سكانها بضعة ملايين نسمة حيث بلغ عدد القتلى اكثر من ستة عشر قتيلاً غير الجرحى الذين بلغوا اضعاف ذلك واعتقل الالوف وسيقوا الى ساحة الاعدام، وتولاها اناس من سفلة الاشرار، وهرب من هرب ممن يستطيع الهروب من طغيان الظلم الالحادي الفضيح من الذين سيطروا على البلاد وصاروا يحاربون الاديان السماوية، وسلم بعض العلماء بهروبهم الى الدول المجاورة والى جزر القمر، وهرب السلطان واسرته الى مسقط بمساعدة بريطانيا.

من الذين سلمهم الله من المجازر البشرية الجماعية السيد العلامة ابن سميظ كان قاضي قضاة زنجبار وكان من الذين يحذرون رجال السلطة من تلك الاعمال التعسفية التي لا بد ان تجر الى تلك المآسي. لجأ السيد ابن سميظ الى جزر القمر وعين بنفس المنصب فيها، ولكنه لم يدم طويلا بعد لجوئه اذا وافته المنون فيها، ومن اللاجئين الشاعر الاديب السيد هادي بن احمد الهدار الذي تحول فيما بعد الى ابو ظبي بالامارات العربية المتحدة هو واسرته ولكن المنية عاجلته وتوفي ودفن بها.

من اصدق اصدقاء السيد ابن شهاب واقرب الزملاء اليه هو امير ظفار بجنوب الجزيرة العربية السيد فضل باشا بن علوي بن سهل اذ يجمع بينهما وحدة الهدف والمبدأ والغاية، وبينهما مجالس كثيرة. وقد ترك السيد فضل باشا امارة ظفار ورحل الى تركيا واستقر بها وبعد انهيار دولة الخلافة اختار بعض اولاد السيد فضل من مدينة اللاذقية السورية مقرا لهم ولاسرتهم، وهذه الاسرة معروفة في سوريا باسرة الشريف آل فضل، وهي اسرة كريمة معروفة في سوريا. ولم يكن بالامكان حصر او احصاء من عرفهم السيد وعرفوه في حياته. ينحصر حديثه معهم دائماً حول النهضة واصلاح الامة والبحث لحلول المشاكل الاجتماعية المنصبة على المسلمين والتي لا تحل الا بتوعية الشعب توعية علمية وتعليم الجيل الصاعد الذي يعيش بين تلك الامة الغافلة وتحت

سلطة تلك السلطنات المتفاوتة التي ارهقها الضعف في جميع مستوياتها، ما عدا دولة الخلافة وهي ايضا تعاني مشاكل كثيرة عويصة داخلية معقدة ومشاكل خارجية مستعصية. اما السلطنات بشتى اوضاعها ومستوياتها فكلها معرضة لنفوذ خطر الاستعمار الزاحف واعاصيره الهوجاء لمحو الاسلام من الوجود، ولا يمكن تفادي هذه المشاكل وحلها الا بتثقيف الجيل الصاعد تثقيفا علميا وتوعيته توعية يشعر معها بالمسؤولية الملقة على عاتقه.

ان الدول الغربية همها السيطرة على خيرات العالم باستعمار بلدانها، واستعباد شعوبها وفي مقدمة اهداف الاستعمار الغربي استئصال عروق دولة الخلافة لانها تحمل الشعار الاسلامي، فوجود دولة الخلافة مرتكزة في هذا العالم تعتبره دول الاستعمار حجر عثرة بل العدو اللدود لها، ولا بد من استئصاله اذ في بقاءه ووجوده تكمن قوة المسلمين وبهذه الدولة يعتز المسلمون، وبمحو هذا الرمز من الوجود تنفرط وحدة المسلمين فيتشتتون الى كتل شتى وجماعات متمزقة والى اقوام متفرقة، يعتز كل قوم بقوميته. ونجح الاستعمار في ازالة دولة الخلافة من الوجود وتألبت جموعه على الكيان الاسلامي فتمزق شمل المسلمين، وبذلك تحولت تركيا في عام ١٩٢٤ بعد زوال دولة الخلافة الى جمهورية علمانية، وتقاسمت دول الحلفاء البلدان الاسلامية وجعلتها مستعمرة لها اضافة الى مستعمراتها، ثم اثارت بين القوم شعور القومية والعنصرية الضيقة، وهي الامور التي يحاربها السيد ابن شهاب.

وباختصار كانت رحلات السيد ابن شهاب جاهدة من اجل الدعوة الى النهضة الاصلاحية، وبحكم كفاحه المتواصل باخلاص كان شخصية عالمية مرموقة ذات اهمية قصوى وكل من اجتمع به اكن له كل اجلال واكبار.

لماذا اختار السيد ابن شهاب حيدر آباد؟

في اواسط القرن التاسع عشر الميلادي استشرى الضعف والهزال وعم الوهن في جميع مرافق السلطنات الاسلامية بما في ذلك الهند، بسبب جنوح السلاطين والحكام الى الترف والرفاهية والاسراف والاستهتار بالقيم وباموال الدولة لا شباع نهما تهم ورغباتهم، فال وضعهم وسلطانهم وملكهم الى الانهيار والتضعف، واصبح الحكام المسؤولون لا يهتمون بامور الدولة والمجتمع ولا الشعب ولا بمصالح الوطن كما تفرضة المسؤولية كما يجب وينبغي، فلقد فقد الحكام الشعور بالمسؤولية بوصفهم ولاية للأمور، وكان اقصى ما يفكرون فيه هو مصالحهم الخاصة وان تعيش اسرهم وعائلاتهم في بحبوحة الترف والدعة، ولا هم لهم غير انفسهم، بينما الشعب في جهل وفقير مدقع يكتنفه الامراض. وكل هذه الامور والاضاع سهلت للمستعمر توسيع نفوذه المستمر للهيمنة على الاقتصاديات ثم فرض النفوذ السياسي في جميع المستويات بسهولة وبدون عوائق. فتساقطت البلدان الاسلامية كالوراق الجافة الواحدة تلو الاخرى في احضان الدول الاوروبية الغازية، وكانت البرتغال واسبانيا وهولندا وفرنسا وبلجيكا وبريطانيا تتنافس للحصول على اكبر أرض ممكنة للاستيلاء والسيطرة عليها.

بسطت بريطانيا نفوذها على شبه القارة الهندية والجزر التابعة لها وصارت لها سيطرة تامة في عام ١٨٥٧ وجردت السلطنات الاسلامية من كل نفوذها وسيطرتها بكل سهولة، وتم لبريطانيا فرض سيطرتها في جميع المجالات وبالاخص في الشؤون السياسية الخارجية والاقتصادية والمالية ولم يبق للسلطنات الاسلامية الا المظاهر. ثم حددت بريطانيا نوع الاسلحة التي يمكن للسلطنات الاسلامية امتلاكها، وهي لا تتعدى الاسلحة العتيقة التي مضى عليها الزمن وهي غير صالحة لسوى الشعارات ومظاهر الحفلات. اما العلاقات الخارجية فمحظورة كليا على تلك السلطنات مع اية

دولة كانت الا باذن المستعمر لهذه السلطنات وهو المسؤول الوحيد عليها. وهكذا لم يبق لهذه السلطنات الا الشكليات المجردة من كل معنى لحقيقة الدولة، بل حتى الامور البسيطة ليست لتلك السلطنات قدرة ولا نفوذ ولا طاقة مطلقا، ما عدا البعض منها اعطي له حق الاشراف على الامن الداخلي ولكن تحت هيمنة المستعمر.

اصيب المسلمون بصدمة قوية وذهول عظيم وفقدوا وعيهم ولم يعرفوا ماذا يصنعون، ليس لهم قدرة ابداء لمقاومة تلك الهجمة الاستعمارية الغازية، وما بيدهم من الامر شيء فاستسلموا كما استسلم الحكام وسلموا امورهم للغزاة المستعمرين، بمعاهدة صورية املاها المستعمر كما يشاء وكما يريد حسب مصالح المستعمر القوي على المغزو الضعيف الهزيل.

استمر الاستعمار وبقيت هذه السلطنات على شكلها فاقدة القوى والنفوذ والارادة، سوى ما يقدمه الغازي المستعمر من توافه الامور الداخلية التي لا تتجاوز الامور الثانوية التافهة جدا، كالمشاركة في مسيرة الاحتفالات او رفع الشعارات لتأييد دولة المستعمر الذي بيده السلطة العليا تشريعيا وتنفيذيا.

ماذا يعني وجود سلطان متربع على اريكة عرشه وهو فاقد القوى والنفوذ من كل شيء الا العيش في قصره بين خدمه وحشمه وجواريه وحرسه، وقد حددت اقامته.

نعم مع هذا كله لا يخلو من وجود بعض المقاومات التي تجر الى مناوشات صغيرة متفرقة غير منظمة ولا منسقة من الشعب، التي كانت تدل على ان هناك شعوراً حماسياً ووعياً بين افراد الشعب، ولضعف هذه المقاومة كانت قوة الاستعمار تجتاح هذه الحركات بقوة هائلة وبعنف هائل لسحق ذلك الشعور المتاجع في قلوب الشعب، حتى لا يفكروا يوما بالقيام بامثال تلك المقاومات، وبهذه السياسة وامثالها استطاعت بريطانيا الامساك بزمام الامور فاستقرت هيمنة بريطانيا وسيطرتها ونفوذها على كافة

ارجاء الهند فاستأثرت بخيراتها.

من دهاء بريطانيا ومكرها المعروف انها لا تريد محو هذه السلطنات وجلها اسلامية، ولكنها ابقت هذه السلطنات رمزاً للديمقراطية البريطانية واجلالها لتلك الشعوب. وحافظت بريطانيا على هذه السلطنات على حالتها المتضعضة باسم الحماية واحترام حقوق الشعب، وبجانب هذا كانت بريطانيا تبث روح العداوة والبغضاء والشحناء بين السلاطين بعضهم لبعض وبين شعوبهم واذكاء روح العصبية والقومية بين شعوب الهند من جهة، وبين المسلمين والهندوكيين من جهة اخرى، وتورط المسلمون في الخلافات الفرعية الدينية والمسائل الثانوية الفارغة ووقعوا في هاوية المتاهات والنزاعات سنين طويلة بل واستمرت الى اليوم بعد زوال بريطانيا وحصلت الهند على الاستقلال ولكن بعد التقسيم الى باكستان والهند وسريلانكا واخيرا الى بنغلاديش وربما تظهر دويلات وحكومات جديدة في المستقبل القريب، اذ ان هذه الخلافات والنزاعات ستستمر الى الابد بسبب دهاء سياسة بريطانيا ولن تهدأ ابدا هذه الخلافات، اذ لا نهاية لها وستستمر وتبقى مشتعلة وقد ذهب ضحيتها عشرات الالوف من المسلمين قديما وحديثا.

في عهد الاستعمار البريطاني كانت بريطانيا تشعل بعمد هذه الخلافات المذهبية بين المسلمين وتبث السموم، فتتفاقم الفرقة والعداء وتنتشر الفوضى في البلاد بين العباد، وهنا ينجح مخطط السياسة البريطانية، فيخشى السلطان على نفسه وعلى ضياع عرشه ولا يجد لنفسه مأناً سوى اللجوء والتودد الى الحاكم المقيم البريطاني طالبا الحماية والامن، ويجد الحاكم البريطاني مجالا فسيحا لفرض حمايته حفاظا على مكانة السلطان وبقاء عرشه، لئلا يتعرض في المستقبل لمشاكل اخرى تززع عرشه ومكانته.

كانت سلطنة حيدرآباد الاسلامية من تلك السلطنات المحمية غير انها تتمتع

بنوع من النفوذ المحدود وفي الصلاحيات الداخلية، وتمتاز سلطنة حيدرآباد عن غيرها من السلطنات بدهاء سلطانها الذي استطاع ان يحافظ على كيان دولته بنوع من الصبغة الدولية لصلته الوثيقة بدولة الخلافة في استنبول ولارتباطه ارتباطاً عائلياً بأسرة سلاطين تركيا. وعلى رغم ان بريطانيا تنظر الى هذه الامور بعين السخط وعدم الرضا عن هذه الارتباطات الاسرية، فانها بقيت تراقب بحذر شديد شخصية السلطان خصوصاً وان لحيدرآباد موقعاً مهماً في القارة الهندية.

سكان حيدرآباد جلهم من غير المسلمين، لان بريطانيا فتحت باب الهجرة لغير المسلمين للاستيطان بها، كما فعلت بفلسطين حيث اتاحت لليهود الاستيطان بها وكما فتحت باب الهجرة للصينيين للاستيطان في سنغافورا وهي جزء لا يتجزأ من الوطن الملايوي، واصبحت اليوم دولة صينية محضة مستقلة على رغم المسلمين، حيث اجتثت وسلمت قطعة من وطنهم للصينيين.

على رغم ان بريطانيا بسياستها ارادت اشعال روح العنصرية بين الاهالي فقد ظل الكل يعيشون متمتعين بالحرية ورغد العيش في امن واستقرار وهيمنت على الجميع العدالة تحت ظل هذه الحكومة.

لسلطنة حيدرآباد قوة برية محدودة مزودة بأسلحة لا بأس بها ولكن دون المستوى اللازم لدولة مستقلة ذات سيادة، وكثير من فرق هذه القوات هم من ابناء جنوب الجزيرة من الحضارم بوجه خاص. ولوقوع حيدرآباد في وسط شبه القارة الهندية لم يكن لها قوة بحرية. اما القوات الجوية فلا يمكن لها امتلاكها، لانها بموجب المعاهدة مع بريطانيا واقعة تحت الحماية البريطانية.

كانت حيدرآباد قبل غزو الانجليز ووقوعها تحت حماية التاج البريطاني دولة مستقلة ذات سيادة تامة واسعة النفوذ تتمتع كما تتمتع سائر الدول والحكومات المستقلة بجميع مآلها وما عليها من حقوق وواجبات دولية وعلاقات وحصانة

دبلوماسية وسياسية، ان غزو بريطانيا للهند واحتلالها وسيطرتها عليها جردت بأسلوب خفي جميع السلطنات الهندية من كل صلاحيتها وحقوقها ثم فرضت عليها بموجب اتفاقية مجحفة، إملاء القوى الطاغية على الهزيلة الضعيف، وتختلف الاتفاقيات المفروضة على السلاطين باختلاف الاوضاع والظروف المتعلقة بمصالح بريطانيا الاستعمارية، فتمنح البعض شيئاً لا تمنحه الآخر، فيتمتع بعض السلاطين بحكم ذاتي محدود المعالم بينما لا يتمتع غيره بهذه الميزة. ما عدا سلطنة حيدر آباد التي كانت تتمتع بنفوذ حكم ذاتي داخلي قائم بذاته له كيانه الخاص تحت الحماية البريطانية المتمثل في الوالي البريطاني العام الحاكم المقيم في الهند. وليس لحيدر آباد كما قلنا الحق في العلاقات او الاتصالات الخارجية. وبذلك انقطعت صلات حيدر آباد مع الخارج الا بطريق الوالي البريطاني، ومع كل ذلك فان صلات سلطان حيدر آباد بالخلافة التركية ظلت مستمرة ولكن بصفة سرية، وباعتبار ان لسلطان حيدر آباد ارتباطاً عائلياً بأسر سلاطين تركيا، وهذه الاتصالات تسير بشكل سري ولا تمر عبر البروتوكولات الرسمية وبدون علم الوالي البريطاني المقيم، انقطعت كل علاقات حيدر آباد بالدول الاخرى سياسياً واقتصادياً، اذ ان كل هذه الامور في قبضة بريطانيا، فهي وحدها التي لها الحق في ادارة السياسة والعلاقات الخارجية والدفاع ضد الاعتداءات الخارجية.

وضع حيدر آباد التعليمي والتربوي

المدارس والمعاهد العلمية والتربوية موجودة في بعض مناطق سلطنة حيدر آباد، وفيها ايضا جامعتان: الاولى (الجامعة العثمانية) اسسها النواب عثمان علي خان، فنسبت الجامعة اليه، تخليدا واحياء لذكره، تضم هذه الجامعة كليات الهندسة والعلوم والطب والطب البيطري وطب الاسنان والاقتصاد والحقوق والفلسفة وغيرها. والجامعة الثانية هي (الجامعة النظامية الاسلامية) اسسها عثمان سلطان

حيدرآباد وهي جامعة اسلامية محضة شبيهة بالجامعة الازهرية في مصر والحوزة العلمية في النجف الاشرف وقم والجامعات الدينية في تونس والمغرب العربي. وتقوم الجامعة النظامية بتدريس الدراسات العليا لاءبناء المسلمين عموما بمن فيهم من الوافدين من الخارج.

وفي حيدرآباد مؤسسة علمية للبحوث والدراسات باسم (دائرة المعارف العثمانية) تضم هذه المؤسسة مكتبة كبيرة فيها من الكتب المطبوعة والمخطوطة الشيء الكثير ولا تقل هذه المكتبة عن المكتبات العالمية في لندن وباريس والفاتيكان والكونغرس الامريكي في واشنطن، اما المخطوطات ففيها النادر منها وقد جمعت اصلاً ونقلًا وتصويراً من بلدان العالم، فحوت ما لا تحويه المكتبات في البلدان العربية. وتقوم هذه المؤسسة باحياء كتب التراث الاسلامي من المخطوطات بعد مراجعتها ودراستها وتحقيقها تحقيقاً علمياً دقيقاً، يقوم بها علماء متخصصون، وكذلك اعادة طبع الكتب القيمة النادرة. وقد طبعت هذه المؤسسة العديد من الكتب النفيسة القيمة وقد يصل الكتاب الواحد الى عدة مجلدات ضخمة، ككتب التاريخ والتفسير ودواوين الشعراء الاقدمين الى غير ذلك. وقد زرت هذه المؤسسة واطلعت على سير اعمالها في زيارتي للهند عام ١٩٨٢، واجتمعت برجالها المسؤولين فيها، وكان لي مع العلامة المحقق السيد عبدالله المدحج عدة لقاءات وجلسات اطلعتني فيها على سير الاعمال وكيف تحقق الكتب وتدرس لتكون صالحة للطباعة، وقد بهرتني تلك الخدمات العلمية وما تبذله هذه المؤسسة من جهود الباحثين والمحققين العاملين فيها، وحقا انها تعجب.

بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) وانتصار بريطانيا مع حلفائها، ثم خروجها من الهند عام ١٩٤٧^(١) تأسست على اثره دولة الجمهورية الهندية ودولة

(١) تصدعت شبه القارة الهندية الى عدة قطاعات، جمهورية الهند وجمهورية سري لانكا ودولة باكستان واقليم كشمير الكبير المتنازع عليه بين الهند وباكستان، واصبح الشعب الكشميري ضحية التنازع الباكستاني الهندي =

باكستان وجمهورية سري لانكا (سيلان).

ما لبثت سلطنة حيدرآباد الواقعة في القسم الهندي ان استولت عليها الهند بقوة السلاح بعد نشوب معركة غير متوازنة ثم احتلال الهند لهذه السلطنة حيث ادمجت رسمياً في الجمهورية الهندية واعتقل السلطان وجميع اسرته وكل المسؤولين في السلطنة وصودرت الاموال والممتلكات وازيلت كل الشعارات التي لها علاقة بسلطنة حيدرآباد البائدة، وهكذا انتهى تاريخ سلطنة حيدرآباد الطويل الذي عاش فترة طويلة من الزمن واصبح في مضامين سجلات التاريخ، لا غير.

اختيار السيد ابن شهاب حيدرآباد مركزاً لحركته

يتساءل الكثير ممن عرف السيد ابن شهاب بهذا السؤال: لماذا اختار السيد ابن شهاب الهند وبالخصوص مدينة حيدرآباد مكاناً لهجرته ومقراً لمركز حركته «النهضة

= فلا الشعب الكشميري نال حريته ولا تمتع باستقلال وطنه، والاجدر ان يسمى الشعب الكشميري بالشعب المنهوب، فقضاياه معلقة ولم تحل مشاكله الى اليوم وربما لن تحل وتبقى تلك المشاكل المصطنعة الى ان يقر الله الخير لهذا الشعب المستضعف. وتعرضت دولة باكستان الاسلامية لعواصف هوجاء من الاضطرابات نتيجة لاختلاف زعمائها في السياسة بين غربية راسمالية وشرقية شيوعية باسم الاشتراكية جرت البلاد الى حالة عدم الاستقرار بعد وفاة مؤسس باكستان القائد الاعظم محمد علي جناح عام ١٩٤٨ واستمرت الفوضى والاضطرابات السياسية باغتيال رئيس وزراء باكستان لياقت علي خان عام ١٩٥١ وازدادت الاحوال سوءاً تلتهما انقلابات وسيطرة القوات المسلحة على الحكم فكان المزيد من عدم الاستقرار حتى ادى ذلك الى انفصال الجزء الشرقي كليا فاعلن استقلاله دولة ذات سيادة مستقلة باسم جمهورية (بنغلاديش) بمساعدة الجمهورية الهندية وتدعيم من دول الكتلة الشيوعية بالاسلحة والمادة، اما الهند فقد وجهت قواتها المسلحة الى بنغلاديش لحمايتها وتدعيم استقلالها بعد انفصالها من باكستان. حدث بسبب ذلك مناوشات واشتباكات مسلحة بين الجيش الهندي القادم وفلول من الجيش الباكستاني القديم وكان البنغاليون مع الهند ضد القوات الباكستانية. انتهت المناوشات باستسلام القوات الباكستانية للجيش الهندي ثم اغتيل زعيم الانفصال البنغالي مجيب الرحمن. ولكن باكستان الغربية لم تسلم من الاضطرابات والثورات المتعاقبة كما تعاقب الحكام على السلطة والحكم من القوات المسلحة بحكم استبدادي وجعلوا من شعار الاسلام ترسا يتذرعون به.

الاصلاحية» ولم يختار اماكن اخرى ربما تكون اكثر ملاءمة بموجب نظرهم من هذا العالم الواسع الكبير؟ لماذا لم يختار مصرأاو العراق او سوريا او افغانستان او غيرها وهي كثيرة وملائمة لمركز جهاده ومستوى المهمة التي يقوم بها؟ هذا السؤال وامثاله كثيراً ما يتردد على السنة السائلين والمستفهمين كما يدور بخلد المستغربين.

لم يتعرض السيد ابن شهاب - حسب اطلعنا - الى ذكر شيء من اسباب ودوافع اختياره حيدر آباد مقراً لدار هجرته ومركزاً لاعماله، والمعروف ان الاسباب والدوافع التي جعلته يختار مدينة حيدرآباد مركزاً لاعماله تفضيله لهذه المدينة بالخصوص دون غيرها من المدن العالمية الذي يعود الى عدة عوامل استراتيجية اساسية لتحقيق برنامجه (النهضة الاصلاحية) ليكون في قلب القارة الهندية وعلى الوسط الحساس وبالقرب من المناطق الشمالية من البلدان العربية وايران وافغانستان والى الجنوب من المناطق الواسعة من بلدان الملايو والفلبين والسيام (تايلاند) وبورما واندونيسيا ثم بالقرب من بلدان افريقيا الشرقية.

في عهد الاحتلال البريطاني للهند كانت حيدرآباد البلد الوحيد الذي يتمتع باستقلال داخلي تحت الحماية البريطانية، كما ذكرنا قبلاً. وللسيد ابن شهاب وجهة نظر في هذه السلطنة الاسلامية، واذا كانت حيدرآباد واقعة تحت مخالاب الحماية البريطانية، فانها كانت لا تزال تتمتع بحكم ذاتي داخلي، ومن هذا المنطلق تراءى له ان هذه السلطنة يمكن لها ان تكون نواة لدولة اسلامية في المستقبل اذا احسن تصريفها وتنسيق اداراتها لتكون دولة اسلامية قوية لها مكانتها واعتبارها بين دول العالم بجانب دولة الخلافة التي تتعرض لغزو دول الغرب، وكل هذه الامور متوقفة على شيء واحد اذا اريد تطوير هذه السلطنة لتكون دولة ذات سيادة بمعنى الكلمة، فلا بد من تحسين ادارتها وقيادتها و تثقيف شعبها تثقيفاً عالياً وازالة الجهل وآثاره من الشعب ازالة تامة ليحافظ على كيانه، ووجوب بذل الجهد الاقصى بقيادة رشيدة وتوجيهات قيادية

حكيمة مع المحافظة النامة على القيم الاخلاقية ثم التدعيم التام لهذه السلطة لتكون الممثلة للقوة الاسلامية، جنباً إلى جنب مع دولة الخلافة، حتى اذا تعرضت احداها لمشكلة من المشاكل التي تعترضها تكون الاخرى عنصراً قوياً من عناصر القوى الاسلامية، ولاجل ذلك يجب المحافظة على كيان سلطنة حيدرآباد وتقويته ودعمه ليكون الحصن الحصين للمسلمين، فان لم يبذل الجهد ويستغل المسلمون هذه الفرصة فلا ريب ان هذه القوى الاسلامية المتبقية بما فيها من ضعف ووهن ستتعرض للزوال والتلاشي والفناء خصوصاً ان تلك القوى الاسلامية محاطة بالاعداء من كل جانب ابتداء من الهندوكيين في الداخل وانتهاء بقوى الاحتلال والاستعمار البريطاني، وكل هذه القوى مجتمعة او متفرقة تسعى جاهدة وبتشابك الاهداف لمحو وازالة كل المثل الاسلامية من الوجود حتى لا يكون للاسلام اثر.

من هذا المنطلق وعلى هذا الاساس السياسي، كان للسيد ابن شهاب نظرية بعيدة وفكرة وجوب الابقاء على سلطنة حيدرآباد والمحافظة عليها وتطويرها تطويراً كما تحتمه متطلبات الزمن الحاضر لتستطيع ان تخطو خطوات ثابتة متتابعة ومتناسقة نحو التقدم صناعياً واقتصادياً لتكون عوناً ودعامة للمسلمين.

لو فرضنا ان السيد ابن شهاب اختار مكاناً آخر غير حيدرآباد في اية بقعة من بقاع هذا العالم الواسع، لجاء نفس السؤال والاستفهام السابق، لماذا اختار هذا المكان؟ ولماذا لم يختار غيره من البلدان الكبيرة ليكون مركز انطلاق في كفاحه لتحقيق النهضة الاصلاحية التي ينطلق من اجلها؟

لم يختار السيد ابن شهاب حيدرآباد صدفة او بصفة ارتجالية او بترغيب او دعوة من احد، لكنه اختارها نتيجة لدارسة دقيقة وبعد تقصي حقيقة الاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وسير غور البلاد واحوال المواطنين فيها ثم التنسيق مع كل ما يرتبط بدعوته (النهضة الاصلاحية). وبعد التحري الدقيق في سلسلة

رحلاته الطويلة وتجاربه الكثيرة رأى ووجد من حيدرآباد اصلح مكان مناسب لمركز انطلاقته في دعوته (النهضة الاصلاحية).

سألني الاستاذ علوي بن عبد الله العطاس وهو من الاخوة الذين يهتمهم أمر حركة النهضة الاصلاحية، سألني مستفهما عن مصرف هذه النفقات الباهضة لحركة السيد ابن شهاب ومن هم الذين يمولونه بالمال؟ فان تنقلاته ورحلاته الطويلة مستمرة وهذه الحركات كلها تتطلب ميزانية كبيرة من المال، وليس من السهل أن يقوم أحد بهذه النفقات سوى حكومات او هيئات عالمية تمولها دولة.

فهل له ميزانية خاصة تدر له بما يكفيه للعمل والقيام بهذه المهمة؟ فاجبته باختصار: لا ذا ولا ذاك كما تحسب، فلا دولة ولا هيئة تصرف عليه، فان صرفت عليه دولة او هيئة، فقد قيدته وتقيدها فكان بوقا لها وهو يحارب ذلك ويحارب التبعية والانقيادية لصالح دولة او هيئة، فقد عرضت عليه دولة الخلافة مراكز سامية فرفضها جملة وتفصيلا، هو حر يحب الحرية ويكافح من اجل الحرية ولاجل الحرية فحسب ولذلك فهو يحارب التقليد والمقلدين والتبعية واذناب التابعين والذين لا يستخدمون عقولهم التي توجههم الله بها. إنه يصرف من ماله الخاص ومن ممتلكاته الخاصة، انه صاحب همة عالية قعساء وصاحب مبدأ لا يحيد عنه وعقيدة يستमित في الدفاع من أجلها وله هدف يكافح لتحقيقه، انه يشعر بالمسؤولية، شأنه في ذلك شان المكافحين المصلحين من السابقين واللاحقين الذين يؤدون الرسالة ويخدمون الامة ويقومون بواجبهم لا يرجون تقديرا ولا جزاء من احد من البشر. ولماذا نجح الدعاة السابقون؟ قلت للسائل وسالته مستفهما. فاجابني فورا: لقد اقتنعت. ثم استطردت قائلاً: لا يمكن ان نبني نظرياتنا على الاوضاع الحالية او ان نجعل المادة منتهى آمالنا وغاية مطلبنا، وان الدول ترصد ميزانية خاصة للدعاية لاغراضها السياسية، وكذلك تفعل بعض الهيئات تتفق بسخاء للدعاية ولهدف معين. فالذي يعمل لمصلحة دولة او هيئة انما هو

آلة صماء تسخره الدولة كما تريد ويعمل هو بدافع المادة، بينما الآخر يعمل ويكافح ويستमित من اجل عقيدته ومبدأه وهدفه السامي وهو وجه الله تعالى وطلب مرضاته.

سبب اختيار حيدرآباد

في تجوال ورحلات السيد ابن شهاب كلما وصل بلدا مكث فيه فترة من الزمن لدراسة الاوضاع وتقصي احوال القوم فكريا واجتماعيا وكانت نتيجة دراسته الطويلة وتقصيه الدقيق انه وجد حيدرآباد البلد الذي يمكن المكوث فيه، طبعاً في ذلك الوقت، للامور التالية:

اولاً: ان حيدرآباد سلطنة اسلامية وان كانت واقعة تحت الحماية البريطانية، فهي تتمتع بسلطة داخلية او ما يطلق عليه الاستقلال الداخلي. يحكمها سلطان مسلم مثقف تنقيفاً عالياً وواسع الاطلاع وان الروح الاسلامية لدى حكام البلد قوية وفي مستوى عالٍ.

ثانياً: ان الامن والاستقرار مستتب في البلد ويتمتع المواطنون جميعاً بما لا تتمتع به الشعوب الاخرى في باقي البلدان.

ثالثاً: ان الروح الاسلامية لدى المواطنين المسلمين تدل على وعيهم.

رابعاً: مجال العمل الاسلامي في حيدرآباد اوسع للامور السابقة ذكرها.

خامساً: انتشار المعاهد الاسلامية ووجود الجامعات فيها، التي لها مكانتها المرموقة ومستواها العالي، في الوقت الذي لا يوجد في مستواها جامعات أخرى في كثير من البلدان الآسيوية والافريقية في ذلك الوقت.

سادساً: محافظة السلطنة على التراث والكيان والآثار الاسلامية محافظة تامة.

سابعاً: تجاوب المواطنين المسلمين والحكام مع دعوة السيد ابن شهاب.

هذه هي الاسباب والدوافع التي دفعت السيد بن شهاب لاختيار حيدرآباد

دون غيرها من البلدان مقرا ومركزا لانطلاق دعوته (النهضة الاصلاحية)، ومن هذه الحيشيات استوطن حيدر آباد وآثر الحياة فيها مفضلا إياها على المدن الهندية الاخرى مثل بومباي ومدراس ودلهي، او غيرها من المدن، غير ان حيدر آباد سلطنة اسلامية والروح الاسلامية متوقدة في افرادها المواطنين.

وصل السيد بن شهاب الى حيدر آباد عام ١٣٠٢هـ الموافق للعام الميلادي ١٨٨٤ وكان عمره آنذاك (٤٠) عاما، اي انه قد وصل الى مرحلة النضوج، فاستقر فيها بقوة عزمه وصلابة ايمانه ليبدأ من هذا المهجر الجديد بناء صرح النهضة الاصلاحية العامة، ومن هذا البلد بدأ الشعاع ينير افق العالم في المهجر الشرقي وجنوب الجزيرة. ولم يشعر في مهجره بالغربة، على رغم اختلاف العادات والمآكل واللغة الدارجة، ولم يطل وقته حتى اتقن اللغة الأردية والهندية اتقاناً تخاطباً وكتابة وكانه احد ابناء الهند. فاستطاع الاندماج معهم اندماجا تاماً وكانوا يجلسونه اجلا لا فعظموه واكرموه لان في شخصيته رمز الجهاد الصادق والاخلاص، وروابط المبدأ والهدف هي التي جمعت بينهم.

قدموا له القصور العظيمة، فشكرهم على ذلك التقدير، ورفض سكن القصور وقد وضعوا بين يديه كل الصلاحيات، فردها شاكرا ومقدرا لتلك العواطف النبيلة، وعندما علم السلطان قيمة السيد ابن شهاب واخلاصه في اعماله وكفاحه مما رفع اليه من تقارير من وزرائه ومستشاريه عن هذا السيد، قرر ان يتخذ السيد مُعيناً له في إدارة السلطنة، واسند إليه منصب رئاسة الوزراء لسلطنة حيدرآباد ووضع بين يديه مقاليد الحكم، ورغبة السلطان لقبول هذا العرض، ولكن السيد رفض هذا العرض السلطاني شاكراله حسن ثقته به وقال: ما كان هدفي تبوء مركز من مراكز الدولة وان عظم، جئت مكافحا ضد الاستعمار بكل صورة وجميع او ضاعه واشكاله، لا مستسلما لحمايته. اكبر السلطان موقفه الصلد ومبدأه، وراى فيه الشخصية الفذة العظيمة التي

يتجلى فيها الاخلاص ومثال التقوى، وازداد ثقة به فاجلّه وعظّمه.

عرض السلطان على السيد ابن شهاب ان يكون فردا من الاسرة السلطانية برتبة امير وعرض عليه الزواج باحدى الاميرات في القصر السلطاني، وقيل هي بنت السلطان نفسه، ليكون في المستقبل وليا للعهد السلطاني، فرفض السيد رفضا باتا باسلوب حكيم ملؤه التقدير. فانه لو اراد الاقتران بامرأة واتخاذها زوجة له لاختار من بنات الشعب وهي المفضلة لديه، لا الاميرات ولا من بنات الذوات، بل لم يدر بخلده امثال تلك السفاسف.

آثر الحياة الشعبية البسيطة فاستاجر بيتا في حي من الاحياء الشعبية الآهلة، واصبح هذا البيت البسيط مقصدا للجميع، وازدهر الحي الذي اختاره لسكناه فاصبح منطقة ذات اهمية قصوى يتوارد الناس اليه يوميا حتى ضاق المكان بهم.

بدأ عمله اثر وصوله واستقراره في البيت الذي اختاره بايجار شهري، بالذهاب الى المناطق غير الاسلامية، مناطق الهندوكيين، ومناطق المنبوذين (الباريا) PARIA حسب تعاليم الديانة الهندوكية، وطبقة الباريا هم المحرومون من جميع الحقوق البشرية. اختلط السيد بهم وتحدث معهم بلسانهم، وجعل بينه وبينهم روابط ودية ورغبهم لتحسين اوضاعهم الاجتماعية والخروج من هذا الوضع الحقير الى وضع افضل في الحياة كما يتمتع سائر البشر في الحياة الاجتماعية، وتطوير اوضاعهم كما يدعو اليه الاسلام، وبشرهم بهذا الدين الذي يرفع قدر البشر الى مستوى مرموق، وبدأ السيد يعلمهم ويهديهم الى النهج القويم، فاستقبلوا دعوته في بدء الامر بالريب والحذر والقلق وساورهم الخوف من انتقام رجال الدين البراهما (BRAHMA) وطبقة الجنود الساتريا (SATRIA). وما زال القوم في تريثهم من الخوف والخشية، الا ان نفرا منهم لى وقبل دعوة السيد فاسلم ونطق بالشهادتين، واذا بالآخرين يرون اخاهم الذي اسلم حديثا يدخل المكان المعد للصلاة في صف واحد مع غيره جنبا الى جنب

بدون تفرقة، ولم يكونوا من قبل يعيشون بمثل تلك الحرية والمساواة. هذه الحادثة اعتبرها طبقة البارياء بمثابة انقلاب عظيم في مجرى حياتهم اليومية والاجتماعية، وبعد فترة قصيرة من الوقت ومع تطور اوضاع من اسلم من جماعتهم اقبل منهم عدد لا باس به لاعتناق الاسلام بعد ان تبين لهم حق عدالة الاسلام، واصبحوا بعد ذلك يتمتعون بكامل حريتهم ومساواة حقوقهم مع الغير، كما اسلم عدد من الهندوكيين من طبقة البراهما والساتريا بعد ان تبين لهم عدالة الاسلام، اسلموا طائعين عن وعي وادراك وفهم.

للسيد ابن شهاب اساليب كثيرة في بث دعوته، فانه يركز اهتمامه بالشباب وقضاياهم، وينتهاز في أي فرصة تتاح له جمع الشباب، وكانوا يميلون اليه، لانهم وجدوه متجاوباً ومثلاً طيباً وقدوة حسنة، فركنوا اليه يترددون عليه لاستماع توجيهاته القيمة، في محاربته الجهل، وبث روح الاعتزاز بنفس الانسان الذي خلقه الله وكرمه. درّس كثيراً من الشباب، بمختلف طبقاتهم الاجتماعية والطبقية، فكوّن من هذه المجموعة من الشباب (كوادر) واعية متنورة حتى صاروا خير نواة يعتمد عليهم لتعزيز حركته (النهضة الاصلاحية). وبعد مرحلة التثقيف المطلوب اختار ثلاثين منهم ممن بلغ الوعي والنضوج بعد تلقيهم وتدريبهم واعطائهم الدروس حتى يمكن الاعتماد عليهم، فارسلهم الى الاقاليم البعيدة والارياف التي تكاد تكون منقطعة عن المناطق الهندوكية، للاتصال بالشعب مباشرة من جميع طبقاته لدعوتهم وهديتهم الى الاسلام بأسلوب حكيم لين مع عدم المس بمشاعرهم الحساسة، حتى يعوا ويفهموا ويدركوا حقائق الامور بدون اكرام. فاهتدى من اهتدى منهم الى الاسلام كما اهتدى غيرهم من المتدينين بالاديان الاخرى.

اما بالنسبة للمجتمع الاسلامي فكان البرنامج الذي وضعه السيد ابن شهاب قد ركز على تثقيف وتعليم الجيل الصاعد، وتكوين المسلم الواعي الذي يشعر

بالمسؤولية وصالح المجتمع العام.

يتوافد طلاب العلم من الشباب الى بيت السيد ابن شهاب لتلقي المزيد من المعلومات والاستفادة مما يلقيه عليهم من دروس وتوجيهات هادفة، فكان منزل السيد ابن شهاب كمعهد علمي يكتض بالسامعين. ولما ضاق بهم المكان، كان السيد يلقي توجيهاته في المعاهد العلمية اسبوعيا، اما بيته فيكتض بالوافدين من جميع المستويات والطبقات من وجهاء القوم وكبار رجال المجتمع والعلماء ورجال الدين، وفي بيته كثيراً ما يتطرقون الى احاديث سياسية واوضاع المسلمين في العالم واحوالهم الاجتماعية غير المرضية، ذلك أن اوضاع المسلمين مرتبط بعضها ببعض.

وعلى كل لم يكن السيد وحده في الميدان، فله من تلامذته واتباعه من يسدون الفراغ كالسيد محمد بن عقيل وغيره من الذين ملأوا المناطق في ذلك الوقت مجاهدين ومكافحين لتحويل سير الامور وتنوير العقول وتغيير الاوضاع للوصول الى مستوى افضل، وهو الهدف الاسمى.

نعم، يوجد في عصر السيد ابن شهاب دعاة، ولكن القليل جدا منهم من يحسن التأدية بالاسلوب المقبول الناجح، هذا وهناك كثير من الدعاة من وعّاظ السلاطين، همهم المال وجمعه.

لقد تطورت حيدرآباد بوجود السيد ابن شهاب واعوانه المكافحين في جميع مرافق الحياة الاجتماعية وفي نظام السلطنة، حتى تكونت لسلطنة حيدرآباد شخصية مرموقة ذات قيمة في مستوى الحكومات، واصبحت دولة لها قيمتها ومكانتها، وطالبت حيدرآباد بالمزيد من الحرية والاستقلال وتطوير قواتها المسلحة الدفاعية الى مستوى يمكنها من امتلاك احدث الاسلحة الدفاعية، وبعد كفاح طويل تمكنت حيدرآباد من تحسين اوضاعها التسليحية وان لم تصل الى المستوى المطلوب، ولكن التطوير حصل على رغم المشاكل والمعاكسات خصوصا من جهة بريطانيا.

كانت معالم حيدرآباد خصوصاً المباني كلها تتسم بالشعارات الاسلامية، بادية في كل شيء في البلد، وتطور سير التعليم في جميع المستويات من الابتدائية حتى الصفوف العليا في الجامعات المركزة على الدروس الاسلامية وبروح اسلامية بعيدة عن العصبية التقليدية، وشيدت المباني الحديثة على غرار الطراز الاندلسي والايрани، وانتظم سير الحكم واستتب الامن وشعر الشعب بالرفاهية والاستقرار وبما يبهر القدام عندما يشاهد معالم البلد واوضاعه الاجتماعية وحياة المواطنين المرفهة. وفتحت سلطنة حيدرآباد باباً لمن يريد الالتحاق من المسلمين بالقوات المسلحة الدفاعية بدون نظر الى القوميات ولا تمسك بالعنصريات، وما دام الملتحق مسلماً فله الحق التام بالالتحاق بالقوات المسلحة. واقبل الشباب المسلم المتحمس من كل مكان خصوصاً من ابناء جنوب الجزيرة العربية، تلبية لهذا النداء.

في مجال التربية والتعليم، ضوعفت الجهود لترقية مستوى التعليم في جميع المراحل بادخال التحسينات وتوسعة المعارف، وفتحت مدارس جديدة في كل حي من احياء البلد، وشيدت المعاهد العالية في كل ولاية من ولايات حيدرآباد، ودعمت الجامعات بمدرسين جلبوا من كثير من البلدان، وتطورت الاوضاع التعليمية والاجتماعية والاقتصادية، وازدادت الصلات وثوقاً بدولة الخلافة وشعر المسلمون بالاعتزاز.

ومن هذا المرتكز دعا السيد ابن شهاب جميع المسلمين في شبه القارة الهندية وجميع بلدان جنوب آسيا شعوبها وحكامها ووجهاءها وزعماءها ومن بيدهم مقاليد الامور للاتحاد والتآزر ونبذ الرعونات والخلافات المذهبية المصطنعة التي استحوذت على عقول رجال الدين اصحاب العقول الجامدة المتعصبة الذين انشغلوا بالامور التافهة التي لا نهاية لها، وتركوا الامور المهمة، ففتحو المجال لاعداء الاسلام. ان اهتمام السيد بالمسلمين بصفة عامة، جعلته يسعى السعي الحثيث للم شعث

المسلمين وتوحيد صفوفهم، وتعدى حدود المنطقة التي اتخذها مركزاً لأعماله الى جميع مناطق المهاجر الشرقية التي هي في حاجة ماسة الى من يوقض شعورهم واحساساتهم. يقول في قصيدة له يخاطب المسؤولين المسلمين:

ومتى تخاذلنا واهمل بعضنا بعضاً خلعنا خلعاً الايمان
واصابنا الفشل الذي يقفوه ذل واضطهاد ليس بالحسبان
ان افترق المسلمون اذاقهم ضيم الهزيمة^(١) بعد عظم الشأن
ثم يوجه خطابه الى المسلمين يسألهم لماذا هذه الفرقة ؟

فعلام فرقتنا التي القت بنا في هوة الاهمال والخذلان
ولم التنافر والتباغض بيننا والحقده وهي مدارك النقصان
هذه الخطوات التي اتخذها السيد اثار انتباه الوالي العام البريطاني فبدأ يتخذ خطوات جديدة للحد من نشاطات السيد في حيدرآباد، ولكن لم تخف هذه الامور على السيد، فاتخذ الحيلة وغادر حيدرآباد الى بلدان جنوب آسيا ليرتب الامور ويمهد الاوضاع في تركيز اسس النهضة الاصلاحية بشكل اوسع واقوى. ثم عاد السيد الى حيدرآباد وهو اكثر صلابة واشد شوكة من ذي قبل. فواصل كفاحه بشكل اكثر تنظيماً فكانت نهضته اقوى من اي وقت سابق، فقد ازدهرت في كل بلد ومنطقة، وتكتل القوم ضد الاستعمار، يقاومونه بشتى الطرق، واستمرت هذه المقاومة واثمرت وافلحت، حتى انهيار دولة الخلافة.

واذا بالحركات الاصلاحية تفور وتشتعل في كل بقعة من بقاع المهاجر الشرقية من ماليزيا وسنغافورا والهند الشرقية، وفي اواخر القرن التاسع عشر ارسلت اول بعثة علمية للالتحاق بالجامعات التركية في استنبول ثم تتابع بعد ذلك سفر البعثات العلمية الى تركيا ومن افرادها من واصل دراسته العليا في بلجيكا او فرنسا.

(١) الهزيمة : الظلم.

في عام ١٨٩٨ اجتمع ثلة من الشباب المتنور بجاكر تا منهم السادة محمد الفاخر المشهور وعيدروس بن احمد بن شهاب وعبد القادر بن حسين بن شهاب وجماعة آخرون وتباحثوا لتطبيق وتنفيذ الدعوة للنهضة الاصلاحية وتبلور الاجتماع بتأسيس اول جمعية نظامية على الاسلوب الحديث كالحزب الوطني بمصر بقيادة المرحوم مصطفى كامل او الاتحاد والترقي في تركيا.

وسميت هذه الحركة في جاكر تا باسم (جمعية خير) ووضعت كل الاستعدادات لتحقيق هذا القرار وتم وضع القانون الاساسي، وهكذا تأسست الجمعية وبرزت للحياة قوية صلبة، وها هي باقية الى يومنا هذا تؤدي رسالتها التعليمية والتنقيفية. وبعد اربع سنوات من الجهد المتواصل تم تشييد اول مدرسة وارساء اول معهد للعلوم على الطريقة النظامية المتبعة في بلدان دول العالم باسم مدرسة جمعية خير، لان هذه المدرسة تابعة للجمعية المذكورة وذلك في عام ١٩٠٠، وتم تأسيس المدارس في الضواحي والارياف والمدن المجاورة بجاوا الشرقية ثم توسعت الى انحاء جاوا الأخرى فتم تشييد جمعية ومدرسة باسم (الجمعية الخيرية) و(المدرسة الخيرية). وهكذا توالى تأسيس وتشييد المعاهد العلمية ودور العلم في كل بلد وكل قرية في المهجر الشرقي، وفيما يلي نذكر ما انبثته تلك البذور التي بذرها السيد وبالاخص في المهاجر الشرقية حيث انبتت وازدهرت واينعت في كل منطقة من تلك المناطق الواسعة، ونذكر هنا مثالا بسيطاً لهذه اليقظة والازدهار المتواصل من عام ١٨٩٨ الى عام ١٩٢٠ أي خلال ٢٢ عاماً فقط. اما بعد عام ١٩٢٠ فقد انتشرت الصحف والحزاب السياسية والجمعيات الخيرية والمعاهد العلمية في كل بقعة وهي تتسابق وتتنافس في الاعمال الخيرية والتربوية ومحاربة الاستعمار، ولمن اراد المزيد في هذا الموضوع الى الوقت الحاضر عليه ان يراجع مؤلفاتنا في هذا الموضوع.

١٨٩٨ نشوء اول فكرة لانشاء اول جمعية اسلامية.

ارساء بناء مدرسة جمعية خير.	١٩٠٠
اعتراف حكومة الهند الهولندية بحركة جمعية خير.	١٩٠٥
اول صحيفة اسلامية صدرت في سنغافورا.	١٩٠٦
ثم صدرت مجلة (ميدان فربايي) من جاوا.	١٩٠٦
تاسيس مدرسة الاقبال في سنغافورا.	١٩٠٨
جمعية الاخلاق الفاضلة (بودي اوتومو بجاكرتا).	١٩٠٨
الجمعية الادبية فاداغ سومترا.	١٩٠٩
دار المتعلمين.	١٩١٠
جمعية الشباب الجاويين.	١٩١٠
مدرسة حياة القلوب ماجالينكا جاوا الغربية.	١٩١١
الشركة التجارية الاسلامية صولو.	١٩١١
جمعية شركت اسلام.	١٩١١
مدرسة الجنيد، سنغافورا.	١٩١٢
جمعية ثمرات الاخوان.	١٩١٣
مدرسة السقاف، سنغافورا.	١٩١٤
صدور اول صحيفة يومية للوفد الاندونيسي (اوتوسان انديا).	١٩١٤
الحزب الديمقراطي للهند الشرقية.	١٩١٤
جمعية الارشاد.	١٩١٤
المدرسة الدينية فاداغ.	١٩١٥
المجلس العلمي.	١٩١٥
مؤسسة الحفاظ على التراث فاداغ.	١٩١٦
منظمة اتحاد الموظفين.	١٩١٦

المدرسة الاسلامية بيناغ ماليزيا.	١٩١٦
مجلة الاسلام صولو.	١٩١٦
جمعية اعانة المتعلمين جاوا الغربية.	١٩١٦
صدور جريدة (نيراجا) اليومية (NERACA)	١٩١٦
جمعية اتحاد العلماء جاوا الغربية.	١٩١٧
منظمة اتحاد عمال معامل السكر.	١٩١٧
مدرسة الهادي مالاكا ماليزيا.	١٩١٧
مدرسة المشهور فيناغ ماليزيا.	١٩١٧
اللجنة الخيرية الوطنية الجاوية باندوغ.	١٩١٨
جمعية الحسنى.	١٩١٨
حزب النبي محمد ﷺ.	١٩١٨
صحيفة خلاصة الاخبار، جاكارتا.	١٩١٨
جمعية انتقاد المستضعفين.	١٩١٨
اتحاد عمال الهند الشرقية.	١٩١٩
صحيفة نور الاسلام فكالوغن جاوا الوسطى.	١٩٢٠
اتحاد معلمي المدارس الاسلامية.	١٩٢٠
اتحاد الطلبة المسلمين.	١٩٢٠
جريدة الاقبال سورابايا.	١٩٢٠
جريدة القسطاس سورابايا.	١٩٢٠

بعد غياب السيد ابن شهاب عام ١٩٢٢ وتواريه عن اعين الناس حاولت سلطنة
حيدرآباد ان تحافظ على الاوضاع وعلى مكائنها كما هي، باذلة كل جهدها في سبيل

ذلك، ولكن السلطات البريطانية بعد القضاء على دولة الخلافة الحاملة شعار الاسلام، اتجهت إلى ازالة كل سلطة أو حكم يتسم بروح الاسلام ومقاومة كل حركة اسلامية لئلا تعود إلى الوجود فكرة الخلافة الاسلامية بعد زوالها عام ١٩٢٢. واستمرت في محاربة الاسلام بخطوات متتابة مستمرة حتى نشوب الحرب العالمية الثانية، وبحكم كون شبه القارة الهندية مستعمرة لبريطانيا التي انضمت إلى الحلفاء ضد دول المحور، جندت بريطانيا مئات الألوف من الهنود بجميع ادبانهم وارسلتهم إلى ميدان القتال. وبعد انتهاء الحرب بانتصار الحلفاء على اليابان في الشرق ١٤ / ٨ / ١٩٤٥ سُنحت الفرصة لتمزيق شمل شعوب شبه القارة الهندية باحياء النعرات الدينية والعنصرية لتمزيق هذه القارة التي تضم ملياراً من البشر، بينما الهندوكيون والاشتراكيون واصلوا سيرهم لمواكبة النهضة الاستقلالية. وكان غاندي وجواهر لال نهرو من زعماء حزب المؤتمر ومن رواد المطالبين بالاستقلال بينما كان القائد الاعظم محمد علي جناح يسعى لتكوين دولة اسلامية للمسلمين في شبه القارة الهندية. وفي عام ١٩٤٧ أي بعد عامين من انتهاء الحرب العالمية الثانية وبعد مفاوضات تم تجزئة شبه القارة الهندية إلى الجمهورية الهندية وجمهورية باكستان الاسلامية وجمهورية سيلان (سري لانكا)، ومنطقة كبيرة واسعة تركت للتنازع بين المسلمين والهندوكيين بتعمد وهي اقليم كشمير، إذ ان كلاً من الدولتين تدعي احققتها في هذا الاقليم الغني، وتتنافس الدولتان للسيطرة على هذا الاقليم مما جر إلى مشاكل ونزاع ومناوشات مسلحة. وقد استولت الجمهورية الهندية على جزء منها واستولت باكستان على الجزء الآخر واصبح الشعب الكشميري هو الضحية إذ جُرّئ وطنه وهو محكوم من الدولتين.

اشتدت عداوة الهندوكيين ضد المسلمين بعد قيام دولة باكستان وقد جرّت إلى مناوشات ثم اصطدامات مسلحة محلية محدودة على الحدود بين البلدين حتى جاءت قضية البنغال وقامت الهند بتأييد البنغاليين للانفصال التام عن باكستان

خصوصاً وان موقع البنغال في الشرق يفصله الف كيلو متر عن باكستان الغربية وبينهما جمهورية الهند، وارسلت حكومة الهند جيشاً بكامل الاسلحة والعتاد لتدعيم البنغاليين للانفصال من باكستان وانتهت المصادمات بتأسيس جمهورية بنغلاديش، فظهرت جمهورية جديدة في القارة الهندية.

هكذا تم تجزئة شبه القارة الهندية الى جمهوريات متفرقة وربما ياتي يوم تتجزأ فيه جمهورية الهند الحالية الى جمهوريات اخرى، فالبوادر تدل على ان التمزق حاصل، فحوادث السيخ والضحايا الكثيرة المتسلسلة لا يمكن اعتبارها هينة، فالمصالح مختلفة والعقائد الدينية متضادة ثم ان أيدي الاستعمار فعالة لتمزيق كل القوى الموجودة في آسيا التي لا تماشي مصالح الاستعمار. وظلت الجمهورية الهندية بشتى اساليبها المبطنة وغير المبطنة تحاول ازالة كل ماله علاقة بالاسلام لئلا يكون للمسلمين تلك الشخصية وكيانها الفذ في المجتمع الهندي ومحو كل المقومات الاسلامية في الجمهورية الهندية، فعندما ساحت الفرصة لجمهورية الهند بغزو حيدر آباد لم تترك هذه الفرصة تمر سدى، فاجتاحت حيدر آباد على حين غرة بقواتها الهائلة، وبعد ان رتبت سياستها الخارجية، لئلا تثير العواطف العالمية، وبتأييد ورضا من دول الاستعمار وقضي على آخر معقل اسلامي في آسيا.

الاسلام محارب من كل الجهات وبكل الوسائل من جميع الفئات والاديان والعقائد والمصالح، سياسياً واجتماعياً واقتصادياً. ولكن متى يعي المسلمون هذا الخطر المحدق بهم؟ والمؤسف ان من المسلمين عملاء للاستعمار، بوعي أو غير وعي وهم يعملون لمصالحهم الخاصة وان كانت في ضرر المسلمين اجمع.

النهضة الاصلاحية

نجح السيد ابن شهاب رائد النهضة الفكرية في المهجر الشرقي نجاحا باهرا، فهو باعث الفكر الحر للنهضة الاصلاحية بين تلك الشعوب في اواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلادي، في عصر الانحطاط الفكري والاقتصادي والاجتماعي بين المسلمين بسبب سيطرة الاستعمار وهيمنة النفوذ الاوروبي.

ادرك السيد ابن شهاب خطورة الواقع الأليم على المسلمين الذي وصل الى اسوأ حال في كل المستويات، ففكر ثم فكر ووضع أسسا قوية متينة مبنية على التجارب التاريخية، وباشر عمله على الاسس الفكرية المدروسة التجارب السياسية فأرسى كل ذلك على قواعد قوية فبدأ من القواعد الشعبية، أي انه بدأ التغيير الاساسي من الشعب. لم يعدم العالم الاسلامي آنذاك من مصلحين ورواد فكر سليم، يكافحون بكل قواهم لتغيير الاوضاع المتأزمة، كانوا يعملون حسب طاقاتهم ومقدورهم امام تلك المواقف الخطرة، وتصدوا لمكافحة الجهل والأمية بين الامة واتخذوا مختلف الوسائل لتحقيق اهدافهم.

انطلاقا من هذا الاساس، اساس التغيير الجذري، تمكن السيد ابن شهاب من البدء في مرحلته الاولى لنهضته الاصلاحية لايجاد تغيير شامل كامل في الافكار ثم في الاوضاع باعداد جيل من الشباب المثقف المتنور الشاعر بالمسؤولية لبلورة الوعي والمفاهيم والافكار في حياة الامة الاجتماعية.

من المعلوم ان الطرق شاقة والسبل وعرة للوصول الى الهدف، فالمسافة بعيدة، ولكن بوجود الجيل المثقف اصحاب الروح الوثابة والنفوس الواعية، كل هذه العراقيل تصبح سهلة وهينة، بجانب وجود مخططات مدروسة لمواجهة كل تلك المشاكل التي لا بد من مواجهتها.

فالسيد ابن شهاب بحق زعيم النهضة الاصلاحية ورائدها وقائدها فهو واضع الاسس الثابتة بجهده ومؤازرة زمرة ممن كانوا معه طيلة هذا الكفاح المرير، حتى استطاعوا انقاذ الامة من الجهل والذل والتبعية والجمود والمسكنة التي سيطرت على العقول والافكار بسبب الرواسب من القنوط والتحجر الفكري المتوارث فيها.

ان الوضع العام في جنوب الجزيرة العربية والمهاجر الشرقية عبارة عن وجود مجموعة كتل شتى من البشر يعيشون في اطار تفكير ضيق المعالم من العقيدة، يحسبون ان ما هم عليه هو من صميم تعاليم الدين الحنيف، والكيس منهم من تهمه المادة فسعى في طلبها وجمعها ليكون متمولا غنيا، وجل هؤلاء ممن يعيشون في المهجر وتوفى البعض كما فشل آخرون.

اما المتنورون والمثقفون وهم القلة القليلة فيعيشون في معزل اذ هم لا يطبقون الحياة في ذلك المجتمع الذي لا يلائمهم، ففضلوا الانعزال والسكوت حتى اذا جاء صوت الدعوة الاصلاحية والفجر الجديد للصحو الفكرية التي يدعو اليها السيد ابن شهاب، وجدوا فيها متنفسا ومكانا يقفون عليه، فلبوا الدعوة وانخرطوا في سلكه وكانوا من خيرة رجال النهضة الاصلاحية.

كان السيد، وكما ذكرنا، في المرحلة الاولى من هذه الحركة الاصلاحية يركز على محاربة الجهل وتحرير الافكار والعقول من الاوهام والتبعية العمياء التي عشعت في عقول ونفوس جل الشعوب المستعمرة آنذاك، فوضع الامور في موضعها الحقيقي الصحيح كما تقتضيه حتميات التطوير السليم.

اما الخطوة الاخرى من المرحلة الثانية من هذا البرنامج فقد ركز فيها على الاقتصاد والصناعة الحرة التي لا تخضع لرأي حاكم أو مصلحة هيئة، أو نفوذ سلطان أو هيمنة مستبد يخشاه الناس رهبة وخيفة، ان التركيز في هذا الحال على الاقتصاد والصناعة باعتبارها مرتبطة ارتباط وثيق بالمجتمع والمصالح الشعبية العامة فلا يمكن

اعتبارها مستقلة في ذاتها.

فالحركة الاصلاحية هذه تهدف الى ايجاد صحة فكرية عامة، ولا يتم ذلك إلا بتثقيف العقول وصلها وتقويم سير الافكار واستبدال المفاهيم العامة بما هو اسلم، خصوصا في النواحي التربوية المبنية على الاسس الحكيمة والمبادئ السليمة، وبذلك يمكن انقاذ الامة من المهانة والتأخر والفقر والجهل.

اما الاوضاع العامة لسلاطين المسلمين وحالة الحكام في ذلك الوقت فعلى العموم تعتبر غير مرضية، مهما تفاوتت اوضاعها ومستواها، فهذه السلطنات كلها بوجه عام هزيلة ضعيفة، كيانها مزعزع، مجتمعها مترهل، عاجزة عن العمل الجدي فضلا عن مجابهة الغزاة الغربيين الذين اجتاحتوا العالم شرقا وغربا عسكريا واقتصاديا، ولضعف السلطنات الاسلامية وقعت لقمة سائغة للاحتلال الاستعماري وصارت مستعمرة أو صارت تحت حماية القوي الغازي. والسلطين والحكام بقوا في لهوهم سادرين. والشعب هزيل ضعيف. مستوى التعليم منحط ما عدا الامور الفقهية والمسائل الخلافية الفرعية المختلف فيها، وذهب آخرون الى التصوف والابتعاد من امور الدنيا، وتركوا الاقتصاد فاستولى عليه الغير.

هناك البعض من الفقهاء الذين يدعون انهم ورثة الانبياء من وعاظ السلطين، الذين وضعهم السلطان ليكونوا حراسا لا متيازاته ودعاة لانحرافاته وغطاء لسياساته، فيما يبررون فيه للظالم ظلمه وفيما يتحركون به من اثاره للمشاعر الدينية الشعبية البدائية لمصلحته وفيما يواجهون من خلاله القوى الاسلامية الثائرة التي تعمل على ان تتحدى السلطان في ظلمه وفي انحرافه.

وقد استطاع هؤلاء ان يعمقوا في ذهنية الامة التخلف، ويدفعوا بالمجرمين الى مستوى القداسات، وان يثيروا الفتن المذهبية داخل الحياة الاسلامية حتى تعمقت الحواجز بين المسلمين بحيث حالت بينهم وبين اللقاء في مواطن الاتفاق، وذلك من

خلال التأكيد على المفردات الصغيرة والآفاق الضيقة التي تحبس كل مسلم في دائرته الخاصة كما لو كانت دينا مستقلا ينفصل عن الدين الذي يلتزمه الآخر. ولا تزال المسألة تتحرك في نطاق الاثارة الدينية التي تتحول الى كتلة من المشاعر العدائية فيما تنطلق به من الوسائل المثيرة على صعيد الواقع السياسي في الساحة الاسلامية، بما يحرك الكثير من العصبية التي تحرك الكثير من الحروب الداخلية المدمرة بين المسلمين وزرع الاحقاد فيما بينهم على مدى المستقبل الذي يتغذى من مفردات الاحقاد الكامنة في حركة التاريخ في الماضي.

ولذلك فلا بد من العمل من اجل تحديد مواقعها، ومحاصرة خطواتها، والتخفيف من تأثيرها المعنوي على المجتمع الاسلامي بتعرية ملامحها الحقيقية، واطهارها بمظهرها الصحيح، ثم اختيار العناصر التي تتميز بالتقوى والكفاءة والصلابة في ممارستها العملية، وتربية الدعاة على الارتفاع الى مستوى المسؤولية فيما هي حاجة الاسلام في جميع المواقع والامور^(١).

فوعاظ السلاطين هم الحاشية والبطانة يستغلهم السلطان والحاكم لمنافعه الخاصة الذاتية، فتأيدهم تقوية لمركز الحاكم، فالسلطان يتاجر بهم ولا يتورع وعاظ السلاطين في تبرير مفسد الحكم باصدار الفتاوى بوجوب طاعة اولي الامر واتباع اوامرهم، ثم يشغلون الشعب بتوافه الامور في مسائل فقهية خلافية.

ان هذه الالة من البطانة الفاسدة والمتاجرين بالدين هم اول المناوئين والمقاومين لكل حركة اصلاحية، خشية منهم على مراكزهم ومكانتهم لئلا تتزعزع وينفض امرهم امام الملاء، وحفاظا على مراكزهم ومكانتهم، فبدلوا جهدا كبيرا ضد كل حركة جديدة بكل ما اوتوا من قوة ومكر وحيلة، لئلا يعي الشعب وينقاد الى هذه الحركة الجديدة. فتكونت كتلتان: كتلة الاصلاح في جهة وكتلة المقاومة المضادة

(١) الصحوة الاسلامية بقلم العلامة السيد حسين فضل الله مجلة المنطلق عدد ٥٨ لشهر صفر ١٩٩٠ - لبنان.

للاصلاح في جهة أخرى وتجاهمت الكتلتان ونشب بينهما صراع مرير، مما وعرقل مسيرة دعوة النهضة الاصلاحية. والمعلوم ان الاصلاح لا يكون إلا في مواطن الفساد، والمفسدون هم المناوئون للصلاح والاصلاح.

استطاع السيد ابن شهاب ومن معه من رواد النهضة تحطيم المناوئين تحطيمًا شل نفوذ الحاكم الجائر والسلطان الباغي وانفضح ادعاء العلم ووعاظ السلاطين والمتاجرون بالدين والمفتون بتحليل الحرام وتحريم الحلال.

انهارت قوى البغي والعدوان امام الزحف الخاطف لحركة النهضة الاصلاحية واستطاع الشعب بعد ان نال كل حريته ان يقول للظالم: ظلمت، فاتق الله، ويقول لادعاء العلم والمتاجرين بالدين امامهم جهارًا: انكم المتلاعبون والمتاجرون بالدين فويل لكم، ويقول الشعب للمحسن: احسنت، وللمسيء: أسأت، امام امر واقع لا مهرب منه. وعلم البطانة الخطر المحدق بهم الذي لا مفر منه، وحاول المتاجرون بالدين التزلف الى رجال حركة النهضة، فلم يجدوا لهم موضع قدم فالشعب الواعي حال دون اتصالهم برجال النهضة.

انهم رأوا تلك الكراسي التي تربعوا عليها قد زالت من ايديهم وان نفوذهم قد تلاشى، فالجوا قاتم امامهم والعاصفة الهوجاء اجتاحت مكائنتهم ولا يدرون ماذا يعملون. فقدوا كل شيء حتى مستقبلهم.

ان نجحت الدعوة الاصلاحية في مكان فان امكنة اخرى لا تزال في اوضاعها التقليدية خاضعة للتقاليد المتخلفة والعبودية بفعل العقول المتحجرة ممن يقال عنهم (قادة).

ان سوء الحالة المسيطرة على المجتمع بحكم تلك الاوضاع واختلاف موازين المعيشة سبب الضعف العام في العقول والتفكير، وتبلور الى جمود وخمول وتحجر. ولا تزال دويلات السلاطين مبعثرة والشعب يعيش في خوف ورهبة. المتنورون عاجزون

لأنهم فقدوا طاقتهم الفكرية واصبحوا كالعضو الاشل، والشعب تاه واصبح لاهياً مضلاً
قد تراكت عليه المشاكل فاشغلته عن اموره المهمة الرئيسة فحاد عن السبيل القويم.
تلك الحالة غير مرضية لرواد الاصلاح، والمسلمون في ذلك الوقت يعانون من
سلسلة من المآسي كأنهم بين فكي ذئب، حكام طغاة يدعون الاسلام وهم ابعد الناس
عن الاسلام بل بافعالهم يحاربون الاسلام. إذاً يجب مواصلة الكفاح لسحق تلك
الاضاع المتردية بالدعوة الاصلاحية باستمرار وبدون توقف لان المرحلة طويلة
والمشاكل كثيرة والمقاومون يعارضون كل اصلاح.

بدأ العمل للدعوة الاصلاحية من الجذور، إذ لا يصلح المجتمع ما لم يصلح الفرد
ولا صلاح للأسرة إلا بصلاح الفرد وبصلاح الأسرة يصلح المجتمع، وهكذا يتدرج
الاصلاح الى معالم الدولة، فلا يمكن اصلاح مجتمع وافراة فسدة، ولا اصلاح دولة إذا
كان مجتمعها فاسداً مهلهلاً، فاصلاح المجتمع بدون اصلاح الفرد مجهود ضائع.

التربية الفكرية:

يعتبر اسلوب التربية الفكرية من الاسس المهمة لاثارة مشاعر الوعي لدى
الشعب وتربيته تربية صالحة لصقل العقول وتهذيب الافكار وتحريرها من العبودية،
حتى تتوسع المدارك للتعرف على نهضة الحضارات العالمية منطقياً بدون تعصب
بصورة متسلسلة من بدء التاريخ الى يومنا هذا، بشكل يشمل كل المناحي من علوم
واقتصاد وادب وفلسفة وقانون واجتماع وصناعة وشعر وغيرها لاستلهاام محاسنها
ودراء مفاسدها.

لا شك ان الحوادث العالمية التي يحدثنا التاريخ عنها تعطي بكثرتها الباحث
مقاليد التصدي من خلال المجال الواسع لانتقاء المثال الطيب ليحتذى به ولتطبيقه في
هذا العصر.

كما ان التيارات الفكرية التي عصفت بالعالم اتخذها بعض الحكام مرتكزا لتثبيت عرشه بالقوة وكبت الافكار والآراء الحرة وبتر رؤوس مخالفيه.

والفترة الزمنية التي عاشها السيد ابن شهاب ووضع فيها اسس تربيته الفكرية كانت كلها فترة كفاح ونضال مليئة بالمآسي تارة وبالمفاجآت السارة تارة اخرى شان كل كفاح ونضال، هبوط وارتفاع، ولا ريب ان الصحوه الفكرية فى تلك الفترة كان لها خطورتها ومفعولها الايجابي الأمر الذي ضمن لها النجاح والازدهار باكتمال فصولها، ونمت الحياة الفكرية في روح الشعب عقلياً وثقافياً.

ان الحضارات الغربية كما يفهمها ذوو العقول الراجحة، بما في تلك الحضارة من المفسدات التي يجب درؤها صيانة للمثل الاخلاقية العليا، لا يمكن الاعتقاد انها بجملتها فاسدة يجب محاربتها وطمس معالمها لانها اتت من الكفار وديار المشركين، بناء على منطق من يقول: ان كل ما جاء من الكافر والمشرک فهو فاسد ومحرم اتباعه وانتهاج نهجه، ولا ريب ان هذا القول فاسد لانه منطق معكوس من اساسه لا يقول به إلا صاحب عقل مأفون أو فكر مفلس.

لا جرم ان في كل عصر من عصور التاريخ يوجد متملقون لولاة الأمور وبطانة فاسدة للولاة والسلاطين يمالئونهم على ما يشتهون، وأمثال هؤلاء موجودون الى الآن في زمننا هذا.

كان لهذه الدعوة الاصلاحية صدى عظيم رددته الاجواء في المهجر الشرقي وتعاضمت حركة النهضة الاصلاحية متجاوبة لاحقاق العدالة الاجتماعية وتطبيق مفهوم الحرية التي تكفل كرامة الانسان. وانتشرت دور العلم والتعليم واقبل الشعب بكل طبقاته لانتهاج العلم من معينه الصحيح، وتثقف الجيل الصاعد من الشباب تثقيفا علميا اخرجته من رواسب مفاهيم وعقليات الماضي التي يحميها ويدعمها النفوذ الخارجي والاستعماري.

هل الاصلاح لا يتم الا بالثورة المسلحة؟

لم يفكر السيد ابن شهاب بوما او يخطر بباله استحسان اللجوء الى الثورة المسلحة واتخاذ العنف والقوة لتحقيق اهداف النهضة الاصلاحية مهما استعصت الامور بسبب المعارضين والمقاومين، فانه لا يؤمن ان الاصلاح يجب ان يكون بالقوة والعنف او الاعتماد على الثورة والارهاب، ولكنه يؤمن ببث الوعي ونشر العلم بين الشعب ودعم كل ما يجب دعمه واصلاح ما يمكن اصلاحه. كان يحب أن تبدأ حركة النهضة الاصلاحية من الجذور بفتح المدارس لتثقيف الشعب وبث روح اليقظة والشعور بالمسؤولية حتى يتمكن كل واحد ان يشق طريقه في الحياة ضمن النهضة الاصلاحية الشاملة لكل الجوانب الحيوية من اقتصاد وتصنيع لتتكون قوة مانعة.

ان الاصلاح بالثورة معناه السعي للوصول الى الهدف بالقوة والعنف والاكراه أو باراقة الدماء، ومهما قيل عن الثورة وتبريرها، فانها قد تجر الى تدمير ما عمر ونهب ممتلكات وتشريد عوائل، والانقلاب هو وضع العكس مكان المعكوس. ولا يتم ذلك الا بالقوة والعنف، والوقائع شاهدة وكثيرة. فالسيد ابن شهاب كان يتخذ اسلوب التطوير (EVOLUSION) المبني على التطوير الطبيعي تثقيفا وتوعية، والتطوير يتطلب المرونة والحكمة. ومن هذا منطلق وعلى هذا الاساس يعاكس سلوك سياسة العنف والثورات (REVOLUSION) التي تجر الى الفوضى والى مزيد من الضحايا البشرية، فالبناء صعب والتخريب سهل.

الاحزاب السياسية

ظهرت الاحزاب السياسية في الدول الاوروبية الديمقراطية للحفاظ على حرية

الفرد، وبوجود الحرية الفردية المتمثلة في الاحزاب في الدول الديمقراطية ينعدم الاستبداد والحكم الفردي او الحزب الواحد. وليس للشعب إلا الانصياع للأوامر والحكم الاستبدادي الشبيه بحكم الاستعمار، الشعب مكره على طغيان رجل من قومه وبني جنسه. كما يكذب ذلك المستبد ان الشعب كله لا يريد سواه فنال من اصوات شعبه بمعدل ٩٩ بالمئة بينما شعبه المكبوت لا يعلم من سير الانتخاب شيئا ولم يسمع الا بالبيان الذي قيل عنه نتيجة الانتخاب، وحقيقة الامر ان الشعب يضمحل للحاكم كل الكراهية ولكنه مغلوب على امره. دعايات ملفقة مزورة لا يصدقها حتى الجاهل، فالسيد لا يرى من تأسيس الاحزاب لتدعيم دعوته بطرقها واساليبها ما يناسب او يماشي سبل دعوته، فله في ذلك رأيه الخاص، ويرى ان التطوير على خطوات اجدى وانفع واكفل للنجاح المطلوب، فدعوته كانت دعوة سلمية تثقيفية تربوية مبنية على الوعي ولا يمكن ان تدخل عليها صفة الاكراه، لان الاكراه يثير الضغائن والاحقاد ويتسبب في قيام حركة معاكسة، والاكراه لن يغير العقائد، ولكن الفهم والوعي والادراك هو الذي يغير معالم الافكار والعقائد عند المدرك والواعي فيرى الحق حقا والباطل باطلا ويستطيع التفريق بين الحسن والقبح، ثم ان الجاهل لا يحارب بقوة السلاح وانما بتشديد معاهد العلم لتنوير الازهار وتغذية الارواح بالوعي وتحرير النفوس من التبعية العمياء لكيون الفرد عالما فاهما، ومتى تثقف القوم تطور المجتمع تلقائيا بذاته وسارت احوال المجتمع من حسن الى احسن، فلا جهل ولا فقر ولا مرض.

ولذا فان السيد يحذر دائما من الانسياق وراء العواطف التي كثيراً ما تجر الى مشاكل، وتضر ولا تنفع. وكان يحث على تحكيم العقل والأناة والصبر في جميع الاعمال، لانه الكفيل بالنجاح. فالحق هو الحق ولا يشترط ان يكون مع الاكثرية او مع الاقلية.

يقول السيد ابن شهاب: ما ابتلي المسلمون بشيء كما ابتلوا بالجهل والامية فالجهل يجر الى قصر النظر وضيق البصيرة والى اتباع الهوى والانفعالات بدوافع العاطفة ففقدوا القدرة على سيطرة النفس بسبب الجهل، فحادوا عن الصراط. فتلك هي الامراض التي جرّت المسلمين للانزلاق الى مهاوي الانحلال والتشتت في شتى المتاهات.

وليس الجهل فقط عند من لا يقرأ ولا يكتب، ولكن الجهل يكون أيضاً بالالوضاع وحقائق الامور، فكم من قارئ وهو متعصب لفكرة شاذة، وكم من قارئ يكفر من يقول ان الارض كروية وان الوصول الى الفضاء كذب صريح. وآخرون بعكسهم تماماً يرون الاسلام في صورة المسلمين. اولئك الذين يحرمون تدريس علم الجغرافيا في مدارسهم والفلسفة عندهم منافسة لعلم الله، واعتقدت هذه الفئة ان الاسلام يحارب العلوم وان الدين عبارة عن طقوس وعادات من رواسب البدائية، لانهم لم يروا المسلمين الا في صورة من يحرمون الجغرافيا والفلسفة وخالوا ان ذلك هو الاسلام لضيق افقهم وتأثرهم بالغرب بدون روية، وظنوا ان كل شيء من اوربا هو الحق وما سواه باطل، وفاتهم ان الاسلام شيء وان المسلمين شيء آخر فلم يفرقوا بين الدين وبين معتنقي الدين. متوهمين ان الاساطير من اسس التعاليم الاسلامية وحسبوا ان الاسلام دين تافه لا يستطيع مجاراة الزمن، ولم يفتنوا انه اذا قام المتدين بارتكاب جريمة فعليه العقاب، لا كما يتخيل أن المتدين إذا ارتكب جريمة فان الدين دين اجرام.

هكذا مني الاسلام بهؤلاء المفرطين والمفرّطين بين متعصب ضيق الافق ينكر كروية الارض ودورانها واختراق الفضاء وبين من انجرف مع اوربا بخيرها وشرها يرى الخير كله في اوربا.

هولندا وحركة السيد ابن شهاب

لم تتمالك حكومة هولندا الاستعمارية في الهند الشرقية نفسها امام هذا النشاط المتواصل الذي اثاره السيد ابن شهاب في دعوته الى النهضة الاصلاحية وخشيت هولندا من مغبة هذه الحركة التي ستقوض حكمها ومصالحها في الهند الشرقية، واتخذت هولندا كل التدابير سراً للحد من هذا النشاط المتواصل، خشية من عواقب هذه الحركة لانسياق الشعب لهذه الفكرة الجديدة، مع ان السيد لم يملك في الهند الشرقية سوى اربع سنوات متتالية، رأت هولندا كيف احتوى السيد ابن شهاب جملة كبيرة من المثقفين المتتورين واثار فيهم الحماس وروح النضال، وكيف استطاع ان يؤثر فيهم وفي افكارهم التي تمخضت على اثر ذلك عن روح الكراهية للاستعمار بكل انواعه واشكاله، واحتدم الغليان والتبرم من الوضع الحاضر الاستعماري فاصدر الوالي العام مندوب التاج الهولندي المقيم بجاكرتا امره للمستشرق الهولندي ومستشار الوالي الهولندي الخاص الذي يرأس ادارة الشؤون الاسلامية، وكان ذلك بتوصية خاصة من وزير المستعمرات الهولندية لما وراء البحار بتقديم تقرير ضاف شامل عن أنشطة السيد ابن شهاب لقمع تلك الحركة قبل استفحالها باتخاذ كل التدابير اللازمة، لاعادة استتباب الامن والطمأنينة في ربوع الهند الشرقية، وكان اول عمل قامت به حكومة الاستعمار الهولندي مضايقة السيد ابن شهاب باعتباره اجنبيا في هذه البلاد ولا يحق للاجنبي ان يمارس اي نشاط سياسي أو ما يخالف الدستور الاستعماري الهولندي او ما يثير القلاقل او يحدث الهرج في الافكار التي تزعم الطمأنينة العامة باي اسلوب من الاساليب الاستفزازية وبلبله العقول مما يجر الى عدم الاستقرار واضطراب الامن العام. كما بدأت الحكومة تختطف رجال الحركة للاستنطاق بتهمة العمل والمحاولة لاثارة القلاقل في البلد بتحريك شعور الشعب ضد الدولة وتم اعتقال رجال النهضة

الاصلاحية في سورابايا ومالاغ وبنداواسا والصولو وجاكرتا من اسر وعائلات معروفة في الحركة من بيت آل حداد والمحضر وآل العطاس وآل السقاف وآل شهاب وآل الحبشي وغيرهم.

وبنصيحة من المستشرقين الهولنديين الذين يعملون في ادارة الشؤون الاسلامية أنه لابد من ايجاد حركة اخرى مقابلة للنهضة الاصلاحية لتكون منافسة لها ومعاكسة لكل عمل من اعمال النهضة الاصلاحية واتهامها بالمروق من الدين ونشر البدع اختارت الحكومة الهولندية بطريقة غير مباشرة جماعة ممن يسرون في ركاب الاستعمار ومن ورائهم مطلبلي الدولة، فبرزت الى الوجود هذه الحركة التي تدعمها حكومة الاستعمار بالمال لتسهيل امورها ولتعزيز الافكار وضرب المسلمين بعضهم ببعض حتى تتشق كلمة المسلمين وتتفرق وحدتهم وتتمزق عراهم وتتشتت افكارهم باثارة المسائل الفقهية الخلافية، وغذت حكومة هولندا هذه الحركة المعارضة بالآراء والافكار والاموال محاولة جعل المسلمين كتل متناحرة، ومهما يكن فقد استفادت هولندا من هذا الوضع في تعزيز الافكار وبليلتها كما فتحت هولندا للحركة (الاحمدية) القاديانية التي تمولها بريطانيا المجال الواسع في اندونيسيا لزيادة تعزيز الاوضاع وبليلة الافكار. لينشغل المسلمون في تلك المسائل الخلافية.

اجتمع رجال حركة النهضة الاصلاحية وتشاوروا فيما بينهم في كيفية مجابهة المكر الاستعماري الهولندي المتزايد، وأشار بعض الحاضرين من رجال الحركة ممن لا يتمالك صبره قائلاً: «لابد من تغيير وتحويل اسلوب دعوتنا الاصلاحية من اسلوب السلم الى طريقة العنف والقوة ومجابهة القساوة بقساوة مثلها او اشد منها، لتتسم حركتنا بالقوة والعنف وليعرف الجميع اننا لسنا ضعفاء كما يتخيلون ويريدون هضم الضعيف، واذا عرفوا اننا اقوياء حسبوا لنا الف حساب. ندعو جميع العمال والموظفين ان يقاطعوا الدولة ويتوقفوا عن العمل لشل حركة الدولة وارهاقها في المشاكل بدلا من

محاولتها لمحاربتنا، فلنسبقها بمهاجمة المراكز الحساسة للدولة».

ولكن هذا الاقتراح والتفكير لم يجد قبولا حسنا لدى السيد ابن شهاب وعارض كل اسلوب للعنف، بحجة ان المسلمين لا يزالون ضعفاء لا يملكون سلاحا ومعنيتهم لم تتبلور الى قوة روحية كاملة، والاقدام الى العنف والمسلمون في تلك الحالة يعد من الاعمال التهورية التي لا تنتج إلا سوء العاقبة ويفضل السيد ابن شهاب مضاعفة النشاط الحركي ودعوة اولئك العملاء الذين أمروا بالمعارضة النهضة الاصلاحية وتوعيتهم ومخاطبتهم بالاسلوب الذي يمكنهم من قبول دعوة الحركة الاصلاحية فيرعوا ويهتدوا ونجعل حكومة الاستعمار الهولندي في مأزق ونذكرها بان الخلافات بين الامة لا تعود على الجميع الا بالضرر الجسيم.

ان مخطط حكومة الاستعمار الهولندي في جزر الهند الشرقية لتحطيم حركة النهضة الاصلاحية التي يقودها السيد ابن شهاب وان كانت قد اثرت في بعض النواحي على هذه الحركة باعتقال بعض رجالها واستنطاق الاخرين، غير ان حركة النهضة ظلت تسير في طريقها بقوة اكبر وهمة اعظم، واستطاعت ان تزحف كالسيل العارم الجارف مكتسحة دعاة المعارضة والمقاومة وعملاءها الى ناحية وهم صاغرون مبهوتين، وتبين للملاطريق الباطل الزائف من الحق الناصع.

ان السبيل الوحيد لدرء المفاسد هو تثقيف الشعب تثقيفا علميا وتوعيته توعية تجعله يشعر بالمسؤولية ويسعى للوصول الى الغاية المنشودة بكل ما عنده من قوة. ان اختلاف وجهات النظر في العمل للوصول الى الغاية لا يستوجب التنافر او التناحر، فالهدف واحد والغاية واحدة، هي هي. وبدل ذلك يجب ان يركز على الاخلاص في العقيدة والمبدأ ومن لا يخلص لعقيدته ومبدئه فلا خير فيه وهو من الذين يسهل شراء ضمائرهم ويكونون عملاء للاستعمار ضد بني قومهم ووطنهم لمصالح المستعمر. يقول السيد ابن شهاب في هؤلاء الذين لا يخلصون في مبادئهم ما يلي:

من ليس يخلص في مبدا ارادته فكيف يرجو فلاحا في تناهيه
ومن له من هوى الاغراض شائبة يهوي به الحظ في اهوى مهاويه
لا جرم ان سمو الاخلاق والمحافظة على المثل العليا يكونان للفرد شخصية
قوية بحيث يتقزز من الوقوع في الامور غير المرضية ويتعد من مهاوي الانزلاق لئلا
يقع في الهاوية.

ومن هنا يتجلى ان السيد ابن شهاب كان يعارض التهور في الاعمال، خصوصاً
ما يكون بالعنف والقوة لقلب نظام الحكم لانقاذ الوضع المتردي مهما كان الامر وكما
يحسبه البعض ميئوساً منه، وكل ميئوس منه يجب بتره والاستغناء عنه كلياً، نجد ان
السيد يخالف هذه الفكرة بتاتا، كما سبق ان بيناه. ولم تكن فكرة معارضة السيد للعنف
قد جاءت عفوية بسبب المكر الاستعماري او تلقائياً، ولكن فكرة الدعوة سلمياً كانت
متخمرة لديه وفي ذهنه منذ عنفوان شبابه وهو في المرحلة الاولى من مراحل حياته
اي منذ عام ١٢٨٠هـ، عندما كان يفكر في حالة قومه التي لا ترضيه، قومه الذين يعانون
الجهل والفقر والمرض والجمود الذي خيم على عقولهم وافكارهم. يرى كل ذلك ويحز
في نفسه الما موجعا، فلم يصبر فتكلم وناقش، وأخذ يستنهض همم بعض الشباب
بالحديث والخطب والكتابة، وكثيرا ما تبلورت احساساته في قصائده في كثير من
المناسبات.

لم تكن فكرة النهضة الاصلاحية موجهة لناحية خاصة، وانما كانت الدعوة
عامة تشمل الاقتصاد والتجارة والصناعة وكلها مبنية على اساس الثقيف والتعليم
والوعي. وعلينا ان ندرس هذه الامور والقضايا دراسة وتحقيقا لئلا يفوتنا شيء او
يغيب عن اذهاننا او ننسى ان عصر السيد ابن شهاب الذي نشأ وترعرع وعاش فيه
يخالف عصرنا الذي نحن فيه الآن فالفرق بينهما شاسع، ولكل عصر مقاييسه الخاصة
ولكل زمان اوضاعه وظروفه، فلا يمكن مقارنة او مساواة عصر بعصر قبله او بعصر

بعده، فعصر البخار غير عصر الكهرباء.

السيد ابن شهاب ودولة الخلافة

من المعلوم ومما لا يخفى على احد ان سياسة السيد ابن شهاب كانت تركز على دعم دولة الخلافة التركية، لتكون الخلافة الرمز الاول للكتلة والوحدة الاسلامية، ولن تكون الخلافة قوية اذا لم يؤيدها ويدعمها المسلمون، والدعم والتأييد لن يكونا الا بالعلم والفهم والوعي. على ما بلغته دولة الخلافة في ذلك الوقت من وهن ومع ما تعانيه من مشاكل داخلية وقلقل وثورات تغذيها دول اوروبا، ومع هذا الوضع المتردى فان دولة الخلافة لا تزال تتمتع بقسط وافر من المحبة والاحلال في قلوب المسلمين، وهذا القسط من محبة وتقدير المسلمين يخشاه العدو ويحسب له كل حساب، يحاول ازالة تلك المحبة والاحلال. يقول السيد ابن شهاب انه مادام المسلم مسلماً فلا يمكن له ان يكون سلبياً لا يكثرث بامر المسلمين ولا بدولة الخلافة التي هي رمز وحدة المسلمين، او يقف كالمترج، بل عليه الاهتمام بامر المسلمين ودعم دولة الخلافة.

في نفس ذلك العصر كانت هناك ايضا بعض دويلات وسلطنات وامارات اسلامية هشة متناثرة مستضعفة وكلها واقعة على رغم منها تحت الاستعمار بشكله المباشر او غير المباشر او واقعة تحت حمايات دول غربية قوية، وتتفاوت مستويات الحماية بموجب مصلحة الدول الحامية وبمقدار القوة والضعف لتلك السلطنات والامارات. ومن الطبيعي ان القوي هو الذي يحكم ويفعل ما يريد، والضعيف هو دائماً المحكوم عليه، والشاعر يقول:

ملخصه ان القوى محكم وحاصله ان الضعيف مسخر
وهناك سوى تلك الدويلات الهزيلة أيضاً شعوب اسلامية من بلدان آسيا
وافريقيا، عددها كبير واقعة تحت الاحتلال الاوروبي مباشرة. وازدادت الاحوال سوءاً

بعد الحرب العالمية الاولى وزوال دولة الخلافة من الوجود، وانتصار دول الحلفاء التي ازدادت طغيانا على الشعوب المستعمرة. ولاح الفجر الجديد بعد الحرب العالمية الثانية حيث تمكن بعض الدول الاسيوية والافريقية من حل قيود الاستعمار والتمكن من نيل استقلالها، وطوى بعض دول الاستعمار استعمارها الى غير رجعة. فنالت اندونيسيا والملايو والهند وباكستان وغيرها استقلالها، ولا يزال بعض الشعوب السلامية الاخرى يرزح الى اليوم تحت الاحتلال مثل جزر مورو الواقعة تحت الاحتلال الفليبيني.

مهما كانت الامارات والدويلات الاسلامية صغيرة وضعيفة ومترهلة، فلا يمكن طمسها او ازلتها من الوجود ولكن يجب دعمها لتكون نواة صالحة وتصبح دولة قوية ذات كيان اقتصادي قوي، فمن الضروري اذن رعايتها ودعمها واصلاح ما فسد فيها لتطويرها في جميع المجالات خصوصا التربوية والتعليمية والاقتصادية بالتدريب حتى تبلغ المستوى المطلوب وتملك مستلزمات الدفاع، وهذه المعالجة ليست سهلة وتحتاج الى فترة طويلة قد تكون عسيرة. وترتكز وسائل النهضة الاصلاحية على الاسس التالية:

- ١ - تعميم التعليم والتربية بصفة عامة.
 - ٢ - ارسال البعثات التعليمية الى الجامعات العالمية.
 - ٣ - عدم الاقتصار على العلوم الدينية.
 - ٤ - رفع مستوى الاقتصاد والاتجاه الى الاقتصاد الحر.
 - ٥ - الاهتمام بالتصنيع والانتاج.
 - ٦ - التسويق العالمي للمصنوعات والمنتجات.
- لقيت هذه الدعوة تجاوبا وترحيبا حارا من اوساط المثقفين بل حتى من الامراء وبعض السلاطين، اما الخليفة عبد الحميد فقد وعد بتنفيذ هذه الفكرة التي نالت منه موقع الاستحسان وكذلك خديوي مصر الذي كان من اول المؤيدين لهذه الفكرة

بعد الخليفة عبد الحميد وبتقدير عظيم. ويجد القارئ هذه المحاورات في الرسائل المتبادلة بينهم. اما سلطان حيدر آباد فقد وضع كل الامكانيات تحت تصرف السيد ابن شهاب كما ذكرناه في موضع آخر.

يتساءل البعض من الاخوة لماذا كانت وجهة نظر السيد ابن شهاب تتجه الى المهاجر الشرقية فقط دون الاتجاه نحو الغرب والمهاجر الغربية حيث فيها عدد كبير من المسلمين؟

كان اتجاه هجرة السيد نحو الشرق بحكم هجرة اسلافه السابقين نحو الشرق بعكس بعض اهل الشام من لبنانيين وسوريين كانت هجرتهم نحو الغرب الى الاميركيتين الشمالية والجنوبية، ولا نجزم انه لم يكن له صلات واتصال بوجهاء المهاجرين في المهجر الغربي، اما اتصاله بسلاطين المغرب العربي فهناك وثائق تؤكد صلاته بهم وكذلك مساعدات ملوك المغاربة ماديا للاسر العلوية بجنوب الجزيرة.

ان السلطنات والامارات الاسلامية جلها او كلها في المهجر الشرقي، وكان اتجاه نظرة السيد الى المهاجر الشرقية لتنفيذ مشروعه الذي يتضمن الاتصال المباشر بالمسؤولين فيها للتباحث معهم فيما يمكن التفاوض فيه لا صلاح ما يمكن اصلاحه وتطويره الى مستوى افضل وانهاض شعوبها.

نجد من بين مراسلاته ومكاتباته العديدة للزعماء ورؤساء الدول والسلاطين والامراء والمسؤولين وقادة الشعوب والادباء والشعراء ورجال الصحافة مساجلات ممتعة وجلها يدور في موضوع النهضة والاصلاح والتعليم والاقتصاد للسير فيها الى مستوى احسن. وتتسم مراسلات السيد بروح النصح والتوجيه لمصالح العامة.

خمسون عاماً قضاها السيد ابن شهاب في كفاح مرير ونضال من اجل توعية امته، انه وقت قصير بالنسبة للتاريخ، ففي خلال هذه الفترة الوجيزة من التاريخ استطاع ان يقدم الشيء الكثير من الاعمال الجبارة والمنجزات، فطور الافكار وانا العقل.

ان النهضة التي اثارها ودعا اليها بمفهومها الواسع تركز على دعامتين:
الاولى: الاتجاه نحو المسلمين، المبني على التثقيف والتربية والتعليم
والاقتصاد لرفع مستواهم العام علميا وفكريا.

الثانية: الاتجاه نحو غير المسلمين، بالاتصال المباشر بالافراد والجماعات
للتحدث معهم ومحاورة تهم ومباحثتهم بالطرق العلمية على جميع المستويات الفكرية
والثقافية والنفسية لتنوير اذهانهم ودعوتهم الى الاسلام، حتى يقبل الواحد منهم عن
يقين ووعي وايمان.

ففي كل هذه الاحوال يختلف اسلوب الدعوة باختلاف مستوى ومبلغ ثقافة
السامع والمخاطب وادراكه، الذي يمكن التفاهم والتحاور والتخاطب معه، حيث
يختلف الخطاب مع المثقف والمتعلم عن التخاطب مع التاجر والاقتصادي او العامل او
الطالب، فلكل منهم الاسلوب الخاص الذي يروقه ويفهمه ويدركه.

اسلم واهتدى الى الاسلام بعض اساتذة الجامعة ونفر من التجار وشخصيات
بارزة مرموقة وجمع من طبقة المنبوذين (الباريا) في الهند، وكان هؤلاء خير سند
للدعوة الاسلامية.

اما اعماله للمسلمين فباقامة المعاهد العلمية وتشييد المدارس والمعاهد فغير
العقليات وطور الافكار وقادهم للتحرر، فأعاد للانسان كرامته وحرمته وشخصيته بعد
ان ضل اسيرا للجمود.

اعقب نهضته الفكرية هذه بالنهضة الاقتصادية، فأثار همم القوم لابدال بيع
السلع في الاسواق بالتصنيع والاستيراد والتصدير، فالمواد الخام موجودة والايدي
العاملة موجودة. وكان كثير من القوم يستشيرونه، وكان في الامور الاقتصادية يحيلهم
الى رجال الاقتصاد، لتنوير المستشيرين في تطوير اوضاع الاقتصاد من وضعه الحالي
الى وضع احسن ليستطيع السيطرة على الاقتصاد العام، الذي يشمل التجارة بانواعها

والصناعة بفروعها والزراعة بشتى مرافقها على اسس سليمة وكان يمنع الغش والمكر والخداع والاحتكار، فكل هذه الاعمال اجرامية. ففي الاقتصاد مسؤوليات لان الاقتصاد اساس قوة الشعب وتقدم البلاد، والشعب الذي لا يملك اقتصاديات بلاده يعتبر ضعيفا متخلفا.

يقول العلامة السيد محمد احمد الشاطري: ان السيد ابن شهاب قام باصلاحات في حضرموت وخارجها، باخماد نار الفتن التي تقع بين القبائل المسلحة بحضرموت، كما قام بصلح بين سلطنتين في جنوب الجزيرة، القعيطي والكثيري عام ١٢٩٤هـ اثر حروب اهلية بين السلطنتين دامت سنتين تضرر منها الشعب، فاخذ ابن شهاب النار بحكمته السياسية.

يرى السيد ابن شهاب وجوب اصلاح العقيدة وتصحيحها وتنقيتها مما رسب في الازهان، خدمة للعدالة الاجتماعية في الاسلام^(١).

ان السيد ابن شهاب من اعلام هذا الدور، لانه الشخصية التي توفر فيها العلم والادب والاصلاح والسياسة والتمسك بمبادئ الاسلام ثم الزعامة القوية في المجتمع الذي يعيش فيه، فاستحق بهذا ان يوضع في مصاف الابطال مع العلم بأن هناك شخصيات كثيرة عظيمة انجبتها البلاد في هذا الدور ولكن لم يلمع منها احد في كل الصفات التي لمعت في شخصية ابن شهاب^(٢).

ولا بن شهاب آراء وافكار في مفاهيم عصره ومجتمعه ويتجلى هذا في مؤلفاته وقصائده فقد دعا ابن شهاب الى وجوب اصلاح العقيدة وتصحيحها.

ولا بن شهاب ثورة على التقليد الذي يجعل العقول متجمدة ومرتبطة

(١) ادوار التاريخ الحضرمي للعلامة محمد احمد الشاطري / صفحة ٢٤٢ مطبوع.

(٢) المصدر السابق.

بالاشخاص لا بالتشريع^(١).

خطوات التطور في المهاجر الشرقية في مجال التربية والتعليم كانت وليدة النهضة الاصلاحية منذ عام ١٢٨٢هـ وكلها سلسلة متشابكة بعضها مع بعض. كتب الاستاذ المجاهد زعيم الجنوب العربي ورئيس رابطة ابناء الجنوب مقدمة مطولة لكتاب (تاريخ الدولة الكثيرة) للاستاذ السيد محمد بن هاشم المطبوع بمصر عام ١٩٤٧ تثبت هنا الصفحة الاولى من المقدمة لعلاقتها بالسيد ابن شهاب والاعتراف بزعامته الاصلاحية.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

«ثلاثة نفر في هذا القطر الحضرمي سيذكرون إذا دبج تاريخه الحديث كطليعة لقادة الفكر الجديد، وزعماء النهضة الاصلاحية، ودعاة انقلاب، انقلاب يشمل كافة مرافق الحياة، وينفخ الروح في هذا الجسد الذي افتقدها منذ مئات السنين، وعاش بعيداً عنها في عالم غير عالمها، إن أمكن أن تكون لجسد من غير روح حياة. اللهم إلا إذا جاز أن يعد من الأحياء جدث عصمته الأقدار من الفناء بعد فراق روحه إلى دار البقاء.

هذا نفر أو هذه السلسلة الذهبية النيرة؛ تبدأ بالسيد أبي بكر بن عبد الرحمن بن شهاب، ثم بالسيد محمد بن عقيل، وأخيراً بالسيد محمد بن هاشم، مؤلف هذا الكتاب القيم الذي يقدم لنا اليوم الجزء الأول منه. لن نستطيع -ولو أراد- أي متصدر لتاريخ النهضة الحضرمية ان ينكر أو يتجاهل

(١) من مقدمة لكتاب فتوحات الباعث، مطبوع.

هذه الحقيقة الخالدة، وهي أن هذا النفر من الأفذاذ هم قادة لواء النهضة الحضرمية الحديثة، وواضعوا أسسها، وأول من حاول إزالة الغشاوة عن أعين قومهم، وبالتالي أول من واجه العاصفة التي لا بد وأن يواجهها كل مجدد، يهدف إلى إمالة قومه عن نهج اعتادوه أو جهالة أنسوا إليها أو تقاليد ابتدعوها، فأصبحت منهم بمثابة الدين الذي لا يأتيه الباطل من أي الجهات؛ أو فتن متراكمة بعضها فوق بعض، استكانوا لها، فاطمأنوا إليها فصارت جزءاً من حياتهم، لا هم يستطيعون التخلص منها، ولا هي ترتاح إلى الابتعاد عنهم.

ولذلك فهم يعجبون أيما عجب لهذه الصرخات التي يجار بها أفراد، هم في معتقدهم أقرب إلى الضلال منهم إلى الهدى، حادوا عن النهج القويم واتبعوا الهوى، فكل ما يأتون به باطل وكل ما ينادون به ضلال.

هذه هي العاصفة التي واجهها محمد بن هاشم، ومن قبله محمد بن عقيل، ومن قبلهما أستاذهما أبو بكر بن شهاب، وغيرهم من رجالات الفكر الحضرمي فما ضعفوا وما استكانوا، وما تلجلجت بهم الخطى، أو خارت منهم العزائم.

من أهم مصالح اعداء الاسلام الاساسية تبني ورعاية وجود الفرق والمذاهب بين المسلمين، واتخاذها ذريعة لتحطيم المسلمين وتمزيق شملهم باذكاء نار الفتن والعداوة والشحناء فيما بينهم، وهكذا سيق المسلمون الى هاوية الفرقة والتناحر والى الذل والمهانة بدون شعور منهم وهم لاهون غافلون عما يفعله الاعداء.

واستمر الانحلال والانقسام والتجزئة الى كتل وجماعات شتى متفرقة تقتسمها الالهواء والنزعات الهدامة في كل ناحية من نواحي الحياة وتتجاذبها العواطف، والمسلمون فخورون بهذا الوضع لعقيدتهم ان موقف كل منهم هو الصحيح، حتى ان الانسان متى يمم جهة من الجهات فسيجد نفس الوضع والحالة، حتى جات حركة النهضة اصلاحية لتصحيح تلك الحالة والاضاع بالسعي لتوعية وتفهم المسلمين

بما حل بهم من الامراض الاجتماعية الفتاكة التي منوا بها، ودعوتهم بالحسنى لنبذ الاحقاد والخلافات والانصواء تحت ظل الخلافة التركية ليكونوا كتلة واحدة. وكانت الخطب من رجال النهضة الاصلاحية تلقى في كل مناسبة ليكونوا الحصن الحصين امام عدوان الاعداء. وفي هذا الصدد يقول السيد ابن شهاب من قصيدة طويلة نقتطف منها:

والاجتماع اجل حصن رادع	عبث الخصوم وسورة العدوان
والمؤمنون كما اتانا في حد	يث الصادق المصدوق كالبنيان
ومتى تخاذلنا واهمل بعضنا	بعضا خلعنا خلعة الايمان
واصابنا الفشل الذي يقفوه ذل	واضطهاد ليس بالحسبان
ان افتراق المسلمين اذاقهم	ضيم الهزيمة بعد عظم الشان
وهنت عزائمنا واصبح هازئاً	بخمولنا الوثني والنصراني
فعلام فرقتنا التي القت بنا	في هوة الاهمال والخذلان
ولم التنافر والتباغض بيننا	والحقده وهي مدارك النقصان
ها كل طائفة من الاسلام مذ	عنة بوحدة فاطرالاكوان
وبان سيدنا الحبيب محمدا	عبد الاله رسوله العدناني
وامام كل منهم في دينه	اخذا وردا محكم القرآن
فالهنا ونبيننا وكتابنا	لم يتصف بالخلف فيها اثنان
والكعبة البيت الحرام يؤمها	قاصي الحجيج لنسكه والداني
وصلاة كل شطرها وزكاته	حتم وصوم الفرض من رمضان
افبعد هذا الاتفاق يصينا	نزرغ ليفتننا من الشيطان

ان الذي يحيا في هذه الدنيا ولا ينتفع الناس ولا قومه به فهو عضو اشل في المجتمع، فاحب الناس الى الله انفعهم للناس والذي يسعى جاهدا لرفي امته يدفع عنهم كل ضير ويجلب لهم كل نفع فهو سيد الناس، الذي يصفه السيد بقوله:

سيد الناس من يجد ويسعى في رقي العباد دنيا واخرى
يخدم الشعب فهو يجلب نفعا مستجدا لهم ويدفع ضرا
والسخييف الذي تصدر بالمـ ال او العلم فازدرى الناس كبرا
حاسب أن من سواه تراب وهو من بينهم تكون تبرا
ليت هذا السخييف كان حمارا للنبييل الذي تقدم ذكرا

لقد كانت الدعوة لحركة النهضة الاصلاحية في المهجر الشرقي مبنية على اسس
حكيمه متينه بعد دراسة واسعه سار عليها رجال النهضة والتزموا بها، ولم تكن مجرد
شعارات جوفاء او صرخات عاطفيه يقصد منها الاستهلاك المحلي، ولكن كانت
الاعمال قائمه على الاسس المقرره المتينه ومطبقة على بصيره رجال النهضة
الاصلاحية الذي رعوها خير رعايه، فلا غرايه ان نبتت واثمرت وازدهرت.

لقد تخرج من مدرسه ابن شهاب زعماء افذاذ، وعلماء وادباء وشعراء وهم
الذين واصلوا كفاح النهضة الاصلاحية وحافظوا على اسسها ومبادئها.

وما هذه التطورات العظيمة الملموسة التي يشاهدها الكل في جميع المستويات
الاثر من آثار تلك النهضة الاصلاحية، وما هذه المدارس ودور العلم والمستشفيات
وملاجئ الايتام والمطابع والجرائد ودور النشر كلها إلا حصيلة النهضة الاصلاحية التي
وضعت بذورها في اواخر القرن التاسع عشر، فلم تذهب تلك الجهود المبذولة سدى
(١٢٣٠ هـ / ١٨٨٩ م).

هذا النجاح الذي احرز لم يكن سهلاً ولا كانت الطرق التي سلكها السيد ابن
شهاب مفروشة بالورود والازهار، ولكنه تعرض لمشاكل عويصة ومقاومة عنيفة حتى
من قومه وبني جنسه بل حتى ممن يدعون العلم من رجال الدين المتملقين للحكام
ورجال الاستعمار، تأييداً للظالم على ظلمه والطاغى على طغيانه والمستبد على

استبداده، لم يردعهم ضمير ولا رادع، وهان لهم تقليب الحقائق وجعلوا الباطل حقاً والحق باطلاً، وما مني المسلمون ببلوة مثل وجود هذه الفئة التي مزقت شمل المسلمين بدعوى انهم ورثة الانبياء فيثيرون الخلافات، وكأن تلك الخلافات هي من أسس الدين الحنيف ويتهمون غيرهم بالمروق من الدين والزندقة لان غيرهم لم يكونوا على طريقتهم، وفيهم يقول الشاعر الافغاني :

شر المصائب في الدنيا باجمعها	بان يجامل بعض الناس بالكذب
وان يצוע بهم والقلب يلعنهم	من النفاق عقود الماس والذهب
واقبح الناس دجالون قد مردوا	على النفاق لأهل الجاه والرتب
بئست حياة رجال لا خلاق لهم	ينافقون بلا حق ولا ادب

امثال هذه الاوضاع الفاسدة هي التي تعرقل سير حركة النهضة الاصلاحية ولولا وجود رجال مخلصين حملوا لواء الكفاح لتحقيق هذه النهضة الاصلاحية لما استطاعوا اكتساح امثال تلك الفئة كما وصفهم الشاعر الافغاني. وبقوة وصلابة رجال النهضة تغلبوا على كل العراquil الداخلية والخارجية وانتصروا.

القومية والوطنية

لا يمكن الاستخفاف بالامر الواقع وهو انه بعد زوال دولة الخلافة عام ١٩٢٣ اتجهت الشعوب والامم التي تطالب بالاستقلال والحرية الى الدعوة الى القومية والوطنية، ونالت تلك الدعوة بشعاراتها الخلافة المزيد من تأييد الشعوب المستضعفة، ونالت هذه النغمة الحساسة تجاوبا خصوصاً من طليعة الشباب المتحمس والطلبة المتحفزين في كثير من البلدان الاسلامية في ذلك الوقت، وكان صداها يدوي في كل محل وتتجاوب ردود الفعل بقوة تبشر بالنجاح، اعقبها تأسيس الاحزاب السياسية باندفاع وحماس من القوميين والوطنين، حتى اننا لا نجد مجتمعا اسلاميا الا والاحزاب الوطنية هي البارزة، وصفحات الصحف مليئة باخبارها وكلها في ذمة التاريخ بل لا تزال الحركات القومية والوطنية هي البارزة الى يومنا هذا ابتداء من الحزب الوطني المصري بقيادة مصطفى كامل ومرورا بالاحزاب الوطنية في الاقاليم العربية والاسلامية الى الحزب الوطني الاندونيسي بقيادة الزعيم الراحل احمد سوكانو عام ١٩٢٨ الذي انضوى الشعب الاندونيسي تحت لوائه.

يقول بعض المؤرخين ان حركات القومية والدعوة الى الوطنية بعد الحرب العالمية الاولى كانت اقوى وابلغ من الدعوة الى الدين. فالحركات القومية والوطنية الجديدة طغت على كل المفاهيم الاخرى في العالم، وتطورت الاشتراكية بجميع مفاهيمها والشيوعية بكل اتجاهاتها الماركسية واللينينية بجانب الليبرالية والديمقراطية وغيرها وكلها لا يمكن لها التخلي عن الصبغة القومية والوطنية بل لا يمكن لها التحرر من الروح والطابع الوطنيين فالأحزاب الشيوعية في الصين او في يوغوسلافيا او في الهند او غيرها كلها مرتبطة بالقومية، وهذا دليل على ان القومية

غريزة في النفوس. فالشعور بالقومية والاعتزاز بالوطنية يحتلان المكان الاول في النفوس على رغم ان الشيوعية مثلاً تدعي انها عالمية الاتجاه لا تعترف بالقوميات ولا الوطنيات ولا الجنسيات ولا العنصريات، لانها نبتت على اساس فكرة عالمية في المبدأ والغاية، ولكن الواقع الحتمي الذي لا غبار عليه ان روح القومية والوطنية لدى الافراد تغلب على المبادئ والاتجاهات الاخرى، ولا غرابة ان نرى الخلافات مستعرة بين مفاهيم الاحزاب الشيوعية نفسها، فيوغوسلافيا والصين وغيرها تسير في اتجاه معاكس للاتحاد السوفييتي رائد الشيوعية. واساس الخلاف هو تمسك كل من الصين ويوغوسلافيا بقوميته ووطنيته وربما جر ذلك الى عداوة وقطيعة بل والى مناوشات وحروب كما حدث بين الصين وفيتنام الشمالية وبين روسيا والصين الشعبية على الرغم ان كلاً منها تدين بالشيوعية.

ولهذا نجد ان الدعوة الى الاسلام مهما نالت من القبول والتأييد، فان الصبغة القومية متغلبة على النفوس في مستوى الافراد او في مستوى الجماعات، فالاحزاب الاسلامية الموجودة لا تتحرك الا في نطاق محدود ومع ذلك تتقيد بالقومية، كالحزب الاسلامي الاندونيسي. ثم اننا لا نجد من الثلاثة والعشرين من الدول العربية من تسمت باسم الاسلام بل نجد الصبغة القومية هي المتغلبة، كجمهورية مصر العربية، والجمهورية العربية السورية، والمملكة العربية السعودية، والجمهورية اليمنية وقد تضيف بعض تلك الحكومات كلمة شعبية وديمقراطية كاليمن الجنوبي سابقاً والجزائر وليبيا وغيرها من الدول العربية البارزة ما عدا موريتانيا، ومهما قيل من ان دين الدولة هو الاسلام تبقى كلمة العربية هي البارزة. وهذا دليل ان الاقليميات قد تغلغلت في النفوس والمشاعر والاحساس، مع ان الاسلام دين واحد لا يعترف بفوارق العنصريات.

والمحاولات التي يحاولها رواد الاصلاح بجعل المسلمين جميعهم ينضون تحت راية واحدة ودولة واحدة، هي محاولات شاقة ولا نقول مستحيلة، خصوصاً بعد

انهيار دولة الخلافة وحلول القومية والوطنية محلها وزوالها وتبعثر المسلمين الى قوميات واقلميات شتى وذلك بسبب انهزام المسلمين امام الغزو الخارجي الجارف. وهذا بحث قد تداولته اقلام الكتاب والباحثين، ولو استرسلنا في هذا الموضوع لخرجنا مما نحن بصدده، ولكننا تعرضنا له لعلاقته بفكرة النهضة الاصلاحية.

النهضة الاقتصادية

لم يقتصر دور السيد ابن شهاب على الحقل العلمي والناحية السياسية فقط بل كان كفاحه ابعـد من ذلك. فدعـوته الى النهضة الاصلاحية شملت النواحي الاقتصادية والصناعية أيضاً. كانت دعـوته مبنية على اثارـة الوعي في افراد الامـة ليشعروا بالمسؤولية فكانت دعـوته قوية التأثير نافذة المفعول لذا فقد تكللت بالنجاح.

يقول السيد ابن شهاب: ان الاقتصاد جزء لا يتجزأ من حياة امة متحضرة، فالحضارة والمدنية والتقدم لا تتوقف على نوع واحد من الفنون والعلوم كالادب فقط، وانما حضارة أمة تشمل جميع نواحي حياتها ومتطلباتها، بما في ذلك من العلوم والهندسة والآداب والاقتصاد والاخلاق والطب والصناعة، والقوة العسكرية، والمدارس، والجامعات، والبحوث العلمية. الى غير ذلك.

الامة المتحضرة تدرك عن وعي وفهم وعلم معنى الحرية، حرية الفكر، وحرية العمل القائمة على الرغبة والاستعداد وأن لا يكره المرء على عمل لا يريده. والايـمان القوي البعيد عن التعصب والعقليـة المغلقة والافق الضيق هو الدافع الوحيد لثبات العقيدة والمبدأ.

يحث السيد ابن شهاب قومه على اعتماد الاعمال الحرة، مثل التجارة والصناعة والزراعة. كل امة تريد الحياة بمعانيها الحقيقية عليها أن تعوّل في المقام الاول على الاقتصاد.

كانت الحالة الاقتصادية كحالة التجارة والصناعة في اواخر القرن التاسع عشر لا ترضي كل غيور ممن يهـمه امر قومه. الوضع الاقتصادي والصناعي لا يزال على حاله القديمة واصبح يعاني التقهقر امام التقدم الصناعي الاوروبي. فكيف يمكن لامة ان

تطور اقتصادياتها وهي جامدة الفكر؟!

كان اغلب المسلمين مزارعين على الطريقة والاسلوب القديم وقليل منهم يمارسون التجارة وحالتهم الاجتماعية كما ورثوها من اجدادهم. صناعتهم لا تتعدى الصناعة التقليدية المحلية وهي محدودة. والقليل جداً هم ملاك عقارات واصحاب أراضٍ، ويطلق عليهم اليوم كلمة اقطاعيون. حصلوا عليها بالارث او كانوا حكاما استغلوا مناصبهم لاحتكار الاراضي وجعلوها لهم ولمصالحهم، او كانوا من شيوخ القبائل الذين لهم السيطرة والنفوذ ورثوها عن آباءهم. فالحياة الاجتماعية متأثرة بالحياة القبلية والعشائرية في كثير من بلدان المسلمين بينما سبقت اوربا المسلمين بعد الثورة الفرنسية وخطت خطوات سريعة على صعيد الثورة الصناعية، واصبحت اوربا تنتج والشعوب الاسلامية ليست اكثر من كونها شعوب مستهلكة فقط.

بالرغم من خصوبة تربة البلدان الاسلامية وغنى اراضيها بالمعادن لكنها لم ينتفع المسلمون منها لانها بقيت دفينه، فجاء الاستعمار الاوروبي واستخرج خيرات تلك الاراضي ولكنه احتكرها لنفسه. مرت سنوات عديدة والاستعمار يستخرج خيرات البلدان الاسلامية من معادن الفولاذ والحديد والرصاص والبترو، بينما الشعوب الاسلامية لا تتميز إلا بالفقر وعيش الفاقة، فالافراد فقراء المادة وفقراء العلم، واصبح الجهل يخيم عليهم. ولا تزال ثروات هائلة مدفونة تحت الارض الى اليوم، والناس يمشون عليها ويطؤونونها ولا يعلمون عنها شيئاً.

هذه الامور كانت من المواضيع المهمة التي تمر على ذاكرة السيد ابن شهاب وكان يهتم بها اهتماما كبيرا، فيحاور زملاءه واصحابه وتلامذته لحل هذه القضايا التي يراها مستعصية، ويجب حلها من الاساس باجتثاث عروقها الفاسدة كلياً. وكان السبب الرئيس فيها ان الجهل والفقر والمرض هي السائدة والمخيمة في المجتمع، فالأكثريّة الساحقة من الناس يعانون الفقر المدقع، وهم سكان الاكواخ الذين يرتدون الاسمال

البالية ولا يقدرّون على إرسال أولادهم إلى المدارس لطلب العلم، والمدارس في ذلك العهد كانت محدودة العدد، كما لا يستطيعون معالجة مرضاهم لدى الأطباء لأن أجور العلاج باهضة. ولكن هناك قلة قليلة أثرياء يعيشون مترفين ويسكنون القصور الفخمة، يأكلون أحسن الأطعمة في مجتمع غير متوازن. فقير لا يجد قوت يومه وغني يرمي مازاد من طعامه في المزابل وينثر الدنانير لملذاته.

يقول السيد ابن شهاب: لن تفلح أمة اقتصادية بآثارها وصناعاتها بدائية، وتجارتها ضعيفة. إن مقياس تقدم كل أمة بمستوى تقدم اقتصادياتها، والاقتصاد ركن الحياة الذي يرفع المجتمع إلى مستوى استقلالي رفيع، ويحفظ للإنسان كرامته، فإنه يجب أن يعيش مع أسرته حياة كريمة هائلة.

يولي السيد ابن شهاب اهتمامه بالشباب المثقف ويدعوهم لمعالجة الأمور الاقتصادية الضرورية للحياة للسير نحو حياة أفضل وإنجاح الكفاح ضد التخلف الاقتصادي، والاتجاه نحو الصناعة والتجارة والزراعة على أن يكون الاقتصاد أساساً بصفة عامة في حياتهم الكفاحية وأن يكونوا طموحين في أعمالهم الحرة. إن التحرك السياسي لا يجدي ولا يتم ما لم يكن التحرك الاقتصادي موازياً له، وبهذين التحركين تكون النهضة شاملة كاملة. إن الأمة المتخلفة اقتصادياً ستكون تابعة لدول أخرى متقدمة اقتصادياً. إذن يجب قبل كل شيء إنجاح الكفاح ضد التخلف الاقتصادي للوصول إلى المنهج المفضل اتبعه في الانتاج والتوزيع القائم على أساس علمي متين. لا يمكن لأمة تشد الحياة أن تصل إلى مستوى اقتصادي رفيع وقوي صالح للمجتمع ما لم تكن التنمية في مجال الصناعة والزراعة والتجارة ركناً متيناً وأساساً راسخاً قوياً، وتتمكن من تبوء المكان اللائق بها بين سائر الأمم المتحضرة والمتقدمة صناعياً. إن العمل السياسي الناجح هو الذي يعتمد على الاقتصاد.

لا يفضل السيد ابن شهاب اندفاع الشباب إلى الوظائف، ظاناً أنه لا أمل له إلا في

الحياة الوظيفية فقط. فهذا يكون قد باع حريته واصبح يتعلق بغيره. على الشباب ان يندفع الى حب الاعمال الحرة في جميع المجالات ومرافق الحياة التجارية والصناعية والزراعية وان كانت في اول خطوات العمل وليس في هذه الاعمال شيء مستهجن وإن صغر فالصناعة والتجارة والزراعة الواسعة الكبيرة انها تبدأ من شيء بسيط مصحوب بالصدق والوفاء وحسن الخلق لكسب ثقة المعاملة.

نجح السيد ابن شهاب في مشروعه هذا في توعية الشباب للاتجاه نحو الاعمال الحرة، وكان ذلك ضمن نهضته الاقتصادية العامة وانخرط الكثير من الشباب في المعاهد المهنية والصناعية والحرفية، وتدريبوا ونجحوا وشقوا طريقهم للاعمال الحرة واصبحوا فيما بعد من كبار رجال الصناعة واسسوا شركات مساهمة كبيرة في التجارة العامة واقاموا مصانع كبيرة للحديد والنسيج والاحذية وغيرها.

هذا النجاح الذي احرزته الامة هو نتيجة حث وتوجيه السيد ابن شهاب لامته وخصوصا الشباب منها وترغيبهم لممارسة العمل الحر وكان في دعوته دائما يضرب لهم الامثال بالناجحين في الواقع التاريخي مستدلا بحوادث ووقائع عالمية كثيرة في الغرب والشرق كل ذلك للترغيب في الاعمال الحرة.

قد يكون صاحب مهنة مغمورا مجهولا لا زبائن له إلا ما قل ونذر، ولكن عندما نبحث عن أسباب تأخر عمله وندرس القضية، نجد نقاط الضعف تكمن في نفسه وروحه. فقد يكون السبب هو عدم عنايته بعمله وتهاونه واستهتاره بحقوق زبونه، أو انه لا يفي بما يعد فاساء الى عمله وفقد زبونه وخسر، ولم يثق به احد. اما الزبون فامامه طرق اخرى الى اصحاب آخرين للمهنة نفسها يسد بها موضع حاجته. والزبون المرتاح هو اكبر داعية.

هناك اصحاب مهن نجحوا في اعمالهم وبلغوا القمة ذلك لانهم اصحاب همم عالية يشعرون بالمسؤولية، يؤدون الامانة ويصدقون في مواعيدهم فنالوا ثقة

الجمهور. وهكذا نجح الكثير في المهاجر الشرقية في اعمالهم التجارية وأسسوا مصانع هائلة للنسيج وصناعة الاحذية والملابس الجاهزة بآلات حديثة لا للاستهلاك المحلي فحسب ولكن للتصدير وتسويق المنتجات في الاسواق العالمية.

النجاح والفشل في الاعمال يعود الى مدى مستوى المسؤولية والشعور بالوعي والطموح والروح الكبيرة. وآثر الناجحون منهم توسعة اعمالهم اعماله بالتخطي الى بلدان اخرى طلبا للمزيد من الكسب واصبحوا من كبار رجال الاقتصاد والصناعة في المهجر الشرقي وبذلك ازدهرت التجارة والصناعة.

هؤلاء هم الذين ساروا على نهج الخطة الاقتصادية التي وضعها السيد ابن شهاب، فاسسوا شركات صناعية وتجارية وزراعية. تولت هذه الشركات بناء العمارات التجارية والسكنية وفنادق فخمة ومطابع ودور للنشر تصدر الكتب والجرائد والمجلات باللغة العربية والاندونيسية، ومصانع للنسيج تنافس المصانع العالمية، حتى ان الوفد التجاري المصري عندما زار احدى تلك المصانع قال: انها تضاهي مصانع «المحلة الكبرى للنسيج» بمصر. اما المزارع فكانت تغطي مساحات واسعة من الأراضي وهي معدة لزراعة الشاي والقهوة والتبغ والقرنفل وتصدر حاصلاتها الى اوروبا وأميركا وبعضها منها الى الشرق الاوسط، وكانت هناك شركة ملاحه، وشركات تجارية للاستيراد والتصدير.

وكانت الشركات الاوروبية تحميها دولة الاستعمار، وتقدم لها كل التسهيلات وترعى مصالحها والدفاع عنها حفاظا على بقاء مراكزها الاقتصادية، فأن بقاءها يعتبر دعما لكيان الاستعمار، وكان الصراع والمنافسة قويين بين قوم لا دولة لهم وبين امة تحميها دولة.

وبنجاح المشروع الاقتصادي نجحت المشاريع الاخرى، وان كانت لم تبلغ المستوى المطلوب في ذلك الوقت.

كان لنداء السيد ابن شهاب صدى كبير في الاوساط المثقفة فقد تضاعف الاهتمام لدى المثقفين في بالمسائل الاقتصادية، فكانت النهضة الاقتصادية التي سار الكثير فيها على هذا النهج القويم فاصبحوا رواداً ومصلحين.

تمتاز هذه النهضة الاصلاحية من الناحية الاقتصادية بظاهرة حسنة، وهي اقبال الشباب لارتداد الاعمال الزراعية والصناعية الحرة وعدم الاكتفاء او الارتباط بالتوظيف فقط.

فالامة التي تنشد الفلاح في حياتها وتريد تبوؤ المكان اللائق المحترم لها يجب ان تعتمد على نفسها اقتصاديا، وأن تكون حرة في تصرفاتها واعمالها وفي تنفيذ مشاريعها الانمائية بدون ارتباط خارجي إلا على اساس التكافؤ والمساواة في المصالح المشتركة. ولا يمكن لاية جهة من الجهات الاخرى استغلال خيرات الامة لصالحها فقط.

لم يكن النجاح في النهضة الاقتصادية نجاحا ساحقا وانما كان يسيراً في اول مراحله.

يقول السيد ابن شهاب: ان الامة المتفرجة على البضائع المستوردة في واجهات المعارض هي امة استهلاكية ولكن الامة الحية هي التي تلبس مما تصنع. ويقول أيضاً: ان الامة القوية هي الامة المتفوقة اقتصاديا، صناعة وتجارة، تحكم نفسها بنفسها ولا يتحكم بها غيرها من الامم. الامة الضعيفة اقتصادياً تكون ضعيفة في تجارتها متأخرة في صناعتها، فهي دائماً وابدا متعلقة بغيرها وفي حاجة ماسة الى سواها.

لم يكن المسلمون يملكون في ذلك الوقت مصانع بالمعنى المفهوم كالمصانع المتطورة الموجودة في اوروبا وأميركا واليابان. فان اقيم مصنع في احدى بلاد المسلمين فهو ملك لغيرهم وليس لهم شأن فيه، سوى ان المصنع أقيم في بلده تحت

حماية الاستعمار. بلدان أوروبا وأميركا واليابان تنتج وبلدان المسلمين بمثابة اسواق لمنتجات تلك البلدان.

جاء الاستعمار غازيا بدافع اقتصادي، فاحتكر خيرات البلاد، ولم يكن غزوه ارتجاليا، ولكن كان مبنياً على دراسة وتخطيط.

لاح نجاح مشروع السيد ابن شهاب في اول مسيرته ولكن هذا النجاح لم يدم طويلاً فقد ارتطم العالم بحرب عالمية ضارية تعرض فيها الاقتصاد الحر للانهيـار، اذ صودرت الممتلكات واممت التجارة فانقلبت الموازين.

وبعد هذه النظرة السريعة، نجد ان السيد ابن شهاب يرى ان الامة الاسلامية تعيش متخلفة اقتصاديا ومنهارة، عاجزة عن التحرك لتطویر حالتها الاقتصادية الى مجتمع اقتصادي أفضل، لعجزها الناجم من عدة اسباب رئيسة، فهي ترى العراقيل الواهية امامها وكأنها عقبات كأداء لا يمكن تخطيها فاستسلمت ورضيت بحالتها.

يقول السيد ابن شهاب: ان الخطأ ناجم من الجهل الذي جر الى حب الانزواء والخشية، فوقعت الامة في تخلف اقتصادي مريع. والحل الاول والوحيد هو التسليـح بالعلم حتى يتمكن المرء من التحرك الحر على علم في إطار اقتصادي سليم وبذلك تحل مشاكل التخلف الاقتصادي الذي يعانيه المسلمون.

وهكذا شمر السيد ابن شهاب عن ساعد الجد ودشن حركة نهضته اصلاحية اقتصادية واجتماعيا وسياسياً، ووضع المنهج الاصلاحى السليم للحاق بركب الامم المتقدمة اقتصاديا، وهي شعوب أوروبا، وعليه يجب التخلص التام من روح الانزواء والخوف والتبعية، وازالة كل ما علق بالاذهان من فكرة خاطئة بان هذه الدنيا خلقت للكافر وان للمسلم الآخرة.

يرى السيد ابن شهاب ان المسلم يجب عليه ان يكون عالما مثقفا حراً قادراً على استثمار مواد بلاده الاولى، مستحوذاً على اقتصادها الكامل، ساعياً للتخلص التام

من سيطرة الاقتصاد الاجنبي بنوعيه الرأسمالي والاشتراكي وعدم التقيد كلياً بهذين النظامين مما يمكنه من الاتجاه إلى اقتصاد اسلامي سليم. ومتى استطاع المسلمون ان يطبقوا هذه النظرية الاسلامية، فانهم يقدرّون على استيعاب القوة الكامنة لديهم، لتكوين شخصيتهم الاسلامية امام تلك القوى الأخرى. وبذلك يحفظ المسلمون كيانهم الاقتصادي السليم، لان كلا الاقتصادين الرأسمالي والاشتراكي اقتصاد استعماري يصطدم مع النظم والمتطلبات الاقتصادية الاسلامية، واقتصاديات الامم المتخلفة والمحتلة والمستعمرة. فالاقتصاد الاستعماري من رأسمالي او اشتراكي يفرض الاحتكار للقوى الاقتصادية الاستعمارية لذا فالمسلمون في هذا الواقع الاليم يواجهون معركة ضارية ضد الاستعمار الاقتصادي في سبيل حصولهم على لقمة العيش.

وهكذا فان نظام الاقتصاد سواء كان رأسمالياً أو اشتراكياً هو نظام ريادة للاستعمار اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، حتى ان بعض المسلمين من ضعاف النفوس يشعر بانه ليس بالامكان للشعوب المتخلفة بصفة عامة والمسلمين بصفة خاصة منافسة الاقتصاد الغربي او اللحاق به فهو الذي قد بلغ اوج النجاح.

هذه نظرية خاطئة من اساسها، فالامة اليابانية استطاعت ان تكون لنفسها شخصية عالمية محترمة تبوّأت بها مستوى عالياً اقتصاديا وصناعيا وسياسيا، وما حادثة ١٩٠٥ بعيدة إذ استطاعت ان تدحر قوة اوربية كبيرة^(١) واصبح لليابان كيان عالمي مرموق وشخصية محترمة.

إن نقطة الانطلاق الوحيدة لتطوير اوضاع الاقتصاد الاسلامي، هي قبل كل شيء تطوير التفكير لدى الشعوب الاسلامية، ولا يكون ذلك إلا بمحو الامية والارتشاف من مناهل العلم حتى تتفتح الازهان فتوجد في عقلية المسلمين روح فياضة ونفسية

(١) اما الآن فلليابان شأن اكبر، تنافس دول اوربا العظمى باجمعها وهي فريدة والكل يخشاها.

مجاهدة على اساس علمي متين سليم، وأن يسلك المسلمون منهجا قويا يمكنهم من القفز في فترة قصيرة وباستخدام القدرات العلمية لديهم والوصول الى ارفع المستويات الاقتصادية العالمية بصورة سريعة منتظمة. ولا ريب ان المسلمين سيلاقون محاربة اقتصادية شرسة من الجهة المعادية ويتوقف نجاح المسلمين في هذا الصراع الاقتصادي على مدى قدرتهم الدفاعية وقوتهم في مجابهة العدو وجلادتهم امام تلك القوى التي تستنزف كل طاقات المسلمين الاقتصادية والمالية لترديهم في حضيض الخسران والوبال ويعود المسلمون الى خط التخلف الاقتصادي يعانون المتاعب والمشاكل الكثيرة العويصة. صراع من اجل البقاء. هذا شأن الانسان الحي الذي يريد الحياة الأفضل. ولن ينجح الانسان او يحق له أن ينتظر النجاح وهو مكتوف اليدين، ضعيف الروح منزوٍ يجهل كل شيء.

الحياة جهاد، والجهاد علامة الحياة وهو مر ومرير. ولن يحصل النصر إلا بالجهاد والصبر والتضحية والجلادة امام كل القوى المعادية وعلى جميع المستويات ثم تطبيقه ليكون ركنا وحصنا قويا منيعا لانجاح الاقتصاد المنشود ورفع مستواه من وضعه الوضيع الاليم، وذلك في اطار اقتصادي اسلامي صحيح يقوم على اساس ايمان المرء بعقيدته الاسلامية الصحيحة وصلته بالله تعالى، وانه هو وحده الرحمن الرحيم لمن اطاعه.

الامة المتأخرة اقتصاديا هي التي لا تملك زمام ثروتها الطبيعية من المعادن والزراعة، ولا تملك المصانع فهي امة متخلفة اقتصاديا وصناعيا، اذ تسيطر عليها القوى الرأسمالية. فهذه الامة وإن كانت في ظاهرها مستقلة لكنها في حقيقة امرها مستعمرة، متخلفة اقتصاديا، مكبلة بالقيود التي لا ترى. ولا تزيد هذه الامة في واقعها عن قطع الشطرنج على اللوحة حيث يضعها القوي وينقلها ويفعل بها كيفما شاء تبعا لمصالحه.

واخيرا نصل الى نتيجة أن العلم والادراك والفهم كفيل بجعل الانسان المسلم يشعر بواجبه ومسؤوليته التي القاها الله عليه. فهو مسؤول امام ربه، ماذا قدم في حياته لصالح امته التي هو احد افرادها وجزء لا يتجزأ منها؟

ان هذه المسؤولية التي يشعر بها هي التي تجعله يؤدي واجبه نحو مجتمعه وامته متجردا عن الانانية وحب الذات مؤثراً لغيره على نفسه، وللصالح العام قبل مصالح نفسه الذاتية.

ان هذه هي الاخلاقية الحققة التي يجب ان يتحلى بها كل فرد مسلم في هذه الأرض تأدية لرسالة الاسلام طول حياته حتى يفارق هذا العالم. وهل نجد الآن ولو جزءاً طفيفاً من هذه الاخلاقية لدى الانسان المسلم اليوم؟ سؤال يحتاج الى اكثر من جواب.

منهجه

لم يسلك السيد ابن شهاب في منهجه العملي والتفكيري الطرق التي يسلكها الزعماء والقادة السياسيون المحترفون او الذين يفرضون رأيهم بالقوة على الغير او كما يفعل بعض رجال الدين ممن لهم مآرب بالالتجاء الى التخويف والوعد والوعيد بعذاب السعير وسقره باصدار شتى الفتاوى التي لا يمكن الحياد عنها ولا مخالفتها والتي تقوم بتخدير العقول بالخوف والويلات والرغبة، حتى يكون المخدر منقادا كالسوام الصماء، منهار الشخصية فاقد الاحساس.

هذه الاوضاع الفاسدة هي التي غلّت الافكار وجمدت العقول. ومن هذا المنطلق اندفع السيد ابن شهاب وقام بدعوته الى النهضة الاصلاحية، لاصلاح الاوضاع الفاسدة وتقويم المعوج وتنوير ما فسد من الافكار المسمومة وتهذيب الشعب وتقويم وانقاذ الشباب لئلا يقع في الهاوية لتكوين مجتمع متعلم متنور واع يشعر بالمسؤولية فلا يتعدى احد على احد ولا يتلاعب الناس بالدين ولا كل من جاء يصدر الفتوى الا من كملت فيه الشروط مع الورع والتقوى بأن يقول الحق ويحارب الباطل.

يقول السيد ابن شهاب: ان باب الاجتهاد مفتوح لمن كملت فيه الشروط وهو أن يكون كفوءاً مع التمسك بالمبادئ الاخلاقية السامية ولا يعمل الا لمصلحة الامة. لا يتسورن احد الى مركز ليس هو من اهله فلا يدعي أحد انه طبيب أو حقوقي إلا من كان حائزاً لشهادة الطب أو الحقوق. ولكن في الدين اختلط الحابل بالنابل وهذا هو سبب الفساد الاجتماعي في الامة.

ان كم الافواه ومحاربة الحق أمر معروف من العصور القديمة اذ لا يبقى الحكم الا بالاستبداد والجور، فالطغيان والاستبداد بموجب عرفهم وسيلة لابقاء حكمهم

والمحافظة عليه، فالاستبداد هو المسيطر على الاتجاهات الفكرية الحرة والمحارب لها.

والطغيان يورث الانفجار، ولذا نجد أن الثورات تحدث اثر الظلم والطغيان وقد تتطور الى سفك الدماء والى حروب طاحنة، وما اكبر امثال تلك الحوادث مما ملأ كتب التاريخ. وما اكثر من اهتموا بدراسة تلك الحوادث التاريخية وتحقيقتها من مصادرها الاصيلة السليمة.

ونرى ان السيد ابن شهاب في خطواته واعماله لم يكن مرتجلاً أو متسرعاً أو عاطفياً ولكنه كان يعمل بروية وبعد تفكير عميق معتمدا على الدراسات ولا يستغني عن مبادلة وجهات نظره مع زملائه ومن كان معه في الامور، فالكل يشاركونه في الأعمال شاعرين بالمسؤولية نحو المجتمع مع عدم الاستهانة حتى بصغائر الامور، فان صغائر الامور قد تجر الى مشاكل مستعصية، وفي هذا المعنى يقول السيد ابن شهاب: وإن النار أولها وميض ويقفوها التهاب واشتعال فهو يفكر دائماً في كيفية درء الشر قبل استفحاله، لان بالاهمال تقع الطامة. فالظالم والطاغي والجائر كانوا في البدء اطفالا شأنهم شأن غيرهم، ولكن سوء التربية ومن ثم كان تربيعهم على المناصب الحساسة وتقلدهم مقاليد الامور بدون حد ولا رقابة جاراً الى السيطرة المطلقة ثم الى الاستبداد.

فالمنهج الاصلاحى الذي وضعه السيد ابن شهاب في استراتيجية النهضة الاصلاحية كان مبنياً على اساس متين وراسخ مبتدئاً فيه بالتربية والتعليم لاختيار الكوادر الصالحة، ولا عجب أذ نجح في اعماله في جميع مراحلها، ولذلك عرفت خطواته بالمدرسة الفكرية.

عندما وصل السيد ابن شهاب الى المهاجر الشرقية لم يجد فيها معاهد عالية فضلاً عن جامعات بالمعنى المعروف في العالم او على الاقل ما يساوي جامعة الازهر

بمصر والزيوتنة بتونس والجامعات الدينية بالمغرب والحوزات العلمية بالنجف وايران او بعض الاربطة الدينية في البدان الاخرى، وانما توجد كتاتيب بسيطة لصغار الاطفال، فأثارت هذه الاوضاع روح السيد ابن شهاب ومن هذا الاساس انطلق في دعوته الاصلاحية مبتدئاً بالتعليم العام وتطوير اساليبه مواكباً للتقدم وامتشياً مع متطلبات الزمن المتجددة، التقدم وذلك بتأسيس معاهد عالية ثم جامعات تضم كليات الطب والهندسة والعلوم وغيرها مع ابقاء الحوزات الدينية العالية وتطويرها تطويراً لتكون في مستوى لائق للمركز الديني.

كان السيد ابن شهاب يعلم حقاً ان المسألة عويصة وليس من السهل ان يقوم منفرداً بحلها، وهو يعلم ان امثال تلك الاعمال لا تقوم بها الا الدول، وليس في زمنه دولة اسلامية إلا دولة الخلافة، وما سواها سلطنات هزيلة ضعيفة واقعة تحت حكم الاستعمار الغربي والشرقي، وحتى دولة الخلافة تعاني ما تعاني من ضغوط دول اوروبا. وامام تلك الاوضاع التي لا يمكن السكوت عنها، لابد من تحقيق الهدف بانتشال تلك المجتمعات المتخلفة من الحضيض ورفعها الى مستوى الامم المتحضرة، ويحتاج هذا المشروع الى مجهود عظيم قد يدوم عدة سنوات. فالعلم والوعي هو الاساس الوحيد لتبوؤ المكانة الحضارية العليا بين شعوب العالم المتحضر وبالعلم وحده يرتفع قدر الامم والشعوب الى القمم، ويستحيل على امة أن تنال الحياة بدون علم.

يقول السيد محمد احمد الشاطري احد رجال العلم الافذاذ حول هذا الموضوع: ان السيد ابن شهاب في الناحية العلمية كان يقوم بدور فعال في التوعية وفهم الاسلام وتعاليمه على الوجه الصحيح، فكان يعارض الممجدين للملوك من بني امية وبني العباس المعروفين بالاقطاع والاستغلال، والمناهضين للدعاة الى الثورة الاجتماعية الاسلامية الصحيحة من ائمة اهل البيت عليهم السلام، فهو مثلاً يشجب الاعمال المادية التي

يقوم بها معاوية بن ابي سفيان وشركاؤه من توريث الملك والسلطة، ومن تصرفاته الخاطئة ضد الامام علي بن ابي طالب^(١).

ويستطرد السيد الشاطري قائلاً: انه يوجد في ديوان السيد ابن شهاب قصائد ومقاطع عديدة يعالج بها النعرات والامراض الطائفية الاجتماعية. واليوم ونحن على أبواب القرن الحادي والعشرين الميلادي، ماذا عن احوال المسلمين واوضاعهم؟ نرى امما متفرقة وشعبا متمزقة ودولا شتى متجزئة الى ٤٢ دولة بين جمهورية وملكية متوارثة وامارات وسلطنات هزيلة غير مستقرة في مهب الريح تتجاذبها الدول الكبرى صاحبة السلطة المطلقة والصولة النافذة بين شرقية وغربية.

هذا هو وضع المسلمين اليوم، اما وضع العرب فأمر وادهى، ان مجموع عدد العرب من الخليج الى المحيط يتجاوز المائة والستين مليوناً بموجب الاحصاء التقريبي كما نشرته الصحف العربية. والعرب ممزقون الى ٢٣ دولة بين دول تدّين بالاشتراكية، والبعثية، والماركسية والرأسمالية وكلها اما تسيطر عليها القوى الشرقية او الغربية، والحكام يتبعون اهواءهم وما تقتضيه مصالحهم الذاتية، ولذا حدثت بينهم صراعات وتناحرات بحيث اصبحت حالتهم تمثل اسوأ الاحوال للقرون المظلمة حيث تستعبد الشعوب وتكم الافواه.

يتساءل المتنورون المتحمسون الذين عاشوا تلك الاوضاع المأسوية وأضنتهم الفوضى والطغيان، هل من رجاء للبر والصلاح؟

يقول الاستاذ خالد محمد خالد في الصفحة ١٨٦ من كتابه (من هنا نبداً) ما يلي:
(الحقيقة ان الحكومة الدينية اليوم وان ظفرت بهذه التسمية التي توهم ان لها صلة بالدين، لا تستلهم مبادئها وسلوكها من كتاب الله ولا من سنة رسوله، بل من نفسية

(١) ادوار تاريخ حضرموت للاستاذ السيد محمد احمد الشاطري / ص ٢٤١.

الحاكمين واطماعهم ومنافعهم الذاتية ومن تلك الغرائز التي تصدر عنها في كل اتجاهاتها).

ثم يقول في صفحة ١٨٨: (فزعمها انها ظل الله في الارض وهو الامر الذي تستمد منه قوتها لا يلبث ان يتكشف زيفه وبهتانها، حين يكتوي الناس ببيغها ويلفحهم هجيرها فتفقد ثقتهم ويتضاءل احترامها في نفوسهم).

يقصد الاستاذ خالد محمد خالد بقوله ذلك بعض الدول العربية الموجودة الآن منذ زوال الخلافة عام ١٩٢٤، وهذه الدول التي تدعي انها دول اسلامية ودستورها القرآن هي من اساسها تخالف الاسلام اقلها وعموديا وتمارس الاستبداد المطلق وتتوارث الحكم مدعية انها حامية الاسلام.

سبق لنا ان قلنا قبل هذا ان السيد ابن شهاب في منهجه للنهضة اصلاحية لا لا يؤمن بالثورة المسلحة وارقة الدماء وهدر الارواح في اي عمل من الاعمال للوصول الى الهدف، ولكنه يؤمن بمنهجه ان النجاح والفوز لا يحصل الا بنشر العلم وبث الوعي بين الافراد باسلوب التطوير التدريجي، لان الثورة المسلحة وارقة الدماء، وتلك الخطوات من الاعمال العنيفة مما يثير الاحقاد ثم يجر الى الظلم، فيفقد الهدف، في الوقت الذي يحتاج الناس الى صون تلك الدماء.

المنهج الذي اتخذه السيد ابن شهاب كان نتيجة دراسة وتحقيق من جميع الجوانب وبحث ما ينتجه ذلك من آثار. وتلك الخطوات استطاع ان يكشف ما خفي من الامراض الاجتماعية، ووضع لمنهجه العملي الاساليب والطرق الكفيلة بالنجاح والتي يجب اتباعها والسير عليها.

يقول السيد عبد الله المدحج احد العلماء المحققين المقيم في حيدرآباد: «ان الملامح البارزة في شخصية السيد ابن شهاب، الاخلاص والتضحية وتتجسد هذه الصفات النبيلة في روحه واضحة جلية. لقد اثبت التاريخ ان من كان في صف السيد ابن

شهاب هو مع الحق والحق معه، ومن كان في غير صف السيد ابن شهاب بطبيعة الوضع والحال اما ان يكون من الحاقدين عليه او عميلا من العملاء لجهات معروفة ليكفل مصالح المستعمر. ونشهد ان الظروف التي مرت على السيد ابن شهاب كانت ظروف قاسية ولكنه استطاع التغلب عليها وهي التي جعلته شخصية عظيمة بارزة عملاقة لا يوازيه احد في عهده».

بذل السيد ابن شهاب جهودا جبارة لتطبيق المنهج الذي وضعه لانهاء الاساطير المستحكمة في عقول الشعب المغلوب على امره من سطوة المستبدين والظلمة والطغاة. فلم يترك مجتمعا موبوءاً بالفساد الا اتصل به، ولا جائرا الا نصحه ولا حاكما مستبدا او ظالما الا وعظه بأسلوب حكيم وقول حسن، فاستطاع ان يردع الكثير منهم الى الصراط السوي والى الاعمال الخيرية بدون اراقة دماء ولا التجاء الى القسوة فقدروه وشكروه وأجلوه. ولو هذا غيره حذوه لكفيت الشعوب تلك الثورات والدماء المراقبة.

عندما نراجع صفحات تاريخ السيد ابن شهاب يتبين لنا المنهج القويم الذي سلكه في حياته وجهاده لتحقيق الاهداف السامية، وتترأى لنا الشخصية الفذة التي تنهاوى امامها كل القوى المعارضة، ذلك لان منهجه العملي كان مبنياً على اساس متين، ومعه خيرة من الشباب المثقف المتنور الذي هو عماد الحركة. ولا غرابة اذا تهاوى العملاء الواحد تلو الآخر امام هذه الجبهة الفولاذية.

ان المشكلة الاجتماعية انما تكمن في العقول المتحجرة والاتباع الذين يتبعون طريقة الببغاء تقليدا ولا يعرفون شيئا الا ترديد قول من سبقهم، فهو مقلد اعمى وبدون فكر ولا روية وعقل، لانه ببغاء. وازاء هذه المشكلة كان لابد للمنهج الذي وضعه السيد ابن شهاب اولا من اذابة تلك الاحجار الصلدة من تلك العقول، لتستطيع ان تقبل الحق ودعوة الحق على بصيرة وعلم ودراية، وبذلك تتوسع الافكار إلى مجال النظر والبحث.

فالجُمود الفكري لا يضر بالفرد صاحب العقل المتحجر ولكن يضر بالمجتمع، مما يجعل الأمة لقمة سائغة للغزو الاستعماري واداة يستغلها المستعمر لمصلحته.

فالمنهج الذي وضعه السيد ابن شهاب يستوعب جميع مراحل النهضة الاصلاحية والمستويات السياسية والاقتصادية والتربوية والتعليمية وهذا المنهج لا يمكن ان يكون منهجاً صامتاً، ولكن يجب ان يطبقه عمل متواصل وكفاح مستمر بدون يأس ولا ملل.

والسيد ابن شهاب في جميع اعماله كان متأسياً بمن سبقه من عظماء الرجال بايمان قوي وصبر عظيم، والمنهج الذي سلكه وسار عليه متوقف على امرين :
الاول: تنوير العقول المتحجرة.

الثاني: التحرر الفكري من التبعية.
هذا هو المنهج الاول الذي يربط ربطاً وثيقاً بين الفكرة والعمل والذي بنيت عليه حركة النهضة الاصلاحية.
والحياة كما يقول الشاعر احمد شوقي، مبدأ وعقيدة وجهاد للوصول للهدف والغاية.

فكل انسان بدون عقيدة ولا مبدأ ولا هدف له في حياته هو امرؤ اشل في هذه الدنيا. وصاحب المبدأ والعقيدة هو الانسان الحي الذي يكافح ويستमित لمبدئه وعقيدته للوصول الى هدفه المنشود. والحياة صراع وكفاح بجميع انواعه ومتطلباته، وصاحب العقيدة والمبدأ هو الذي يشعر بالمسؤولية في هذه الحياة. فكل من التاجر والفلاح وطالب العلم ان لم يكن له مبدأ وهدف في حياته فهو الفاشل الحقيقي.
والمصلحون يجاهدون ويكافحون لانفسهم او لمصلحتهم الذاتية ولكن للامة وللشعب وللصالح العام.

يقول الشيخ صالح بن سند الكثيري احد زعماء عشيرة آل كثير، في مناسبات

كثيرة عندما يذكر السيد ابن شهاب:

ان السيد ابن شهاب مصلح عظيم وزعيم عملاق، حارب الباطل فأزاله، فحطم
الاصنام البشرية ورفع مستوى الشعب المستضعف الى مستوى رفيع ونصر المظلوم
وقاوم الظالم ونشر العلم بين الشعوب، فلا غرابة ان ينهال الناس نحوه يلبون نداءه.

الصحف والصحافة في نظر السيد ابن شهاب

الصحف والصحافة في نظر السيد ابن شهاب هي اعظم وسيلة يجب اتخاذها في جميع الاعمال وبالاخص في سبيل الدعوة للنهضة الاصلاحية، ولا تختلف نظريته في الصحافة والصحف عن نظريات عظماء الرجال، كما يصفون الصحافة بانها القوة الرابعة، والسلطة غير المتوجة.

ولكن السيد ابن شهاب يشترط في الصحافة ان تكون حرة ولا تكون تحت سيطرة حاكم أو تأثير سلطان أو متزلفة، شأنها في هذا شأن المحدثين في العصور الماضية.

كان السيد ابن شهاب ممن يهتم بالصحف والصحافة، وكان يوجه توجيهاته إلى زملائه لشق الطريق واصدار الصحف، ففي عهده صدرت صحف ومجلات من سنغافورا وفينانخ (فلفلان) وجاكرتا وسورابايا وفكالوغن.

يقول السيد ابن شهاب: ان الصحفي يجب ان يكون ذا مبدأ وعقيدة راسخة يستमित في الدفاع عنها وعن الحق وتوعية الشعب والدفاع عن المستضعفين لا العكس وأن لا يكون بوقا لحاكم أو سلطان أو ارباب المصالح.

الصحفي والكاتب والداعي والزعيم كلهم في مستوى واحد على ان يكونوا نزهاء يدافعون عن الحق لانه حق ويحاربون الباطل لانه باطل.

إذا راجعنا صحف المهجر الشرقي منذ حين بروزها في عهد السيد ابن شهاب ثم بعد وفاته إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية نجدها في مستوى رفيع، وتلك الصحف المتخصصة في السياسة أو الاجتماع أو الاقتصاد أو الادب أو غيرها تتميز بابحاثها ومعالجتها للامور السياسية أو الاجتماعية أو الادبية. فجريدة الاقبال وحضر موت مثلاً

وهي من ارقى الجرائد في المهجر الشرقي واوسعها انتشاراً تضاهاى الجرائد المصرية ومثلها مجلة السلام والعرب وصوت حضرموت والنهضة الحضرية والامام والرابطة وغيرها من المجلات الادبية لا تقل عن ارقى المجلات التي تصدر من مصر والشام بحثاً وتحريراً واخراجاً وتبويماً وطباعة، ولا تزال هذه الصحف محفوظة بأيدي بعض الافراد. كما ان هناك مجلات فكاهية وانتقادية حرة مثل مجلة المكوى ومجلة برهوت ومجلة الترجمان وغيرها.

والصحفيون في المهجر الشرقي في ذلك الحين من الاحرار الذين لا يتقيدون بشيء إلا النزاهة، فهم احرار لا ينتمون إلى اية جهة من الجهات وغير متأثرين بشيء فلا تسيّرهم سلطة أو هيئة.

يقول السيد ابن شهاب: ان العدالة هي الحرية، وان الحرية هي العدالة، وحدة لا تنجزاً. فكيف يمكن لحاكم ان يحكم بالعدل ان لم يكن حراً وكان مقيداً لجهة من الجهات أو تحت سيطرة حاكم أو قوة نفوذ هيئة من الهيئات أو متأثراً بشيء؟ فهو في هذه الحالة لا يستطيع ان يحكم بالعدل. فالامام علي عليه السلام يقول: لا تكن عبداً لغيرك وقد جعلك الله حراً.

ان المستبد وارباب المصالح يكرهون الحرية ويحاربونها، وكل من يحارب الحرية فهو طاغ.

من هذه الامور تتجلى واضحة فكرة السيد ابن شهاب ومدى محاربته للاستبداد والطغيان من جميع جوانبه بلا هوادة.

مواقفه السياسية

السيد ابن شهاب من الذين لا يرون للقومية والوطنية مكانا في الاسلام، لان الاسلام هو العقيدة الوحيدة والمبدأ والهدف الذي يجمع المسلمين في بوتقة واحدة. فشمّر عن ساعد الجد ورفع مشعل الدعوة للوحدة الاسلامية متشبثا بالخلافة الاسلامية رمز وحدة المسلمين، ففي نظره مهما تكن وضعية الخلافة الاسلامية، فان المحافظة على وجودها وبقائها واجبة. ووجودها كفيل بإثارة حمية الوحدة الاسلامية، وهي الرابطة التي تربط المسلمين من خلال الانضواء تحت لوائها. وبدون وجود كيان الخلافة الاسلامية سيتفرق المسلمون شذرا نحو قوميات مستوردة وعنصرية مختلفة متفرقة كاشلاء متناثرة وحينئذ يسهل على الاعداء استعبادهم لانهم فقدوا قوتهم المعنوية فانحلت كل الروابط التي تربطهم بالسند الاعظم الذي يأوون تحت ظله. ومن هذا المنطلق كان السيد ابن شهاب يدافع عن الخلافة ويرى وجوب المحافظة عليها وتأبيدها تأبيدا كاملاً ومقاومة كل التيارات الفكرية من مكر الاعداء التي تحاول فصل الدين عن الدولة. ولتحقيق فكرته التي يدعو اليها ويؤمن بها، دعا المسلمين اليها فجاب البلدان الاسلامية متنقلاً بين مدنها وقراها للاتصال بزعماء الامة وعلمائها للتفاهم معهم وللمحافظة على الجبهة الاسلامية الموحدة وسد طرق تلك التيارات الجديدة الوافدة الهدامة ومقاومة فكرة القومية وشعار الوطن للجميع والدين لله لتكون الدولة علمانية ومعنى ذلك القضاء على كيان الوحدة الاسلامية وازالة الخلافة من الوجود. ومسألة تدمير الخلافة امر متفق عليه، ولو لزم استخدام القوة لتحقيق هذا الهدف^(١).

(١) تحققت امنية الاعداء وازيلت الخلافة وتشتت المسلمون إلى ٤٢ دولة بينها ٢٣ دولة عربية علمانية وان ادعى بعضها الاسلام فالقوانين المطبقة فيها قوانين وضعية علمانية تبعاً لمصالح الحكام قبل مصالح الدولة أو مصالح الشعب،

نجح السيد ابن شهاب في دعوته للدفاع عن الخلافة في فترة من فترات زمانه ولكنه شاهد قبل وفاته متحسراً انهيار دولة الخلافة الاسلامية عام ١٩٢٢ وبانهيارها ختمت الخلافة الاسلامية وانتهى دورها وتحقق هدف الاعداء ومنها تفرق المسلمون مع كل ربح يميلون فاستعمرتهم دول الغرب والشرق الشيوعي، وهو الواقع الذي كان يخشاه السيد ابن شهاب وقد وقع فعلاً على رغبته ورغم المسلمين اجمعين.

ماذا كان يقول السيد ابن شهاب عن الخلافة التي هي رمز الوحدة الاسلامية فلنسمع قصيدته التي وجهها إلى الخليفة عبد الحميد:

امير المؤمنين أجل غاز	بقائم سيفه الدين استقاما
خليفة عصرنا المرضي فينا	لنديانا وللدين الاماما
هو الطود المنيع المرتقى في	حماء الجار يأمن ان يضاما
قرين عرائس المجد اللواتي	سمت إلا له عن ان تراما
به تزهو المنابر حين تتلى	شمائله وتهتز احتراما
شآ ما شاء في العلياء حتى	على هام السها ضرب الخياما
وارعف سيف نقمته الى ان	تبوأ من ذرى المجد السناما
يقود الخيل عادية عراباً	تثير النقع تحسبه ركاما
فتهوي كالبزة العصم كراً	سناكبها الخوافي والقدامى
عليها من ذوي عثمان غر	يرون تجشم الهول اغتناما
إذا وردت بهم دأماء حرب	شهدت لهم بلجته اقتحاماً
ولم يصدرن عن مثنوى عدو	وفيه سوى اليتامى والايامى
تؤمل من جلالته وتخشى	ملوك الارض صفحاً وانتقاما

واصبحت كلمة الاسلام للتخدير او الاستهلاك المحلي والدعايات الخارجية فقط.

إذا اشتعلت سكير وغي عليهم
ولم يعبأ بهم لو لا ولولا
إذا ما استنفر الآساد يوما
ليوجف نحوه من كل صقع
ملك تعجز الايام عن ان
براه الله في المسكون عضبا
فصان مشاعر الاديان بيت
بسيط الارض في يده فيحيي
وما من مركز إلا وجدنا
نداه الغيث لكن ليت شعري
اخو ثقة بنفس ما اقتفت في
ومهما حل في فلك علي
ولم يرفع منارا منه إلا
سما في العز عن آباء صدق
ولم نعرف له الا اشتراء ال
امير المؤمنين انعم صباحاً
فانت العروة الوثقى ولسنا
أتيت اليك من بلد بعيد
وقابل بالقبول مهة خدر
تمد اكف معذرة وعجز
وكيف بحصر مالك من فخار
فانك زينة الدنيا جميعاً

رأيت لهم برايته اعتصاما
فسوف يكون ان جحدوا لزما
بدعوة دينه يمنا وشاما
خميسا تحت طاعته لهما
تجيء بمثله بطلاً هماما
على الباغي إذا بحماه حاما
المقدس والمدينة والحراما
ويورد من يشاء به الحماما
شيات من علاه به وشاما
ايستويان ذا ذهب وذا ما
ترقيها الملالة والسآما
من الشرف استقل به المقاما
بأعلى منه كان له اهتماما
وكان لكل منقبة عصاما
فخار بباهض الاثمان ذاما
ودمت تقي من الدهر الكراما
نرى للعروة الوثقى انقصاما
لاقربك التحية والسلاما
حياء منك تعثر واحتشاما
عن استقصائها المدح التماما
ولو حاولته خمسين عاما
ونشر ثناك قد زان النظاما

يدعو السيد ابن شهاب دائماً إلى الوحدة والائتلاف والتماسك والترابط والتعاقد بنبذ العنصريات بقيادة حكيمة وسياسة موحدة. وإذا بنا اليوم نرى الأوضاع معكوسة، فبدلاً من الدعوة إلى الوحدة والاتحاد والتضحية بالنفس والنفيس للمصالح العامة. نسمع ونشاهد الدعوة إلى الإقليمية الضيقة، وكذلك حماس القبلية والعشائرية الجاهلية وحب النفس. ثم نجد المطبلين من وعاظ السلاطين حاملين دفوفهم مؤيدين وداعمين فكرة القبلية والعشائريات باسم الدين وكمّ أفواه الشعب لقبول الأمر الواقع وطاعة الحكام لأنهم ظلّ الله في الأرض والخروج عليهم كفر فمن يدرس علم الجغرافيا ومن يصدق غزو الفضاء والوصول إلى القمر فهو كافر وكل ما قيل عن الفضاء كذب وهراء على الله ومن اعتقد باقاويل الكفار فقد كفر وارتد عن دينه، يجب استنابته وإلا فيحكم عليه بالقتل إن أصر على اعتقاده.

هذا ما يحدث ونحن في عصر العلم ولا نزال نجد أمثال هذه الغرائب ولا ندري كيف يقبل الإنسان تلك الأفكار العوجاء.

طغى شعور الإقليمية والاعتزاز بالقبلية والعشائرية بين الكثير من الشعوب الإسلامية. ألم يكونوا يعلمون أنهم يسيرون القهقري عائدین إلى الجاهلية الأولى؟ فما أسوأ حظ المسلمين اليوم فقد ابتلوا بهذا الداء الوبيل.

هل للعناصر الخارجية دور في ادخال تلك المفاهيم المضللة المزخرفة بشعارات القبلية والعشائريات أو الاشتراكية أو الماركسية وكلها في طريق معاكس للإسلام.

خلا الجو للاستعمار فرتع ومرح فهيمن على الاقتصاد والخيرات وسيطر على سياسة البلاد، وإذا بتلك الشعوب المخدرة عقولها ترى الوفد الأوروبي كأنه رسول الرحمة.

الأموال تنهب، وليس للحكام إلا هدرها لملاذاتهم بينما الشعب يعيش مكبوتاً مهدور الكرامة، وأصبحت شعارات الدعوة للوحدة مجرد شعارات جوفاء لا تتعدى

الاستهلاك المحلي، ولن يجتمع المسلمون تحت دولة واحدة مادامت الاوضاع كما هي الآن حيث الامر ليس للحكام، وانما هم للمستعمر الغربي أو الشرقي اطوع من بنائه، ولا يخيف المستعمر إلا التكتل الاسلامي، اما تجمعات المسلمين للصلاة والحج ففي نظر المستعمر ليست إلا طقوسا لن توحد المسلمين فلا خوف ولا خطر من صلاتهم وحجهم.

بدايات التصدع في هيكل دولة الخلافة:

ظهرت حركة جديدة في تركيا باسم (الاتحاد والترقي) تحت شعار العدالة والمساواة في عهد الخليفة عبد الحميد. قام بهذه الحركة زمرة من الشباب التركي المتأثر بالمدينة الأوروبية، وسرى مفعول هذه الحركة بين الاوساط الاسلامية وكان تأثيرها في العالم الاسلامي عظيما بين مؤيد ومقاوم. اما العالم الاوروبي فقد استقبل هذا النبأ بالترحيب والتأييد.

يقول بعض المؤرخين المسلمين: ان هذا الحادث كان بادرة تصدع في جسم دولة الخلافة، في الوقت الذي كانت دولة الخلافة تجابه القوة الأوروبية الغازية للعالم الاسلامي.

محاولة التخلص من الخليفة باغتياله:

حاولت الايدي العابثة من عملاء الحلفاء اغتيال الخليفة عبد الحميد عام ١٣٢٣هـ بقنبلة القيت عليه للتخلص منه وانهاء نفوذه واحداث قلاقل داخلية. لكن الخليفة نجا من حادث محاولة الاغتيال ولم يصبه مكروه. بدأت الصحف الغربية تزر وتطبل لتلك النهضة لاجتثاث حكم الرجل المريض بدعوى ان الشعب التركي سئم الحكم الاسلامي ونهض الشباب المتنور للتخلص من الجهل والفقر والتأخر. كثر الهرج والمرج في ديار المسلمين وتعددت الاقاويل وتشعبت الظنون والتخرصات حول هذا

الحادث والمدير له وذهب اكثر القول استنادا إلى مجرى الحادث وتسلسله أنه من تدبير يهودي عميل للحلفاء، ولكراهية اليهود للخليفة ارادوا الانتقام والتخلص منه. وكان ذلك بعد اصدار الخليفة عبد الحميد مرسوما يقضي بمنع استيطان اليهود القادمين إلى فلسطين ومنع اليهود المقيمين من شراء أو تملك ارض حتى ولو كانت للسكنى، فكان لهذا المرسوم رد فعل لدى اليهود واضمروا الحقد على الخليفة وقرروا الانتقام منه بمساعدة بريطانيا، فحاكوا حوله المؤامرات، وبدأت الضغوط البريطانية على دولة الخلافة بشتى الوسائل ومنها فتح باب الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ولكن الخليفة عبد الحميد اصر على رفض كل مطلب يتعلق باليهود. لم ييأس اليهود من تحقيق رغباتهم بشتى الطرق، وباءت كلها بالفشل، ثم جاؤوا بأساليب اخرى منها العمل مع المخابرات البريطانية والاستعانة بقوة المافيا للضغط على دولة الخلافة بطرق خفية من عدة جوانب، وما فتأت ان تكشف المؤامرة، فهدد الخليفة عبد الحميد وانذر. فهل وقف اليهود عن مؤامراتهم ضد دولة الخلافة؟ لا، ولكنهم واصلوا سعيهم بدون توقف.

الحكومات الأوروبية كلها ما عدا ألمانيا في شخصية قيصرها (ولهلم) تكره الاسلام وتكره الخلافة الاسلامية وتكره عبد الحميد إلى اقصى حدود الكراهية لانه يسعى لحياء الوحدة الاسلامية واعادة مجد الخلافة.

اما ألمانيا فكانت على طرفي نقيض مع الدول الأوروبية الاخرى في المصالح فارتبطت ألمانيا بدولة الخلافة لان العدو واحد، والمصلحة تقتضي التعاون امام العدو المشترك.

الخليفة عبد الحميد رجل طموح، قوى الارادة، ولكنه في دولة اخذ نجمها يميل إلى الافول.

وجد ساسة اليهود الذين يحملون الجنسية البريطانية ولهم مكانة رفيعة في الدولة طريقا من ضعف دولة الخلافة لمحاربتها اقتصاديا حتى يكمل ضعف دولة الخلافة وتصبح عاجزة مما يدفع الشعب التركي إلى الاستياء من وضع الدولة وتصبح

ومن هنا تتجلى اسباب محاولة اغتيال الخليفة عبد الحميد، ولما بلغ السيد ابن شهاب هذا النبأ جاش صدره بهذه القصيدة يهاجم فيها تلك الايادي الأثيمة العابثة التي تحاول المس بالخليفة.

ورد كيد الخصم في نحره	غلت يد العادي الى صدره
حافظ دين الله في عصره	والله جلّت ذاته حافظ
في بره الباري وفي بحرهِ	خليفة الحق الذي اختاره
واين مكر الله من مكره	يدبر الكافر مكرّاً به
تنفيذ امر الله في أمره	شلت يد القاصد بالسوء من
تطمع في نيل أذى نسرهِ	ما لبغات الطير في جوها
يكرع من مرّ جنّي غدرهِ	وذلك الغادر لا بد ان
اغراه أو ساعد في نكرهِ	افٍ له افٍ وتنفٍ لمن
شهامة النفس لدى فخرهِ	اهكذا يصنع من يدعي
للأث الخمر ^(١) على شعرهِ	كلّا ولكن هذه شيمة
لا قوه يوم الروع في مجرهِ	لو انهم ممن يروم العلى
في بيضه النصر وفي سمرهِ	يستنصرون الصفر وهو الذي
فاعملوا الحيلة في خترهِ	اعجزهم ليث الشرى في الوغى
اذاه لا يطمع في ضرهِ	وما دروا ان الذي حاولوا
صائغها الرافع من ذكرهِ	عليه من كيد العدا جنة
يعرفها العالم من اسرهِ	إثم تولت كبره امة
في الارض والنفخ على جمرهِ	من شأنها بث بذور الشقا
ظنت منال الربح في خسرهِ	ان تذر بغيا في حمى حاكم
في عامر الملك وفي قفرهِ	قبحا لها مدت خياناتها

(١) جمع خمار وهو حجاب المرأة.

آمنة من ان تجازى بما	من جمه جاءته أو نزره
علما بان الحر مستتكف	عن فعله السوء وعن اصره
ان ادركت ما ادركت غيلة	فالليث لا يهجع عن وتره
والبحر قد يجزر لكنه	في مده بحر وفي جزره
ايها امير المؤمنين اتئد	بالدين واحملهم على يسره
واضرب بسيف الحق واخضد به	شوكة من يعمه في شره
وكن بحبل الله مستعصما	وثق بما عودت من نصره
واحمده واجعل شكره ديدنا	ان مزيد الفضل في شكره
ولنرفع الايدى ونمدح الذي	لابر إلا وهو من بره
ان يمنح الاسلام عزابه	يعلو شعاع الحق من زهره
يعنوله البوذي في داره	ويخضع الراهب في ديره
وينصر السلطان نصرا به	يجتث عرق البغي من جذره
مخلدا أيامه منعما	ما شاء في مد مدى عمره
بحق روحانية المصطفى	وآله عمد الهدى غره

تتجلى في هذه الابيات روح السيد ابن شهاب الفذة حيث يخاطب الخليفة ورئيس دولة المسلمين بهذه الروح الكبيرة كما يخاطب زميلا له، وينصح الخليفة بالتمسك بحبل الدين والاعتصام بالله ويشكر المولى على ما انعمه من النعم والسيد إذ يخاطب الخليفة بهذه اللهجة غير راج منه شيئا.

ماذا سيقول السيد ابن شهاب لو عاش إلى زماننا هذا، ورأى صروح الاسلام تدك دكا بأيدي ابناء المسلمين وقد اصبحوا طوائف ممزقة وقوميات عديدة ما كانت معهودة ولا معروفة.

كان السيد ابن شهاب في ثباته كالطود الشامخ امام تلك التيارات الفكرية الوافدة من الغرب وذلك عائد في المرتبة الاولى الى التربية الحرة التي تربى وترعرع ونشأ عليها والى الدروس التي تلقاها من كبار اساتذته العلماء الاحرار، فليس غريبا

ان يكون حرا قوي العزيمة في ممارسة اعماله وكفاحه طيلة ادوار حياته، وهو بدوره يدعو الى التحرر والى الحياة الفكرية الحرة المبنية على الايمان والعقيدة الصادقة الصحيحة.

الانقلاب التركي:

قام زمرة من الشباب التركي بثورة اطلق عليها في ذلك الوقت اسم (الانقلاب) كانت بمثابة نتيجة حتمية بسبب الضعف العام الذي اعترى دولة الخلافة اضافة الى الحملات الاوروبية الاقتصادية وسياسيا واعلاميا ضدها وحاولوا بكل قواهم تدمير حصن الخلافة الاسلامية.

على اثر الدعوة الجديدة من جمعية الاتحاد والترقي في تركيا وبقوة نفوذ المدنية والحضارة الاوروبية الى شعوب البلدان الاسلامية تبورت وظهرت في الاوساط الاسلامية فكرة (القومية) و(الوطنية) سعيا وراء التقدم ومجاراة لشعوب دول اوربا التي اصبحت الرمز في الرقي والتقدم الاقتصادي والصناعي في اعين المسلمين. لم تكن فكرة ازالة الخلافة أو ابدالها بجمهورية قد تخمرت آنذاك في اذهان رجال جمعية الاتحاد والترقي بل كان هدفهم اصلاح الاوضاع السياسية العامة في اطار دولة الخلافة برلمانيا، أي جعلها شبه علمانية ولكن مع الاحتفاظ بهيكل دولة الخلافة والانضواء تحت ظلها.

كان زعيم الحزب الوطني المصري ممن يؤمنون بهذا المذهب، الذي يمثل الاعتزاز بالقومية والوطنية المصرية تحت ظل الخلافة الاسلامية وكان من الداعين الى هذه الفكرة مع المحافظة على التقاليد الاسلامية والولاء التام لدولة الخلافة.

طغى شعور القومية والاعتزاز بالوطنية على الشعوب العربية والاسلامية في اواخر القرن التاسع عشر واولئل القرن العشرين الميلادي وتبلور في كل الحركات السياسية والاجتماعية حتى في الامور الخيرية، وكانت الصحف العربية تثير في الشعب روح القومية في مصر والشام والعراق والحجاز وفي المهجر الاوروبي

والاميركيتين، حتى في المهجر الشرقي محاولة بشتى اتجاهاتها السياسية وتنوع عقائدها غرس روح القومية هادفة إلى تطوير اوضاعها ومعالجة تخلفها للحاق بالركب الحضاري الغربي صناعياً واقتصادياً وثقافياً.

ان التأخر العام في البلدان الاسلامية سببه الأساسي تدني مستوى التعليم مما جر المسلمين الى التواكل والضعف والوهن وتخلفوا عن الركب الحضاري، وعليهم ينطبق قول شاعر المهجر الشرقي احمد السقاف:

ولنا المئات من السنين ونحن في كتب التهجي لم نجاوز دالها
حاول هؤلاء القوميون والوطنيون استدراك ما فات وتعويض ما فقد ليتمكنوا
من مجارات الركب الاوروبي، فكان الاعتزاز بالقومية هو الدافع الاول لهم، حتى غدا
الكل يفتخر بوطنيته وقوميته اكثر مما يفتخر بشيء آخر. ان هذا الشعور والاعتزاز
بالقوميات هو الذي جزأ العرب والمسلمين وفرقهم الى كتل اقليمية ضيقة والى قبلات
وعشائريات لم تكن في حقيقتها سوى خيالات محضة. فالتقدم هو العلم. وعلى الرغم
ان العرب تجمعهم لغة واحدة وثقافة واحدة وتراث واحد وتربة واحدة ووطن واحد
ومصالح مشتركة بينهم، لكننا نرى التفرق والتمزق والخصام والعداء والشكوى من
بعضهم على بعض حتى اريق الدماء وازهقت الارواح وهدمت المدن واصبحت بعض
الاسر بلا مأوى، ورملت النسوة وتيتم الاطفال. وحوادث الانقلابات الناجحة أو
الفاشلة في البلدان العربية بعد الحرب العالمية الثانية هي دليل قاطع على ما نقول، وما
الماساة اللبنانية المستمرة ببعيدة عنا وقد مضى عليها سنوات طويلة. فأين حكام
العرب؟

نعم، حاول بعض الزعماء المصلحين من العرب بعد الحرب العالمية الثانية
توحيد وجهات النظر العربية وتقريبها واعتمدوا لذلك طرقاً عديدة واساليب شتى،
ولكن تلك الجهود باءت بالفشل في اول خطوة من المسيرة، وتكرر الفشل بعد ذلك
حتى شك الناس في كل فكرة تدعو للوحدة والاتحاد وعند سماع كلمة (الدعوة
والاتحاد) يقال عنها إنها فاشلة لكثرة الفشل المتلاحق، فملفات وزارات الخارجية

للدول العربية وملفات الجامعة العربية وما تنشره الصحافة والاذاعات كلها شاهدة وناطقة على ما نقول، وعلى الجيل القادم ان يولي لهذا الموضوع اهتمامه ويدرس اسباب هذا الفشل.

البعض في عصرنا يعلل اسباب الفشل بفقدان الوعي وحب الذات وعدم الايثار والتهافت على السلطة وقيمومة الدول الغربية الراسمالية ودعمها لوجود دويلات عربية ممزقة. ولكن نفى آخرون هذه النظرية وقالوا انها نظرية واهية وحجتها جوفاء. إذا اراد العرب حقيقة الوحدة والاتحاد فمن يمنعهم؟ ولهم في الشعوب الاخرى على قلة عددهم وعدتهم دليل على امكانية الوحدة والاتحاد. وحركة الفيت كونغ الفيتنامية هي الدليل إذ كيف استطاعت هذه الزمرة الصغيرة دحر الولايات المتحدة بقوة جيشها البالغ ثمانمئة الف جندي بكامل اسلحتهم ومعداتهم الحديثة المدعومة بالاساطيل البحرية والجوية، لقد خرجت القوات الامريكية خاسرة فاشلة، وتوحد الشعب الفيتنامي في دولة واحدة شمالاً وجنوباً. وهناك امثلة اخرى في الشعب الماليزي أو الشعب الاندونيسي، فاندونيسيا توحدت على رغم تكوينها الجغرافي المؤلف من ١٣ الف جزيرة تفصلها المياه، ويتألف شعبها من عدة قوميات لكل منها لغته الخاصة به، وله ثقافته الخاصة، وعاداته واساليبه في الحياة. حيث بلغ مجموع لغاتها ولهجاتها عشرين لغة وثمانين لهجة مختلفة، تختلف كل لغة عن الاخرى حتى في احرف هجائها ومع كل ذلك توحدت تحت راية واحدة ودولة واحدة وتحت شعار (قوميات مختلفة في شعب واحد).

إذا القينا نظرة على التاريخ الاستعماري الاخير عام ١٩٤٥ / ١٩٤٩ نجد أنه كيف حاولت هولندا فرض ارادتها واشترطت في معاهدتها بتأييد من هيئة الأمم لتسليم السلطة والسيادة لاندونيسيا بعد حروب دامت اكثر من ثلاث سنوات، ان تكون اندونيسيا فيدرالية تتألف من عدة حكومات، ولكن روح الوحدة الاندونيسية قوية، حيث نبذت اندونيسيا تلك الشروط واعلنت انها دولة واحدة ذات سيادة كاملة ولغتها واحدة هي اللغة الاندونيسية فالوطن واحد هو اندونيسيا والشعب واحد هو الشعب

الاندونيسي. ومهما اختلفت الاحزاب الاندونيسية في مشاربها السياسية فانها لن ترضى التجزئة والتمزق والانفصال، وأن تقوم على اسس اقليمية أو عشائرية ضيقة أو على اساس لغة أو ثقافة معينة كما حدث لباكستان التي ما لبثت أن تحطمت وانشقت إلى دولتين هما باكستان وبنغلاديش.

وكذلك نجد مثلاً في الامة الماليزية، فعندما خرج الاستعمار البريطاني الذي جزأ الشعب الماليزي إلى تسع سلطنات واربع ولايات قائمة بذاتها، اجتمع السلاطين التسع وشخصيات ماليزية بارزة وتداولوا وتشاوروا فيما بينهم وقرروا تكوين دولة واحدة من مجموع هذه السلطنات والولايات باسم (دولة ماليزيا) عن وعي وادراك وقناعة وتضحية وبذلك تكونت دولة ماليزيا الموحدة، ولم يطمع أي سلطان باستثارة بالحكم لنفسه دون غيره، وبقي السلاطين في اماكنهم حكماً على ولاياتهم ضمن دولة ماليزيا الموحدة، ونوع الحكم فيها مستحدث في التاريخ وفي عرف انظمة الدول والحكومات، فقد اتفقوا على دستور لا هو ملكي بالمعنى المعروف بالتوارث ونظام ولاية العهد ولا هو جمهوري بالعرف المفهوم ولكن النظام المعمول به هو ان يتولى شخص زمام الحكم كل خمس سنوات بالتناوب بين السلاطين التسعة باسم ملك ماليزيا، لكنه لا يحكم مباشرة، فالحكم لمجلس الوزراء الذي يتم بانتخاب الشعب والوزراء مسؤولون امام البرلمان المتشكل من مندوبي الشعب، والملك يعتبر رمزاً للوحدة تطبيقاً للاجراءات البروتوكولية.

ما هو السبب في نجاح الماليزيين وهم قريبو عهد بالاستقلال؟

اما الهند التي تمثل شبه قارة بمجموع سكانها الالف مليون نسمة ثم الصين التي بلغت نفوسها اكثر من مليار ومئتي الف نسمة فيتكون كل من شعبيهما من مجموعة قبائل وعشائر وولايات واسعة مع تعدد القوميات واللغات والاديان والعقائد والثقافات والاحزاب والمذاهب والمصالح ومع كل ذلك بقي كل من الدولتين في اطاره الخاص دولة واحدة موحدة في نظام جمهوري.

هل ينطبق اليوم قول النبي محمد ﷺ على المسلمين بهذه الكثرة الكثيرة من عدد نفوسهم انهم يشبهون غناء كغناء السيل، مساجدهم عامرة وقلوبهم خاوية، ممزقون مشتتون تسيطر عليهم الاهواء وحب الذات والاهتمام بالمصالح الشخصية، حكاهم يحكمون شعوبهم بالسياط والاغلال، والسجون غاصة بالابرياء يعيشون في حفر تحت الارض لا يرون الشمس ولا يعرفون النور ولا يعرفون نهارهم من ليلهم وينتهي امرهم بالقتل السري. بينما شعوب العالم تشاهد وتتفرج على هذه المسرحية مسرحية الحكم الاستبدادي، وعلى الشعب المبتلى الفقر والمرض.

في اواخر القرن التاسع عشر شكلت بريطانيا في منطقة عدن بجنوب اليمن قاعدة عسكرية لمحاصرة الجيش التركي وسلطنة لحج، قاوم السيد ابن شهاب هذا المشروع البريطاني مقاومة شديدة سياسياً واعلامياً وعلى مستوى عالمي ومقاومة سياسة بريطانيا في منطقة عدن وما تبذلها من اموال ومواعيد خلافة لابناء جنوب الجزيرة ليست بالامر السهل واستشاطت بريطانيا من موقف السيد ابن شهاب المعادي لبريطانيا فألبت عليه الأجراء والعملاء.

انهيار دولة الخلافة:

قضي الامر وانحازت دولة الخلافة إلى المعسكر الالمانى في عام ١٩١٤ وتورطت في الحرب العالمية الاولى ضد الحلفاء، وانهارت تركيا ودخلت الحرب وهي ضعيفة فمنيت بالخسارة العظمى التي لا تعوض، واستسلمت للحلفاء صاغرة ذليلة وبدون أية مكاسب ورضخت مرغمة لتوقيع معاهدة الاستسلام بكل ما املئ عليها الحلفاء المنتصرون وجردت تركيا من جميع قواها العسكرية وحددت سياستها الخارجية ومزقت البلدان التابعة لدولة الخلافة والتي كانت جزءا منها وتم ابدال

الحروف العربية باللاتينية وبذلك قطعت كل العلاقات مع الامم الاسلامية ثقافياً وسياسياً واقتصادياً ومحيت الخلافة الاسلامية محوً تاماً وتحرك الاعتزاز بالقومية والوطنية التركية وتم تأسيس جمهورية تركيا الوطنية العلمانية، وما على تركيا المهزومة الضعيفة إلا الرضوخ لتوقيع تلك الشروط في وثيقة قيل عنها انها معاهدة صلح والحقيقة هي انها معاهدة استسلام للحلفاء وكان ذلك في عام ١٩١٧.

هذه المأساة القاسية كانت مأساة المسلمين اجمعين وضربة لهم وهم عزل لا يستطيعون تحريك شيء أو أن يفعلوا شيئاً سوى التأوه بينما احتفل الاعداء بعيد النصر بالقضاء على دولة الخلافة، وعلى اكبر حصن ومعقل اسلامي من الوجود.

وازدهرت بعد ذلك القوميات والدعوة اليها ورفع شعار الوطنية واقبل الناس الى هذه الفكرة بشعار: الدين لله والوطن للجميع.

لقد فوجئ المسلمون في عام ١٩٢١ بنبأ تطبيق شروط استسلام تركيا المجحفة واهمها الغاء دولة الخلافة وعزل الخليفة وتم محو كيان الخلافة الاسلامية من الوجود نهائياً.

تألم السيد ابن شهاب لذلك الخبر كما تألم المسلمون من رواد النهضة الاصلاحية.

تلقى السيد هذا النبأ السيئ برباطة جأش وتجلد، بيد أن التأثير غلب عليه فهد من صحته وظل يعاني آثار هذه المأساة التي اوهنت جسمه. وقال والألم يحز قلبه: ان الاعداء توصلوا إلى مبتغاهم. ومع هذه الضربات القاسية عليه ظل يساوره الامل ويتفاءل بإمكانية استرجاع تركيا قوتها لتعود إلى مكانتها الاولى.

فالسيد ابن شهاب الذي قضى حياته في الدفاع عن الخلافة بكل طاقته، لا يود ان يرى تمزق المسلمين بزوال دولة الخلافة. ولكن الواقع هو تطور الاحوال ونشوء جمهورية جديدة في الوجود هي جمهورية تركيا التي سارعت دول الحلفاء للاعتراف

بها وتقديم كل المساعدات لها، ورفع الأذان ولم يعد يسمع له دوي كما كان يسمع من مآذن جوامع تركيا لا في العاصمة استنبول ولا في المدن التركية الاخرى، ولكن هذه الحالة لم تدم طويلاً حتى عاد الاذان من منارات المساجد.

ليس بغريب حدوث ووقوع امثال هذه الحوادث في العالم، فالقوي هو الذي يفرض ارادته ويحكم ويفعل ما يريد وليس للضعيف إلا الرضوخ، وبزوال دولة الخلافة تهاقت الحلفاء لاحتلال البلدان الاسلامية وتقسيمها فيما بينهم واستعمروها واستبعدوا شعوبها وتشتت المسلمون كاليتامى لا اب لهم ولا راعي يرعاهم.

لم يعد يتحمل السيد ابن شهاب اكثر من هذه المآسي المؤلمة والاضاع القاتمة والاحوال المظلمة فكان يعاني آلاما نفسية وتردت حالته الصحية حتى وافاه الاجل المحتوم بعد عام واحد من ذلك اليوم المشؤوم يوم محو وازالة الخلافة الاسلامية، وماساة العالم الاسلامي اجمع.

تعالّت النغمة القومية والوطنية فانتعشت وازدهرت واحتلت مشاعر الشعوب الاسيوية والافريقية التي يطلق عليها آنذاك شعوب الشرق ويصطلح عليهم اليوم بشعوب العالم الثالث.

وها نحن الآن نشاهد كل امة تعتز بقوميتها ووطنيتها مما دفعها لشق طريقها من جديد للتحرر والكفاح من اجل مستقبل افضل محتذية حذو الشعوب الاوروبية معتبرة ان اوروبا مثال التقدم والحضارة والمدنية.

اليابان:

إذا كان المعتقد ان اوروبا هي المثال الذي يجب ان يحتذى ففي الشرق شعب لا يقل عن الغربيين حضارة ومدنية بلغ من التقدم الصناعي مبلغاً يضاهي دول اوروبا بمجموعها، هذا الشعب هو الشعب الياباني بل ان اليابان هو رائد التقدم في الشرق.

كانت اليابان تدعو الشعوب الآسيوية المستعبدة بأسلوبها الخاص للتخلص من هيمنة الاستعمار الأوروبي بعد انتصارها على روسيا عام ١٩٥٠ وتوقض الشعوب المستعبدة في آسيا للاعتزاز بالقومية والتفاخر بالوطنية كما يعتز الشعب الياباني بقوميته وثقافته البوشيدوية ومدنيته العريقة وتاريخه تاريخ بني الشمس المشرقة. وما دمنا في ذكر اليابان زعيمة الشرق فلا بأس من الاستطراد لنستعرض شيئاً عن الوطنية اليابانية واساليبها لاستنهاض مشاعر الآسيويين بشعارها المعروف الذي تخاطب به الشعوب الآسيوية ضاربة الوتر الحساس في نفوسهم بان (آسيا للآسيويين) فعلى الشعوب الآسيوية ان تتحرر من براثن الاستعمار الأوروبي.

وللـيابان أيضاً عدة اساليب لاثارة الشعور ضد الاستعمار الأوروبي والاعتزاز بالقومية وخلق الثقة في النفس ليس فقط بالافلام السينمائية المثيرة والكتب والنشرات الدورية وما تنشره الصحف والمجلات ولكن علاوة على كل ذلك الاتصال المباشر بالشعوب الآسيوية ليس في المدن فحسب ولكن حتى في القرى البعيدة حيث تحمل معها كل ما من شأنه كسب ثقة الشعوب غرسها في نفوسهم وان اليابان ستنقذ شعوب آسيا وتحررها من الاستعمار الأوروبي، ومن جملة هذه الاساليب الدعائية الكثيرة توزيع (اللبان المعطر) للشعوب في علب صغيرة جميلة عليها صورة جنرال ياباني بلباسه العسكري وكتب تحته كلمة جينتان (JINTAN) وهذه الكلمة لها مدلولها ومعناها وهي ترمز لاولائل حروف كلمات باللغة الماليزية والاندونيسية.

J= JENRAL - ١

I= INI - ٢

N= NANTI - ٣

T= TOLONG - ٤

A= ANAK - ٥

ومعنى هذه العبارة، ان هذا الجنرال الياباني هو الذي سينقذ أبناء هذا الوطن. حتى صارت هذه الجملة عقيدة راسخة في قلوب الآسيويين خصوصاً شعوب جنوب شرقي آسيا مؤملة من اليابان تخليصها من الاستعمار. وعندما انتصرت اليابان في اوائل الحرب العالمية الثانية واكتسحت الاستعمار الاوروبي من بلدان جنوب شرقي آسيا استقبلت شعوب تلك المناطق الجيش الياباني المنتصر الفاتح باستقبال عظيم منقطع النظير. وقد رحب شاعر المهجر الشرقي المفلق السيد أحمد عبد الله السقاف بقصيدة طويلة رنانة بلغ مجموع ابياتها ١٤٢ بيتاً نختار منها ما يلي:

شدت على ان لا تعود رحالها	وطوت من المستعمرات حبالها
هجمت على دين الاله وقررت	ما قررت لتزيله فازالها
ظلمت وهذا اخذ ربك كم ابا	د من الممالك بعد ان أملى لها
بين العشية والضحي عصفت بها	هوج الهلاك فزلزلت زلزالها
فاذا بنو نيفون ^(١) قد ضربوا على الجـ	يش الحصار وخيبوا امالها
وإذا رايت الجيش يقدمه لوا	ء الشمس مشرقة كسته جلالها
يتخاطفون الموت في طلب العلى	ويضاكون لدى الوغى احوالها
واصاب واشنطون مس إذ غدت	لضيافة الاسماك تفني مالها

ثم يصف شاعر المهجر استسلام هولندا وحلفائها بعد ان فقدت قواتها في هذه الحرب بقوله:

تسعون الفاً هم بقية جندها تركوا الحصون وسلموا اقبالها

(١) نيفون: هو الاسم الذي تطلقه اليابان على نفسها.

يستسلمون بدون قيد يجمعو
فإذا الديار تناكر السكان حيـ
خالها
نس تكتفي بالدمع يشرح حالها
ك تقود وهي كئيبة اطفالها
لعبت به دهرًا ترى اعمالها
واليوم يشهد بالعيان مآلها

ثم يوجه الشاعر خطابه لدول الغرب ويصف شهامة اليابان:

يا غرب هذي زاحفات الشرق تقـ
اتخيفه بالمهلكات وقد اعدّ
لا تعمل الآلات شيئاً وحدها
ان الجنود بلا قلوب في الوغى
يا وحدة الشرق التي لعبت بها الا
آن الاوان وغاب ادبار الليا
مدّي الى نيفون مخلصه يدا
ولنا المئات من السنين ونحن في

تحم البلاد سهولها وجبالها
لكم ومن في صفكم امثالها
ان لم تجد من يحسن استعمالها
يقضى عليها قبل ان يقضى لها
يام حتى قطعت اوصالها
لي فاغمني مجموعة اقبالها
و بكل وسعك حققي آمالها
كتب التهجي لم نجاوز دالها

ثم ينتقل بخطابه إلى اليابان الباسل المنتصر:

قم يا زعيم الشرق وارفع راية الشمـ
واقدم فكل الشرق بين يديك ير
فارأس جديرا عصبه الامم التي
اسمعتها بشرى انتصارك فاعتر
الشرق للشرقي تلك مقالة
حق علينا ان نناصر من اذا

س المنيرة كي تمد ظلالها
تقب النجاة ويطلب استعجالها
أضحت ترى اذلاله اذلالها
تها هزة واستقرت إبلالها
نيفون تشرح للورى اجمالها
ح عن الظهور من الاذى ائقالها

سنقوم صفا تحت رايتك التي احيت بتمزيق العدا آمالها
وسنلتقي حول اللواء نرى بزو غ الشمس ينشر في الوجود جلالها
قم يا زعيم الشرق ان شعوبه بين العدا عبثا تطيل جدالها
فاصدع بامرك ان هذا الغرب ير جو بالتلون ان يديم مطالها
كل الشعوب الاسيوية تفهم ال غربي مهما صام او صلى لها
قم علم الشرق الكفاح وفك من اعناق طلاب العلى اغلالها
وأر الشعوب الأسيوية ما علي ها في سجلات القرون ومالها
ارها لتعرف كيف تأخذ بالقنا بل لا بذلّ السائل استقلالها
ارها لتعرف كيف يمكن بالمدا رس لا الملابس ان تُعزّ منالها
ارها التفاهم بالسلاح فليس ثم ة ما يحل سوى السلاح سؤالها
ارها كلام الطائرات وكيف بع دُ بها تكسّر عنوة اكبالها
علم شعوب الشرق كيف ترى ماذا ق الموت في طلب العلى احلى لها
علم بني الشرق الترابط واسقهم من منعشات اخائهم فعّالها
وانشر صحيح ثقافة الشرق التي طبعت على غرر القرون مثالها
علمهم اللغة التي حضنت لشع بك عن غنى كل العلوم فعالها
ارنا لنصبح نحن ارباب المع مل من طريق العلم لا عمالها
وختم الشاعر قصيدته الترحيبية:

والشمس طول الدهر مشرقة وكل ممالك الدنيا تدور حيالها
فوجئ الناس بعد ايام معدودة من هيمنة اليابان على بلدان جنوب شرقي آسيا
بحكم قاس لم يتصوره بشر، إذ نهبت الاموال والممتلكات والمؤن والارزاق من
المتاجر والبيوت واتّهم الناس بانهم جواسيس وعملاء للحلفاء وانتشر الخوف والذعر
بين الجميع وقبع الناس في البيوت خوفا على انفسهم وقتل من قتل افرادا وجماعات،

حتى إذا ساد الخوف واطمأنت اليابان على نفسها من العدو الداخلي أعلنت التجنيد
الاجباري العام بدون استثناء احد وكلف الناس حمل السلاح لمحاربة الحلفاء وسعت
لايجاد روح النضال وحب الاستشهاد في شعوب جنوب شرقي آسيا وكونت اليابان
فرقا عسكرية باسم (جيش الدفاع الوطني).

وما فتئت ان انهزمت اليابان بعد حرب دامت اربع سنوات وخرجت من الحرب
مهزومة مستسلمة للحلفاء بدون شروط، وباستسلام اليابان وخروجها من المناطق
التي سيطرت عليها، كافحت شعوب تلك المناطق لنيل سيادتها واستقلالها وحريتها،
فاستقلت.

ان حكم اليابان العسكري القاسي خلال مدة احتلالها لهذه المناطق طيلة
سنوات الحرب العالمية الثانية كان حكماً وحشياً لا يطاق. قال شاعر المهجر الشرقي
السيد أحمد السقاف يهجو ظلم اليابان بقصيدة طويلة مطلعها:

غرورك لا الاتوم^(١) ولا الخصام عليك قضى فلم يطل المقام
ونعود الآن الى قضية القومية والوطنية، ففي البلدان العربية ظهرت في كل من
مصر والشام والعراق حركات قومية متعددة الاسماء كما ظهرت حركة القومية في
الصين بقيادة الدكتور (سون يات سين) بالشعار المعروف (سين من شوى) وفي الهند
بقيادة المهاتما غاندي ومحمد علي جناح مؤسس الباكستان. وتختلف روح تلك
الاحزاب القومية في البلدان العربية عن غيرها من زميلاتها في بلدان الشرق كالصين
والهند واندونيسيا. فالحزب الوطني في مصر بقيادة مصطفى كامل يدعو الى الوطنية مع
التشبث بالخلافة الاسلامية ومثله أيضاً يدعو شوكت علي ومحمد علي في الهند الى
القومية بروح اسلامية مع الاحتفاظ بالخلافة الاسلامية والبقاء تحت ظلها بعكس
الصين التي تدعو الى القومية المحضة، وما لبثت ان ظهرت بعد ذلك احزاب اخرى في
البلدان العربية والآسيوية تدعو الى القومية المحلية المحضة، فكان في مصر حزب

(١) الاتوم: القنبلة الذرية التي قذف بها على مدينتي هيروشيما وناكازاكي في ١٤ مايو من عام ١٩٤٥.

الوفد بزعامة سعد زغلول باشا ثم تعدد بروز الاحزاب السياسية بقيادة المثقفين الذين درسوا في المعاهد الاوروبية في مقابل المتمسكين بالاسلام مثل الصحفي المعروف الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد اليومية في القاهرة والسيد ابن شهاب رائد النهضة الاصلاحية في المهجر الشرقي، وبتطور الزمن نضجت فكرة الوطنية بصفة عامة وبدأت الدعوة الاسلامية تتقلص وان كانت لا تزال تحتفظ بكيانها. وكانت النتيجة وجود معسكرين متجابهين. المعسكر الاول مكون من احزاب وطنية وجبهات قومية معروفة بميولها واتجاهاتها في مواجهة المعسكر الثاني وهو الاسلامي المكون من عدة عناصر متفرقة الاتجاهات وذات مشارب شتى ومذاهب متناقضة، وجل المسلمين يعتقد ان كل حركة خارج نطاق الاسلام معناها العلمانية وبدلاً من ان يكون المسلمون امة واحدة اصبحوا مشتتين الى قوميات وطوائف متعددة ضعيفة صارت لقمة سائغة للاعداء، ولا يزال الكثير ممن يحملون مثل هذه الفكرة في البلدان الاسلامية، ففي سنغافورا مثلاً جماعة كبيرة من وجهاء المسلمين الذين تخمرت فكرتهم لاصدار صحيفة تحمل افكارهم باسم (الامام) بريادة السيد الهادي والاستاذ طاهر جلال الدين، وكان العلامة السيد محمد بن عقيل صاحب كتاب النصائح الكافية والمؤلفات الاخرى هو باعث الفكرة والموجه لها.

وصدر في مدينة سورابايا عاصمة جاوا الشرقية جريدة باسم الاقبال للشيخ محمد بن سالم بارجاء احد رواد النهضة الاصلاحية ثم تعدد صدور امثال هذه الصحف في الهند وماليزيا وكثير من بلدان اندونيسيا، فازدهرت الصحف الاسلامية ازدهاراً عظيماً وكلها تحمل نفس الفكرة، وكان السيد ابن شهاب يوجه الجميع من مقر عمله وكثيراً ما كان يكتب السيد ابن شهاب المقالات بتوقيع مستعار في تلك الصحف كما يكتب أيضاً في جريدة المؤيد.

يقول السيد ابن شهاب: ان في العالم اليوم قوتين متصارعتين لا ثالث لهما، القوة الاسلامية مهما تعددت وجهاتها في جهة والقوة غير الاسلامية مهما تعددت مصالحها

ووجهات نظرها فانها كلها في معسكر واحد تجابه الاسلام، وهذه القوى تجتمع وتتكتل وتتوحد لمحاربة المسلمين مباشرة أو غير مباشرة خشية من القوى الاسلامية وسعيًا لتمزيق تلك القوى واستنزاف الروح المعنوية عند المسلمين ليكونوا دائماً فاقدى العقيدة، فيكفي ان يكون المسلم مسلماً بالاسم فقط وتكون وجهته الفكرية هي اوروبا التي أعجب بمدنيتها وحضارتها. وهذا الاسلوب هو الذي سيضعف معنويتهم ويخمل ارواحهم ويجعلهم حيارى بتمزقهم وتشنتهم فيتهافتون الى العقائد الوافدة والافكار الجديدة الخلافة كالشيوعية والاشتراكية فتجزأ المسلمون اليوم الى ٤٢ دولة بين نظام ملكي وجمهوري وسلطنات وامارات كل واحدة منها سائرة في جهة تخالف الاخرى لاختلافاتها الاساسية وربما ينطبق عليها قول الشاعر:

القاب سلطنة في غير موضعها كالهـر يحكي انتفاخا صولة الاسد
وعلى اثر هذا التمزق مني المسلمون في الحاضر بهزائم سياسية متلاحقة في جميع المستويات حتى فقد الشعب المسلم شخصيته وهو حائر مبهور فيما صار إليه المسلمون بينما حكاهم يبذرون الاموال في اهوائهم وملذاتهم غير آبهين بشعبهم وكأن البلاد والعباد والاموال هي ملك الحكام الخاص بهم.

الوحدة الاسلامية

نجحت فكرة الحركة الاسلامية في المهاجر الشرقية، وتحمس المثقفون منذ اواخر القرن التاسع عشر وتألفت لجان وهيئات وجمعيات، وتجاوب المسلمون عند ما قررت دولة الخلافة فتح خط للقطار لربط الشام بالمدينة المنورة الذي عرف بالخط الحديدي الحجازي لرعاية الحجاج، وعمت البشرى انحاء العالم الاسلامي وبادر المسلمون في المهجر الشرقي بتوجيه من السيد ابن شهاب لتأسيس لجان خاصة لجمع الاموال والتبرعات وارسالها الى الباب العالي بواسطة مندوب دولة الخلافة بجاكرتا، مشاركة من مسلمي هذه الجهات لتحقيق المشروع.

وكانت هذه المبادرة الطيبة مفاجأة سارة لدولة الخلافة، وتقديرا من دولة الخلافة لهذه اللجنة بعثت إليها بشهادة تقدير وشكر، كما ان مندوب دولة الخلافة بجاكرتا حصل على تقدير وترقية في درجته.

اجتمع زمرة من الشباب المثقف المتحمس لحركة النهضة الاصلاحية فاسسوا اول جمعية اسلامية في ذلك الوقت باسم جمعية خير في عام ١٩٠٠، وبعد عامين أي في عام ١٩٠٢ اسسوا اول مدرسة اسلامية على الاسلوب والنظام الحديث في التربية والتعليم، ثم تكاثر بعد ذلك تشييد الجمعيات والمعاهد الاسلامية في كثير من بلدان اندونيسيا وماليزيا وسنغافورا وغيرها.

وانضم الى جمعية خير وجهاء المسلمين وزعمائهم مثل الحاج عمر سعيد جوكر وامينوتو الذي اسس حزب شركة اسلام، والحاج أحمد دحلان الذي اسس جمعية المحمدية، والحاج سمنهودي مؤسس رابطة التجار المسلمين والحاج هاشم اشعري مؤسس جمعية نهضة العلماء.

ولما رأت حكومة هولندا تجمع المسلمين وانضواء زعمائهم في جمعية واحدة،

اثار هذا الوضع قلقها ولم تعترف بوجود جمعية خير باعتبارها منظمة شعبية، واخذت تعاكس رجال الجمعية، ولكن هؤلاء الرجال استمروا في اعمالهم على رغم العراقيل الهولندية، بل وطد رجال الجمعية علاقتهم بالشخصيات الاسلامية في مصر وتركيا والهند، وفشلت هولندا في تحطيم هذه الحركة وتمزيق رجالها، لان نفوس المسلمين مهيأة لاستجابة دعوة النهضة الاصلاحية والكفاح ضد الاستعمار، وتعزيز التعاون مع المسلمين في العالم الاسلامي وهو ماتليه العواطف الاسلامية والشعور بالاعتزاز بالاسلام، ولم تتمكن هولندا بكل وسائلها المتوفرة لديها من صد التيار الاسلامي الكاسح وزاد قلقها أكثر فأكثر عندما شاهدت العلاقات الوثيقة بين سلطنة اتجية (ACEH) بسومطرا الشمالية وبين دولة الخلافة في استنبول اثر معاهدة عقدت بين الحكومتين، على ان تزود دولة الخلافة سلطنة اتجية بالاسلحة. الامر الذي ازعج هولندا وارعبها تدفق الاسلحة الى سلطنة اتجية، خصوصاً وان علاقة دولة الخلافة مع المانيا قبل الحرب العالمية الاولى كانت وثيقة وحسنة جداً، وهذا امر مهم جداً بالنسبة لهولندا لان اية حركة أو اندلاع اية ثورة في الجزر الاندونيسية ستجد عوناً مباشراً من دولة الخلافة ومن المانيا حليفة دولة الخلافة، خصوصاً وان العلاقات بين هولندا والمانيا في ذلك الوقت كانت غير حسنة. ترى هولندا ان انبعاث الروح الاسلامية لدى الشعب والتحمس للحركات الاسلامية، هو الخطر الداهم على سلطتها ومصالحها، ولكنها لا تريد اتخاذ اسلوب القمع بالشدة خوفاً من وجود ردود فعل عالمية ومجابهة دولة الخلافة.

فالعالم الاسلامي على رغم وضعه المتردي لا يزال ينظر الى مكانة دولة الخلافة عصمة يأوي اليها.

واستمعت هولندا الى آراء المستشرقين الهولنديين ونصائحهم لها في عدم مجابهة الحركات الاسلامية بصورة مباشرة، وإنما يتم ذلك باثارة الخلافات بين المسلمين انفسهم لتحطيمهم من الداخل، ففوضت هولندا ادارة الشؤون الاسلامية الى

المستشرقين برئاسة سنوك هو روغرونجي، فاجتمعوا واخذوا يتدارسون قضية الحركات الاسلامية وكيفية قمعها، وادعى المستشرق سنوك بانه مسلم وانه ادى فريضة الحج ومكث في الحجاز وقتا يدرس الدين الاسلامي على فطاحل العلماء في الحرم المكي الشريف الذين شهدوا اسلامه، ولكن الواقع خلاف ذلك، فانه دخل الحجاز متستراً باسم مسلم ليصل الى مكة المكرمة لعله يستطيع الاتصال بعلماء المسلمين ويستقصي احوال المسلمين ويستطلع آراءهم وافكارهم عن كذب سواء من القادمين للحج من العالم الاسلامي أو من علماء الحجاز، وهو بذلك يؤدي رسالته الاستشراقية ويخدم دولته، وبعد ان ادى ما يجب عليه في الحجاز واصل مسيرته الى بعض البلدان الاسلامية فقصده استنبول عاصمة دولة الخلافة وعرج على الشام والعراق ودخل مصر ليستكمل تقصيه لأحوال المسلمين وما هو تأثير الدين الاسلامي على الشعوب الاسلامية.

ولما عاد سنوك الى اندونيسيا واصل رحلاته الى الجزر المترامية الاطراف وتوجه الى سلطنة اتجية باعتبارها اهم منطقة اسلامية، واخذت منه مدة طويلة لرحلاته هذه، ثم قدم تقريراً ضافياً عن رحلاته الاستطلاعية وما يجب على حكومة هولندا اتخاذها ضد الحركات الاسلامية.

ليس من السهل على هولندا تحطيم الحركات الاسلامية خصوصاً وان اتجية هي السلطنة البارزة التي تعادي هولندا بقوة السلاح واستمرت هولندا تحارب اتجية بمساعدة بريطانيا فقد تم حصارها خلال الحرب العالمية الاولى براً وبحراً ومنعت الامدادات الخارجية من الوصول إليها من جميع موانئها، حيث انشغلت دولة الخلافة وتورطت في الحرب العالمية الاولى ثم انهارت امام الحلفاء عام ١٩١٦ وبذلك تم لهولندا احتلال سلطنة اتجية واسر سلطانها محمد داود شاه ونفي هو واسرته، ولكن هذا الاحتلال لم يدم طويلاً فقد خرجت هولندا صاغرة في الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٢ من جميع اندونيسيا واحتلت اليابان هذه المناطق بتأييد من الشعب

الاندونيسي. أي ان احتلال هولندا لسلطنة اتجية دام قرابة ٢٦ عاما كانت مليئة بالثورات والكفاح والمقاومة ولم يستقر الامن لهولندا يوماً واحداً على رغم القوات الهائلة التي ارسلتها هولندا الى اتجية وإنما تكبدت خسائر كبيرة في الارواح والعتاد. اتخذ سنوك سلطنة اتجية خلال احتلال هولندا لها مركزاً له ومن هنا كان سنوك يرسل تقاريره ومقترحاته الى حكومته، وبعد عودته الى مركز عمله في جاكرتا التي تطلق هولندا عليها اسم بتافيا حمل معه كل ما جمعه من وثائق وسلمها في ملف خاص الى الوالي الهولندي المقيم بجاكرتا مضافاً لما يجب على حكومة هولندا اتخاذه حيال الحركات الاسلامية، وكشف سنوك لحكومته عن نقاط الضعف في المجتمع الاسلامي باندونيسيا. وفي توجيهاته يقول: ان الحركات الاسلامية لا يمكن قمعها بالقوة للقضاء عليها أو اعتقال زعمائها، لان العقيدة الاسلامية متمكنة في القلوب والمشاعر، وما حدث في سلطنة اتجية اعظم دليل حيث لا تزال هولندا تعاني المشاكل، ولكن هناك طريقة اخرى في امكانية تمزيق شمل المسلمين وتحطيمهم وذلك باثارة الخلافات المذهبية واذكاء سوء التفاهم بينهم وتطعيم آرائهم بمفاهيم جديدة من ديمقراطية واشتراكية ووطنية وقاديانية.

الحقيقة التي لمسها سنوك هي انه لا وجود لاية حركة في اندونيسيا سوى الحركات الاسلامية وان العقيدة الاسلامية هي الوحيدة التي تحتل المكانة الاولى في قلوب المسلمين، وعلى رغم تايبه هولندا ودعمها للحركات التنصيرية لم يكتب لها النجاح بتاتا. لذلك جاءت مقترحات سنوك المبنية على ما وصل إليه خلال دراساته وتقصيه للاوضاع الاسلامية بعدم مواجهة الحركات الاسلامية ومحاولة ادخال المفاهيم الجديدة الاخرى لتكون تلك المفاهيم هي التي تجابه وتقاوم الحركات الاسلامية.

نفذت حكومة هولندا تلك المقترحات وفتحت الابواب لمذهبي الاشتراكية والقاديانية ووصل دعاة دينك المذهبيين مما اثار السخط بين المسلمين، ولكن السخط

كان موجهاً ضد تلك المذاهب لا إلى حكومة هولندا، وعلى أثر ذلك نشأت في اندونيسيا تيارات جديدة:

١ - التيار القومي الوطني مع اعتزازه بالاسلام.

٢ - التيار العلماني والاعتزاز بالقومية فقط.

٣ - التيار الاشتراكي.

٤ - تيار القاديانية.

وانشغل المسلمون بالمسائل الخلافية الفرعية التي لا طائل فيها، وكانت هذه التيارات اكبر عامل لضعاف الحركات الاسلامية. اما الحركات القومية فقد وجدت ارضاً خصبة خصوصاً لدى المثقفين الذين تتقفوا في اوروبا وفي المدارس الاوروبية ومع كل ذلك فانه لم تحدث بين المسلمين والقوميين اية ازمة.

اما التيار الاشتراكي فقد تسلل إلى الافراد في صفوف المسلمين والقوميين ثم ما فتئت ان ظهرت الدعوة للعودة إلى التاريخ القديم (المابراتا) السنسكريتية والاعتزاز به، وان كانت هذه الدعوة لم تنل اهتمام الجمهور، غير ان القائمين بها يواصلون جهودهم باستمرار، وهكذا اصبح المسلمون امام هذه التيارات المختلفة المتناقضة يصارعون شتى الالهواء في الوقت الذي تشن فيه تلك التيارات على المسلمين هجمات عنيفة فاختلط الحابل بالنابل وتورط الكل في هذه المعمرات الفارغة التي لا نهاية لها، واستنفدت كل القوى، وتظاهرت هولندا بالحياد وهي التي تغذي تلك الحركات المعارضة للمسلمين، مدعية انها تسمح بالآراء والافكار المختلفة وتحترم حرية العقيدة وتسمي تلك الحركات بالحركات التقدمية.

ثم جاءت هولندا بالمهندس الهولندي سنيفليت (SNIVLIET) الماركسي المعروف والعضو البارز في الحزب الاشتراكي الديمقراطي الهولندي، الذي استقدم من هولندا ليقوم في اندونيسيا بتحقيق المهمة الملقاة على عاتقه وهي تطبيق مخططات سنوك، وبدأ سنيفليت عمله بنشر المفاهيم الاشتراكية الحرة بين الشعب الاندونيسي. لم

يخدم سنيفليت الاشتراكي حكومته بقدر ما كان يخدم عقيدته الماركسية، وقدمت السلطات الهولندية الحاكمة كل التسهيلات له.

كان سنيفليت ذكيا يتمتع بخبرة واسعة في الحركات الماركسية، كما ان له خبرة في كسب ودّ من يلتقي به حتى كونه له انصارا فتمكن في خلال وقت قصير من توثيق روابطه مع الشخصيات من خلال الاتصال بهم واقام معهم علاقات تتسم بالبراءة والاحترام والتقدير، وكان يستغل كل الفرص السانحة لتنفيذ خططه ومآربه. وظهرت مقدرته في تعامله مع بعض المواطنين وأثر على مجرى افكارهم.

وشاهدت حكومة هولندا بواد النجاح فضاعفت من تاييدها له فعززته برجال آخرين استقدمتهم من هولندا ليكونوا عوناً له في مواصلة تنفيذ المخططات الرامية لتمزيق الحركات الاسلامية بالتأثير على مجرى افكارها العامة وإحداث بلبلة فيها بشتى المفاهيم.

لم تمر على زعماء المسلمين هذه المسرحية التي تغذيها حكومة هولندا مما ضاعف نشاط زعماء المسلمين في اتخاذ الحذر والاحتياطات اللازمة.

وصل المهندس بارس (IB. BAARS) الى اندونيسيا ليكون الساعد الايمن لسنيفليت، وقد وصل على ظهر باخرة هولندية الى جاكرتا.

لم يدع سنيفليت أو زميله بارس علنا الى المفاهيم الشيوعية، وانما كانا يقولان انهما يدعوان الى المزيد من الحرية والتجرد من العواطف والاتجاه نحو الحركات والافكار التقدمية، وعليه فانهما يؤكدان على ضرورة انشاء وتأسيس منظمة متحررة وان يتولى ادارتها اصحاب العقول الحرة من المسلمين ولو كانوا من رجال الحركات الاسلامية.

بهذا الطريق نجح سنيفليت في خداع عدد من الاشخاص بعد تأثيره عليهم وإقناعهم بان خير سبيل للتحرر هو انتهاج (الليبرالية) المتحررة وانتهاج الخطة الاشتراكية التي تضمن حل المشاكل الاجتماعية والتحرر من الموروثات والتقاليد

البالية، فلا ينبغي الاعتزاز إلا بالقومية والعنصرية.

كان لسنيفليت وزميله بارس اتصال مباشر بالمركز الشيوعي العالمي (KOMINTERN) عن طريق الحزب الماركسي الهولندي في هولندا.

في عام ١٩١٧ تأسس مرة أولى في اندونيسيا (الحزب الاشتراكي الديمقراطي) فرعاً للحزب الاشتراكي الديمقراطي في هولندا، ولم يجد الحزب اقبالاً من الشعب الاندونيسي مطلقاً وكان اعضاؤه من الهولنديين، وانكشفت اللعبة وبانت حقيقة هذا الحزب إذ انه لم يكن في هدفه تحرير اندونيسيا من الاحتلال الهولندي وليس في مواد الحزب شيء من هذا القبيل، خصوصاً وان الحزب انما هو فرع للحزب الام في هولندا ومرتبطة به. وعلى عكس هذا الحزب كانت الحركات الاسلامية تجاهد وتكافح لتحرير اندونيسيا من الاحتلال الهولندي.

بدأ الارتياح يغمر الحكام الهولنديين من عدم النجاح المأمول فلم يطمئنا كل الاطمئنان الى التطورات بعد تأسيس الحزب الاشتراكي الديمقراطي واتضح ان الاندونيسيين لم يقبلوا الانخراط في الحزب المذكور إلا نفراً معدوداً ليس لهم في الحزب مركز يتبوأونه. وقائمة رجال هذا الحزب تتكون من الهولنديين فقط:

- | | |
|-----------------------|---------------|
| ١ - سنيفليت | Snivliet |
| ٢ - المستر ستوكفيس | J. E. Stokvis |
| ٣ - المستر كرامر | IR. Cramer |
| ٤ - المستر فان خندرن | Van Gendren |
| ٥ - المستر فان بورنيك | Van Bornik |
| ٦ - المستر بارس | IR. Baars |

وتنبه الكثير ممن كانوا قبل ذلك على ريب الى أن ارتباط هذا الحزب بالحزب الام في هولندا امر لا يمكن الاطمئنان إليه، مما حمل رجال هذا الحزب على اتخاذ طريق آخر لكسب الثقة. فاضطروا ان يعلنوا في عام ١٩١٩ بعد الحرب العالمية الاولى

الاغلال من الهيمنة الهولندية. وفي عام ١٩٢٣ أعلن الحزب الشيوعي الاندونيسي مؤكداً أن دستور الحزب وهدفه الرئيسي هو قيادة الفلاحين والعمل ضد الرأسماليين والتجار المسلمين وهم الذين يستغلون الشعب استغلالاً لمصالحهم الذاتية باستعباد الشعب الفقير الضعيف.

يتضح من ذلك أن الهدف الأول والوحيد هو محاربة المسلمين فقط، ولم يشر الدستور أبداً إلى الاستعمار الهولندي ولا إلى مظالمه وطغيانه بل تفنن الحزب الشيوعي في دعايته الواسعة في محاربة الاقتصاد الإسلامي والدعاية للشيوعية، ولم تجد الحركات الإسلامية بداً من تعزيز موقفها ومجابهة الحزب الشيوعي والاستعمار الهولندي الذي يدعم الحزب الشيوعي، وقد أثارت أعمال الحزب الشيوعي الاستفزازية حفاظ المسلمين، وأعلن حزب شركت اسلام عقد مؤتمر إسلامي في مدينة سورابايا عاصمة جاوا الشرقية، وقرر المؤتمر اقالة كل عضو في الحزب الإسلامي إذا انضم إلى الحزب الشيوعي، وكان هذا بداية سلسلة من المجابهات العنيفة بين المسلمين والحزب الشيوعي الاندونيسي بصفة علنية.

تعتبر حكومة هولندا أن سياسة سنيفليت وأعوانه قد نالت نجاحاً بتورط الحركات الإسلامية في هذا المأزق، وانشغلت عن مجابهة الاستعمار الهولندي، وانشغل المسلمون بقضية جديدة تستنزف الكثير من طاقاتهم وقواهم.

إن إخراج الأعضاء المسلمين من حزب شركت اسلام بسبب اتصالاتهم برجال الحزب الشيوعي كان له الأثر السيئ في نفوس المرفوضين الذين أصبحوا فيما بعد أشد أعداء المسلمين، وقد قال البعض: إن الحماس والتسرع في اقالة ورفض الأعضاء من حزب شركت اسلام قد جر إلى عواقب غير مرضية، وكان القرار بعيداً عن الاتزان والحكمة، خصوصاً من الذين رفضوا شخصيات مرموقة ذات قيمة في المجتمع، وكذلك تشهيرهم في مؤتمر عام وإمام جمع غفير من الملائم تعريتهم في الصحف، فكان من الطبيعي الحتمي أن يقوم هؤلاء برد فعل أكبر لتعزيز مواقفهم والدفاع عن أنفسهم لحفظ

كرامتهم التي اعتبروا أنها قد انتهكت ظلماً وطغياناً، فاتهموا رجال حزب شركت اسلام بالبرجوازية والدفاع عن الرأسمالية.

تطورت الامور بعد تلك الحادثة واضطر حزب شركت اسلام الى سلوك طريق واسلوب اكثر مرونة معهم فبدلاً من قساوة الرفض والابعاد لهؤلاء الاشخاص دعا الى اتخاذ سبل التفاهم لازالة اسباب الخلافات التي يمكن علاجها.

نتيجة لهذه الصراعات المأساوية غادر سماعون رئيس الحزب الشيوعي الاندونيسي في شهر تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٢١ ورفيقه دارسونو، اندونيسيا متوجهين الى موسكو بدعوة من الشيوعية العالمية بصفة وفد رسمي من اندونيسيا لتقوية اواصر المودة والاخاء الشيوعي بين اندونيسيا والاتحاد السوفييتي وبين الشعب الاندونيسي والشعب السوفييتي.

تفاقم العداء واستمر الخصام بين حزب شركت اسلام والحزب الشيوعي خصوصاً بعد ان عقد الحزب الشيوعي مؤتمره يوم ٢٤ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٢١ برئاسة تان مالাকা وكان هذا المؤتمر رد فعل لمؤتمر حزب شركت اسلام المنعقد قبل شهرين وذلك في شهر تشرين / اكتوبر ١٩٢١ في مدينة سورابايا، وقرر الحزب الشيوعي في مؤتمره اعتبار لينين هو الزعيم الاوحد للشيوعيين في العالم وانه منقذ البشر من طغيان الرأسمالية، وكان ذلك مجابهة مكشوفة لحزب شركت اسلام.

اما سماعون ودارسونو فقد بقيا في الاتحاد السوفييتي حتى عام ١٩٢٣، وحينما عادا كانا يحملان معهما تعليمات الكرملين لتوظيف اركان الشيوعية باندونيسيا وكانا مسلحين بسلاح التجارب الشيوعية الدولية، وكان اول عمل قام به سماعون بعد عودته من موسكو تكوين منظمة عمالية تحت اشرافه المباشر. كان سماعون نشيطاً ومتصلاً بالفلاحين والعمال مركزاً هجومه ضد شركت اسلام والمسلمين بصفة عامة، وكان يقصد من وراء ذلك تجزئة المسلمين والتفريق بين حزب شركت اسلام وبقية المسلمين، متهما هذا الحزب بانه منظمة بورجوازية رأسمالية اسس لحماية مصالح

البرجوازيين والرأسماليين، واخذ سماعون بهذا الاسلوب وهو تجميع العمال والفلاحين واثارة عواطفهم ضد التجار المسلمين، وهم لا يعلمون حقيقة سماعون وهدفه لبث مفاهيم الشيوعية ومحاربة الاسلام المتمثل في شخصية حزب شركت اسلام ونشر مشاعر البغض والكراهية لكل ما هو غير شيوعي.

هذه الاعمال الاستفزازية ادت الى المزيد من تفاقم الصراع واشتداد المجابهة بين الشيوعيين والمسلمين وتطورت الامور الى معارك اشتبك فيها الطرفان أدت الى اراقة الدماء. قاوم حزب شركت اسلام اعمال العنف والاستفزاز من قبل الشيوعيين الذين استخدموا العمال والفلاحين وقرر الحزب انه من الضروري الدعوة لعقد مؤتمر اسلامي عام للمسلمين لتدارس التطورات الجديدة ومدى تأثيرها على المجتمع الاسلامي وما يجب على المؤتمر اتخاذه من قرارات حيالها. تم عقد المؤتمر في مدينة شربون بجاوا الغربية (CIREDON) اشترك فيه الشخصيات الاسلامية، وتدارسوا قرارا ايجابيا حاسما ولكن اكتفى باصدار بيان وتوصيات ونداءات وجهت للمسلمين تشتمل على:

- ١ - الدعوة الى المزيد من التضامن والتعاقد والتكاتف.
 - ٢ - تشكيل جبهة موحدة لمواجهة الاعمال الاستفزازية الشيوعية ضد المسلمين.
 - ٣ - يجب على المسلمين تلبية هذا النداء امام هذا الخطر المحدق بالمسلمين، فالتهاون والاهمال يجر الى استفحال الاعمال الاستفزازية التي ستكون وبالا على المسلمين.
 - ٤ - الحزب الشيوعي يتلقى مساعدة مادية ومعنوية من موسكو ومن حكومة الاحتلال الهولندي.
- ومن يمعن النظر يرى ان المسلمين وحزبهم المتمثل في حزب شركت اسلام اصبحوا في موقف المدافع بدلا من موقف المهاجم.

انتقل السيد ابن شهاب الى رحمة الله في ٢٩ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٢٢ وبعد وفاته بشهرين اعلن حزب شركت اسلام في شهر شباط / فيراير عام ١٩٢٣ عن تطوير دستوره وجعل حزب شركت اسلام حزباً إسلامياً سياسياً، مستهدفاً توسيع مجال النضال ليكون اعظم رسوخاً واكثر قدرة على الكفاح، وذلك بناء على التوجيهات التي كان السيد ابن شهاب يوجهها للمسلمين قبل وفاته. وأتى هذا التعديل في دستور حزب شركت اسلام بشار مملوسة وتغيرت الاوضاع من حسن الى احسن.

لو اتخذ حزب شركت اسلام هذا الاسلوب المرن بدلاً من ذلك القرار الذي قرره في مؤتمره في مدينة سورابايا من رفض واقالة بعض الشخصيات لتفادى المشاكل وربما سلم من التورط في مجابهة الشيوعيين وربما فشل الشيوعيون أيضاً. اما حكومة الاستعمار الهولندي فلم يخامرها الاطمئنان، وكان القلق يساورها نتيجة لهذه المسيرة الاسلامية وتحول شركت اسلام الى حزب اسلامي مكافح ضد كل قوى البغي والطغيان بجميع اشكاله واوضاعه. واخذت تبحث مع مستشاريها من المستشرقين طرقاً اخرى ضد امتداد الحركات الاسلامية المتصاعدة وازدياد تضامن المسلمين وتكتلهم في بوتقة واحدة على اساس عقائدي ديني.

لم تكتف هولندا بتشجيع ودعم الشيوعيين ومنظماتهم وإنما وسعت اعمالها بدعم كل حركة مضادة لنشر المزيد من البلبال الدينية باثارة المسائل الخلافية الفرعية حيث عززت الحركة القاديانية وتواطأت مع بريطانيا على تأييدها وفسح المجال لها، لانها حركة اسلامية متحررة متطورة، وأتاحت فرص العمل في دوائر الاستعمار الهولندي لمن ينتمي للاحمدية القاديانية في اندونيسيا تحت قيادة الشيخ رحمة الله الهندي الذي استقدمته هولندا من الهند ليقوم في اندونيسيا ويتولى دفعة الحركة الاحمدية القاديانية باندونيسيا، وكان الشيخ رحمة الله يدعو الى تصديق نبوة ميرزا غلام احمد، نبي الاحمدية. وانطلق المسلمون يقاومون الدعوة الاحمدية القاديانية في

جهة ويقاومون الشيوعيين في جهة اخرى، وامام المسلمين كذلك الاستعمار الهولندي، فهم يجاهدون في ثلاث جبهات في وقت واحد، واصبحوا غارقين في دوامة من المعارك.

في وسط هذا الجو المحموم تكتل الشيوعيون والقاديانيون ومن ورائهم هولندا لمجابهة المسلمين لتمزيق شملهم وتفريق كلمتهم باستنزاف قواهم المادية والمعنوية. واستغلت الكتلة الشيوعية القاديانية هذه الدوامة باتهام المسلمين بانهم قد فشلوا في حركاتهم وتورطوا في متاهات وغرقوا في مجادلات فارغة، احدثت بالمجموع الاسلامي ضررا كبيرا وضاعت الاوقات سدى وبدون جدوى بينما الشعب يرزح تحت ظل الفقر، وكان الشيوعيون يدعون أنهم في المكان الاول يهتمون باوضاع الفلاحين والعمال الذين يستغلهم ارباب المصالح من البرجوازيين والرأسماليين ويكافحون من اجل الشعب لتحسين احواله ورفع مستواه المعيشي.

لم تتل الشعارات الاشتراكية ولا المفاهيم الاحمدية اية اهتمام من الشعب بل قابلها بالهزاء والسخرية، فتحمس الشعب للاسلام وانضوى تحت القيادات الاسلامية ولم تزرع الشعارات الشيوعية ولا الدعوة الاحمدية القاديانية من عقيدتهم شيئا لان كلتا الفرقتين عميلة للاستعمار، والاستعمار مكروه ومنبوذ.

وهكذا فشلت كل الحركات المناوئة للاسلام، واستمر المسلمون في جهادهم المتواصل بدون توقف بل وتساعد الكفاح ضد الاستعمار الهولندي حتى نال الشعب استقلاله التام الذي اعلنه الرئيس أحمد سوكونو ونائبه الدكتور محمد حتي في صباح يوم ١٧ أغسطس عام ١٩٤٥. وبذلك تم للشعب الاندونيسي ان يتمتع باسلامه وحرية.

اساليب محاربة المسلمين

لا تختلف اساليب الاستعمار الغربي عن اساليب الاستعباد الشرقي في محاربة المسلمين، فالاستعمار ملة واحدة، وعدو الاستعمار المشترك هو الاسلام، يمكن الاستعمار ان يهادن البوذية أو الهندوكية أو المجوسية ولكن الاستعمار لن يهادن المسلمين، فالمسلمون هم الاعداء اللدودون في نظر الاستعمار. ومن اجل ذلك اتبع الاستعمار كل اسلوب لمحاربة المسلمين، من خداع وتمويه وايجاد بلبلة في الافكار وفي العقائد ثم التشكيك في الدين أو على الاقل التهاون والاستخفاف به مما يضعف الروح المعنوية لدى المسلمين. وهذه الاساليب لم تكن عفوية وانما هي مبنية على دراسة قام بها المتخصصون من المستشرقين للأمور التالية:

الاول: اسباب تغلغل الاسلام في نفوس الشعب.

الثاني: ما مدى تأثير التربية الدينية؟

الثالث: هل تساعد العادات والطقوس على تركيز المفاهيم الاسلامية؟

الرابع: ما هي طموحات المسلمين؟

درسوا هذه النقاط دراسة عميقة من جميع جوانبها واستخلصوا منها تلك النظرية التي وضعوها لمحاربة المسلمين، لا بالسلاح البتار ولكن باضعاف الروح المعنوية ثم الاستخفاف بما هو روح الاسلام والنظر الى الدين نظر عدم اهتمام ثم تعظيم كل ما هو غربي، ثم ربطوا ذلك بالامور الاجتماعية والسياسية وتوصلوا الى هذه الامور:

١ - تحطيم مفاهيم وقيم العقائد الدينية في نفوس المسلمين وشبابهم بشكل

خاص لابعادهم عن الروح الاسلامية.

٢ - الهزء والسخرية بكل فكرة دينية، واتهام المسلمين بالتطرف والمغالاة

وتصويرهم بقلّة زنة العقل والتعصب والعيش في عالم الخيالات، ولاجل ذلك فالمسلمون فاشلون في حياتهم.

٣ - حصر تعريف مفهوم الدين والمتدين بالخمول والخامل.

طبق الاستعمار هذه الاساليب في المدارس، ولقن الطلبة هذه الفكرة وغرسها في عقولهم وافكارهم حتى صارت كأنها عقيدتهم وخرجوا من مدارسهم وهم يحملون هذه العقيدة وينظرون الى قومهم بنظرة الاستخفاف والاحتقار وربما قاوموا المتدينين وعادوهم وحاربوهم، فكان من هذا الانشقاق في الصفوف والتمزق في الوحدة. هذه الامور كلها واقعة في البلدان الاسلامية، وواضحة المعالم لمن القى البصر وكان على بصيرة.

وامام هذه الاوضاع الاستعمارية، كان للسيد ابن شهاب اسلوبه في مواجهة تلك الاساليب وزعزعة اركانها:

اولاً: باعداد كواد من الشباب المثقف المتنور وتغذيته بالروح الدينية.

ثانياً: تغذية الشباب بروح الكفاح للدفاع عن الحق.

ثالثاً: على الكوادر الناجحين انشاء كوادر اخرى ليكونوا سلسلة متماسكة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً في مواجهة الاساليب الاستعمارية.

رابعاً: الاتصال المباشر بجميع طبقات الشعب ومستوياته وتوعية الجميع باللغة والاسلوب الذي يسهل لهم ادراكه وفهمه وتقبله واثارة حماسهم.

خامساً: الاكثار من عقد الندوات والمحاضرات بالاسلوب الذي يدركه كل على قدر ادراكه ومستوى عقليته، والاستشهاد بالقصائد الحمينية الدارجة، وضرب الامثال وسرد القصص المثيرة، حتى يتمكن السامعون من نقلها واعادة روايتها لغيرهم بنفس الطريقة.

سادساً: تجنيد كل القوى الشعبية من العامل والفلاح والموظف والطالب والتاجر والصيد وغيرهم في كل محل وكل موقع.

سابعاً: اتباع اسلوب الانشاد الحماسي لاثارة الحمية وغرس روح الوعي لمخططات الاستعمار حتى يتناقل السامعون تلك القصائد المنشدة التي تزيدهم كلما سمعوها حماسة وكراهية للمستعمر، فترى العامل في معمله والفلاح في حقله والطالب في مدرسته والموظف في مكتبه والمعلم امام تلامذته كلهم يتناقلون ما سمعوه من اقاصيص وقصائد مما علق في اذهانهم وتقبلته مشاعرهم فاخذوا يتغنون بها مغتبطين. ثامناً: نقل هذه الامور من مدينة الى اخرى ومن قرية الى قرية بواسطة الكوادر المتشبعين بهذه الموهبة، حتى تدور بين ألسن الجميع في احاديثهم في سمراتهم وسهراتهم.

تاسعاً: تجنيد الخطباء والكتاب لمجابهة حيل الاستعمار وتعريتها وفضحها وتصويرها بانها الشيطان الخبيث والعدو للدود للاسلام والمسلمين وتحطيم الاصنام الاستعمارية وعملائها.

نجح السيد ابن شهاب في منهجه هذا، واصبح الكل يتغنّى بالقصائد الحمينية النبطية في المجالس والسمرات ويردد القصاصون تلك الاقاصيص المثيرة امام السامعين الذين يسمعون بكثير من الحماس والكراهية للمستعمر، وتعرض الاستعمار في المهجر الشرقي لسخرية الشعب المليئة بالكراهية والبغض له، وحاول الاستعمار تلافي الاوضاع المتدهورة ودراسة اسبابها ومعرفة من هم وراء هذه الاعمال التي عرقلت سير الاستعمار.

الشعر الحميني النبطي الذي يتناقله السمار في احاديثهم واغانهم المليئة بالتهكم والسخرية بالاستعمار واذناب الاستعمار من العملاء، هو الذي اثار غضب المستعمر، فأخذ يتتبع الشعراء الحمينيين ليعرف من هم وماذا قالوه في المستعمر، ولكثرة القصائد وتعدد مراميها واتجاهاتها واسلوب قائلها واختلاف عباراتها صعب على المستعمر واعوانه معرفة شخصية القائل، وفاتهم ان جل تلك القصائد الحمينية النبطية من نظم السيد ابن شهاب إلا ان البعض من العملاء الذين لهم المام بعبارات السيد

ابن شهاب قال انه لا يستبعد ان تلك القصائد الحماسية من نظم السيد ابن شهاب لانها مليئة بأساليب الضرب على الوتر السياسي الحساس وبالأراء والافكار الحرة واثارة شعور وحماس الشعب.

لقد مضى على تلك الحوادث الى اليوم ما يقرب من قرن من الزمن، ولكن الحفاظ والقصاصيين لا يزالون يحفظونها عن ظهر قلب ويعيدون قراءتها وروايتها في كثير من المناسبات خصوصاً في السمرات الغنائية، وقد تطور الزمن ولكن القصة لا تزال باقية حية.

ان وسائل الاعلام في ذلك الوقت كانت محدودة المعالم وفي نطاق ضيق محصور لم تبلغ ما بلغته اليوم، فلا صحف كبيرة واسعة وانما يطبع منها عدد محدود لا يتعدى عدة آلاف نسخة، ولم يكن المذيع ولا التلفاز معروفين في ذلك الوقت. وسائل الاعلام في ذلك الوقت لا تتعدى الصحف المحدودة كما ذكرناه، أو الاجتماعات في المساجد أو في بعض الساحات، ليستمع الحاضرون الى ما يلقي الخطيب عليهم في الموضوع المقرر إما لاثارة حمية أو إلقاء قصيدة أو استعراض نشرة. ومن هذا المجال المحدود الضيق استطاع السيد ابن شهاب زعزعة قوى الاستعمار واركانه، وعلى رغم هذا النجاح كان على السيد ابن شهاب ان يدفع الثمن باهضاً، حيث استطاعت هولندا مؤخر ابعاد السيد ابن شهاب من مستعمراتها بعد ان مكث فيها اربع سنوات متتالية في مدينة سورابايا واغلاق مشاريعه الاقتصادية بالمصادرة والتأميم، ولكن هولندا لم تستطع ان تززع قيد شعرة من مشروعه في النهضة الاصلاحية التي ظلت تنمو وتتوسع وتكبر وتتعاظم حتى انتهت بعد سنوات الى ازالة الاستعمار الهولندي من الاراضي التي استعمرها وإخراجه منها خاسئاً.

علمت بعد التحري الدقيق ان القيادات المسيحية العليا في مخططاتها العالمية بجميع مذاهبها واتجاهاتها من كاثوليكية وبروتستانتية وغيرها لا تريد من المسلمين خصوصاً من الفقراء والجهلة ان يكونوا نصارى، إذ لا فائدة من تنصرهم للنظام

المسيحي في شيء، وانما سيكونون العبء الثقيل على كاهل النظام المسيحي، يكفي ان يكونوا مسلمين بالاسم لا بالروح والعقيدة، مسلمين غير مثقفين مسالمين متسامحين بدون روح اسلامية ضعفاء في اوضاعهم ممزقين في افكارهم وبذلك يعجزون عن القيام بالعمل الجدي الايجابي، ويكونون ضعفاء دائماً، والضعيف لا يمكن ان يقوم بعمل وهو يخشى القوي ويحاذره ويخطب وده ويخشى سطوته ويطلب حمايته. ان النظام المسيحي يريد من المسلمين ان يبقوا على اسلامهم ينظرون الى الحضارة الغربية ومدنيتها بالكراهية ويحكمون عليها بالتحريم، وينظرون الى المذيع والتلفاز وآلة التصوير وعلم الجغرافيا والفلسفة وكروية الارض والفنون والوصول الى القمر أنها بدع محرمة إذ لم توجد في ايام الرسول ﷺ. هذه النظرية تجد سنداً قويا لها من النظام المسيحي.

وفرقه اخرى من المسلمين تنظر الى الغرب بالتعظيم والاجلال والاعجاب والدليل على ان النظام المسيحي لا يريد من المسلمين ان يتنصروا، بل يبقوا على جهالتهم، هو ان في الشارع الموازي للشارع الذي اسكن فيه توجد مدرسة مسيحية ومن البيت الذي اسكنه نسمع صوت المعلم عندما يلقي دروسه ونسمع التلاميذ حينما يقرأون دروسهم، وفي يوم الجمعة من كل اسبوع يجتمع التلامذة المسلمون في قسم واحد لتلقى عليهم دروس من القرآن الكريم، وكنا نسمع بوضوح تام كيف يقرأ التلاميذ سورا قصيرة من جزء عم ثم يتلون قنوت صلاة الصبح، واطمأن الناس ان المدرسة المسيحية تدرس الاسلام للتلاميذ المسلمين. وما علم المسلمون ان وراء هذه المناورة غاية اخرى لفائدة المسيحية:

اولاً: ليطمئن آباء التلامذة ان ابناءهم يتلقون دروسا اسلامية، وانهم لن يتنصروا.

ثانياً: ان تلك الدروس انما تعطى للتلاميذ حفظاً لا عقيدة، لتكون للتلاميذ مجرد طقوس.

ثالثاً: ينظر التلميذ المسلم الى زميله المسيحي وهو يتلقى دروسه بشيء من الاعجاب والتسامح، حتى ينشأ ويترعرع على تلك النظرة. والخلاصة انهم يريدون ان نكون جهلة متأخرين مترمطين متناحرين لا فائدة منا. وهل يتعظ المسلمون ويعون؟

المتزمتون:

المتزمتون والمتعصبون تحكمهم عقلية تقاليدهم الموروثة وانتمائهم الى عقائد واساطير مزدوجة بالية وتقاليدهم جاهلية نشأوا وترعرعوا عليها، وطقوس رعناء تطبعوا بها، ومفاهيم عكسية تربوا عليها، وانتقشت في اذهانهم وقلوبهم حتى اصبحت جزءاً من الايمان الذي يؤمنونه، يعيشون معها وفي كنفها طوال حياتهم، فانعزلوا تمام الانعزال عن الافكار الصحيحة النيرة والتقدم العلمي والتطورات المستحدثة، والحياة الاجتماعية المزدهرة، فاصبحوا بحتمية انعزالهم جامدين كالصخور الصلدة مترمطين. توجد مثل هذه الجماعات فرق شتى متنوعة النزعات، مختلفة المشارب في تزمتهما وعقولها المتحجرة، ووجود تلك الفئات بهذه الحالة كونت في العالم المتنور صورة قاتمة للمسلمين في نظر الغير، فشوهت سمعة الاسلام وعكست عنه منظراً سيئاً مزرياً.

كيف يمكن لامة تعيش في عصر العلم من القرن الخامس عشر الهجري أو القرن العشرين الميلادي ان تؤمن بمفاهيم بدائية وتعتقد بأن الارض مسطحة ساكنة في مكانها، ثابته ثبوت الجبال الراسخات، لا تدور ولا تتحرك، والقائلون بكروية الارض في نظر تلك الفئة بغاة كفار، وان واختراق اجواء الفضاء من هراء الكفرة والزنادقة، والتصديق بوصول الانسان الى القمر كفر وارتداد عن الاسلام. وان كل شيء غير موجود في عصر النبوة فهو بدعة وضلالة في عرفها واعتقادها، ومن آمن بالبدع فمقره جهنم.

المذيع والتلفاز وآلة التصوير كلها محرمة تحريماً قطعياً وكل ما يأتي من الكفار لا يمكن تصديقه ولا اتباعه، والعلوم مثل الفلسفة وعلم النفس وعلم الطبيعة وغيرها تعتبر لدى هذه الفئة من الكبائر المحرمة تحريماً قطعياً، وتلقي تلك العلوم ودراستها يجران إلى الكفر والالحاد.

ان وجود اناس من امثال تلك الفئة بين كل امة في اي عصر من العصور أمر مألوف غير مستغرب. فكم يحدثنا التاريخ بالشيء الكثير عن امثال تلك الفئات في الشرق والغرب.

ولننظر هنا إلى بعض فتاوى المتمزتين باختصار، حتى يتضح للقارئ مبلغ عقليتهم وسخافة مستواهم ونذالة اقوالهم واحاديثهم التافهة الفارغة.

١ - كفر من يعتقد بكروية الارض أو دورانها، لتعارضها مع الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿وإلى الأرض كيف سطحت﴾.

٢ - القول باختراق الانسان الفضاء ووصوله إلى القمر هراء وكذب صريح، وتصديقه كفر، لان في ذلك تعالياً على قدرة الله.

٣ - السينما والتلفاز والتصوير كلها محرمة قطعياً.

٤ - تحريم اكل ذبائح من انتسب إلى الاسلام وهو يتوسل بالنبي أو يزور القبور أو يقيم حفلات ذكرى مولد الرسول ﷺ أو الاحتفال بالمعراج. فهؤلاء في حكم هذه الفئة المتمزمة كفار مشركون زنادقة اخس من الوثنيين والمجوس، ولاجل ذلك تحرم اكل ذبائحهم، لارتدادهم عن الاسلام.

٥ - يحرم النطق بالنية في كل الاعمال، والتلفظ بها من المبطلات.

٦ - تعليم المرأة حرام لقول الشيخ خير الله نعمان بذلك.

٧ - زيارة القبور كفر واشراك بالله.

٨ - الدعاء للاموات من البدع والفسوق.

٩ - الفلسفة محرمة لانها من تعليم الكفرة والزنادقة.

١٠ - رواد الفلسفة مثل ابن سينا والفارابي وابن خلدون والغزالي والكندي وغيرهم كلهم كفار وملاحدة.

١١ - لا يجوز تلقين الميت ومن فعله فقد كفر.

١٢ - السفر الى ديار الكفر حرام.

١٣ - المحافظة على الآثار التاريخية حكمها كعبادة الاوثان والاصنام.

١٤ - زيارة المتاحف محرمة، لما فيها من تعظيم لغير الله وهو شرك محض.

هذه بعض فتاويهم وغيرها كثير، من امثال تلك الترهات. ومن الطبيعي ان يرى المتعلم والمثقف والمتنور تلك الفتاوى التي يطلق عليها (الاحكام الاسلامية) أنه لا يمكن ان يقبلها عقل سليم لمناقضتها للنواميس الطبيعية وبعدها عن العلم ومخالفتها لتعاليم الاسلام الصحيحة، ومن العجب العجائب ان تلك الفئة تقول عن نفسها انها داعية للامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنها تدعو شعوب العالم الى الاسلام، بينما هم سخفاء في التفكير وأجلاف في التعبير ولهم خشونة في المعاملة وقساوة في الكلام، مما يعطي الانطباع السيئ عن الاسلام، لانهم يتكلمون باسم الاسلام.

ان وجود هذه الفئات بين المجتمعات الاسلامية اليوم قد عرقلت اعمال الدعاة المصلحين وأسأت إلى سمعتهم. فمن الطبيعي المحتوم ان يكون رد الفعل من المتنورين بنور العلم شديدا على تلك الفئة حاملي الافكار البالية، وتكونت بطبيعة الحال جبهتان: جبهة المتنورين المتعلمين وجبهة الفئة المتزمتة، ولكل من الجبهتين اتباع ومؤيدون.

ان الاسلام هو الاسلام من اليوم الذي صدع به النبي محمد ﷺ حتى آخر الزمان. الاسلام دين رباني بوحى الاله، وهو دين خالد لا يبلى ولا يتغير ولا يتبدل، والاسلام في اعلى عليين، ولكن المسلمين هم الذين فسدوا وهم الذين زاغوا عن الجادة وعن المحجة المثلى.

التزمت والتعصب في نظر العلم هو عقم الفكر وتحجر العقل، لان العلم نور

يضيء في حياة الفرد الانساني وهو الذي يعطي سعة الافق وبعد النظر وسداد الرؤية ويدفعه ليطلب المزيد بالتفكر بكل ما خلقه الله وما اودعه في هذا الكون. وبعكسه يكون المتمزمتون والمتعصبون الجامدون حيث يعيشون في ازمة من الفكر والتطلع فينساقون إلى التصديق بالاساطير الملفقة والحكايات الخيالية، فلم يأبهوا بالعلم وحرموا من نور العلم والدين الحنيف الذي يحث على الاستعانة بالعقل لاكتساب المزيد من المعرفة وبعد النظر.

التزمت والتعصب يعمي البصيرة لا البصر، ويلوث النفس، ويجعل الانسان يرفض كل شيء حتى الاصلاح، ويخشى كل جديد صالح مفيد، ولاصراره على جموده وعناده، يرى الباطل حقا ويتعصب له ويرى الحق باطلا فيحاربه.

ان العقل الذي كرم الله به الانسان لينتفع به ويميزه عن غيره من سائر المخلوقات، استفاد منه الواعون وحرمه المتمزمتون، فخسروا كل شيء حتى عقولهم، خسروا اعظم ما منحه الله لعباده من البشر، هذه النعمة الكبيرة، وهي العقل.

في هذا الاطار الضيق من التزمت والتعصب وعلى اساسه نشأت وترعرعت فئة المتمزمتين، وتربى تلامذتهم على ما عاشوا ونشأوا عليه والفوه في حياتهم وحرصوا عليه كل الحرص لينشأ ابناؤهم وتلامذتهم مؤمنين بما آمنوا به ولم يكتفوا بحصر عقيدتهم في سلالاتهم وتلامذتهم واتباعهم، فحاولوا جهد طاقتهم فرض عقائدهم على الغير فرضاً بالاكراه والدعوة الى طريقهم بالالزام والقوة ومن رفض قبول دعوتهم اتهموه بالكفر والشرك. وقد ينخدع الجاهل والمغرور الذي لا يفهم شيئاً فينساق الى دعوة المتمزمتين خوفاً من الوقوع في الكفر والشرك.

يقول العلامة الاستاذ محمد جواد مغنية^(١):

ان الاسلام دين عمل حقا وواقعا، العمل من اجل حياه افضل في شتى الميادين. ومن هنا أيضاً يبارك الاسلام الخصب والرخاء ويحرص على الامن والعدل، ويستنكر

(١) في ظلال نهج البلاغة، الجزء الاول صفحة ١٩٨. الطبعة الثانية.

الفقر والتخلف، ويلعن الاستعباد والاستغلال، ويثور على الظلم والعدوان، وهذا هو الاسلام واضح وبسيط ومقنع في جميع تعاليمه التي تمثل الاحساس بمعاني الحياة ومطالبها ومسؤوليتها. ولا مشاكل للاسلام ولا فيه إلا مشكلة واحدة تسربت إليه من اساءة الفهم الخاطيء الجائر من الذين يدعونه ويمجدونه على اساس انه عواطف ومجاهيل، وشعائر وتقاليد وكفى.

ثم يتهمون كل من يعرف الاسلام على حقيقته ويرمونه بما شاء لهم من الجهل والغرض. ولو ابتعد الادعاء أو ابعدوا من الدين ووظائفه لدخل الشباب في دين الله افواجا، ونبذوا التيارات الشائعة في هذا العصر.

هذا قول العلامة الاستاذ الجليل محمد جواد مغنية، انها النظرة الصائبة الحقبة التي جاءت في موضعها الصحيح. وبعبارة اخرى ان ادعاء الدين هم حجر عثرة في طريق نشر الاسلام الصحيح، هؤلاء الفئة المتمزقة هم المنفرون للناس من الاسلام بافعالهم واقوالهم، التي يستमितون من اجلها خصوصا إذا كانت لهم فيها مصالح مادية. ليس من السهل لمصلح أو لرائد اصلاح كالسيد ابن شهاب في نهضته الاصلاحية ان يطور وضع هذا المجتمع الفاسد بإيقاظ عقول الجامدين ومحو مفاهيم المتمزتين المتحجرة أو صقلها واصلاحها. السيد ابن شهاب لم ييأس رغم كل ذلك ورغم المقاومات والاعتراضات، بل استمر مكافحا في جهاده مواصلا اعماله حتى توفيق ونجح بعد مقاساته المتاعب وتعرضه للمصاعب واستطاع ان يقلب الموازين والاوزاع ويصلح الفاسد منها وينور الافكار. ولولا مقاومة المتمزتين والمتعصبين بشكل مباشر وغير مباشر لنهضة السيد ابن شهاب، لما احرز السيد ابن شهاب النجاح، فالمتمزمتون هم الذين مهدوا السبيل من حيث لا يعلمون، لان مقاومة المتمزتين ومعارضتهم له وصدودهم عن سبيله ومساغيه الاصلاحية احدثت رد فعل اشد واقوى فشاع وذاع ذكره وكثر المهتمون به وبقضيته حتى أصبح اسم السيد ابن شهاب حديث المجالس من محبيه ومن مبغضيه وتتبع الكل اخباره ومنجزات اعماله باهتمام عظيم،

وبتمعن زائد للوقوف على مدى سير التطور الحقيقي في دعوته التي يدعو اليها. اما المعارضون وهم المتمزتون التي طبعت نفوسهم على المعارضة لكل اصلاح ومعاداة كل مصلح لحقدهم وجهلهم وسوء نيتهم، فقد اثارت معارضتهم للحركة الاصلاحية حماس الشباب المتنور ودفعتهم للتقرب الى السيد ابن شهاب فافادت حركة النهضة الاصلاحية وجعلتها تضاعف كفاحها، وتضاعف رصيد الثقة بالسيد ابن شهاب فنال التقدير والاحلال. بل كثير ممن كانوا في زمرة المتمزتين استرعت انتباههم حركة النهضة الاصلاحية فنظروا اليها بتمعن وبدأوا يتقصّون حقائق الامور بتدبر وامعان وشاهدوا التطورات الاصلاحية وتجردوا عن الاهواء ببصيرة عقولهم التي كانت جامدة، فكفروا بتزمت المتمزتين وارتدوا عن عقائدهم البالية وانظموا الى حركة النهضة الاصلاحية بعد ان استبان لهم ان الباطل كان مسيطرًا على العقول والافكار والنفوس وقد اصبح عقيدة وايمانًا.

قد تنتشر في كل مجتمع وبين كل امة مثال هذه الامراض والآفات، وهو امر مألوف وعادي غير مستغرب. تظهر تلك الامراض لدى كل امة متخلقة حضارياً وفكرياً، أو في عصر يهيمن عليه الركود الاقتصادي الذي يسبب التخبط وفقدان الاتزان في الحياة فتضيع الآمال، فإن المرء اذا فقد روح الامل وانحسرت لديه المعنوية انفسح المجال لاقوال المتمزتين في نفسه، فتسيطر تلك الاقوال على نفسه وهي فارغة، وتلك من الامراض الاجتماعية التي تنتاب الشعوب والامم من غابر الازمنة.

عندما يشتد المرض الاجتماعي ويعم الفساد بين الامة يظهر حتمياً من يصلح ذلك الفساد وقد شاع من قديم الزمن انه يظهر في كل قرن مصلح، وظهور المصلح غير متوقف على قرن أو يكون في كل قرن، ولكن في كل وقت أو زمن عند ما تصاب الامة بامثال تلك الامراض والآفات الاجتماعية يظهر مصلح حتماً لمعالجة الامراض المتفشية مثل تلك الآفات المستعصية فمن سنه الله في الكون انه لا فساد إلا وله مصلح. قد يخشى المريض من المعالجة العملية، ويحسب المريض ان العملية ليست في

صالحه واولى له العلاج بالطرق المتوارثة، ولكن متى شفي المريض من مرضه بالعملية الجراحية واستئصلت جذور مرضه، حينذاك يعرف قدر الطبيب المعالج الذي عالجه وسبب له الشفاء والعافية، بعد ان اساء الظن بالطبيب وحسبه عدوا له.

المتزمتون في نظر السيد ابن شهاب أولئك الذين يدعون العلم ويتظاهرون بالتقوى والصلاح وهم بعيدون عن العلم والتقوى والصلاح، ضيقو الافق عمي البصائر يتعصبون لاقوال وآراء وافكار خيالية وخرافات بالية يصرون على انها الحق.

لنسمع ما يقوله السيد ابن شهاب في وصفه لتلك الفئة المتمتة المغالية:

فرقة بالغرور والطيش ساروا	في فجاج الضلال سيرا حثيثا
جسموا شبهوا وبالاين قالوا	لوثوا اصل دينهم تلويثا
من يعظم شعائر الله قالوا	انه كان مشركا وخبيثا
ولهم بعد ذاك خبط وتهويد	س تولى مجدهم والمريثا

الى ان يقول:

اعرضوا عن سوا الحقيقة يبغيو	ن بما يدعون مهذا اثيثا
وتعاموا عن التجوز في الاس	ناد عمدا فيبحثون البحوثا
أو ليس المجاز في محكم الذك	راتانا مكررا ميثوثا
والى الخلق اسند الخلق والرز	ق وبر العهود والتحنيثا
ليت شعري من الذي يقبل الحق	جليا ويستهل الغيوثا
إذ هم اليوم حزب جهل فاذا كا	هم يميز التذكير والتانيثا
ويظنون ثعلب الحمق والغبي	يداني لدى النزال الليوثا
ليس يدرون انهم ليس يدرو	ن بل الجهل عمهم توريثا
وتسموا اهل الحديث وهاهم	لا يكادون يفقهون حديثا

وفي هذا المعنى والمقصد يقول شاعر المهجر الشرقي السيد أحمد السقاف:

فكم غرنا بالنسك خب لسانه	يردد ذكر الله والسيف يقطر
--------------------------	---------------------------

يمهد للمستعمرين مسالك الـ غنى وبأثواب التقى يتستر
ففي يده اليمنى كتاب وسبحة تغر وفي يسراه كأس ومزهر
موقف السيد ابن شهاب من المتمزمتين المتعصبين، موقف واضح، فهو يسميهم
(حرب جهل) لا عقل لهم، وتتبعهم أينما حلوا، وفضح أمرهم وكشف نواياهم ومكرهم
وهم الذين لا يفهمون حديثاً. ويقول في قصيدة أخرى مشابهة لهذا المعنى إن الجاهل لا
يمكن له أن يدعي العلم:

العلم والمجد رضيعا لبان والجهل يرمي ربه بالهوان
لا يدعي العلم امرؤ جاهل يخاف أن يفضحه الامتحان
قال أحد الأخوة الكرام المحامي محمد محبوب أحد أقطاب الحزب الوطني
الاندونيسي واحد مؤسسي الجمهورية الاندونيسية:

إن زعماء المسلمين واقعون اليوم في دوامة عاطفية فانشغلوا بها وتشبثوا
بالقشور وتركوا اللب فتفرقت بهم الأهواء إلى كتل شتى وأحزاب متنوعة المشارب،
وكل حزب يدعي أنه المحق وغيره على ضلال، واندفع كل منهم بحماس ليلقن الناس
عقيدته، واستمروا في مهاوي الخلافات التي لا قعر ولا نهاية لها.

لا جرم أن يستغل ذوو الأغراض من دول أخرى هذه الفرصة السانحة لاعداء
الاسلام فانتهزوها لوضع مخطط مستفيدين من وجود هذه الخلافات بين المسلمين،
وهذه الخلافات هي اداة وركيزة لتحطيم المسلمين وتفريق شملهم وتشتيت افكارهم
واعمالهم وتوهين كلمتهم وتحطيم قوتهم، فدعمت تلك الدول هذه الفئات وتلك
الأحزاب في مقابل ما تستفيده هي من تلك الخلافات بين زعماء المسلمين. ولم تكن
هذه الامور بخافية على ذي بصيرة ولا ينكرها إلا ذو عقل سقيم مأفون اعمى البصيرة.
كانت المسائل الفرعية بؤرة الخلاف بين ائمة الفقهاء في العصور الماضية
 واصبحت المرتع الخصب لارباب المصالح من الحكام فتبنوها بل اثاروها وروجوها

دعماً لمراكزهم وترسيخاً لمكانتهم وتقوية لسلطتهم فاستغلوا أولئك الفقهاء والهوا الشعب بالثرهات الفارغة والمسائل الزائفة التي لا قعر ولا نهاية لها، وبقيت رواسبها ملموسة ماثلة امامنا الى اليوم.

ان الواقع المؤلم للمسلمين في العالم انهم ابتلوا بزعماء متزمتين من ادعاء العلم وعبدية الدرهم والدينار ومنهم عملاء للاستعمار وممهدو سبل لاعداء الاسلام وهم يصلون ويصومون.

اخذت تلك القضايا مجراها فاحتلت دورها البارز وراجت في اسواق المجتمع طيلة الازمنة.

وما دام المتزمتون موجودين فالخلافات موجودة، وقد تتفاقم حيناً وتخف حيناً آخر تبعاً للعرض والطلب أو كمد البحر وجزره تهدأ وتثور وقد تتفاقم إذا لزم الامر الى خصام ومناوشات واحياناً الى اراقة دماء لا تفيد سوى الاعداء.

ان صفحات التاريخ مليئة بتلك الحوادث المؤلمة المخزية. يحاكم الفقير المعدم الذي لا يجد قطعة رغيف يسد به جوعه ورمقه ويساق بالسياط الى المحكمة فيحكم الحاكم عليه بدون سؤال لانه لا يمكن له ان يتكلم بشيء، والحكم هو قطع يده اليمنى. اما ذلك الحاكم الذي ينهب اموال البلاد والعباد علناً لينفقها على ملذاته فيعتبر الحاكم المثالي الذي يخدم الاسلام والمسلمين ويوصف بالالقباب والنعوت الجلالية. انه الحاكم العادل الذي تجب طاعته وامثال اوامره والابتعاد عن نواهيه.

فالاول مجرم اثيم والثاني حاكم صالح، ومتى حلت الهمجية فقدت العدالة.

تجار اديان:

تجار الاديان هم الذين يتاجرون بالدين من اصحاب الاهواء لاهداف مادية أو طلبا للمركز أو منصب، وهم متدينون في ظاهريهم ومجردون عن روح الاسلام في واقعهم الحقيقي. يتلاعبون بالدين، يتقصصون مهنة الدعوة الاسلامية حسب الظروف والمصالح. جعلوا من المسائل الخلافية رأس مال لهم ومادة دسمة يستغلونها في كل فرصة سانحة للتجار بها وعرضها كالسلع في الاسواق يثيرون من اجلها العواطف الدينية. يعرفون كيف يستنزفون اموال الشعب. يمالئون الحكام وارباب السلطات بشتى وسائل المكر والخداع. اعمالهم مقنعة بقناع النفاق يتوسلون بها للوصول الى هدفهم وهو جمع المال والربح المادي، بكل الطرق وشتى الوسائل بالخطب المثيرة والكلمات المليئة بالوعد والوعيد لارهاب الناس بهول عذاب الآخرة والتهديد من الانزلاق الى الشرك الخفي والكفر، فان جزاء ذلك عذاب جهنم. عندما يسمع الساذج اساليبهم الخطابية، يعتريه الخوف والرغبة وتهتز فرائضه خوفا وخشية من الوقوع في عذاب جهنم بسبب وقوعه في البدع التي تجر الى الكفر والارتداد، ويعيش طول حياته مرتابا قلقا خائفا.

وباسم الدين يتزلف تجار الاديان الى الحكام والسلاطين يتوددون الى ارباب الاموال وذوي المناصب ليكسبوا الثقة، ويسهل لهم استدراار الاموال. هؤلاء هم تجار الاديان يخادعون الله ويمكرون بالناس، فلا ذمم لهم ولا شرف ولا وجدان، لانهم باعوها من اجل المادة. وفيهم يقول السيد احمد السقاف شاعر المهجر الشرقي من قصيدة له:

وبهم ومنهم تشتري الذمم الرخـيصة كي تزين للورى اعمالها
يتسترون بالتقوى والصلاح ويتظاهرون بلباس الايمان والعفة وحسن السلوك.
يصفهم الاستاذ الافغاني الشاعر في رباعيته بقوله:

خدعت بناس قد ظننت بانهم ملائكة الرحمن تمشي على الارض
وصلّوا وصاموا فاغتررت بنسكهم فذقت الاسى بالطول منهم وبالعرض
والفيت تقواهم ستارا مزيفا فلا نسكهم صدق ولا فعلهم يرضي
إذا الدين لم يردعك عن كل منكر فانت بدرب غير درب الهدى تمضي
ويقول الاستاذ الافغاني أيضاً عن هذه الفئة: علماء القصور، وبطانة الحكام.
يمكرون بالشعب ليكون طوع اوامر الحكام. انهم دجالون منافقون لا خلاق لهم.
واسمعه يقول:

واقبح الناس دجالون قد مرودا على النفاق لاهل الجاه والرتب
بئست حياة رجال لاخلاق لهم ينافقون بلا حق ولا ادب
ثم يصفهم الاستاذ الافغاني بأنهم يتلونون كالحرباء، ففي كل يوم لهم لون حسب
المصالح، وانهم هم المرض والوباء على الامة. يقول:

في كل يوم لهم لون فلو حسبوا الوان خستهم لم يحصها عدد
لا اكثر الله منهم بين امتنا فهم وباء وبيل اينما وجدوا
فهذه الفئة من تجار الاديان التي يصفها الاستاذ الافغاني بانها الداء الوبيل في
جسم الامة، تعيش في نعيم الحياة في ترف وقصور مشيدة بين الرياش والطنافس
وبين الخدم والحشم، لان كل ذلك أقصى املهم من الحياة.
حدثني الاستاذ كنعان بعلبكي بما سأرويه لك. قال الاستاذ بعلبكي وهو
يحدثني قائلاً:

جرت لي حادثة مرة مع رجل من الدعاة بعد ان القى موعظته امام المصلين بعد
صلاة العصر في المسجد وكنا إذ ذاك في شهر رمضان وكلنا صيام، وعند الخروج شعرت
بمن ربت على كتفي مسلماً علي وهز بيدي مرحباً ترحيباً حاراً بالقبلات والاحضان.
كنت اعرفه خطيباً وواعظاً وهو يعرفني اكثر اني رجل اقتصادي، لم يفلت يدي من

قبضته وقال لي: كم كنت اتمنى ان تشرفني في بيتي في هذه الأمسية وانها مناسبة طيبة وفرصة سارة، ارجو ان لا تمنع أو تعتذر أو ترد رجائي. ودعاني لقبول دعوته لتناول الافطار على مائدته. اعتذرت فاصر على قبول الدعوة وقال: انها دعوة اخوية محضة لا تكلف فيها، وهي مفاجأة سارة، تأكل معنا وتشاركنا في طعامنا من غذائنا اليومي. بقيت على اصراري في الاعتذار، وبقي هو مصراً على ان اشاركه في طعامه برهنة على الاخاء والمودة والصداقة، فاضطرت لتلبية رجائه ودعوته، لئلا يتهمني بالكبرياء والترفع. عجبت من الحاحه الشديد ولم يدر بخلدي ان له مراماً من وراء هذا التثبيت. قضينا وقتاً ونحن لا نزال امام المسجد، وشاركنا في الحديث من خرج من المسجد من المصلين، ثم اخذني للتوجه الى منزله وهو ممسك بيدي ولسانه لا يفتر عن الترحيب بي والشكر المزيدي لقبولي دعوته المفاجئة، لان ذلك دليل الاحترام له. وإذا بي امام قصر منيف من القصور التي لا يسكنها إلا الامراء والملوك والحكام واصحاب الجاه العريض، وشاهدت فيها من التحف فوق حد الوصف، وكأني في قصر الامير محمد علي بالقاهرة قبل الاطاحة بالملك فاروق.

حان موعد المغرب فدعاني وادخلني الى قاعة كبرى فيها من الرياش والطنافس ما يحير العقل، وإذا بي امام سفرة طويلة كانها اعدت لجمع من المدعوين، فيها انواع الطعام واشكال الحلويات وشتى الفواكه الموسمية، ولم ار غيري سواه وزوجته الشابة التي عرفني بانها زوجته. كنا نحن الثلاثة فقط.

وسالته: اين المدعوون؟

قال: انت تساوي الكل، يكفيني ان تكون ضيفي، فلي كل الشرف بك، لم ادع احدا، فانت الكل في الكل.

قلت له: ولمن هذا الطعام الكثير؟

قال: هذا طعامنا اليومي وهو من باب الشكر واظهار النعم والتحدث بها. فلم

اتمالك نفسي، وقلت له: كيف تدعو الناس في مواعظك الى التقشف وترك متاع الدنيا وتمجد الفقر والفقراء الذين سيدخلون الجنة قبل غيرهم بخمسائة عام، وتدعو الناس الى الانفاق وبذل الاحسان، وتقول: من كان موسرا فلينفق بسخاء من امواله، لان السخي هو المقرب الى الله والى الخير، الست انت الذي تقول ذلك؟

قال: هذا من باب اظهار النعم والتحدث بها والشكر لله فيما انعم.

قلت له: هذا اسراف، والفقراء حول قصرك يئنون من الجوع.

قال: هذا جزاؤهم، لانهم كسالى لا يريدون العمل، فكان ذلك جزاءهم فان الله لا ينزل خبزا ولا يمطر ذهباً، ومن لم يعمل فهو عائلة على نفسه.

قلت له: لقد حباك الله بهذه النعم الوافرة، فلماذا لا تكون قدوة خير لغيرك وتتصدق وتتفق كما تدعو الناس للانفاق والرافة بالمساكين المحرومين؟

قال: نحن دعاة خير ندعو الناس للخير ونذكرهم بالوعد والوعيد واجرنا على الله.

واستطرد الاستاذ كنعان في حديثه قائلاً:

جرى هذا الحوار بيننا ونحن على مائدة الافطار في قصره الفاخر. وماذا نقول في عقلية هذا الداعي الذي لا شعور له ولا يحس بالمسؤولية وليس لديه وازع اخلاقي ولا انساني سوى الانانية، ولا يهتم إلا مصالحه الذاتية.

ومن اجل المادة صلى وصام وغر الناس بخطبه.

هذا ما حدثني به الاستاذ كنعان بعلبكي. اما السيد ابن شهاب فله اقوال وآراء ونظريات حول تلك الفئات التي تظهر الاعتصام بالدين وهم يتاجرون به. ان وجودهم شر للمجتمع، وبطون التاريخ مليئة بقضايهم واخبارهم، ولا يخلو من وجودهم كل عصر من العصور، وآيات المنافقين كثيرة في القرآن الكريم ولذا نجد في زماننا الحاضر بل في الازمنة القادمة امثال اولئك المتملقين الذين يحسنون تنسيق الكلام ولهم براعة

في المكر ومقدرة في اثاره العواطف. هؤلاء هم علماء القصور وبطانة الحكام الذين يخدعون الشعوب بالترهات ويمكرون باسم الدين ويخدرون الشعوب لتكون اداة مطواعة، وكم في الكون من امثالهم. يقول فيهم شاعر المهجر الشرقي السيد احمد السقاف:

قد شاب رأسي وشاب القلب من بشر معبودهم قبل رب العرش دينار
كان الاستاذ الافغاني الاديب المعروف قد نشر رباعياته في جريدة الدستور
اليومية التي تصدر من مدينة عمان عاصمة الاردن، ويتأوه هذا الاديب الشاعر ويشكو
بمرارة من هذه الفئة التي يعاصرها، فاسمعه يقول:

داء النفاق غدا في الناس منتشرا وليس احقر في الدنيا من الدجل
فاين سرت فمسح الجوخ مزدهر بين الجميع من العصفور للجمل
كل يسبح للدينار يعبد فلا تزك ولا تستثن من رجل
فكن من الناس في شك وفي حذر واشطب بنعل على الاخلاق والمثل
ويقول الاستاذ الافغاني في رباعياته الاخرى:

دجل على الناس دجل ما استطعت

فما يسود في عصرنا إلا ذوو الدجل
واتقن اليوم مسح الجوخ ان له سوقا عظيما فكن فيه من الاول
ولا تقل لي اخلاقي وتربيتي قد كان مثلك قبل اليوم في خطل
فما المثالي في هذي الحياة سوى مغفل ساذج يحيا على المثل

في رأي الاستاذ الافغاني ان هؤلاء هم المنافقون الذين يعبدون الدينار وهم
المتاجرون بالدين الذين لا يليق بهم إلا مسح الاجواخ . ومن الغريب حقا ان القانون
الوضعي لا يعتبرهم مجرمين، بل يضعهم في صفوف العلماء العاملين أو في مرتبة
الابطال المكافحين لان اعمالهم مما يفيد الاستعمار واعداء الدين. ولو كان للعدالة حق

النفوذ، لسيقوا الى محاكم العدالة وسئلوا عما كانوا يفعلون.

قال بعض الكتاب: ان سبب انحراف الانسان هو الفشل في حياته، وعدم قدرته على سلوك الطريق الصحيح السليم، ففقد التوازن وانحرف عن الجادة. ويبرر آخرون انه إذا انسد امام الانسان طرق المعيشة السليمة دفعه العوز والحاجة الى ارتكاب المخالفات الاخلاقية، ومن كان ممن لهم المام بالدين لا يتورع من اتخاذ الدين وسيلة للحياة، حتى إذا طبعوا على ذلك لم يردعهم رادع عن المكر والحيلة والغدر، ولذلك فان المخلصين يتعرضون كثيرا للمشاكل والمصاعب بسبب تلك الزمرة، واصبحت لكلمة (رجل دين) صورة قاتمة في مدلولها، إذ تصور ذلك الشيخ ذو اللحية الكثة المرسله الذي يرتدى المشلح وعلى راسه طاقيه وغطرة، متمت ضيق الافق، احمق، يكره كل شيء لا يألفه ولا يماشي هواه، يمقت المتعلم ويكره المثقف، حديثه يدور دائماً في حلقة محدودة المعالم لا يتجاوز المسائل المكررة التي ملّتها الاسماع ومجّتها النفوس، في امور تافهة، وحول التللفظ بالنية وبدعة الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف، والمعراج وكلها بدع وكفر.

اما في المدلول البعيد فتصور كلمة رجل دين، ذلك الرجل المتقمص هيئة العلماء من الذين يتاجرون بالدين. يخضع لمساومات العرض والطلب، ولا ضير إذا اقتضى الامر أن يقوم بتحريم الحلال وتحليل الحرام طبقا لسوق العرض والطلب المفيدة لمصالح واتباع الرغبات.

ولا غرابة إذا انتهز الاعداء هذه الظاهرة المتفشية في المجموعات الاسلامية فاتخذوها ذريعة لتنفيذ مخططاتها الموصلة لمصالحهم، بتركيزهم لهذا الواقع في المجتمعات الاسلامية، بالتأييد لهذه الفئة ليزداد الفساد فسادا. يقومون بدعم فئة ضد اخرى، وكلما احتدم النزاع وتفاقت الخلافات بين المسلمين، كان الريح اعظم للاعداء. ولا يريد الاعداء ان يتنصر المسلمون، ولكنهم يريدون ان يبقى المسلمون في

متاهاتهم هائمين.

ولنسمع الآن ما يقوله السيد ابن شهاب عن هذه الفئة وكيف وصفها وصور واقعها ومثل رجالها بأنهم ذئاب في صورة بشر، بل إن ذئاب البشر الد واطغى لأنهم خونة ومخاتلون:

هل للغرائب من حكيم عاقل	أو عالم يقضي بحكم فاصل
امن الذئاب المعط صنف ناطق	في صورة البشر السوى الكامل
أقول كلا والعيان مكذبي	كلا بل المفتي اسير السائل
معط الذئاب الناطقات هم الألى	جعلوا التصوف صنعة للداجل
فترسموا برسومه كي يحسبوا	صوفية مثل الفضيل الفاضل
يضعون للتمويه والتغريير في	مشكاة نور الحق نار الباطل
لبسوا العبايا والمسايح والحبى	والطيلسان يدار فوق الكاهل
والمظهرون البر والتقوى واد	مان التنسك خدعة للجافل
وإذا خلوا عكفوا على شهواتهم	من لاعب أو شارب أو آكل
هجروا كتاب الله واستغنوا بأل	حان السماع ورقصة المتداول
زعما بان الطار والمزمار والا	وتار تنعش كل قلب ذا هل
ايقوم دين الله بالسفهاء من	ذي مزهر أو زامر أو طابل
بئس الطوائف لا مرام لهم ولا	مرمى سوى جمع الحطام الزائل
ولهم حبايل لاجتلاب المال لم	تدرك غوائلها لغير الفاتل
ويطوف اطراف البلاد دعائهم	ودهاتهم من كل صل صائل
ممن يبيع ولا يبالى دينه	بيع المزاد ولو بشاة شائل
في كل واد لا تطيش سهامهم	مع كل حاف يخفدون وناعل
ويذيع كل ما افترى من نعت شيخ	هم الغوي ولو خرافة هازل
من صومه وصلاته وقيامه	جنح الظلام وزهده في العاجل

يروون عنه خوارقا للرسل ما
ولأجل نفي الريب مهما حدثوا
وهنالك الاستاذ يجهد فكره
يترقب الفرص التي فيها قطيع
يثني على اهل الثراء مصوبا
زيد ربيع ندى وعمرو في مقا
ويشير رمزا في الحديث بأن ما
حتى إذا اعتقدوا علو مقامه
غمروه جودا واستزادوه التما
ولمسحه رأس الصغير ووضع
ومتى تحكم مصلحا في حاله
وتراه يصدع بالمواعظ خاطبا
يملي زخارف زوره متأوها
طورا يرغب في الثواب وتارة
وإذا رأى في الجمع من اكياسه
اوحى الى احد الشياطين الألى
فيقول يا مسكين زر شيخ الشيع
وإذا اتى الفاه في المحراب في
ويقال بعد الانتظار هنيهة
ولك البشارة ان رزقت ولاءه
فإذا تقدم قال شيخ السوء اه
اني لرؤيتك ابتهجت ولست اد
فلعل في لوح السوابق بيننا

وقعت ولا اتفقت لساحر بابل
حلفوا لسامع افكهم والقابل
في سلب ثروة كل غر غافل
مع الصيد يبدو مكثبا للنابل
افعالهم مستدرجا للفاعل
م كذا وبكر في الرعيل الواصل
يحكيه من إلهام غيب نازل
ومشت عليهم حيلة المتحاييل
سا للتبرك في المقر العائلي
يده الكريمة فوق بطن الحامل
جعل البخيل فريسة للباذل
في القوم بهرة كل جمع حافل
متباكيا ليرق قلب الناكل
اخرى يندد باللئيم الباخل
ملأى من التبر الوفير الطائل
منهم تعود كل غول غائل
وخ تنل به اقصى امانى الآمل
جد وشغل بالعبادة شاغل
ادخل فانت اليوم اسعد داخل
بالانتشال من الحضيض السافل
لا يا بني ومرحبا بالواصل
ري سر هذا الابتهاج الحاصل
سر اتصال بالواصر واغل

ولعل حالك في امور الدين والد
ان كنت محتاجا فخذ ما تبغى
لا تخش املاقا علي ولا علي
اعلمت اني بعد ختم وظيفتي
فرأيته صلى عليه الله مب
ابشر فانت وتابعوك بدمتي
نب عن نبيك في مواساة العفا
جد بالنوافل ما استطعت على اليتا
خذ ما تشاء من امرئ سبقت له ال
وانا الضمين لمن يعينك بالغنى
فيصدق المسكين كاذب قصة
فيشاطر الاستاذ خالص تيره
ولكم لهم في السر غامض حيلة
ولهم مع الجنس اللطيف لطائف
لكن على الازواج عار المرسلا
هذي طرائفهم وهذا شأنهم
افهكذا كانت طريق مشايخ الا
كالستري وكالسرى وكالجنيد
كلا وحاشى بل هم عمد الهدى
الزاهدون المتقون العارفون
وهم البراء من الالى كذبوا على
فإليك ربي المشتكى وبك العيا
واسمح بإرشاد الجميع الى طريق

نيا على دعة ولطف شامل
تقوى به وتقيم ميل المائل
ك فنحن في كنف الرسول الكافل
سحرا عرتني غفوة المتثاقل
تسماً يقول وكان اصدق قائل
ورعايتي لمقيمكم والراحل
ة المعوزين وفي عظة الجاهل
مى والايامى والفقير العائل
حسنى ولم يعبأ بعذل العاذل
طول الحياة وفي الجنان مخاللي
ممزوجة بذعاف سم قاتل
لسداد ذي عوز ورفد ارامل
ابليس لم يطمع لها بمماثل
ابت المرواة شرحها للناقل
ت فهم اشد بلادة من باقل
تعسا لهم من خائن ومخاتل
سلام ارباب السلوك العادل
الحبر والشبلي أو كالشاذلي
وسحائب الفيض العميم الهاطل
بريهم من كل بر عامل
حضراتهم وخصومهم في الآجل
ذ من انتقامك والعذاب الهائل
الحق واصفح عن خطايا الخاطل

وتغش بالرحمات روح المصطفى والمرضى تعداد طش الوابل
 ضاعف صلاتك والسلام عليهما وبنيهما مدد الوجود الشامل
 والصحب من بسوفهم ثلت عرو ش الشرك واندرست رسوم الباطل
 ما تاب ذو خطأ وآب مفترط واناب عبد في العتيم الحائل
 يكفي هذا الوصف الدقيق والبيان الواضح الذي وصفهم به السيد ابن شهاب في
 شعره الوصفي القصصي هذا، إذ ان كل بيت من تلك الابيات في هذه القصيدة ينطق
 بالحقائق ويصور الواقع.

سبق ان ذكرنا ما يشكو منه السيد ابن شهاب من تلك الفئة الغوغائية التي يراها
 السيد ذئاباً ناطقة في صورة بشر، واسمعه يقول:

نشكو الى الرحمن من هذه الـ غوغاء شكوى من رماه الزمان
 وله قصائد مطولة وقصيرة في وصف هذه الفئة، تارة يشكو منها وحيناً آخر
 يهاجمها ويهجوها، لانها في نظره المرض الزوام في جسم الامة ولن تصلح الامة إلا
 باستئصال هذا المرض من جذوره وبتره بترأكاملاً، واسمعه في قوله عن هذه الفئة:
 اف لقوم همهم كيدهم وجمعهم للمال من حيث كان
 بالمال تلقاهم سكارى كما يسكر من يشرب خمر الدنان
 ان احسن الظن بتلبسهم مشرأوا تطهيره بالختان
 من كل ما الانسان يخشاه من مستقبل الدارين يعطي الضمان
 وكم وكم قد موهوا زائفا فظنه البله ثمين الجمان
 إلى ان يقول:

ونزه الاسلام عن غش اهـ لـ المكر والتدليس كيلا يهان
 لم يكن السيد ابن شهاب وحده الذي يشكو غوائل تلك الفئات، ولكن الشكوى
 طغت وعمت ولم تنحصر في البلدان الاسلامية فقط لانها المرتع الخصب للاتجار
 بالدين، بل تخطت الشكاوى حتى من البلدان غير الاسلامية حيث توجد التجمعات

الاسلامية مثل اوروبا وامريكا واستراليا، وغدت الشكاوى تترى مما يرتكبه هؤلاء المرتزقة تجار الاديان. والحوادث كثيرة اكثر من ان تحصى ونكتفي بايراد ما نشره اتحاد الطلبة المسلمين في اوروبا في النشرة الداخلية العدد ٢٦ الصادر في شهر شوال عام ١٤٠٠ الموافق لشهر آب / اغسطس عام ١٩٨٠ تحت عنوان (دور علماء السوء) جاء في المقال ما يلي:

«من ما ابتلي به المسلمون في هذه الايام، عبودية بعض العلماء للدنيا، ممن اصبح عملهم مهنة قد ترتبط مصالحهم فيها بمصالح الحكام، فتجعلهم من حيث يعلمون أو لا يعلمون عبيدا لهم وهؤلاء يلعبون دوراً كبيراً في تضليل الشعوب وتمييع قضية الحكم الذي انزله الله والوسائل الشرعية لاقامة الحياة الاسلامية والحكم الاسلامي. ويوجد من يشارك في الحكم الفاسد أو يهادنه بطريقة أو باخرى طمعا في مكاسب أو منافع بدعوى عدم ترك المجال للشيوعيين والملحدين، ثم يجلسون على موائد النظام والباطل».

إذا كان المسلمون حتى في اوروبا يشتكون من اعمال تجار الاديان الوافدين فكيف باعمالهم في البلدان الاسلامية حيث لا رادع ولا وازع؟

يقول الاستاذ السيد أحمد السقاف شاعر المهجر الشرقي وأحد تلامذة السيد ابن شهاب في ابيات يصف فيها تلك الفئة بالمكر والحيل نقتطف منها مايلي:

فهم الالى اتخذوا التنسك حيلة كم مخلص اضحى بها مغرورا
وفي قصيدة اخرى يقول:

ففي يده اليمنى كتاب وسبحة تغر وفي يسراه كأس ومزهر
ثم اسمعه ماذا يقول هذا الشاعر:

ولاجلها صلى وصام فغرنا تسبيحه وصلاته وصيامه
ويصفهم الشاعر بانهم بشر في الثياب فقط ولكنهم ذئاب:

وتحسبهم بشرا في الثياب ولكنه الذئب في نهمته

اننا نرى ونشاهد عيانا اولئك الذين يدعون الناس في خطبهم للتقوى والصلاح والى المثل العليا ويحثون الناس للتخلق بالفضائل الحسنة والتجرد عن هذه الدنيا الفانية، والتسابق لاعمال البر الخيرية بالانفاق والصدقات مستشهدين بآيات من القرآن الكريم وباقوال الرسول الاعظم سيدنا محمد ﷺ، حتى ليحسب السامع ان التقوى والورع والصلاح قد تجسد في اولئك فكانوا الانموذج المثالي للمسلم الورع المخلص لدينه، ويندهش الانسان عندما يعلم انهم يمارسون الفواحش والاعمال الرذيلة، مستهترين بمخالفة الدين وعدم المبالاة بالقيم الانسانية والاخلاقية. فالتناقض واضح فيما يقولون وفيما يفعلون، يعملون عكس اقوالهم. يدعون الناس للخير باقوالهم وهم ابعد الناس عن الخير. لا يخلجون ان يسموا انفسهم علماء ودعاة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وانهم حماة الدين.

وهل يؤمل منهم ومن امثالهم الخير؟

والخلاصة ان اتخاذ الدين تجارة هو عمل مريب، مهما يحاربه الشرف والعقل السليم وتتقزز منه النفوس الالوية، ولا يرتكب تلك الاعمال الرذيلة إلا المأفون الفاقد للشرف فلا يخشى ولا يستحيي من شيء فلا يردعه الحق ولا يرهبه النقد، لاستخفافه بالقيم.

العقل ينشد الحق، والتزمت يتشبث بالعواطف البالية، ضدان لا يجتمعان، الحرية والاستعباد. فالمتزمتون هم الجامدون اصحاب العقول المتحجرة وهم حواشي البغاة، طريقتهم الوحيدة اخضاع الشعب وارهابهم باسم الدين للتواكل والصبر. وللاستاذ الاديب الشاعر هاشم بن يحيى ابيات في هذا الموضوع آثرنا اثباتها هنا لصلتها بموضوع تجار الاديان، والاستاذ هاشم بن يحيى من شعراء الطليعة وله مجموعة قصائد في مواضيع كثيرة وله ديوان لا يزال مخطوطا.

التورّع الكاذب

تَبَّتْ يَدَا رَجُلٍ يُرِيـ ك تَوَرَّعًا وَالْقَلْبُ فَاجِر

لا مـن مـرؤـته ولا من دينه ناهٍ وزاجر
إنّ التـظـاهـر بـالتـو رُحِ شَأْنُ خِتَالٍ وما كـر
لا يُعـجـِبُكَ ما تـرى حتّى تَبينَ لك السرائر

ثرثار مغرور

يا صاحب الوجه الصفي ق وصاحب النفس المصابه
لا تـغـضـبـن إذا رمت بك بسخطها هذى العصابه
ملّوا كلامك إذ أطلد ت ولست من أهل الخطابه
الصوت منك كأنّك صوت الحمار ولا غرابه
والقول منك كأنّك جلمود صخر في الصلابه
فاقعد مكانك ياثقي ل الروح يا رمز الكآبه
يا ويحه اتخذ التن سك برقعا يخفي خلابه
ليـهـون أن يبتـرّ من مالٍ وما ينوي استلابه
والمرء ليس بتاركٍ ما قد تعوّد واستطابه
يا صاح قد برح الخفا ء فخف من المولى عقابه
وإذا أبـيت فـدم حـيا تك للـفـكـاهة والدعابه
أفٍ لمن نزع الحيا عن وجهه ورمى حجابـه
لا يـتـقي شـيئاً ولو عاراً فلا يأبى ارتكابه
والقوم يـرعون السـلا لة حقها فرعوا انتسابه
جـعل الجـدود ذريـعـةً لـينال ما رام اجـتـلابه
عـظـمت جـنايتـه علـى شرف الأرومة والقـرابه

هذه القصيدة للاستاذ الاديب شاعر الشباب السيد هاشم بن علي بن يحيى،
وهو من المثقفين البارزين وله الباع الطويل في عالم التربية والتعليم، له ديوان مخطوط.

لماذا نجح الدعاة السابقون؟

لا مراء ان الدعاة من المسلمين السابقين ادوا رسالتهم وخدموها باخلاص وادّوا الامانة احسن تأدية، فنجحوا وبلغوا الهدف. وإذا درسنا واستعرضنا اساليب الدعوة التي مشوا عليها وطبقوها في عصرهم واسباب النجاح التي نالوها ثم قارناها باساليب الدعوة في عصرنا الحاضر، وجدنا الفرق عظيمًا والبون شاسعاً من كل النواحي. ولمعرفة تفاصيل نجاح سير الدعوة في العصور الماضية بالطبع ستحتاج الى دراسة لمعرفة سير الدعوة وطرقها، من خلال المصادر الموثوقة وقد لا تكون متيسرة الآن، ولكن من النظرة الاجمالية نجد نتيجة النجاح واضحة ملموسة ونرى ذلك جلياً مما نشاهده الآن امام اعيننا من مبلغ هذا النجاح الباهر في كل مكان وطئته اقدام الدعاة، فقد وصلوا الى اماكن من بقاع العالم نائية متعددة. فلا نجد بقعة من بقاع العالم إلا ونجد فيها مسلمين قلّوا أو كثروا، حتى في الدول التي تحارب الاسلام الآن نجد فيها مسلمين.

استطاع اولئك الدعاة هدي هذه المجموعة الهائلة من البشر فاسلموا واعتنقوا الدين الاسلامي عن ادراك وقناعة وفهم وايمان، وهاهم المسلمون بايمانهم الصادق القوي امام تلك الاديان والمذاهب الفكرية الحديثة، ظلوا متمسكين بعقائدهم باخلاص بلا جلبلة ولا ضوضاء. وهاهم المسلمون الذين نراهم في مشارق الارض ومغاربها هم من سلالات الذين هداهم الدعاة الاقدمون.

لم يكن امر الدعوة سهلاً، وهذا امر مسلم ومفروغ منه، لقد تعرض هؤلاء الدعاة لمشاكل عويصة ومتاعب كثيرة، ولكنهم يرونها أمراً سهلاً هيناً في سبيل الله وسبيل الاسلام وللإسلام وحده. لا يطلبون من وراء ذلك حطام الدنيا ولا يعملون طمعاً في سلطة ولا املاً في الوصول الى الحكم، فإن طمعهم الوحيد هو تأدية الرسالة والفوز برضا المولى العلي القدير وحده.

لا يوجد في تلك الاحقاب من وسائل النقل الحالية شيء عندما بدأت حملة الدعوة الاسلامية عام ٣١٧هـ بقيادة المهاجر احمد بن عيسى حيث ترك وطنه البصرة باقليم العراق، وكانت وجهته جنوب الجزيرة في اتجاه جزر الاقيانوس بجنوب شرقي آسيا، والمسالك وعرة برا، فالمسافات القريبة كانت تكلف اياماً ولا تقطع إلا بشق النفس، إذ لا شوارع معبدة ولا سبل ممهدة ولا طرق سهلة، انهم قطعوا تلك المسافات الشاسعة برا من البصرة الى جنوب الجزيرة عن طريق اليمن ثم واصلت هذه المجموعة من الدعاة الميامين بقيادة المهاجر احمد بن عيسى متجشمين المصاعب لقطع عشرات الآلاف من الاميال على ظهور البغال ومتون الجمال اياماً وليالي عبر الصحارى الجرداء التي لا ماء فيها ولا كلاً، فاجتازوا تلك الفيا في الجرداء الواسعة مواصلين مسيرتهم الى الهدف حتى وصلوا الى قرية صغيرة اشبه بضيفة تعرف باسم الحسيسية، فاستقر فيها الامام المهاجر احمد بن عيسى، وواصل ابناؤه وذريته وبنو عمومته المسيرة فخاضوا عباب البحار وعبروا المحيطات بزوارق شراعية ليس فيها من الامكانيات ما يكفل سلامة الراكب، فربما حدث حادث أو اعترضتهم الامواج التي تقذف بالزوارق يمينا وشمالاً، فهم يعانون تلك المشقات لا يذوقون فيها راحة، ولا يستسيغون طعاماً ولا يحلو لهم شراب، حتى إذا كتب الله لهم السلامة ووصلوا الى البر سالمين الى البلد الذي يقصدونه في جزر جنوب آسيا والشرق الاقصى وجزر المحيط شكروا الله على عنايته بهم. انهم وجدوا في تلك الاماكن التي بلغوها شعوباً جديدة بالنسبة لهم، يختلفون عنهم في الدين واللغة والمأكل والمشرب والملبس والعادات، رأوا فيها معالم لم يكونوا يعرفونها من قبل. هنا استقر بهم المقام بين هذه الشعوب والامم الكافرة، كان هدف هؤلاء الدعاة دعوة تلك الشعوب الى الاسلام وهداياها الى الصراط المستقيم. لقد كان ذلك في اوائل القرن الخامس الهجري، وتم على ايديهم هداية الضالين من ارباب الاديان والمعتقدات الاخرى من بوذيين وهندوكيين وبرهميين ومجوس وملحدين ومسيحيين وعبداء اوثان واشجار واحجار، فبلغهم الدعوة الاسلامية التي لم يسمعوها

بها من قبل.

استوطن هؤلاء الدعاة في تلك البلدان وبين تلك الشعوب واندمجوا باهلها وشعوبها حتى صاروا منها غير عابئين ولا مكترئين بالمتاعب القاسية وتحملوا معانات المصائب الشديدة وتعرضوا بسببها لمشاكل كثيرة.

هاجر اولئك الدعاة تاركين وطنهم، لان ثقتهم بالله عظيمة، معتمدين عليه ومخلصين له والايمان به رائدهم، فلا حكومات تصرف عليهم ولا هيئات تمولهم وتمونهم، لكنهم استطاعوا التغلب على كل ما يعترضهم من المصاعب المحفوفة بالمشاكل، يواصلون تأدية رسالة الدعوة الاسلامية مواصلة مستمرة طول حياتهم، قلوبهم مفعمة بالايمان ونفوسهم واثقة بالمولى عز وجل.

هذه الملايين من البشر الذين يدينون بدين الاسلام والمنتشرون في هذه الارحاء الواسعة من العالم، وهذه الألوف المؤلفة من المساجد بماآذنها الشامخة يدوي من اعاليها خمس مرات يوميا ذكر اسم الله، وانه لا اله إلا الله وان محمداً رسول الله. يتقاطر المسلمون الى المساجد ملبيين الدعوة للصلاة.

ها هي المعاهد العلمية التي اسسها وشيد بنيانها أولئك الدعاة قد اخرجت للعالم الاسلامي فطاحل العلماء وكبار الادباء وعظماء القادة والساسة والمجاهدين، فهي فضل من أفضالهم وأثر من آثارهم في جهادهم السلمي. ان تاريخهم خالد واعمالهم ناطقة تشهد لهم الاجيال معترفة بماآثرهم ومكبرة لاعمالهم الجبارة وخطواتهم الكبيرة في نشر الدين الاسلامي وتعاليمه ومبادئه، وفي كيفية تحويل قلوب تلك الشعوب والامم من معتقداتهم التي يعتقدونها بها ومن اديانهم التي يدينون بها، ونشأوا وترعرعوا عليها الى اعتناقهم وتدينهم بالدين الاسلامي عن رضاً ووعي وادراك.

كان الدعاة السابقون هم مثال الصلاح والتقوى وحسن الخلق والقُدوة الحسنة، رأهم الجميع فاكبروهم وعظموهم فقلدوهم لانهم الاسوة الطيبة. اما الدعوة الاسلامية في الوقت الحاضر فتختلف تمام الاختلاف إذا قورنت وقيست بالدعوة الاسلامية في

العصور الماضية في طرقها واساليبها، وليس الاختلاف في واقع الزمن أو الاوضاع التي تسود المجتمعات في زمننا هذا، بسبب التقدم الصناعي والعلمي، ولكن الفرق عظيم في اسس الدعوة ومن يقوم بالدعوة قديماً وحالياً. فالدعاة السابقون ينشدون هدفاً معيناً سامياً بعقيدة راسخة وايمان قوي يشعرون بالمسؤولية، فهم يجاهدون بارواحهم واهبين انفسهم لله تعالى آمليين مرضاته، اما الدعاة الحاليون فهم مبعوثون من قبل حكومات أو هيئات تمونهم وتتفق عليهم الاموال، وجلهم يجعلون من هذه المهنة وسيلة لجمع مال أو نيل مركز أو استفادة جاه. وهم لا يتحركون إلا إذا وقفت لهم الاموال، بحيث اصبحت الدعوة عندهم عبارة عن تجارة رابحة. وللوصول الى تلك الغاية لا يهم أحدهم إلا هدفه الخاص، فيستخف بقيم الدين. فالفرق بين الدعاة السابقين ودعاة اليوم واضح بين.

ثم ان اصطلاح الدعوة اليوم يعني وعظ المسلمين في مساجد المسلمين لاتباع المذهب الذي بعثته الهيئة أو الدولة من اجله، أو لتأييد سلطة حاكم. والآخرى ان يقال انها دعايات لمصالح وجهات معينة، فلم اسمع بمن ذهب ليدعو البوذيين أو الهندوكيين أو الملحدين أو المجوس أو النصارى في عقر ديارهم الى الاسلام.

نجد كثيراً من هذه الامثلة في عصرنا هذا ممن يطلق عليهم اسم الدعاة أو رجال الدعوة، وهم في حقيقتهم لا يتعدون أن يكونوا دعاة لهيئة معينة أو سلطان ممن يهيئ له وسائل راحته، ويصرف له الاموال، ويكفل له كامل نفقاته، وتتاح له اجود الوسائل لحله وترحاله، يأكل اشهى الاطعمة والذها ويشرب اطيب الاشربة ويستقبله الناس على حسن ظن به، ويقابل بالاجلال والاكرام، وتقام من اجله الحفلات وتمد له الموائد وتفرش من اجله السمط ويكال له المدح والاطراء المتكلف، لانه في نظر المستقبلين ممن يخدم الاسلام. وقد يتظاهر الداعي بالارهاق والتعب شاكياً من تراكم الاعمال ومتاعب السفر والتنقلات المضنية، للفت انظار المستقبلين ليزدادوا تعظيماً له، خصوصاً إذا كان من رجال الحديث.

امثال هؤلاء الدعاة ممن يتسمون بأهل الحديث، يصفهم السيد ابن شهاب في قصيدة له، تقتطف منها هذه الابيات:

فرقة بالغرور والطيش ساروا	في فجاج الضلال سيرا حثيثا
جسموا شَبَّهوا وبالأين قالوا	لوثوا اصل دينهم تلويثا
من يعظم شعائر الله قالوا	انه كان مشركا وخبيثا
ولهم بعد ذاك خبط وتهوي	س تولى مجدهم والمريثا

الى ان يقول:

ليت شعري من الذي يقبل الحق	جليا ويستهل الغيوثا
إذ هم اليوم حزب جهل فاذا	هم يميز التذكير والتانيثا
ويظنون ثعلب الحق والغبي	يداني لدى النزال الليوثا
ليس يدرون انهم ليس يدرو	ن بل الجهل عمهم توريثا
وتسموا اهل الحديث وهاهم	لا يكادون يفقهون حديثا

ان امثال هذا النوع من البشر المغرور بنفسه والذي لا ذمة له لا يخرجون ان يجوبوا المدن باسم (الدعوة الاسلامية) وهم ليسوا إلا دعاة لمصالح حكام وهيئات معروفة وعملهم دعاية للحكام وتبرير لاعمالهم ودعاية لهيئات معروفة.

حدثني حميد وبللو من نيجيريا وهو يصف امثال اولئك الذين يثيرون البلبلة بقوله: يصل الى بعض بلدان افريقيا بعض من اولئك وتكون وجهتهم الاولى المساجد حيث يجتمع المسلمون لاداء الصلوات أو لحضور وسماع محاضرة دينية أو لمناسبة اخرى من احتفاء بذكرى المولد النبوي الشريف أو احتفال بالاسراء والمعراج في شهر رجب من كل سنة، ولا يتورع ان يقوم خطيباً امام هذا الجمع الغفير من المسلمين الذين اجتمعوا لاحياء ذكرى ميلاد الرسول الاعظم ﷺ فيؤنبهم ويعاتبهم في كل اعمالهم ويبدأ في خطبته بقوله: ان كل شيء غير موجود في زمن الرسول فهو امر مستحدث وبدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، ولم يحتفل النبي بمولده ولم يحتفل

بمعراجه، فلقد ارتكبتم ذنبا كبيرا واوجدتم امرا غير موجود في زمن الرسول، فلقد ضللتكم ومرقتم عن الاسلام، فعليكم اليوم الاستتابة وتجريد اسلامكم من تلك البدع الضالة المضلة، وإلا فانتم مشركون. وانتم تتوسلون بالرسول، والرسول قد مات وهو بشر كغيره من البشر، لا ينفع ولا يضر، التوسل والدعاء والطلب من الله وحده، ومن توسل بغير الله فقد اشرك، والعياذ بالله، فانتم تعيشون في ضلال.

اما الاستاذ بكرو جومي فيقول: ان امثال اولئك إذا وصلوا الى بلادنا نستقبلهم بالاكرام ضيوفاً كراماً، ولكنهم لم يفتأوا يثيرون مسائل غريبة لم يسمعها المسلمون من قبل، وباختصار فنحن المسلمون في نظرهم كفار ومشركون لا ياكلون ذبائحننا، بحجة اننا عبّاد القبور، وعباد القبور هم مشركون، وقد اضطررنا يوما ان نعيدهم من حيث اتوا، وإذا بدأ احدهم اللقاء كلمته على المسلمين، يخرجون المسلمون من المسجد، حيث لا يبقى إلا الشيوخ العجزة والصبية الصغار الذين لا يفهمون ماذا يقول الخطيب بلهجته العربية المحلية.

أمثل هؤلاء يمكن لهم ان ينشروا الاسلام بين اقوام غير مسلمين، وهم يثيرون البلبلة في افكار المسلمين؟

هذه صورة من صور دعاة المسلمين في عصرنا الحاضر. لم يتكلموا يوما في التآلف والتكاتف بين المسلمين، فكيف لهم ان يدعوا ارباب الاديان الاخرى الى الاسلام؟

لا ريب انهم قد انتفعوا من اعمالهم ماديًا ونالوا اغراضهم الخاصة. وشاع وذاع بين الاوساط العليمة ان هؤلاء المبعوثين لا يتورعون عن ارتكاب الفواحش في معاقرة الخمر واتيان الغلمان وممارسة الفجور، بل ان بعض الحوادث شاعت حتى بين الاوساط غير الاسلامية. والغريب ان هذا المبعوث الديني يعود في اليوم الثاني الى المسجد ليلقي على المسلمين تعاليمه مبتدئاً بمحاربة البدع وتكفير المسلمين لانهم قد اشركوا، بكلمات تافهة مكررة تمجها الاسماع.

يصف السيد ابن شهاب هؤلاء القوم في قصيدة له طويلة نقتطف منها ما يلي:
والمظهرون البر والتقوى واد مان التنسك خدعة للجافل
وإذا خلوا عكفوا على شهواتهم من لاعب أو شارب أو آكل
ثم يقول:

بئس الطوائف لا مرام لهم ولا مرمى سوى جمع الحطام الزائل
ولهم حبائل لاجتلاب المال لم تدرك غوائلها لغير الفاتل
ويطوف اطراف البلاد دعائهم ودهاتهم من كل صل صائل
ممن يبيع ولا يبالي دينه بين المزاد ولو بشاة شائل
والقصيدة طويلة كما قلنا وهي مكونة من ٦٩ بيتا. وهؤلاء البشر هم الذين
يسيئون الى سمعة الدعاة المسلمين المخلصين، ويحطون من قدر الاتقياء ويلوثون
صورة الصالحين، ولا غرابة ان ينفر منهم المتعلمون والمثقفون المسلمون.

هؤلاء هم الذين يشكلون اصل الفساد والافساد ببث الخزعبلات، ولا باس هنا
من اضافة ما حدثنا به الاستاذ ابراهيمو احمدو، وهي حادثة من تلك الحوادث
المأساوية التي تحدث في افريقيا مما يقوم به اولئك الدعاة المبعوثون من قبل هيئات
معينة، وكان الاستاذ ابراهيمو يحدثنا وعلى وجهه دلائل الاستياء ومن نبرات كلامه
يتفجر الاسى من حالة اولئك الذين يتسمون باسم (دعاة الاسلام) وقد بعثتهم هيئات
ومؤسسات بتأييد من حكام بلادهم، هذه الزمرة تجوب البلدان الافريقية للاتصال
بالمسلمين والاجتماع بالشعوب الاسلامية، يستقبلهم المسلمون بالترحيب والتكريم
باعتبارهم دعاة للاسلام، ولكن المؤسف حقا انهم لا يدعون غير المسلمين من
النصارى والبوذيين ومن لا دين لهم الى الاسلام كما نفعل، فوجهتهم الاولى الذهاب
الى مساجد المسلمين، لا لالقاء المواعظ والتعاليم الدينية، وإنما لاعلامنا باننا مشركون
وكفرة ولا بد من تجديد اسلامنا. انهم يدعوننا للتوبة من الشرك، ويعبر احدهم عن نفسه
انه الداعي الاسلامي المشرع الذي يامر بالمعروف وينهى عن المنكر.

ويستطرد الاستاذ ابراهيمو حميدو بقوله: ان اعمالهم واقوالهم منفرة ومفرقة
لكلمة المسلمين، خطبهم مملة لا تدور إلا في محور واحد وهو تكفير المسلمين
والكفر سببه عندهم هي البدع التي منها:

بدعة القنوت في صلاة الصبح.

بدعة قراءة البسملة عند الصلاة وعند قراءة القرآن لأنها ليست آية.

بدعة الاحتفال بذكرى مولد الرسول.

بدعة الاحتفال بمعراج النبي.

إلى آخر امثال تلك الاقاويل والترهات التي يجعلونها من كبائر البدع. فمن قنت
في صلاته أو قرأ البسملة في صلاته أو احتفل بذكرى مولد الرسول أو معجازه فقد حاد
عن الاسلام وكفر ويجب استتابته فان لم يتب وجب قتله. ان كل من كان على غير
ملتهم كافر، وجزاء من لم يتب جهنم، وهذا من انواع الارهاب العقائدي.

تلك هي الاعمال التي تجر المسلمين الى الخلافات بينهم في افريقيا، ولكن
والحمد لله ليس فينا من تآثر بتلك الترهات. لا اعلم لماذا اتخذوا تلك الاساليب، ربما
كانوا يحسبون ان الافارقة سذج جهلة لا يفهمون شيئاً.

ان اعمالهم شلت حركة الدعوة الاسلامية، وحاربت الاسلام باسم الاسلام
وشوهت معنى الدعوة، فكان العمل مدبراً عن قصد لتشوية حقيقة معالم الاسلام فهل
كانت تلك الاعمال الهادفة مدبرة بموجب مخطط مدروس؟ والحقيقة التي لا ريب فيها
ان اعداء الاسلام لهم مكائد يستترون ورائها يديرون الدفة لمحاربة الاسلام وتشويه
معنى الاسلام باستخدام اولئك النفر ليكونوا اداة ينفذون الخطط خلالها لمحاربة
الاسلام باسم الاسلام باسائة تفسير التعاليم الاسلامية.

ان سياسة ضرب المسلمين بالمسلمين باسم الدين امر معروف لشل كل حركة
اسلامية بناءة، وتحطيم كل تحرك اسلامي صحيح، حتى لا تستفحل الحركة الاسلامية
ويكتتل المسلمون في جبهة واحدة، ان كلمة الاسلام مهما كانت فهي مكروهة لدى

دول الاستعمار الغربي والشرقي بما في ذلك الكتلة الشيوعية ومن ورائها الصهيونية اليهودية.

ويستطرد محدثي بقوله: اننا معاشر المسلمين الافارقة امة واحدة تجمعنا كلمة الاسلام ويسود بيننا شعور الاخوة والتعاون، ونحل قضايانا ومشاكلنا بانفسنا، ونعيش متأخين متأزين، ولا نريد ان يعكر صفونا ويشير بيننا الفتن والقلق هؤلاء الدعاة النحسون في بلدنا وبين قومنا، لقد رفض العقلاء ان يقلقوا الامة باولئك الدخلاء الموفدين الى بلادنا وان يرتادوا مساجدنا لالقاء الخطب، فإن فعلوا طلب منهم مغادرة البلاد، ثم ابرق الى الهيئة التي بعثت اولئك الناس واخبرت ان وجودهم بيننا مما يعكر صفو حياتنا، لانهم السبب الاول في نشر المشاكل بين الامة ونحن في غنى عنهم.

ان اعداءنا يحومون حولنا من اليهود والنصارى وغيرهم من الذين يحاولون استنزاف قوانا، ويريدون هلاكنا، فاننا لا نريد ان نزداد علينا مشاكل جديدة باسم الاسلام. ان اعداءنا نعرفهم علنا، اما اولئك المتقمصون برداء الاسلام وباسم الاسلام فهم اشد خطرا علينا لانهم متلبسون باسم الاسلام.

يقول الاستاذ عمر عبيد في تقديمه لكتاب (الدعوة الاسلامية) من تأليف الاستاذ الدكتور يوسف القرضاوي^(١) ما يلي.

لا شك ان الاسلام دين التوسط والاعتدال، وان الغلو والتطرف والانحراف امر مرفوض شرعا مهما كانت الاسباب والمسوغات وليس من الاسلام في شيء، والغلو في الدين ظاهرة اصاب بها اتباع الاديان السابقة وكانت سبب هلاكهم ودمارهم. الخ. ويقول الاستاذ يوسف القرضاوي مؤلف الكتاب:

اننا نطالب الشباب بالاعتدال والحكمة والعدول عن التطرف والتشدد ونطالب

(١) في صفحة ٨.

الشيخ الكبار ان يطهروا انفسهم من النفاق والسنتهم من الكذب وحياتهم من العش
واعمالهم من التناقض.

نحن ندعي الاسلام ولا نعمل به، ونقرأ القرآن ولا نطبق احكامه، ونزعم حب
الرسول ﷺ ولا نتبع سنته، ونسجل في دساتيرنا ان دين الدولة هو الاسلام ولكننا لا
نعطيه حقه في الحكم والتشريع والتوحيد^(١).

اما الاستاذ محمد الغزالي فيذكر في كتابه (مشكلات في طريق الحياة
الاسلامية) ما يلي:

ان امتنا، عفا الله عنها، قصرت كثيرا، فما انصفت الدين الذي ورثته، ولا قدمت
من نفسها نموذجا حسنا للعمل به، ولا هي احسنت تقديمه للعقول الباحثة والنفوس
المستكشفة. اكاد اقول: انها خذلت الحق وعرقلت سيره، ومكنت الباطل كثيراً ان
ينطلق ويتحدى المجتمعات الاسلامية التي تحيا في متناقضات غريبة، وهناك تقاليد
صحراوية تحتقر الصناعة والاحتراف وهذا من مثالب العرب.

والمسلمون لم يظلموا عندما هزموا في سباق الحياة، لانهم شوهوا معنى الدين
فانهزموا بجدارة.

ان دين الله لا يقدر على حمله ولا على حمايته الفاشلون في مجالات الحضارة
الانسانية، الثرثارون في عالم الغيب الخرس في عالم الشهادة. فان تبجح الجهال
بمالديهم من معارف مغشوشة أو قاصرة امر لا يطاق وإذا لم نوضح لامتنا الحق كله
تعرضت وتعرضنا معها للهلاك.

انني اعتقد ان انتشار الكفر في العالم يقع نصف اوزاره على متدينين بغضوا الله
الى خلقه بسوء كلامهم وسوء صنيعهم.

(١) الدعوة الاسلامية، ص ٨.

ان هناك علماء دين لا يعرفون شيئاً من حقوق الانسانية ولا يعرفون شيئاً عن الدساتير التي ارسى العلاقات بين الدولة والشعب ولا يعرفون شيئاً عن التطور الذي بلغته الدول.

والانكى انهم لا يعرفون وضع مجموعة الدول الاسلامية بين غيرها من المجموعات.

ماذا تنتظر من رجل طبيعته شرسة إلا الوعظ بقوارص الكلم وسيئ العبارات، وهذا النوع من الناس آفة الاديان كلها^(١).

واحسب ان ما ذكره الاستاذ محمد الغزالي كان واضحاً وكافياً، وهذا هو الفرق بين الدعاة السابقين والدعاة اليوم الذين يتبجحون بسلفيتهم.

الامية الحضارية:

ليست الامية مجرد الجهل بالاحرف الابجدية، ولكن الامية قد تتجاوز وتشمل المجالات الاخرى، مثل جهل اللغات، جهل العادات، جهل المدنيات، جهل الحضارات جهل العلوم الطبيعية، جهل الهندسة، الى غير ذلك. هذا العنوان لمقالة كتبت حول الدعوة والدعاة المسلمين الذين يجوبون البلدان الاوروبية والاميركية باسم الدعوة الى الاسلام، فاكثر اولئك الدعاة يتقمصون الدعوة الاسلامية لا يملكون القدرة الكافية في مجال الدعوة، ولا يملكون الكفاءة العلمية في كيفية تطبيق الدعوة الاسلامية كما يجب ويلزم، واتضح من احاديثهم انهم مرسلون من جهات معلومة لمجرد الدعاية للدول الحاكمة لكسب تأييد المسلمين لتلك الدول، وبما ان تلك الدول لها اتجاهات خاصة في مفهوم الدين، فكان اولئك الدعاة مجرد بوق لتلك الدول

(١) المصدر السابق.

ومفاهيمها الفقهية الفرعية الخلافية، وانشغل اولئك الدعاة بالخصومات في الخلافات الفقهية في مساجد المسلمين في اوروبا واميركا امام الملاء من المسلمين، فظهروا بالمظهر المزري المخزي، فأضروا باعمالهم بسمعة الاسلام، ذلك لان الدعاة كانوا مجرد بوق لأُميين في الحضارات.

يفد امثال اولئك الدعاة من عدة دول وكل داعٍ يمثل دولته ولا يمثل الاسلام في شيء سوى الاسم فقط، هؤلاء عاجزون عن محاوراة الشعب الاوروبي أو الاميركي مباشرة ووجهها لوجه، لا يستطيعون ارواء غليل السائل ويعجزون عن الاجابة إذا قدمت اليهم اسئلة علمية باللغة التي يفهمونها، وكيف يمكن للسائل ان يقتنع والداعي امي حضارة؟

حقا ان المسلمين اغنياء، قديماً وحديثاً، فالمسلمون الاقدمون الذين سبقونا هم حقاً اغنياء بايمانهم وعقائدهم، يؤثرون على انفسهم لكسب رضا الله، فكانت المشاكل امامهم هينة فتخطوا كل المشاكل بنجاح، اما المسلمون اليوم فهم اغنياء باموالهم وبترولهم لكنهم فقراء في نفوسهم يهرعون ويتسابقون وراء المادة وحطام الدنيا ومع كل ذلك فهم فرحون باحوالهم واوضاعهم. وكان احد دعايتهم يتبجح ويقول في احدى خطبه بعد صلاة المغرب امام المصلين بالحرف الواحد:

اننا نحن المسلمين قد بلغنا من الرقي والتقدم الحضاري والمدني ما لم يبلغه اي شعب من شعوب العالم اليوم، لقد بلغنا من العلو والارتفاع ما لم ترق إليه امة من البشر، ذلك لان الاسلام دين تقدم وحضارة ومدنية.

بهذه العبارة كان يخطب متبجحاً، والحمد لله انه لم يخطب في احدى الجامعات امام الطلاب ورجال العلم بمثل تلك الخطبة، وكيف له ان يعرف نفسه وهو المغرور بنفسه المتخلف عقلياً والمتحجر فكرياً والامي حضارياً.

جاءتني رسالة مطولة من السيد احمد عيدروس شهاب من الجزيرة العربية

تعرض لما يشاهده من المآسي في البلدان العربية التي جلها يطوى ولا يروى إلا فيما يعلمه الجميع فهو يئن حزنا ويشتكى مر الشكوى مما يراه ويشاهده من الاوضاع المأساوية، جاء في رسالته تلك:

ان تاريخنا اليوم تاريخ أسود حالك، وليس لدينا وجه. كيف نقابل حبيبنا المصطفى محمد ﷺ؟ المسلمون الذين سبقونا ادوا امانة الرسالة وجعلوا كلمة الله هي العليا في البلدان التي دخلوها وهم دعاة الاسلام فحرروا الانسان من العبودية ربما كانوا فقراء في المادة لكنهم اغنياء بالايمان وقوة العقيدة اما المسلمون اليوم فهم اغنياء بالمادة لكنهم فقراء من الايمان فالمادة رانت على قلوبهم فجبوا على الجبن والخوف والفزع وراحوا يطلبون العون والحماية من دول غربية وشرقية حامية اسرائيل، فورطت تلك الدول الحامية، الدول العربية في الشحناء والبغضاء والتطاحن الذي عم جميع الاقطار العربية والاسلامية فسيطر اليهود على اولى القبلتين واستعبد فلسطين. ومنذ سنوات والمسجد الاقصى يئن تحت الاحتلال اليهودي وينادي ويصيح ويستغيث يا عرب يا مسلمين. الخ.

كيف لا يئن ويشكو السيد احمد عيدروس شهاب وهو يعيش مع تلك المحن المأساوية ويشاهد ويسمع كل يوم ما يؤلم، ويسمع ويرى كما يسمع ويرى غيره تطاحن الدول العربية بعضها مع بعض وتتبادل السباب والشتم والتهم بكلمات خائن، كافر، فاجر، مشرك، زنديق، مجرم، جاسوس، مخرب، صهيوني، مجهول، النسب، حقير، سفيه، ابن زنا، الى غيرها من كلمات السباب التي جمعت من القواميس، والتي ما كنا نسمع بها فكيف صدرت من السنة رجال الدولة؟ لقد اصبحت تلك الكلمات البذيئة من الكلمات المألوفة على اللسان بل ربما يتلذذ بها قائلها فلا تعافها الاسماع. بل ان بعض الخطباء يعجب بنفسه مفتخراً عندما يخطب ويسطر تلك الكلمات ويعتبرها شجاعة. اما في الاحاديث اليومية فقد اصبحت تلك الكلمات سليقة مألوفة.

ومثالاً على تلك الحوادث المأساوية نذكر ما حدث لبعض الدول العربية من سوء تفاهم بسبب امر بسيط هين لكنه يمس السلطات الحاكمة، وجر هذا الامر البسيط الى عداء ثم الى خصام والى مهاترات في التصريحات وسباب في الاذاعات وتهمة على صفحات الصحف، على رغم ما يجمع بين الدولتين العربيتين من وحدة العنصر والقومية واللغة والثقافة والدين، وقد كانتا في وقت مضى متآخيتين، ولكن اختلاف مصالح الجهات العليا بين حكام الدولتين لا بين الشعبين ادى الى ان تخاصمت الدولتان واصبحتا متعاديتين، الواحدة تعتبر الاخرى الد اعدائها، وكل واحدة منهما تتهم الاخرى بالخيانة العظمى والصهيونية والعمالة لاسرائيل وحدث السباب والشتم والتهمة بين الجانبين، حتى يحار السامع اي الدولتين هي الخائنة والعميلة لاسرائيل. ليست تلك من المآسي المؤلمة؟

مكانة السيد ابن شهاب الادبية:

المحنا قبل هذا الى مكانة السيد ابن شهاب ونبوغه وذكائه وأن ابحاثه ومؤلفاته في مختلف العلوم العقلية والعقلية مما دبحه يراعه من انتاجاته العلمية تشهد له على ذلك، لقد كان مجاهداً بلسانه وقلمه لترسيخ دعائم الاسلام، فقاد حملة النهضة الاصلاحية حاملاً مشعل الولاء لآل البيت النبوي الكرام ﷺ.

ففي الادب هو اديب كبير وشاعر مفلق وهو من الشعراء المرموقين وهو الصورة المشرقة للادب العربي في المهجر الشرقي. يمتاز نثره بالايجاز وقوة الاعجاز ومتانة التركيب وسلاسة العبارة. اما شعره فهو هبة جبارة يمتاز بالرفقة، مليء بالحكمة البالغة، وله القدرة الفائقة في انتقاء ارق الكلمات واعذب الالفاظ حيناً واجزلها تارة. عباراته نابغة من اعماق احساساته وشعوره العميق، لذا نجد قصائده كرنين الوتر ذات انغام موسيقية حساسة، تتأثر بها الارواح وتستقطب النفوس لسماعها، وتطرب الآذان

المرهفة لروعتها ولمستواها في الاجادة وما فيها من براعة البيان. نثتات شعره آيات فنية من الابداع وحسن التعبير والتنسيق والقدرة الفائقة على الصياغة في قالب ممتع، واسلوب متين واضح لا تعقيد ولا حشو فيه حتى سرت في مختلف الاوساط.

طرق شاعرنا الاديبي السيد ابن شهاب انواعا من ابواب الشعر، رثاء وفخرا ومديحا ووصفا وحماسا وتغزلا، كما امتاز اكثره بالثناء على الرسول الاعظم سيدنا ونبينا محمد ﷺ وآل بيته ﷺ والولاء لهم النابع من عمق احساساته التي تبلورت في غرر قصائده. يكثر في قصائده من الغزل باجادة تامة، ويفتح كل قصيدة مهما كان اتجاهها بالغزل على الاساليب الكلاسيكية المعروفة حتى يستعذبه القارئ ويطرب له السامع.

يقول السيد العلامة ابن عقيل صاحب المؤلفات الكثيرة والمواقف الحاسمة وهو يصف ادب السيد ابن شهاب:

انه من المستميتين في حب آل البيت الطاهر وانه اعلم علماء الشرق وان طالب الادب سيجد في قصائد السيد ابن شهاب ما شاء من معنى رائع، واسلوب فائق، ولفظ جزل، وممتع سهل وقصائد تسيل رقة... مع وضوح العبارة وخلوص الاشارة.

إذا كان العرب في القرن العشرين الميلادي يفتخرون بالمستوى الرفيع من الادب العربي في المهجر الغربي الاميركيتين واوروبا لمن نبغ هناك امثال جبران خليل جبران والاخلط الصغير وايليا ابو ماضي وغيرهم ممن لف لفهم فان الادب العربي في المهجر الشرقي لا يقل وزنا ولا نضوجا عما بلغه ادباء العرب في المهجر الغربي.

لماذا عرف العرب الادب العربي وادباءه في المهجر الغربي وغاب عنهم الادب والادباء في المهجر الشرقي؟ ذلك لان للصحافة ودور النشر في العالم العربي دوراً فعالاً في ذلك الزمن كلبنان وسوريا ومصر، وبحكم صلاتها بالمهاجرين في المهجر الغربي كانت بطبيعة الحال تنشر عنهم الشيء الكثير.

ولم تكن لهذه الصحف العربية صلة أو علاقة بالادباء والشعراء في المهجر

الشرقي فغاب عنها وعن العرب ما بلغ إليه الادب العربي في تلك المهاجر الشرقية التي تضم الكثرة من الادباء والشعراء ممن لا يمكن حصرهم في هذه العجالة، انه يحتاج الى جهد خاص في هذا الصدد. بلغني ان الشاعر الاديبي السيد عبد الله بن يحيى العلوي^(١) بصدد وضع كتاب شامل عن الشعراء في المهجر الشرقي وهذا جهد مشكور يجب تقديره ودعمه، نسال المولى ان يكلل جهده بالنجاح ويوفقه لطبع كتابه هذا في القريب العاجل.

اما ديوان السيد ابن شهاب فقد طبع في مدينة بوقور باندونيسيا طبعاً متقناً عام ١٩٢٤ / ١٣٤٢ هـ بعد وفاة المرحوم بعام واحد، وليس في الديوان المطبوع كل قصائده ولكن ما تيسر جمعه بعد وفاته ما عدا القصائد التي اوصى بها، والمعروف ان له قصائد اخرى كثيرة متناثرة لم يتسنّ لجامعي قصائده جمعها ولعلّ البعض منها فقد. يقول السيد محمد بن عقيل: إن الكثير من قصائد ابن شهاب استولت عليها ايدي الضياع وذهبت مع الايام.

حدثني الشيخ محمد بلعشم احد وجهاء الحضارم انه شاهد في مكتبة لندن عند زيارته لها مجموعة خطية من قصائد السيد ابن شهاب السياسية لمكافحة الاستعمار البريطاني.

اجمع ادباء المهجر الشرقي وجنوب الجزيرة العربية على ان السيد ابن شهاب نابغة شعراء المهجر الشرقي وجنوب الجزيرة وهو لم يكن شاعراً واديباً فحسب ولكنه أيضاً عالم ومصلح ومفكر وباعث النهضة الفكرية الاصلاحية. عندما يقرأ القارئ قصائد شعر السيد يجد نفسه وكأنه يعيش في العصور الذهبية السالفة حين بلغ الادب العربي مستواه العالي. الشعراء في المهجر الشرقي وجنوب الجزيرة أو الذين عرفوا واطلعوا على

(١) السيد عبد الله بن يحيى العلوي احد شعراء المهجر الشرقي ورئيس النادي العربي بسنغافورا، ثم رحل الى القاهرة للإقامة فيها، ولكنه اختار الاستيطان في الولايات المتحدة واتخذ من مدينة سياتل مسكناً له ولاسرتة.

مؤلفات أو قصائد السيد ابن شهاب كانوا يكيلون له التقدير ويطنبون في إطرئه ومديحه نثراً وشعراً في حياته ثم رثوه عندما وافاه الاجل بالمرائي المطولة اعترافاً منهم له بالفضل، واكرموه حياً وبكوه ميتاً.

في عهد السيد ابن شهاب لم تكن دور النشر كما هي عليه الآن من تقدم في فن الطباعة وحسن الاخراج وقدرة التسويق مع سهولة المواصلات البرية والجوية، فالمطابع التي تطبع الصحف والكتب في المهجر الشرقي كانت محدودة لا تتجاوز محورها في سوق العرض والطلب، ولذلك فان الانتاج لا يصل الى البلدان العربية والاسلامية فضلاً عن المهجر الغربي. ولو كان المجال كما هو الآن لعرف العالم العربي اجمع وادباء المهجر الغربي المستوى الرفيع للادب العربي في المهجر الشرقي.

يقول الاستاذ الاديب العلامة السيد محمد احمد الشاطري:

ان السيد ابن شهاب هو استاذ المدرسة الشعرية والادبية بل العلمية في اواخر القرن الثالث عشر واولائل القرن الرابع عشر الهجري الموافقين لاواخر القرن التاسع عشر واولائل القرن العشرين الميلادي، ليس في حصر موت، وحدها، لا في اليمن وحدها كما يصفه ناشر ديوانه بانه شاعر اليمن ومفخرة الزمن، وانما هو شاعر الجزيرة العربية بأسرها كما يتجلى ذلك إذا قارنا بين اشعاره واشعار زملائه من فحول الشعراء، في الجزيرة، وهو الى ذلك في طليعة زعمائها وعلمائها ومفكرائها والمصلحين الاجتماعيين بها^(١).

ومن الطبيعي ان يكون شعره شعراً سامياً ممتازاً كحياته السامية الممتازة عن حياة كثير من زملائه من شعراء وعلماء وزعماء.

وفي شعر ابن شهاب كما رايت بعضه هنا عدة مظاهر منها الرقة والبلاغة

(١) ادوار التاريخ الحضرمي، الجزء الثاني، الصفحة ٢٣٩، الطبعة الاولى، والاستاذ العلامة السيد محمد احمد الشاطري هو احد الادباء والشعراء، له عدة مؤلفات وله ديوان مطبوع، وكان مدرسا للادب العربي في سنغافورا احدى مدن المهجر الشرقي، وقد سلم من اغتيال الشيوعيين في جنوب الجزيرة عند احتلال الشيوعية لها.

والطلاوة والفن، وأكثر شعره جيد وجيد جدا والقليل منه فقط ليس كذلك.
وهو كفحول الشعراء في الادب العربي الذين قبله منذ قرون عديدة وكالشعراء
الذين في عصره يبدأون مدائحهم بالغزل التقليدي ويعنون بالمديح ولكنه لا يتكلفه،
وهو حين يمدح انما يمدح من اجل الفن ومن اجل تقديم شعره ليذاع وتضم اشعاره
الى المكتبة الادبية، لا ركضا وراء الدنيا كما يقول بعض المتسرعين ممن لم يدرسوا
حقيقة هذا الشاعر العظيم دراسة وافية، ولم يدرسوا غيره من شعراء حضرموت
وجنوب الجزيرة وينصفوا اشعارهم التي لا تقل روعة وفنا عن امثالها في عالم الشعر
والادب. فابن شهاب حين يثني على الخديوي توفيق بقصائد رنانة في معارضة
الارتقيات لم يقدمها له، ولو قدمها لكانت من اجل ان يضاهي بها شعراء عصره في مصر
ويتحداهم ويعرفهم بمكانته ومقدرته الفنية. وأي شاعر لا تعجبه هذه القصيدة في
خمرياته المعروفة؟ ومطلعها:

روق الخمرة صرفا وادر واسقنيها في الظلام المعتكر
وهذا هو السحر الحلال الذي يأخذ بمجامع القلوب، ولو قارنت بين هذا البيت
وهو:

رق مرآها ومرأى جامها فهي والجام ضمير مستتر
وبين قول البهاء زهير:
رق الزجاج ورق الخمر فتشاكلا وتشابه الامر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر
إذا قارنت تجد بيت ابن شهاب متفوقا من عدة اوجه، وبهذا يبرز لون من ألوان
الشعر الذي اتصف به كثير من فحول الشعراء الاقدمين كالكميت ودعبل والفرزدق ثم
الشريف الرضي ومهيار وصفي الدين الحلي ومن بعدهم الى اليوم، مما قل ان يخلو عنه
شعر شاعر.

الشعر الحر:

لم يكن الشعر الحر أو الشعر المنثور كما يطلق عليه معروفاً أو مألوفاً في عهد السيد ابن شهاب، وربما كان له رأي فيه لو كان موجوداً في عصره، لكن المفهوم السائد ان الشعر هو الايحاء الروحي الذي يأتي في جمل بليغة من الكلمات الرقيقة التي صيغت في قالب موزون ومقفى يعبر عن الشعور والاحساس في نبرات موسيقية تثير المشاعر، وقد كفانا الكتاب من الادباء هذا الموضوع بحثاً ودرسا وتقصيا وتمحيصا. في السنوات الاخيرة من عصرنا ظهر الى الوجود الشعر الحر بكثرة متناهية حتى بار وكسد، ونجده بوفرة كبيرة في الصحف اليومية والمجلات. وللادباء المعاصرين آراء واحكام في الشعر الحر أو كما يطلقون عليه أيضاً الشعر المنثور. يقول الاستاذ الاديب جهاد فاضل في هذا الصدد مميزا بين التجديد الاصيل والتجديد المقتبس من الشكل الاوروبي ما يلي:

الشعر العربي المعاصر ظاهره خلط الشعر بالنثر ووصول عامة القراء الى مرتبة الشعراء.

ويتابع الاستاذ جهاد فاضل بحثه مدليا برأيه وموقفه من الشعر الحر أو (قصيدة الشعر وقصيدة النثر) بقوله:

من الصعب ان نستخرج من النقد السائد الآن في لبنان وفي سواه من الاقطار العربية من هو الشاعر فعلاً ومن هو غير الشاعر، فلا يوجد شخص يقترب من منطقة الشعر، ولو ادنى اقتراب، إلا ويعثر على ناقد يهبه من النياشين والبراءات ما يرفعه الى سدة الشعراء الكبار.

وفي فوضى الاشكال الشعرية التي تشهدها الساحة الادبية العربية منذ اكثر من ربع قرن تسرب الى منطقة الشعر ما لا يحصى ممن هم على هامش الشعر، فحسبوا على الشعر وبخاصة على الحداثة فيه، اما قبل هذه المرحلة فقد كانت الشروط الشكلية المعروفة تقف حجر عثرة امام عملية الدخول بدون كلفة. ليست هذه الشروط الشكلية

بالطبع كافية لحصول هذا الفتى أو ذاك على لقب شاعر، وليست حجة دامغة على الشاعرية، ولكنها كانت على الأقل قرينة وجود هذه الشاعرية وان تكن قرينة غير نهائية، فقد كانت العرب تميز بين الشاعر والناظم، لكن عندما لم يعد لهذه الشروط الشكلية اهميتها السابقة، فقد الشعر العربي خطّه الدفاعي الاول. وهبطت نغمة من السماء (قصيدة النثر) تلقفها اول من تلقفها من كان مرفوضا في الماضي في امتحان الشروط الشكلية ولكن بدل ان يقنع هذا بحظه في نادي الشعر اصيب بالخيلاء وبات يعتبر ان الموسيقى في الشعر تحول دون الشعر، وان الشعر لا يتحقق إلا بالنثر واكثر من ذلك. لقد اعتبر ان جذور قصيدة النثر موجودة في التراث العربي وهي تمتد الى العصر الجاهلي. فسجع الكهان في الجاهلية قصائد نثر، وآيات القرآن الكريم قصائد نثر، وكذلك خطب الامام في نهج البلاغة وشطحات المتصوفة. مثل هذا النظر لا يستقيم بالطبع مع الحقائق التاريخية والموضوعية معا، قصيدة النثر إذا اريد معرفة جذورها، فهذه الجذور موجودة في التراث الشعري الاوروبي لا في التراث الشعري أو الادب العربي. انها موجودة في كتابات رامبو وبودلير ولوتريامون وسواهم، اما اللغة العربية فلم تعرف في تاريخها مثل هذا النمط من التعبير، فكلاهما اما نثر واما شعر وليس الشعر بالضرورة هو اجود الكلام واكرمه واجمله واسماه، فقد يكون في قطعة نثر من الجمال والبهاء اللغوي والفني ما لا يعثر عليه المرء حتى في اجود الشعر، ولكنها قطعة نثر. فهل من عيب في ذلك؟ وما الذي يضيرها لو وصفت بانها نثر لا شعر، لا يعني كل ما تقدم تقديس اوزان الخليل ابن احمد الفراهيدي، فان هذه الاوزان لم تبقى بعد الخليل بمنجاة من التغيير والاجتهاد وفي الوقت الحاضر لا يقول حتى غلاة المحافظين بقداسة اوزان الخليل وبان باب الاجتهاد قد اقفل دونها. فاوزان الخليل نهج لا عقيدة، وبامكان الشعراء المعاصرين ان يخلقوا ايقاعاتهم العصرية الجديدة إذا وجدوا ان ايقاعات صاحب (العين) ايقاعات زمان مضى. على ان كل ما ينبغي التاكيد عليه هو بقاء الشعر

رقصاً، كما كان يقول فاليري، لا ان يتحول الى مشي مختر بليد. ويدلي شعراء قصيدة النثر عادة بانهم استبدلوا الموسيقى الخارجية بالموسيقى الداخلية، وأن ما يعولون عليه هو الايقاع الذي يسرى في داخل القصيدة، ولكن هذا الادلاء قد اعوزه البرهان دائماً إذ كيف يثبت هؤلاء ان منشوراتهم (الشعرية) هذه تحتوي فعلاً موسيقى داخلية كما يثبت الشاعر موسيقاه الخارجية؟

اننا نعلم ان حياة الكائن الحي قائمة على الايقاع الداخلي، ولكن ذلك لم يمنع ان يصاغ الشكل الخارجي أيضاً في (احسن تقويم) كما جاء في القرآن الكريم عن خلق الانسان. ايتعارض أن يكون هناك ايقاع داخلي ووزن خارجي؟ اهو مستحيل عند العقل ان يجتمع الجانبان معاً؟

كلا ليس ذلك مستحيلاً. بل انه هو الذي حدث في كل قصيدة من الشعر الجيد في كل آداب العالم جميعاً.

ورغم الحبر الكثير الذي اريق منذ ربع قرن حول علاقة قصيدة النثر بالشعر، فما زالت قصيدة النثر العربية غير شرعية وغير مقنعة. انها صنو العجز ومرادف الخيبة، ومازال مكانها الصحيح هو النثر لا الشعر.

انني لم اقتنع حتى الساعة بان الشعر العربي مريض حتى الموت وان اوزانه عقبة امام تجديده، وان الشفاء يتمثل بقصيدة النثر. ألا يعتبر شعر بدر شاكر السياب وشعر جيله والجيل الذي لحقه شعراً؟ كما انني لم اقتنع بان خلق ايقاعات شعرية جديدة عملية مستحيلة.

ان ما جرى الاصطلاح على تسميته بقصيدة النثر له الحق طبعاً بان يوجد، إذ ماذا نسمي مثلاً كتابات طلاب البكالوريا الوجدانية العاطفية في تلك المرحلة الادبية المراهقة إلا قصائد نثر. إلا ان العسف يبدأ عندما يراد هدم قلاع الشعر العربي لبناء مدن

الخشب الشعبية مكانها. أي اعتبار قصيدة النثر هي الشكل الجديد للشعر العربي وعندها يصح القول: (رحم الله شكلاً عرف حده فوقف عنده)^(١).

التجديد في الشعر على نوعين:

الاول: التجديد الهش الهامشي بتقليد الشكل، كما اصبح الشعر العربي شعراً اوروبياً مكتوباً بلغة نثرية عربية.

الثاني: تجديد ثوري اصيل يراعي في الشعر العربي تطوره ضمن قوانينه الموضوعية الخاصة، واول هذه القوانين ان يحمل الشعر العربي الجديد خصائصه الكيانية الاصيلية، أي الايقاع والقافية، وكان من رأينا وباستمرار ان قصيدة النثر هرطقة شعرية وعجز وقصور، واشتهاء للشعر بدون قدرة عليه. ولا ندري لماذا لا يسلم منشئوا هذا اللون من التعبير بان انتاجهم نوع من انواع النثر؟ اليس النثر ادبا؟

الشعر المنظوم الموزون المقفى غير النثر المسجع، ويتذوق ذلك الشاعر الرقيق الاحساس، فكما ان للشعر المنظوم الموزون فناً، فللنثر أيضاً فن.

اما العلامة الاستاذ الشيخ محمد الغزالي فله كلمة ظريفة في هذا الموضوع عن الشعر الحر أو المرسل كما يسميه الاستاذ الغزالي، ويقول:

ظل العرب اقل من عشرين قرناً يصوغون شعرهم حسب البحور الماثورة عنهم حتى جاء هذا العصر الانكد بما يسمى الشعر المرسل محاكاة للشعر الاوروبي كما يقولون. واكرهتني الايام على سماع هذا اللغو من بعض الاذاعات، أو قراءته في بعض المجالات فماذا وجدت؟ تقطعا عقلياً في الفكرة المعروضة، كأنها اضغاث احلام، وخيالات سكران، ثم يصب هذا الهذيان في الفاظ يختلط هزلها وجدها، وقريبها وغريبها وتراكيب يقيدها السجع حيناً، وتهرب من قيوده احياناً، ثم يوصف المشرف على هذا المخلوط الكيماوي المشوش بانه شاعر.

(١) الاستاذ جهاد فاضل، مجلة الحوادث عدد ١٢٤٢ الصادرة بتاريخ ٢٢ آب / اغسطس عام ١٩٨٠.

ففي الشعر الاجنبي - المرسل - صورة ذهنية أو عاطفية ظاهرة على النحو الذي
سقنا شواهد اول الحديث. اما التقليد العربي له فشيء غريب حقا. واسمع هذا الكلام
الذي نشرته صحيفة الراية في ملحقها الاسبوعي رقم ٥٦٧:

وصاعدا فصاعدا

نابت عن خريطة الليمون والحوانيت الخفيفة حجر من النهر اصطفاني،
فارتعدت!

الثور والحمير تجرى فوق اكوام الغلال!!

وحاجتي لمعطف التبرك

ابتداء فجر صحن بيتنا - السحارة العتيقة

آن الاوان

لاروح في السيجا قوى الجاش

لاروح تحت البواكي املاء السيجا مرائب النجوم

قوس الجنازة الذي

يمتد في قوس البيوت الواطئة

الصاغة المتلثمون والحب.. النسوة الحبالى قلبي الذي يحول... الخ

من من الناس في الدنيا أو في الاخرة يفهم هذا المجون؟ كأن جامع الحروف
التقط كلمات من على الارض، ورصها كيفما اتفق وزيادة في التهويل والتزوير جاء
الرسام فوضع حولها بعض الزخارف الغامضة وتحت عنوان (وشم العاشق) سمي هذا
الخليط الكيماوي شعراً.

ثم قال الشيخ الغزالي مستطردا في هذا الموضوع عن الشعر الحر أو المرسل:

ذلكم صنيع الاستعمار الثقافي بنا، وبلغتنا وتراثنا الادبي، وخصائصنا الفنية.

وقد راقبت انتاج ذوي الاسماء اللامعة في هذا الميدان المبتدع، فوجدت السمة
الغالبة على هذا اللغو المسمى شعرا لا تختلف ابدا عن التفكير المشوش أو اللا تفكير،

والتعبير الذي يجمع الالفاظ بالاكراه من هنا ومن هناك ويحاول وضعها في اماكنها، وتحاول هي الفرار من هذه الاماكن.

والسؤال الذي يتردد باستمرار، لماذا ايها القوم تسمون انفسكم شعراء، إذا كنتم لا تحسنون قرض الشعر وبناء القصيدة؟ لماذا لا تحاولون ان تكونوا ناثرين بعد استكمال القدرة العقلية واللغوية؟

ومن العجائب ان هذا العجز الادبي يلبس ثياب البطولة، فعند ما مات صلاح عبد الصبور غفر الله له، نشر الرسامون صورة لتمثال اقيم له وقد نقشت في قاعدته هذه العبارة (فارس الكلمة). أي فروسية؟ انها طريقة المصريين أو العرب احيانا - في تسمية الاعمى: ابا بصير، وتسمية الأقرع شعراوي. كذلك العاجز عن نظم الكلم: فارس الكلمة.

كتب الاستاذ الاديب الشاعر السيد صالح الحامد^(١) سلسلة مقالات عن السيد ابن شهاب بمناسبة ذكرى ميلاده نشرتها مجلة النهضة الحضرية في اعدادها من التاسع الى الحادي عشر في ١٩٣٦ التي تصدر من سنغافورا، ولكني لم اعثر إلا على العددين التاسع والحادي عشر فقط. ولما في المقالة من الاهمية آثرت نقلها برمتها من العددين المذكورين، وهاهي:

كم كان يجول بخاطري - منذ نشأت مجلة «النهضة الحضرية» - أن أكتب عن حياة هذا النابغة العبقرى والشاعر المطبوع، الذي يعد من أكبر الشخصيات التي لم تنجب (حضر موت) أجل منهم - لو لا اعتراض العوائق وتجدد الشواغل.

غير أنني بمناسبة ذكرى وفاته، أرى الفرصة سانحة لأن أستل ساعة من بين ساعات الأشغال أسطر فيها عن هذا الشاعر الفحل ما يسمح به القلم العجول، ويسعد به

(١) السيد صالح الحامد هو علامة وشاعر واديب له عدة مؤلفات منها: تاريخ حضرموت طبع عدة طبعات في بيروت في جزءين، كما ان له عدة دواوين شعرية مطبوعة منها نسبات الربيع، توفي بمدينة سيون من جنوب الجزيرة في اليمن الجنوبي عام ١٣٨٧هـ.

الخاطر المرتطم.

في مثل هذا الشهر، شهر جمادى الأولى سنة ١٣٤١، انكدر من سماء الأدب الحضرمي هذا الكوكب النير، وطار عن أوكاره هذا البلبل الغريد، الذي طالما غذى الالباب بشدوه وملأها بنسمات شعره وسحره، وكادت الآداب بعده تحول خاوية ذاوية؛ لو لا أن قيض الله لها من أبناء القطر شعراء وأدباء ناشئين كانوا له نعم الخلف، فكان فيهم جميل العزاء.

فيهمنا الآن بمناسبة ذكرى وفاة هذا الشاعر أن نرف للقراء دراسة لهذه الشخصية العظيمة التي لم يعرف تاريخ حضرموت شخصية شاعر مثلها في العصور الاسلامية. وليس السيد ابن شهاب بالرجل المغمور الذكر؛ أو المجهول التاريخ، فنقول: اننا أتينا لننشر ذكره ونرمم اثره، كلا! ولكنه تلك الشخصية العظيمة التي درجت وبقيت لها سيرتها وتاريخها، وخلدت لها آثارها المجيدة واعمالها الجبارة باقية ما بقي الدهر.

ولكننا نتحف قراء الأدب الحضرمي بفذلكة يسيرة عن هذا الرجل العظيم ونرسم لهم صورة مصغرة عن حياة هذا النابغة ولكن من ناحية فقط وهي ناحية كونه شاعراً، أما من ناحية كونه علامة ومصلحاً فهذا ما يستدعي إفراده بالتصنيف. وغرضنا ان نحیی بذلك ذكرى أكبر الناهضين بالادب في قطرنا المحبوب والنافخين فيه روح الحياة والانتعاش، لاعتقادنا ان ذلك غاية ما تهفو إليه قلوب الشغوفين بدرس أدب هذا القطر والاطلاع على ادواره وأطواره.

الأدب الحضرمي قبل عهد ابن شهاب:

يجدر بنا قبل إدلائنا بذكر شيء عن حياة هذا النابغة وثورته الأدبية أن نذكر كيف كانت حالة الأدب الحضرمي قبل ظهوره وكيف كانت منزلة هذا القطر من الشعر وقرضه في تلك العصور السالفة؟

لقد كانت حالة الأدب في تلك الآونة ضئيلة جداً بالقياس بغيره من الفنون وذلك لإكباب الطلاب على العلوم الدينية البحتة والارتواء من حياضها ثم انقطاعهم إلى العبادة والزهد فكانت النفوس إذ ذاك مغمورة بجلال العبادة، غارقة في تيار الزهادة، سابحة في سباحات من التصوف والروحانيات، صادفة عن كل ما يشغلها عن المضي فيما تراه البدل لازم بتأثير ظاهر قوله جل وعلا: ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾.

وأكد أقول: إن سراج الأدب في هذا العصر قد أوشك أن يخبو بهذا القطر لولا ذبالة ضعيفة من شعر التصوف والوعظ كانت تشع له ما بين حين وآخر. كان القادح لزنادها ذاك العلامة الكبير والشاعر الصوفي السيد عبدالله الحداد العلوي، فكانت هي المثل الأعلى للشعر في نظر النابهين من الطلاب والمشايخ يحتذون مثالها وينسجون على منوالها.

وعلى كل حال فقد أعادت للشعر بعض حياته غير أنه منذ ذلك الحين لم يعد يعدو شعر التصوف أو مدح المشايخ وراثتهم. ومهما كان الأمر فانه كان النواة الأولى لغرس الأدب في هذا العصر وأول دور له من سلسلة أدوار لما تنقض حتى الآن، يرجع بعض الفضل فيها لباعثها الواضع لأول حلقة من حلقاتها السيد عبدالله الحداد.

ثم جاء بعد الشاعر ابن مصطفى العيدروس العلوي وتقدم بالأدب شوطاً وفتح له باب الشعر العربي وتفنن في البديع وأتى بنوع من السهل الممتنع والتوشيح، حقيق بأن يدخل فيما يسمى الآن بالشعر الغنائي. وترسم أثره - مع قلة إنتاج - جماعة

لا نجدهم فضلهم غير أنهم لم يزدوا على سابقهم ما يستوجب نظمهم في سلك أقطاب تطور الأدب الحضرمي وأبطاله الفاتحين.

غير أن تاثر الأدب الحضرمي بشعر ابن مصطفى كان يسيراً وقد يرجع ذلك لكثرة ولوعه بالاستعارات وصناعة البديع فكان ذلك حائلاً دون التأثر بأدبه وكثيراً ما يبعث الاكتار من ذلك في نفوس القراء السامة والملل.

لذلك لبثت سوق الأدب راكدة زمناً ليس بالقصير إلى أن أتى عهد ابن شهاب فما كاد شعره يبلغ مداه من الذبوع في وادي الأحقاف حتى هشت له النفوس ورقصت له القلوب لبلاغته وأسلوبه السهل... وموسيقاه العذبة، وما مضت برهة حتى نهض هذا النابغة بالشعر الحضرمي واقتحم به ميادينه الواسعة وقرع به أبواب الاجتماع والتاريخ والحماسة والوصف، بل أخذ يتصرف به فيقارع به الخصوم مجهزاً بالبراهين القاطعة والحجج الناصعة بأسلوب شعري جزل، يدل على غزر شاعريته وقوة عارضته مما سيرى القارئ أمثلته في آخر هذا المقال.

شعره:

يمتاز شعر ابن شهاب بميزات بيّنة، تجعل له طابعاً خاصاً كالانسجام وصفاء الديباجة وجمال الأسلوب العربي القح؛ مع رقة في المعاني، وتخير في الالفاظ، في سلاسة تجعل القارئ يطل على القافية من أول كلمة من البيت من شعره، ويسابق ذهنه لسانه إلى تناول المعنى.

يرثي وينسب ويتواجد، فيرسل عاطفته حية نابضة في شعره، تمثل لنا حزنه وسروره ووجدانه وشعوره في خيال حي وشاعرية فياضة. وله طريقة في شعره الاجتماعي غالباً، يرسل فيها عواطفه متدفقة، مع سهولة ورقة تبعث على أن تتأثر لها النفوس وتتكهرب لها القلوب حماساً وغيره، حرية بأن نسميها بالأسلوب الخطابي. وبالجملة فلشاعرنا طابعه الخاص الذي يميزه عن غيره.

ويجب - للحقيقة والانصاف - بيان انه مما قيد من شاعرية شاعرنا - من أن تنيله المكانة السامية من الشهرة بين شعراء الاقطار العربية - شدة محافظته على الاساليب العربية، والتجاؤه الى انتهاج الطرق الصناعية، ويرجع ذلك اولاً الى بيئته وثقافته، وعدم تأثرهما بمؤثرات العصر أو بأدب اللغات الاجنبية الحية، وثانياً مجاراة للعامة في مجتمعه وحرصاً على ألا يخرج عما يتفق وأذواقهم، فلا غرو ان كان لثقافته وبيئته في شعره أثرهما البارز.

وقد يعد بعض المجددين - في عصرنا - هذا النوع من الشعر تقليدياً أو (كلاسيكياً) على حد ما يعبر الشاعر المجدد أبو شادي، بيد أن هذا لا يغض من قدر شاعرنا، ولا يجحد له فضل تجديده النسبي في الادب الحضرمي وتلقيحه بروح الادب الحي التي لم يتشربها بكل معانيها قبل.

ولا شك ان شاعرنا عاش في عصر البارودي وصبري وحافظ أيضاً وإذا أصبح هؤلاء عند مجددي عصرنا مقلدين فهو منهم. ومع ذلك فلا يجوز لنا غمط حقهم وجحد ما أثروا على الشعر العربي. وحسبهم - إن لم يكونوا مجددين - أن كانوا حلقة اتصال للشعر بين القديم والجديد.

شعره الوجداني:

الشعر الوجداني هو أصدق أنواع الشعر تصويراً لما يعتلج بخاطر الشاعر وما يهجس بضميره، إذ هو الشعر الصادر عن رشح العاطفة ووحى النفس، فهو أبعد من ان يتسرب إليه الرياء أو تخالطه المصانعة. فأحر به ان يكون المقياس الصادق لسرغور الشاعر واستكناه إحساساته ونزواته، والمرآة الصافية التي تنعكس عليها نفس الشاعر وتبدو بها عواطفه ملموسة نابضة.

وأنت إذا القيت نظرة على شعر ابن شهاب في شكوى الفراق تراه ينبض شوقاً ويسيل دموعاً لفراق وطنه ونزوحه عن أحبابه، فتراه كيف يرسل الصيحات شجية

داوية، ويبعث الأنات مشجية، توقع بنغمة ملؤها الشكوى والحنين، تهز أوتار القلوب
وما ذلك إلا لأنه قضى ثلاثين سنة نائيا عن وطنه، شاحطا عن اقرانه واحبابه فاسمعه
كيف يبكي ويحن الى وطنه (تريـم):

اهكذا ليت شعري كل ذي كرم	يصبيه تذكاره المأوى ويقلقه
يا أيها الرائح الغادي الى بلد	جرعأوه خصبة المرعى وابرقه
ناشدتك الله والود القديم إذا	ما بان من بان ذاك السفح مورقه
وشاهدت عينك الغناء غادرها	مخضلة بالحيا الوسمي مغدقه
أن تستهل صريخا بالتحية من	باك من البعد كاد الدمع يغرقه
يثير أشجانه فوج الصبا سحرا	وساجع الورق بالذكرى يؤرقه
له فؤاد نزوع لا يفارقه	حر الغرام وجفن ليس يطبقه
بالهند ناء أخى وجد يحن الى	أوطانه وسهام البين ترشقه
الى العرانيين من أقرانهم والى	حديثهم عبرات الشوق تخنقه
وللظباء بهاتيك السفوح له	تأله برقيق الشعر ينطقه
لم يسئل عنهم ولم ينس العهود ولم	ينقض وان طالت الأيام موثقه

وهذا شعر يكاد يسيل رقة فكانما نسج من النسيم أو استخرج من التسنيم،
ولكنه كلام أملاه عليه الشعور الصادق وأفاضته العاطفة الكامنة، فهلهل شاكيا البعاد
ناسيا لحقيقة الاسباب التي ألجأته لان يخرج متأففا من وطنه غاضبا، إذ قال من
قصيده التي أولها:

ودع سعاد وألق حبل قيادها واصدر على ظمأ لدى ميرادها

يقول فيها:

هل في القضية أن أقيم ببلدة	يخشى الكرام بها أذى أوغادها
في الارض متسع لحر نفسه	عصماء يأمن مستحيل كسادها

فلتتكل الغنا حلولي دورها وعلي فلتلبس ثياب حدادها
فسنام اي الارض اذهب منزلي ولي الندامى الغر من أمجادها
وتريم تعلم والمدائن حولها أني لدى اللاأواء من اجوادها
وإذا جرت خيل الكرام الى مدى فمن المجلي في كرام جياها
ولطالما أجهدت نفسي ساعيا في لم فرقتها ودرء فسادها
كم فتنة فيها اكفهر وبالها حمد الانام سراي في إخمادها
اني لتكرمني الاسود بارضها لشريف منزلي وعظم مفادها
وتسومني بكم تعالب ارضكم سوء ويأبى الله نيل مرادها

الاتراه كيف يتذمر ويتبرم من بلاده ويفضل لها أن تتكله وتلبس عليه ثياب
الحداد؟ غنيا بان اسنى البلاد موطنه وغر أمجادها ندامى وخلان له، ولكن عاطفته
الوطنية تأبى له بعد الا أن يصرح بما يكنه من مراده، وييث ما أضمره عقله الباطن من
شوقه الطبيعي لوطنه فيقول انه:

بالهند ناء أخى وجد. الخ. الى العرائن من أقرانه. الخ.

فقد عتب ابن شهاب على نفسه ووبخها لصرفها الشاعرية احيانا عن التعبير عن
الخيال والوجدان الى المجاملة والمديح وكتبها لعاطفته المائلة الى الغزل والنسيب في
قصيده التي اولها:

ذهبت من الغريب بكل مذهب وملت عن النسيب وكان أنسب
ركبت من الحماسة كل صعب ولم تجنح الى كنس وربرب
كأنك لم تكن تهوى قديما ولم تعكف على طرب فتطرب
تريد تصبرا فتضيق ذرعا وما أنساك ان الطبع أغلب
فكم قد أوقفك يد التنائي ذليلا حيثما العبرات تسكب
أتذكر إذ هصرت بفود سلمى وكان من عقاب الجو اصعب
فمالت مثل بدر في ظلام على غصن على رمل مكش

ورمت عناقها فبكت دلالا وكفكف دمعها الكف المخضب
ولم تلبث بأن أدنت جناها وأولتك المؤزر والمنقب
وبت ضجيعها في وسط أنس وأمن لا تلام ولا تؤنب
فتلثم من شهى الورد طورا وطورا ترشف الراح المحب
وقد علقت بثوبك من شذاها روائح من فتيت المسك أطيب
تنازعك الحديث على خفاء وقد غفل الرقيب فما ترقب
تقص عليك ما الواشون قالوا وتعتب أن تذيع ولات معتب
إلى أن يقول:

بها وبمثلها فالهج وعرض وعنهما فانظم الدر المثقب
وفي سير الحسان تغن واطرب فذكرك غيرهن هوى مركب
فكم من مدحة ذهبت ضياعا سبكت نضارها واليك تنسب
كما ظلمت عقود من جمان إذا ما علقت في جيد ارنب

وكلها جميل... يعبر عن شدة ندمه على نسجه طرائف المديح فيمن لا يستحق
ممن شرع في مدحهم قبل اختبارهم. ومن سلس قصائد الصافية الديباجة مما يدخل
في هذا الباب قصيدته التي ضمنها رسالته المسماة ضرب الذلة على جريدة النحلة التي
مطلعها:

على رسلكم رسل المحابر والقلم رويدا فمن شم الذرى تحسن الشيم
يقول فيها:

ولا عجب بنت اللئيم لئيمة إذ اللؤم خال وابن خال لها وعم

شعره في الفخر:

لم يداخل فخر شاعرنا شيء من الغلو والمجازفة كما هي عادة الشعراء في الفخر والحماسة، إذ كان أكثرهم يرى أن الفخر هو أن يحشد الشاعر ما يعلمه من مكارم الاخلاق، وشتى الممادح وينظمها ناسباً اياها لنفسه وإن أبت الحقيقة وأرغم أنف الصدق وكان (جنابه) خلوا منها.

أما شاعرنا فكان يتوخى الحقيقة، ولا يفتخر إلا بما يتلبس به ويتصف. وأكثر ما يلوك فخره الجدل والمناظرة، فيكون رد فعل لمماراة أو تنقيص من جانب خصيمه كقوله في بعض مناوئيه:

ومن هم وما هم لو عجمت قناتهم	سوى كل سباب سفيه وصخاب
سأضرب عنهم لا لعجز وانما	ارى الكف عن صيد الثعالب اولي
بي	الم تر أن الليث يحمي عرينه
ويفرق من انيابه كل ذي ناب	ويعرض ان نقت ضفادع غابه
ولو ملأت اصواتها أفق الغاب	
ومن فخرياته:	

سلي تعرفي ان المروءة ملبسي	وأني بجلباب الفتوة مكتسي
سمت بي الى العليا نفسي وهمتي	وفي ريق المجد المؤشل مغرسي

إلى آخر ما في هذه القصيدة من فخر... وهذا على حسنه ليس فيه شيء من المبالغة ولا الاغراق في الفخر. ومما يشهد أنه لا يتعدى الحقيقة في فخره فخريته التي نظمها حينما ولي التدريس بمدرسة دار العلوم «بحيدر آباد» فهو يقول فيها:

كم همام ذي همة وقصارى	همه أن يكون من أمثالي
ثم إنه في أثنائها شكاه حاله مع من لا يعرف الفضل ولا يقدر العلم قائلاً:	
ذهبت حكمتي ضياعاً وشمسي	في غروب وعزتي في ابتذال
فيهم قد قضيت سبعة اعوا	م أذابت نفيس عمري ومالي

شعره الغزلي:

تغلب على شعر ابن شهاب - كما قلنا آنفا - السلاسة والركة وصفاء الديباجة فشعره دائماً يمتاز بخلوه عن التصنع وبعده عن التكلف، ووضع الألفاظ في غير مواضعها أو إيقالها بمعاني قد تنوء بها ولا تتحملها إلى غير ذلك مما هو نتيجة الفقر اللغوي أو ضعف الطبع الشعري. بل كانت تؤاتيه الألفاظ سهلة لينت في رقة وانسجام حتى في لزومياته التي عارض بها الارتقيات مع ان التزام ما لا يلزم مظنة التكلف والتصنع.

وأكثر ما تتجلى هذه الظاهرة في شعره الغزلي السهل اللائق بأن يدخل فيما يسميه البعض اليوم (بالشعر الغنائي) فغزله كله من السهل الممتنع يخلب برنين ألفاظه ورقة أسلوبه قبل استجلاء معانيه على صناعة فيه وبديع غير متكلف، وذلك مادعا الجمهور إلى الإعجاب به والعكوف عليه والارتواء من سلسبيله الصافي وسكرهم به ولا سكر الندامي بالراح حتى لقد استظهره وتداوله المنشدون والمطربون بحضرموت وغيرها.

وأكثر ما كان ابن شهاب يتحرى السذاجة والسهولة في مطالع قصائده ثم يحلق بعد إلى المعاني، وهي طريقة جميلة لتشويق القارئ وتدرج فكره إلى المعاني الشعرية. خذ لك مثلاً مطلع قصيدته التي أرسلها إلى العلامة السيد محسن بن علوي السقاف:

على سلمى وان نأت الخيام من المضى التحية والسلام
أو مطلع قصيدته في الإمام العلامة أحمد المحضار:
خليلي رفقا فالهوادي وكورها اضر بها إدلاجها وبكورها
وهذه في نهاية السذاجة والركة. ومن بديع مطالعه من معارضات الارتقيات قوله:

تعلننا بذكرهم الحداة وتهدينا النساء أين باتوا

وما أبدع قوله منها:

تصنّع كيف شئت فما المثلي ومثلك عن هواهن انفلات
تببت مسهدا قلقا وشوقا وهن على الأرائك نائمات
ومعنى البيت الاول من البيتين هو عين ما في قصيدته البائية السابق ذكرها. وما
أبدع البيت الثاني إذ وصف فيه حالة العاشق الواله مع حبيبته الخلي الذي يتغافل أو يغفل
عن حاله ولا يهتم أو لا يعلم بشأه.

وبالجملة فغزل ابن شهاب كله مشوق وجميل لا سيما في موسيقاه ورنينه وفيه
روائع تبوئه المكانة العالية بين الشعر العربي، كقصيدته (روّق الخمرة) و(هو الحي إن
بلغته) وغيرها. وغزله مشهور ويطول بنا استقصاء محاسنه وروائعه. ولنورد هذه القطعة
فقط مما قاله في شيخوخته نموذجا للقارئ من غزله:

بهزك غصن القد ماذا تريدنا وماذا بلغز العين في السر تعنينا
وهل أنت زحزحت الخمار أم الصبا أطارته حتى سبح الله سألينا
أتسبينني من نظرة وابتسامة وتصبينني من بعد خمس وخمسينا
بلى إن بذر الحب في القلب كامن وإن طمست آثار سورتنا فينا
سينيته مرآك غضا وناضرا وينعشه ما تصنعين وتبدينا
فرب تصاب في الهوى يفضل الصبا وكم في الصبا من جهلة تثلم الدينا
ومرحتي إذا داعي الهوى ضم شملنا ودارت على الأعطاف منا أيادينا
وإن قضيت ما بين ذاك لبانة فتلك شكاة لا تضر المحبينا

ألا ترى في هذا صورة رجل قد جاز الكهولة واستمر يقطع دور الشيخوخة رأى
الجمال فراعه وبهره فرجع يسائل نفسه: كيف سطا الجمال على قلبه في لحظة واحدة؟
وكيف سبته هذه الحسناء بنظرة وابتسامة؟ ثم كيف نفذت سهام الحب الى شغاف قلبه
وأصبتة هذه الفاتنة وهو في سن الشيخوخة؟ ... وقد جاز الخمس والخمسين من

عمره ثم يرجع الى نفسه قائلاً: بلى إن بذر الحب في القلب ما زال دفيناً وإن ناره لم تبرح
كامنة وإن طمست في الظاهر آثارها وخفيت للعيان أعلامها. ثم يقول لها: إن مرآك أيتها
الحسنة سينبت ذلك البذر غصناً ناضراً وسينعش نباته ما تصنعين من إحسان وما
تبددين من عطف وحنان، أو ما تصنعين من تغنج ودلال وحركات يراها المحب فيهتز
لها قلبه ويتكهرب لبه وما تبددين من محاسنك الباهرة. ولا غرو قرب تصاب في أيام
الكبر أفضل منه في عهد الصبا لطهارته ورزاقته إزاء طيش الصبا وجماحه، فكم في
الصبا من جهلة ومن إثم ينتلم له سياج الدين.

شعره الرثائي:

والرثاء مظهر من مظاهر العاطفة ومجلّى من مجالي الوجدان، فهو نشيد الحزن
وقيثارة الحنون. ورثاء شاعرنا الصادق كله دموع مترققة وأنفاس حرى، ترن قوافيه
بالحزن وتنفض ألفاظه بالأسى في انسجام ورقة، ترغم القارئ على مشاركته له في
مصابه ومشاطرته في ألمه. وهاك مثلاً من مرثيته في زوجته أم أولاده وقد أتاه نعيها
وهو بمصر:

أسى وافى بحادثه البريد وحزن دائم وجوى يزيد
مصاب هد من جلدي وصبري بكارث خطبه الركن الشديد
كأن ضئيلة لسعت فؤادي فحمّ بسمها الجسم الجليل
فكل مصيبة جلل سواها لديّ وكل ذي خطر زهيد
وهي طويلة كلها يفيض أسى ودموعاً فليراجعها المستزيد في ديوانه.

وبعد فليكن هذا آخر ما يسطره القلم في هذه الفرصة عن هذا الشاعر الفحل بل
العلامة الحكيم، وهو منتهى دراستنا المتواضعة لحياته وشعره، خالية عن التعمق
والتفلسف اللذين عني بهما بعض الدارسين من أدباء العصر لشعر القدامى فاثقلوا
أشعارهم بما تنوء به وحللوها إلى ما لم يخطر لقائلها على بال. واعتذر لقرائي الكرام

عن الاطالة بنقل كثير من شعره بنفس الدافع الذي دفعني لكتابة هذه الصفحات، وهو التعريف بهذا الشاعر لا للحضارم فقط، ولكن لهم وللعالم العربي قاطبة. ولنختم مقالنا هذا على أن نوافي القراء في موضوع آخر.

صالح بن علي الحامد العلوي

من اطلع على اطوار حياة السيد ابن شهاب منذ نعومة اظفاره، يعلم انه رقيق الاحساس مرح النزعة وهو سريع التأثر بكل شيء جميل طبيعي أو فني، مما يدل على أنه حساس الشعور رقيق العواطف قد برأه الله لان يكون شاعرا بالطبع. فكان في ريعان صباه مفتتنا بالاناشيد العامية الدارجة، معجبا بألحانها الساذجة وانغامها البدوية الساحرة فكثيراً ما كان يترنم بها في اوقات استراحته، وعند فترات دروسه، فقد تحلق به الهواجس الى سماء الشعر حيث يستوحى هناك من خياله الحي فيلقي قطعاً من الشعر العامي تنال اعجاب الجمهور، وهي وان كانت باللغة الدارجة إلا انها تكاد تسيل لطافة ورقة.

شاء الله ان يتدرج عن ذلك الى اللغة الفصحى إذ لم يجد في اللغة الدارجة متسعاً لاشباع شاعريته وارواء صدى نفسه الحساسة، فانصرف وهو في ابان تعلمه لدرس الادب العربي واستعراض دواوين القدامى من مشاهير الشعراء المجيدين، فانكب عليها حيث وجد فيها ما يغذي فيه الملكة الشعرية ويصقل له السليقة العربية، فلا غرو اذن ان كانت باكورة شعره ممتازة بالجدة والاحسان، ولم يلبث حتى نهض بالادب ورفع علم الشعر بوادي الاحقاف.

ان نبوغ السيد ابن شهاب وسعة معارفه وغزارة مادته معترف بها، فقد ودوى صيته في الاقطار وكان - وأيم الحق - علامة واسع العلوم غزير المعارف، اعترف بفضله الكثير من العلماء في شتى النواحي، وله معهم مجالس ومناظرات. تولى التدريس بالمدرسة النظامية بحيدرآباد بالهند.

وكان له في ابنائها جميل الاثر، مع ما كان عليه من توقد الذهن وسرعة الحفظ والذكاء النادر، وحسبك انه يعد في عصره علامة حضرموت، وكان في مناظراته قوي الحجة، مع انصافه لمن يباحثه وارشاده للحق بغاية اللين والهدوء ودلالته على ما خفي عليه بمنتهى اللطف.

كان نابغتنا المرحوم مع ما آتاه الله من العلم والذكاء النادر والادب الجم على جانب كبير من مكارم الاخلاق معروفًا بالوداعة ولين الجانب، حتى مع العامة والمساكين. فقد يأتيه احدهم فيبسط له بساط اخلاقه الدمثة ويغمره بلطفه ولين حديثه المناسب لحاله وثقافته، حتى يخرج حامداً شاكراً.

وقد كان مع ما آتاه الله من المواهب والمميزات مائلاً الى الخمول متحامياً للشهرة والظهور، ولعله يرى في ذلك راحة للنفس عن اتعاب الشهرة وكلفها لذلك كان يؤثر السكوت في المجالس إلا فيما يلزم، حتى يظنه من لا يعرفه رجلاً عامياً، ولكن إذا ما جاءه وناقشه تفجرت عليه منه ينابيع الحكمة ودرت شآبيب المعارف، فلا يلبث حتى يمتلئ به إكباراً ويحني راسه اجلالاً.

ان مدرسة السيد ابن شهاب تمثل الطابع الادبي للشعر العربي التقليدي الاصيل باوزانه وقوافيه المعروفة. وقد تخرج من مدرسته جملة كبيرة من الشعراء الذين يعدون من فطاحل الشعراء في العصر الحاضر، ويمتازون كلهم بأنهم شعراء الادب لا شعراء القصور الذين يجعلون من الشعر مهنة لاستدراار الأموال.

قال لي الاستاذ الصحفي محمد بن عقيل:

لم اطر احدا في حياتي وانا شاب يافع، فكيف يمكن لي الآن وانا شيخ كبير ان اطري احدا ولو كان حاكماً، انهم في نظري اقزام. انا لا اميل إلا الى النقد، ولذا تجد الصحف التي اصدرتها كلها مليئة بالنقد اللاذع، وعرفت لدى الجميع بالنقد، فليس في صحيفتي بل لم يخط قلمي قط كلمة مدح أو اطراء، فلا المال مطلبي ولا المركز املي ولا المنصب هدفي. ولكنني اجل السيد ابن شهاب فهو بحق الرجل العظيم.

ذهب الكثير من الادباء والشعراء الى جوار ربهم في المهجر الشرقي، فعليهم من
الله الرحمة والمغفرة. ولا يزال البعض منهم على قيد الحياة ومن الجيل الصاعد في
المهجر الشرقي شعراء وادباء امثال:

الاستاذ عبد الله بن نوح

هاشم بن يحيى

محمد علوي العطاس

حامد الكاف

عبدالله الكاف

السيد عبدالله بن يحيى العلوي

علي عقيل مطهر

شيخ المساوي

عبدروس الجفري

زيد عديد

وغيرهم ممن لا اذكر أسماءهم الآن، وهؤلاء كلهم من المتمسكين بالطابع
الشعري العربي القديم والمتشبثين باوزان الخليل الفراهيدي ولا يستسيغون الشعر
المرسل أو الشعر الحر بل لا يميلون إليه ابدًا.

الادب العربي بعد غياب الرعيل الاول في المهجر الشرقي:

ان الادب العربي في المهجر الشرقي تدنّى مستواه وبارسوقه وقل الاقبال عليه
ولم يبق من الادباء في الوقت الحاضر سوى الاستاذ عبدالله بن نوح الذي تجاوز
الثمانين من عمره والاستاذ هاشم بن يحيى والاستاذ علوي العطاس والسيد الكاف
والسيد عديد والاستاذ محمد أحمد السقاف. لقد كان المهجر الشرقي مرتعا خصبا
للادب العربي نبغ فيه شعراء مرموقون.

من الصدف الطيبة أنني التقيت باديب من الحجاز وهو أيضاً من الجيل الماضي، يعيش الآن منعزلاً، جرّ الحديث بيننا إلى هذا الموضوع فادلي برأيه قائلاً:

ان الاوضاع العالمية بعد الحرب العالمية الثانية اثرت على شعوب العالم في تفكيرها واخلاقها وحياتها. وكلها تكاد تكون متشابهة وان اختلفت معالمها. وما يشكو منه البعض من الامم والشعوب التي نالت استقلالها السياسي أنه لم تنل بعد حريتها الحقيقية. فالوضع في البلدان العربية خصوصاً من ناحية الادب والادباء والشعر والشعراء، هو نفس الوضع في كل البلدان التي استقلت بالحكم ولم تفلح في الادب. فلم ينبغ في عصرنا هذا ادباء وشعراء ولم يصلوا إلى ما وصل إليه من سبقهم امثال شوقي والنجفي وطه حسين والخليلي ومطران وحافظ وغيرهم. التأخر الادبي عام لانجراف الناس وراء المادة التي تكفل لهم متع الحياة وطفقوا يجمعونها ويركضون وراءها بكل الطرق وشتى الوسائل ألتهتهم حتى عن القراءة. نرى الطالب يهدف من دراسته إلى الوصول إلى عمل يكفل معاش حياته وكذا نجد غيره لا يهتم شيء بقدر ما يهتم ما يوصله إلى جمع المال، واصبحت المادة المطلب الاول والهدف الاسمي في حياته لانه في نظر المجتمع ان من لا مال له لا قيمة له. فالعصر عصر مادة صرفة وكيف يؤمل ان ينبغ ادباء وشعراء في مستوى السابقين من عصرنا؟

ان التطور العالمي قد طور كل شيء واثّر على نفسيات البشر وعقولهم لأنه ليس من وراء الادب مادة يجتنيها أو ينتفع بها.

هكذا حدثني الاديب الحجازي مفصحا عن رأيه في الصورة القاتمة كما يراها للادب والادباء في المجتمعات في العصر الحاضر وفي مستهل القرن الخامس عشر الهجري، ويخالفه في هذا الاديب الموري وهو ضابط في القوات المسلحة لجهة تحرير مورو من حكم وسيطرة الحاكم المستبد ماركوس، قال:

على رغم ما يقوله البعض ان القرن الرابع عشر أو نهايته كان عصر محنة على المسلمين، قاست فيه الشعوب الاسلامية المتاعب في كثير من بقاع الارض من

اضطهاد واستعباد وابداء فإني أعتقد عكس ذلك تماماً إن آخر القرن الرابع عشر هو عصر نهضة وتفتح للمسلمين. فالنهضة والوعي لا يكونان إلا بعد وجود ضغوط والضغط يثير المقاومة والمقاومة شعور بالوعي، وكلما اشتدت الضغوط تكون المقاومة اشد وهي اول الطريق للنصر. ولنا في التاريخ كله - القديم والحديث - دلائل كثيرة وانا مؤمن بان نهاية القرن الخامس عشر هي عصر النصر والفلاح للمسلمين^(١).

(١) للمزيد في هذا الموضوع يمكن مراجعة كتاب جولة في ربوع جزر مورو، طبع بيروت عام ١٩٧٩.

الارتقيات

قد يعجب القارئ المتصفح لديوان السيد ابن شهاب من معارضته للارتقيات، والارتقيات في اصلها قصائد نظمها الشاعر صفي الدين الحلي في مدح المنصور ارتق بن ابلغاي، على عدد حروف الهجاء أي ٢٩ قصيدة، والتزم فيها ان يجعل حروف اوائل الابيات كحروف اواخرها، فاذا كانت القافية همزية كانت اوائل الابيات كذلك، كقوله:

ابت الوصال مخافة الرقباء واتتك تحت مدارع الظلماء
اصفتك من بعد الصدود مودة وكذا الدواء يكون بعد الداء
وإذا كانت القافية بائية، كانت اوائل الابيات كذلك بائية، كقوله:

بدت لنا الراح في تاج من الحب فمزقت حلة الظلماء باللهب
بكر إذا زوجت بالماء اولدها أطفال در على مهد من الذهب
وإذا كانت القافية تائية، كانت اوائل الابيات تائية أيضاً، كقوله:

تاب الزمان من الذنوب فوات واغتم لذيق العيش قبل فوات
تم السرور بنا فقم يا صحي نستدرك الماضي بنهب الآتي
وهكذا تنتهي الحروف الهجائية وهي تسعة وعشرون حرفاً بتسع وعشرين قصيدة على ان تكون كل قصيدة تسعة وعشرين بيتاً وفيها يقول:

تسع وعشرون قد عدت قصائدها ومثلها عدد الابيات في النسق
لم اقتنع بالقوافي في اواخرها حتى لزمتم أواليها فلم تعق

وقد سبق صفي الدين الحلي بهذا الضرب من الشعر شاعران آخران هما ابو زيد عبد الرحمن الاندلسي المتوفى سنة ٦٣٧هـ أي قبل ولادة صفي الدين باربعين عاماً، ثم ابو عبدالله محمد بن ابي بكر البغدادي المشهور بالوتري المتوفى سنة ٦٢٢هـ في بغداد أي قبل ولادة صفي الدين بخمسة وخمسين عاماً، ولكن الشاعرين لم يشتهرا ولا

اشتهر شعرهما. وقد عرف هذا الشعر بعد ذلك باسم الروضة وجاراه كثير من الشعراء. والارتقيون الذين نسبت اليهم القصائد هم اصحاب الدولة التي اسسها ارتق بن كملك من ممالك ملك شاه الب ارسلان السلجوقي. والارتقيون وان كانوا اُتراكاً إلا انهم كانوا يستجيدون الشعر ويستنشدونه ويطربون للمدائح، لذلك استقبل صفي الدين الحلي في البلاط الارتقي استقبلاً حسناً واحتضنه الملك المنصوري في عاصمته ماردين وكرمته. وانشد صفي الدين الحلي في مدائحه مطولات ومنها الارتقيات. وفي هذا الصدد هل تمسك السيد ابن شهاب في ارتقياته بالشروط المتفق عليها والمعمول بها على ان تكون كل قصيدة تتكون من ٢٩ بيتاً، ام له طريقة اخرى؟ عارض السيد ابن شهاب الارتقيات وكانت معارضته من خيرة قصائده بلغت من سمو المعنى ودقة التعبير ما يدل على عبقريته الادبية الفذة، وقد بدأ في معارضته للارتقيات التسعة والعشرين ملتزماً في أول كل بيت من قصيدته بنفس الحرف في القافية، ولم يتقيد بالتمسك على ان تكون كل قصيدة من تسعة وعشرين بيتاً. وقد تزيد عدد ابیات معارضته للارتقيات على ثلاثين بيتاً أو اكثر حسب ما يقتضيه الحال، مبتدئاً بحرف الالف واستمر الى حرف الياء نهاية الاحرف الهجائية وذلك بموجب حتمية الارتقيات والالتزام بها. ان معارضة الارتقيات ليست من الامور السهلة أو الهينة، إلا إذا كان للشاعر ملكة خاصة قوية في اللغة، غزير المادة، كامل الذوق، رقيق الاحساس والشعور، حسن التعبير بسلاسة وبدون كلفة، وهو دليل واضح على عبقرية الشاعر وقيمتة الرفيعة ومستواه الادبي.

الاديب الموري

جمعتني الصدف الطيبة في اثناء جولتي في ربوع جزر مورو^(١) عام ١٩٧٨ باديب مغمور في تلك البقاع النائية هو قائد حرس الجبهة المجاهدة في تلك المنطقة، وهذا الاديب القائد هو الاستاذ احمد نوري، وعلى رغم بلوغه العقد الخامس من عمره فانه لا يزال يتمتع بصحة جيدة ومعنوية عالية ونفسية فياضة وروح جهادية قوية. على كتفه سلاح لا يفارقه، يشارك في الكفاح والدفاع ومحاربة الغزاة المعتدين. والاستاذ أو القائد احمد نوري لطيف المعشر حسن الحديث يحب الادب ويميل الى القصائد العربية.

انتهزت هذه الفرصة السانحة الطيبة لا تحدث معه في شؤون الادب العربي في المهجر الشرقي ودور الادباء والشعراء ومكانتهم في المجتمع بصفة عامة. كان الاستاذ احمد نوري يتحدث بطلاقة وادلى دلوه في الموضوع معرباً ومفصلاً عن رأيه وقال: ان الادباء في الوقت الحاضر بجزر مورو من المسلمين اشغلتهم الحروب الدفاعية الطويلة ضد الطغيان الابادي الكاسح الذي يديره ماركوس الحقود على الاسلام والمسلمين. كما انشغل بعض الادباء بالسياسة مثل الاستاذ عبد الباقي ابو بكر الذي تولى مقاليد العلاقات الخارجية مع جملة من الاخوان ويجوب البلدان للدفاع عن قضيتنا في خارج بلادنا. ولكنهم لا يخلون ممن جعل من هذا الكفاح والحرب والسياسة مادة دسمة لتنمية مواهبهم الشعرية وانتاجهم الادبي وان كانوا قلة من هذا النوع، لان الاكثرية من ادباء مورو انصرفوا كلياً عن الادب الى الجهاد وتورطوا في الحرب، وكم استشهد منهم في هذه الحرب التي ابعدتهم عن الادب. وواقفت انتاجهم الادبي. وهذا وان يكن مؤسفاً فإن الظروف ارغمتهم على حمل السلاح. ونخشى إذا دامت بنا الاحوال ان تبور سوق الادب في بلادنا ونحن نفقد بين آن وآخر اديبا يستشهد في ساحة الوغى، ولا ريب ان الخسارة فادحة لا تعوض، خسرناهم شعراء وادباء. ومن ناحية اخرى نواسي انفسنا بان الامة المورية استفادت من نفوذهم

(١) راجع كتابنا (رحلة الى ربوع جزر مورو) طبع دار الشراع بيروت.

ومكانتهم الاجتماعية لجمع الامة لحمل السلاح ودعوتهم للجهاد والدفاع عن الوطن.
سألته: هل في الامكان قدرة الجمع بين حمل السلاح وبين الانشغال بالادب؟
اجاب: لماذا لا يكون ذلك في الامكان؟

قلت: لان لكل من الطرفين اموراً خاصة قد لا تتيح الجمع بينهما.
قال: بل العكس قد يكون حقاً، فان ظروف الحرب هي التي تلهم الاديب
والشاعر مضاعفة انتاجه الادبي وتعطيه المزيد من دوافع الهاجسية التي تبلور
الاحساس المرهف والشعور العميق فتصورها في قالب القصائد المليء بالاحاسيس.
سألته عن الشعر العربي الكلاسيكي والشعر المعاصر أو ما يسمونه بالشعر الحر،
وايهما احب إليه.

قال: لكل منهما ميزته الخاصة ومكانته... نعم كثرت في السنوات الاخيرة
قصائد الشعر الحر، منها ما دون المستوى، وتكاثرت وكادت تكون مبتذلة، لان البعض
يحسب ان الشعر هو مجرد جمع كلمات، والشعر من الشعور وقيل انها ملكة ولذا نجد
حتى في الشعر الحماسي الدارج من المعاني والحكم مبلغاً عالياً.

سألته: هل اطلع على ديوان السيد ابن شهاب وما هو رايه فيه؟ قال: قرأت ديوان
ابن شهاب بل حفظت بعضاً من قصائده، وعندما اقرأ قصيدة من قصائده اشعر انني امام
شخصية قوية، ولمست من اقواله وعباراته تلك الروح العالية ووجدت له ذاتية خاصة
ممتازة ونادرة تفرد بها، وعلى رغم ان ابن شهاب عاصر النهضة الصناعية الاوروبية
التي اثرت على الافكار واستحوذت على العقول، وحدثت ثورات في كل المجالات
خصوصاً في عالمنا الاسلامي، حتى انجرف الكثير مع هذه التيارات الجديدة، تلك
التيارات التي اوجدت انواعاً من المذاهب الفكرية والاقتصادية والاجتماعية
والسياسية، فاني مع كل ذلك لم اجد في شعر ابن شهاب شيئاً يدل على تأثره بتلك
الموجة الجديدة، كما تأثر بها كثير منا بما فينا من ادباء وساسة فانجرفوا مع التيار
الغربي وارتموا في احضانه، تلك التيارات الفكرية العارمة التي اجتثت اخلاقنا وآدابنا

بل حتى عقائدنا. وجدت للسيد ابن شهاب قصيدة عن الحرب العالمية الاولى التي عاصرها فذكر اسبابها وعواقبها ومطلعها:

شؤم السنين الاربع الخاليات هاجت به ريح الشقا والشتات
السيد ابن شهاب من المتمسكين بالادب العربي الكلاسيكي، فقد ارتبط شعره بنفس النهج والاسلوب الذي سار عليه الشعراء العرب الاقدمون، ولذا نجد قصائده تسلك نفس الاسلوب التقليدي المتبع في القصائد الحكمية القديمة، ويخيل لنا عندما نقرأ قصائد ابن شهاب الغزليات كأننا نعيش في عصر ابن ابي ربيعة، أو الشريف الرضي أو المتنبي في حكمه. ولا جرم ان للسيد ابن شهاب الفضل الاكبر في احياء النهضة الادبية والفكرية في المهجر الشرقي، إذ كانت مدرسته نواة طيبة لاحياء الادب والتراث العربي وانعاشه هناك.

إذا افتخر المهاجرون العرب بازدهار الادب العربي في المهجر الغربي والاميركيتين افلا يحق لنا ان نفتخر بازدهار الادب العربي وانتعاشه في المهجر الشرقي؟ ولنسمع مثلاً هذه القصيدة التي مطلعها:

بهزك غصن البان ماذا تريدنا وماذا بلغز العين في السر تعيننا
ومن لا تطربه هذه القصيدة؟ أو القصيدة الاخرى التي مطلعها:
فتنتك حين بدت بوجه مسفر ورنتم مسلمة بطرف احور
وعلق الاستاذ احمد نوري على قصائد ابن شهاب بقوله: للسيد ابن شهاب عدة قصائد يمكن ان نقول عنها كلها غرر بلغت من الجودة والمتانة ما قد يرتاب السامع انها قيلت في العصر الحاضر وفي المهجر الشرقي، وماذا نقول في هذه القصيدة؟ التي مطلعها:

امحدثني عمن احب واعشق زدني فبي لهم اشتياق مقلق
واعد حديثهم علي فلي بهم نفس متيمة وقلب يخفق
ويستطرد محدثي الاستاذ احمد نوري في حديثه قائلاً: لقد اثرت مشاعري

عندما قرأت قصيدة السيد ابن شهاب الميمية إذ يقول فيها:

ممنعة مدت بممتلئ الجام ورامت به من بين صحبي إكرامي
وابدت برفع الكف نحو جبينها اشارات ود في تحيات إعظام
وما لبثت ان غازلتنى باعين لها في الحشا ما يفعل المرهف
الظلامي ومن عجب اني باسهم لحظها
مصاب واني اشهد الفضل للرامي

يقول الاستاذ احمد نوري: ماذا اقول في ابن شهاب؟! فاللسان عاجز عن التعبير والوصف لملكته الشعرية، وما للسامع إلا ان يسمع كيف يصف المقيم الم الفراق:
داء الفراق اضر ما نكبت به اهل الهوى واشده ازعاجا
افلا يهتز شعورنا عندما نسمع رنة تلك القصائد التي تضرب على الوتر الحساس في اعماق شعور الانسان؟ لقد رايت المعجبين المنتشرين المتذوقين لتلك القصائد التي امتازت بعدة مميزات خاصة ونزعة التحرر الفكري من روايب العهد البائد ومن مؤثرات العصور الماضية القائمة التي انطوت بروح الخمول والمسكنة والتواكل، هنا ومن هذا المجتمع برز السيد ابن شهاب فهز المجتمع وايقظ المتواكل ونبه الغافل الخامل.

سألت الاستاذ احمد نوري: كيف حصلت على ديوان ابن شهاب؟
قال: ان والده المرحوم اشترى ديوان ابن شهاب المطبوع من احدى مكاتب سنغافورا عند زيارته لها عام ١٩٢٦ وكان والده من المعجبين بابن شهاب، ولا يزال الديوان محفوظاً ضمن الكتب الاخرى في المكتبة الى الآن.
ثم استطرد الاستاذ احمد نوري في حديثه قائلاً: ان الديوان الذي بين ايدينا هو من الطبعة الاولى عام ١٩٢٤ باندونيسيا وقد طبع طبعاً متقناً وهو من الدواوين التراثية القيمة، وهو الآن نادر الوجود، ولا اعلم هل جدد طبعه ام لا، فان لم يجدد فالواجب يحتم اعادة طبع هذا التراث الادبي الجليل حتى يتمكن ادباء العرب في العالم العربي

من الاطلاع على ما بلغ مستوى الادب العربي في المهجر الشرقي.
سألته عن وجهة نظره في الشعر الحر.

قال: تطرقت في معرض حديثي إلى الشعر الحر، وبناء على السؤال الموجه الي
اضيف أن الشعر الحر لم يحتل مكانته في عالم الادب، كما ان الاقبال عليه محدود
ومقدروه محدودون أيضاً، والشعراء والادباء في الشعر الحر بين مؤيد ورافض. اما
وجهة نظري الخاص في الشعر الحر، فان شعوري واحساساتي وذوقي يميل ويغرب
الى الشعر النابع من الشعور والاحساس المرهف الذي نجده في الشعر الكلاسيكي
الموزون المقفى حيث اجد فيه نشوة النغمة الموسيقية الرقيقة التي تضرب على اوتار
الشعور وبها تنتعش الارواح لما في كلماتها ومعانيها من دقة التعبير وسمو المعنى، اما
الشعر الحر فهو اقرب الى العبارات والجمال المسجعة، ولا نعلم ماذا يقول الشعراء
الاقدمون لو عاشوا وعاصروا هذه الموجات الجديدة من الشعر الحر، فربما كان لهم فيه
رأي آخر. ولم يظهر الشعر الحر إلا في الآونة الاخيرة، ولا يزال الكثير من الادباء في
العالم العربي وفي المهاجر الغربية والشرقية يفضلون الشعر المقفى الموزون بل
ويتشبثون به لعدم استساغتهم للشعر الحر، فلنقرأ هنا خمريات ابن شهاب الدقيقة
الوصف والحسنة التعبير حيث يقول:

روق الخمرة صرفا وادر	واسقنيها في الظلام المعتكر
روح الارواح بالروح فما	ذاق طيب العيش إلا من سكر
رقية الحزن يرى شاربها	نفسه مثل ملوك مقتدر
رق مرآها ومرآى جامها	فهى والجام ضمير مستتر
رقصت في جبهة الكأس لدى	صبها حور الحباب المعتور

الى آخر القصيدة وهي طويلة وقد التزم فيها ابن شهاب أن جعل اوائل حروف
الابيات من هذه القصيدة بنفس الحرف في القافية الى آخر القصيدة، فبدأ كل بيت
بحرف الراء الذي هو القافية نفسها. ولاخواننا الشعراء والادباء آراء ووجهات نظر في

هذه الخمرية، ويقارنونها بالخمريات من قصائد الشعراء المتقدمين والمعاصرين ولكل منهم رأيه الخاص من حيث سمو المعنى وسلاسة التعبير ودقة صياغة الأسلوب. أما قصائد ابن شهاب الفخرية فهي وإن كانت غير كثيرة كما أعلم وكما هو موجود في الديوان، فإن من ذلك القليل ما يعطي القارئ صورة واضحة عن فكرياته وحماسه ونأتي هنا منها بقوله:

كان قدحي مع الكرام المعلى ولدى الرمي لا تطيش نصالي
ومقامي لدى الملوك يباهي رفعة البدر في بروج الكمال
جائل في البلاد في حلة العز وبرد التعظيم والاجلال
كم همام ذي همة وقصارى همه ان يكون من امثالي
فلنقارن هذه الخمرية وهذه الفخرية من الشعر المقفى بالشعر الحر، كم نجد الفرق بينهما شاسعا. والذوق السليم هو الحكم. وللسيد ابن شهاب قصيدة فخرية أخرى يعتز فيها بنفسه عندما حاول بعض مناوئيه التطاول على مقامه وهو إذ ذاك في عز شبابه قبل هجرته، إذ يقول:

هل في القضية ان اقيم ببلدة يخشى الكرام بها اذى اوغادها
في الارض متسع لحر نفسه عصماء يأمن مستحيل كسادها
فلتتكل الغنا حلولي دورها وعليّ فلتلبس ثياب حدادها
فسنام اي الارض اذهب منزلي ولي الندامى الغر من امجادها
ثم يقول السيد ابن شهاب في نفس القصيدة:
اني لتكرمني الاسود بارضها لشريف منزلتي وعظم مفادها
وتسومني بكم تعالب ارضكم سوءاً ويأبى الله نيل مرادها
طال الحديث بيني وبين الاستاذ احمد نوري الموري وختم حديثه بقوله:

إذا راجعنا مليا كتابات السيد ابن شهاب وابحاثه نجد قدرته الفائقة في معالجة القضايا الفكرية العويصة، هنا يتجلى بعد نظره وسداد رأيه مع ثباته على مبدئه الذي

يؤمن به، ولا ريب فهو من افذاذ رجال الفكر البارزين وان كانت مجهوداته وثمرات اعماله محصورة في المهجر الشرقي وجنوب الجزيرة.

هذا حديث الاستاذ احمد نوري عن السيد ابن شهاب، وقد اطلع على هذا الحديث الاستاذ عبد الباقي ابو بكر مدير العلاقات الخارجية لجهة تحرير مورو، وهو أيضاً من الكتاب الادباء في اللغة العربية ووعد ان يكتب فصلاً عن السيد ابن شهاب حول النهضة الاصلاحية، على أن الاستاذ عبد الباقي منشغل بالجهاد والسياسة وكثرة التنقلات والاسفار للاتصال برجال الدول وزعماء الاحزاب والمنظمات العالمية حول قضية شعبه للاستقلال، ارجو ان لا يلهيه ذلك عن الوفاء بكتابة فصل عن السيد ابن شهاب.

لم يكن للسيد ابن شهاب سمعة واسعة في العالم العربي أو في المهاجر الاميركية والاوروبية إلا لمن لهم صلة برجال المهجر الشرقي، وذلك يرجع لعدة عوامل اهمها أن وسائل الاعلام في المهجر الشرقي من صحافة وغيرها محصورة في اطار محدود لا تتجاوز المهجر الشرقي وجنوب الجزيرة إلا فيما ندر فلم تخترق العالم العربي ولا المهجر الغربي أو الاميركي، والفرق كبير إذا ما قورن بين ما وصلت إليه وسائل الاعلام المصري والشامي التي اخترقت العالم الاسلامي ووسائل الاعلام في المهجر الاميركي أو الاوروبي، ثم ان المهاجرين العرب الى اوروبا واميركا هم من اللبنانيين والسوريين ومن هذا المنطلق كانت الصلات بين العالم العربي والمهجر الغربي وثيقة.

الصحافة العربية عرفت أول مرة في المهجر الشرقي عام ١٩٠٩ عندما تطور فن الطباعة، وصدرت اول صحيفة اسمها «الاصلاح» ثم صدرت بعدها صحيفة الوطن وكلتا الصحفيتين تصدر من سنغافورا، ثم صدرت جريدة الاقبال من مدينة سورابايا باندونيسيا عام ١٩١٠ تحت قيادة واشراف الاستاذ محمد بن سالم بارجاء، ثم صدرت صحيفة البشير من مدينة فالمبانغ بجزيرة سومطرا باندونيسيا تحت اشراف الاستاذ محمد بن هاشم، ثم تعاقب بعد ذلك صدور عدة جرائد ومجلات عربية منها جريدة

حضر موت الواسعة الانتشار وهي ارقى الصحف العربية في المهجر الشرقي لصاحب امتيازها السيد عيدروس المشهور، صدر اول عددها منها عام ١٩٢٤ من مدينة سورابايا واستمرت في الصدور بدون توقف حتى نشوب الحرب العالمية الثانية واحتلال اليابان بلدان جنوب شرقي آسيا في شهر مارس عام ١٩٤٢.

والخلاصة ان الادب العربي في المهجر الشرقي كان يتمتع بمكانة عالية مرموقة واسعة، وظهرت شخصيات كبيرة من الادباء والصحفيين والشعراء والعلماء الذين لهم وزنهم وقيمتهم في عالم الادب والصحافة، دعموا اركان الثقافة والادب العربي في المهجر الشرقي واسسوا المعاهد العلمية وشيدوا المدارس.

بلغني اليوم ٣ شعبان ١٣٩٩ الموافق ٢٨ حزيران / يونيو ١٩٧٩ بمزيد الاسى والحزن استشهاد الاستاذ المكافح المجاهد الاديب المغفور له احمد نوري في ساحة القتال، حيث التقت قواته بقوات مهاجمة لماركوس تدعمها القوات الجوية بقنابلها السامة. استشهد في هذه المعركة الضارية كثير من جنود جبهة تحرير مورو بقيادة الزعيم نور مسواري، وتكبد جنود ماركوس خسائر فادحة في الارواح والعتاد. لقد آلمني هذا النبأ المفجع باستشهاد المغفور له الاستاذ احمد نوري. رحمه الله رحمة الابرار واسكنه فسيح جناته.

المرأة في ميزان ابن شهاب:

من غرائب ما يصادف القارئ عندما يستعرض ادوار حياه السيد ابن شهاب موقفه من المرأة أو المرأة في ميزانه، إذ يجد القارئ ويتراءى له ان موقفه من المرأة موقفا شاذاً أو اقرب الى التناقض، حيث يعارض قوله بقوله ويعاكس كلمته بكلمته، يجد القارئ ذلك في عدة مواضع. فمثلاً بينما نجد نظرتة نحو المرأة نظرة تقدير واجلال وتعظيم ودفاع عنها وعن حقوقها المهضومة، إذ بنا نراه في موضع آخر من كتاباته وقصائده على عكس ما كان عليه مطلقاً، شديداً على المرأة قاسياً عليها لا يثق وبها

بهاجمها بضراوة ولا يثني عليها، ويصفها باشنع الاوصاف. فهل يمكن ان يطلق على هذه الحالة في الرجل اسم النفسية المزدوجة؟

قال احد الاخوان من الادباء: إن خيال السيد بلغ من السعة ما فاق الواقع، فبلور احساسه حتى العفوية وغير المتكلفة بتلك الكلمات الرقيقة العذبة المصوغة بأسلوب اخاذ، يرن في اذن السامع ويستقر في مشاعر قلبه.

إذا كان الامر كذلك كما وصفه هذا الاخ من ان اقوال السيد انما هي محض خيال من افقه الواسع وقدرته التعبيرية على صوغ العبارات حتى جاءت كأنها الواقع الحقيقي، فمعنى ذلك ان دفاعه عن المرأة واجلاله لها وغزلياته كانت كلها محض خيال مصطنع وليست حقيقة.

ان من الامور الطبيعية المعروفة ان كل متصنع او متكلف فيه يفقد روعته الخلافة وروحه الحية، فلا يستعذب ولا يستساغ، فتمجه النفس. وللاذباء موازين واذواق مرهفة واحساسات دقيقة يعرفون بها الفرق بين الاصيل والدخيل وبين النابع من عمق الاحساس والشعور وبين الشيء المتكلف فيه.

ولو فرضنا جدلا ما ذهب إليه الادباء فيما يقول السيد ابن شهاب عن المرأة من أنه لم يكن مصطنعا أو متكلفا وأنه نابع من شعوره الحقيقي الذي يؤمن به فكيف يمكن لنا تحليل قساوته وحملاته على المرأة؟ هل يمكن تحليل حملاته على المرأة بانها مصطنعة أيضاً؟ لم تقتصر حملاته على المرأة فحسب بل هاجم الرجال الذين يثقون بالمرأة.

وإذا تقصينا اقوال السيد وهو في مقتبل عمره الى ان تجاوز العقد السادس منه تراءت لنا هذه المتناقضات واضحة. وعلى سبيل المثال تأتي بنوع من قصائده التي قالها وهو في عنفوان شبابه حيث لم يبلغ العشرين من عمره متغزلاً بحبيبته:

يا حبيب القلب صلني في الدجى وقت الظلام
لا تعذبني فإني فيك حرمت المنام

ليستني لم اعرف العشر ——— ق ولم ادر الغرام
هذا ما قاله في عنفوان شبابه، وعندما تجاوزته واكتملت رجولته كانت اقواله في
قصائده الغزلية اشد وقعا مما كان يقوله في اوائل عمره، ومنها القصيدة التي مطلعها:
امحدثني عمن احب واعشق زدني فبي لهم اشتياق مقلق
وله مثل هذه القصيدة يصف فيها الحسناء الفاتنة بقدها وخصرها المياس، إذ
يقول في مطلع القصيدة:

فتنتك حين بدت بوجه مسفر ورنتم مسلمة بطرف احور
واستقبلتك فكاد ضوء جبينها وشعاعه يغتال عين المبصر
وتخوفت من ان تضار فاسبلت من فرعها اذيال ليل مغدر
الى آخر القصيدة. كذلك قصيدته الاخرى التي يصور فيها هيامه بغادة ملكت
قلبه، وانه ان مات في سبيل حبها فهو شهيد، ومطلعها:

من غرامي بقرطها والقلاده ان امت مغرما فموتي شهادة
غادة حل حبها في السويدا ورمى سهمها الفؤاد فصاده
الى ان يقول:

زارني طيفها ومن بوعد هل ترى الطيف منجزا ميعاده
ما اكثر قصائده الغزلية التي يذكر فيها الوشاة ويصف الحداة والنسائم التي لا
يشعر بها إلا المستهام الذي يعيش فيها:

تعلننا بذكرهم الحداة وتهدينا النسائم اين باتوا
تؤم بنا الركائب حي عرب لهم في كل نائبة ثبات
ومرة يتغزل بحبيبته ويصور حالتها وهي تشير إليه مسلمة على رغم صعوبة
الموقف ووجود الرقباء، فانها لم تحفل بكل ذلك واقدمت بلباقة وسلمت عليه
بحواجبها. اسمعه يصف الحالة والموقف:

بهند كدت عشقا ان تذوبا اتحسب كل غانية عروبا

الى أن يقول:

بروحي من بحاجبها اشارت مسلمة ولم تخش الرقيباً
ولما ودعت رفعت الى ما يلي سيناتها كفا خضياً
لم تنحصر هذه الغزليات في وقت من الاوقات او في زمن معين من حياة عمره
فقد قالها في صباه كما قالها في فتوته وريعان شبابه بل حتى بعد تجاوزه العقد الخامس
من عمره، بل إن له في هذه المرحلة قصائد ارق واعذب واروع، واسمع ما يقوله وهو
في الخامسة والخمسين من عمره:

بهزك غصن القد ماذا تريدنا وماذا بلغز العين في السر تعيننا
وهل انت زحزحت الخمار ام الصبا اطارته حتى سبح الله سالىنا
اتسبينني من نظرة وابتسامة وتصبينني من بعد خمس وخمسينا
بلى ان بذر الحب في القلب كامن وان طمست اثار سورته فينا
سينبته مرآك غضا وناضرا وينعشه ما تصنعين وتبدينا
فرب تصاب في الهوى يفضل الصبا فكم في الصبا من جهلة تثلم الدينا
هلمي بنا نله ونلعب ونجتني ثمار الاماني والقيان تغينا
عرف عن السيد ابن شهاب في جميع الاوساط بانه نصير المرأة والمكافح دفاعاً
عن حقوقها المهضومة وكرامتها ومكانتها المسلوبة من الذين تعدوا عليها وعاملوها
معاملة الاماء، يعتبرون المرأة امة تباع وتشترى، تباع بالطلاق وتشترى بعقد النكاح
وبمهر، ليس لها من الامر شيء حتى في نفسها وحياتها، فالمرأة في نظر أولئك القوم لا
تصلح لشيء إلا لخدمة الرجل والبقاء في المطبخ.

يحارب السيد ابن شهاب هذا الوضع الاعرج الشاذ الضال، فالمرأة والرجل
كلاهما مخلوق لله وله حقه الذي لا يمكن ان يهضم. ولكن الرجال هم الذين أساءوا
التصرف لانانيتهم وحب ذواتهم تجاه هذا المخلوق الالهي، فظلموا المرأة وهضموا
حقوقها وهدروا كرامتها فاستعبدها واتخذوا الدين مطية لتبرير اعمالهم، فاسأؤوا الى

كرامة الدين.

هنا وفي هذه المرحلة هاجمهم السيد ابن شهاب بضاووة وشدة بقوله:
واها لما يلقي البنا ت من امتهان واقترح
يتحكم الرجل المشو ه في الصبيات الصباح
الى أن يقول:

اف لشخص حقهن لديه مهضوم مطاح
ما للرجال وظنهم عجز النساء عن الكفاح
المرأة غير عاجزة فهي كالرجل لها قدرة التفكير وقدرة طلب العلم ولها القدرة
النامة على الكفاح. وانما نظرة الرجل المحدودة والخاطئة جعلته يحسب ان المرأة
مخلوقة عاجزة وهي ليست لها القدرة على شيء فضلاً عن الكفاح، ظن مبني على
جهل بل على العواطف الخاطئة، والحقائق تبطل تلك الظنون.

هذا هو موقف السيد ابن شهاب نحو المرأة، الموقف الباهر الصريح الذي اخذ
على عاتقه مسؤولية الدفاع، وتعرض السيد ابن شهاب لمعارضة المتزمتين ومقاومتهم
واتهموه بالخروج من الملة لانه يدعو الى تعليم المرأة وفتح ابواب المعاهد العلمية
للبنات كما تفتح للاولاد، فتعليم البنات والاولاد واجب على حد سواء بدون تفرقة أو
ميزة، وحجتهم قولهم: لا تعلموا النساء القراءة أو الكتابة فان علمتموهن فسدن، وتعليم
المرأة القراءة والكتابة محرم تحريماً قطعياً. وباختصار هم يعتبرون دعوة النهضة
الاصلاحية التي يدعو اليها السيد ابن شهاب احدى الجرائم الشنعاء والفساد الذي طغى
على العباد، فمقاومتها ومحاربتها واجبة حتماً، فلم يعبأ بهم وبصياحهم وعربدتهم بل
استمر في عمله، وفتحت ابواب المعاهد العلمية والمدارس للبنات، وتقاطرن لطلب
العلم.

هذا هو موقف السيد ابن شهاب في الدفاع عن المرأة وعن حقوقها المهضومة
فما هو موقفه المعاكس الذي قيل عنه؟ فلنلق نظرة ونلتفت الآن الى تلك الناحية غير

المتفق عليها. ومتى راجعنا أقواله نثراً أو شعراً في جميع ادوار حياته من سن مراهقته الى شيخوخته فقد يتراءى للقارئ في اول وهلة ناحية التناقض، فواحدة ضد اخرى وموقفان متعاكسان، موقف للدفاع عن المرأة وحقوقها وآخر ضد المرأة على طول الخط، يهاجم المرأة وكأنه في موقفه هذا من المتمزتين الذين يقولون: ان المرأة عنصر الفساد فهي العدو اللدود.

كيف يمكن تحليل هذين الموقفين المتعاكسين المتضادين؟ واختلف الادباء في ذلك ونسأل هنا: هل كانت أقواله تلك في المرأة وهجومه عليها عن عقيدة يؤمن بها، وهل كان كل ذلك عن حقد عليها، أو ان هناك دوافع اخرى جعلته يتجه نحو هذا الاتجاه المعاكس؟ ان كان الامر كذلك، فما هي اسبابه؟

يعلل بعض الاخوة انه ربما اکتوى بنار امرأة اثرت على نفسه فهاجمها بلا هوادة. وآخرون يعللون أنه ربما كان هناك امور اخرى أو خلفيات اثرت في مجرى حياته، كان السبب هي المرأة.

واسمعه يقول:

احسن الى الانتى مدى عمرها	فغرس إحسانك لا يثمر
ان اظهرت بالقول حمداً فلا	تحمد في السر ولا تشكر
وان تسي يوماً اليها وتسـ	تغفر فذاك الذنب لا يغفر
تنسى جميل الفعل لكنها	لكل امر ساءها تذكر
يعود مثل الزفت في صدرها	عبير احسانك والعنبر
جبلة فيهن موروثه	تفصيل جزئياتها يعسر
فاظفر بذات الدين فالدين عن	جاماھن الوازع الاكبر

ان المتمعن المدقق يرى بكل وضوح موقف السيد ابن شهاب الصريح، إذا تأمل فيما جاء في البيت الاخير من هذه الابيات، أي انه قسم المرأة الى صالحة وطالحة، الى متزنة وعابثة، فالصالحة والمترنة هي طبعاً متنورة فاهمة دارسة تعرف كيف تميز بين

الحسن والقبح وبين الحق والباطل وبين الخلق الحسن والسفاهة والنذالة. اما الجاهلة فهي عاطفية وكيف لها ان تفرق أو تميز بين شيئين متضادين وهي عاطفية وجاهلة وامية.

هل في ذلك من تناقض؟

إذا تفجر غيظاً على المرأة، فهو يقصد تلك المرأة التي لا يردعها الدين لجهلها بالدين ولأنها لم تتعلم لتكون مهذبة وذات دين، وهل في هذا ضير؟ وهل خطأ المحجة؟

وكما توجد في المرأة الصفات الرذيلة من كيد وكذب وحيل ومكر وغيرها توجد أيضاً هذه الصفات النكراء لدى الرجال، وهي لدى الكثير منهم اكبر واسوأ. ولنسمع الآن هذه الابيات التي عرف فيها الحمق والاحمق وحصرها في تسعة نفر ولم تنفرد المرأة وحدها بهذه الصفة، بل الثمانية الانفار ممن يوصفون بالحمقى هم من الرجال دون المرأة:

ان كنت لا تعرف بين الوري	حمقى وهم في صفة العاقل
فانظر الى تسعة رهط هم	حقيقة احمق من باقل
من صدق المرأة فيما مضى	أو الذي يـضمـر للـقـابـل
ومن بلا علم ولا حجة	يدفع قول العارف الكامل
ومن تصدى حاكما وهو لا	يـمـيـز الحق من الباطل
والمرتجي الثروة عفوا بلا	سعي يخال الدر في الساحل
والعائب الامر على غيره	وهو به ملتحف الكاهل
والعالم الآنف عن قول لا	اعلم في معضلة السائل
والمبتغي بالكيمياء الغنى	بشره بالافلاس في العاجل
والشائب المختال زهوا لكي	تهواه حور الملعب الحافل
والتاجر الراغب في الربح لا	يضبط قدر الخارج الداخل

هؤلاء هم الحمقى، وهم تسعة وكلهم من الرجال، ولم يأت ذكر كلمة المرأة إلا حاشية من الحواشي، والمقصود به الرجل الذي يصدق المرأة أي ان الرجل هو الهدف وليست المرأة، والتي لا يمكن الوثوق بها هي المرأة التي جاء وصفها في الابيات السابقة.

ولنسترسل ونتابع في هذا الموضوع الحساس عن المرأة. وفي هذه المرة نتعرض الى موضوع حساس جدا، وهو دور المرأة في زعزعة الاسر والعوائل وتفريقها الى كتل متناحرة شتى، وهو ما يحدث على جميع المستويات، من المستوى الشعبي حتى مستوى الدول والحكام واسر الملوك والامراء والسلاطين، وجل حالات التنافس على الهيمنة يمتزج فيها الحقد والكراهية، ومن يستقص التاريخ القديم والحديث يجد تلك الحوادث بارزة في كل العصور فتدهورت دول واغتيل حكام وفنيت امارات، ومنشأ ذلك هو الحقد، وكان دور المرأة فيه هو الدور البارز، لانها تندفع مع عواطفها التي تعمي بصيرتها، وهي بسبب دوافع الحقد لا تشتفي مالم تصل الى هدفها. وعلى هذا ينطبق قول السيد وهو أن الذي يصدق بالمرأة وينساق لقولها، هو الاحمق بحق كما جاء في الابيات السابقة. ماذا يقول السيد في تلك المرأة؟

إذا نشأت بين الاقارب فتنة	بها اشتعلت نار الضغائن والحقد
وحار اولو الالباب فيما استفزهم	إلى نقض ميثاق الاخوة والعهد
ففتش تجد اصل البلاء نساءهم	بما اسطعن من بذر التنافر والبعد
جبلن على وضع القذى حيث يعظم الا	ذئ
وعلى التفريق بين ذوي الود	كواذب يسلبن الفحول عقولهم
بالسنة ممزوجة الهزل بالجد	ضعاف فلا قضب لديهن أوقنا
يصلن بها فوق المطهمة الجرد	ولكن سلاح المكر والكيد فاتك
بمن شأنه فتك الاساود والاسد	فخذايها المخدوع حذرک واحتفظ
بسرك عن ليلى وسعدى وعن دعد	

وبعد ما قدمناه من اقوال السيد نعود لنجد الحل ففي هذا المجال، إذا عاتب الاب
ابنه المخالف لاصول الادب أو المرتكب لما لا يليق بمقام الاسرة، ليردعه عما ارتكب
من مخالفة ثم زكى ابنه الآخر المطيع للاوامر، فهل يمكن ان يقال: ان الاب ذو مزاج
مزدوج لانه عاتب الاول وزكى الثاني، ام كان محقا في تربية اولاده بمعاتبه المخطئ
وتركية المحق؟

وكذا نرى الاستاذ الذي يعاتب تلميذه المتهاون في دروسه لا يمكن ان نقول ان
هذا الاستاذ عدو لذلك التلميذ، ولكن الاستاذ يريد له الخير وان يسلك الطريق السوي.
وكذلك عندما يبارك الاستاذ تلميذه لنجاحه في دراسته، انما يريد الاستاذ تشجيع
التلميذ ليواصل نجاحه، فليس في الامر من تناقض أو ازدواجية.

وهل يمكن ان نقول: ان الحاكم العادل الذي يحكم على المجرم بالسجن جزاء
اجرامه، ثم يحكم على البريء بالبراءة، نقول: إن هذا الحاكم ذو شخصية مزدوجة، إذ
كيف يحكم بالسجن على الاول ويبرئ الآخر؟ ربما يرى القائل النتيجة ولا يلتفت إلى
الاسباب، والامر الذي لا مراة فيه ان الحاكم هو حاكم عادل فلا شخصية مزدوجة ولا
غيرها.

وكذا السيد ابن شهاب عندما يهاجم، انما يهاجم المخطئ لخطئه، ويؤيد المحق لانه
كان محقا، فليس اذن في الامر من ازدواجية أو تناقض. فهو عندما يدافع عن المرأة
ويحامي عنها فلان الواجب يحتم ذلك، ولكن عندما يهاجمها فلأنها ضلت المحجة
واتبعت شهواتها واندفعت مع عواطفها، فهاجمها لترتدع غيرها وتكون هي عظة لها.
ولنختم هذا الفصل بايراد قصيدة للسيد يتجلى فيها موقفه الصريح مع المرأة،
وهي في رثائه لزوجته وابنة عمه.

اسى وافى بحادثه البريد	وحزن دائم وجوى يزيد
مصاب هد من جلدي وصبري	بكارث خطبه الركن المشيد
فكل مصيبة جلل سواها	لدي وكل ذي خطر زهيد

فقدت بفقده الدنيا جميعاً بروحي ذلك الالف الفقيـد
فلا عيشي يطيب ولا شرابي يروق ولا كرى جفني يعود
ومالي في الحياة هوىً ولكن قضى ببقائي ذو العرش المجيد
الى آخر القصيدة وهي طويلة.

وللاخوة الادباء آراء في هذا الموضوع من تاويلات وتبريرات ذهبوا فيها
مذاهب شتى، منها ان غزلياته انما هي تمليح للمقصد كما يفعله الشعراء الاقدمون،
وذلك لاستراق اسماع السامعين ولفت انظارهم حتى إذا طربوا جاءهم الشاعر ببيت
القصيد. ومنهم من يقول غير ذلك.

رأي ربات الخدور في المرأة في ميزان ابن شهاب

جمعتني الصدف الطيبة في إحدى المناسبات الممتازة في ندوة خاصة بمجموعة من الاديبات المثقفات من اللائي لهن المكانة المرموقة في المجتمع. وكان الموضوع المتداول هو موقف السيد ابن شهاب من المرأة ونظرته لها. وقد ادلت كل واحدة منهن برأيها الحر. وكانت الدكتورة زينب احمد شهاب^(١) ممن شاركن في الحديث قائلة:

لم اكن اعرف السيد ابن شهاب شخصياً، لانه انتقل الى رحمة الله ولم اخلق بعد، ولكنني عرفته من مطالعاتي لمؤلفاته ومنها ديوانه المطبوع، فعرفته نابغة من النوابغ ومصلحا عظيماً من العظماء وشاعراً فذاً من فحول الشعراء، وهو قمة في الادب العربي في اواخر القرن التاسع عشر واولائل القرن العشرين الميلادي، وديوانه اكبر شاهد على عبقريته الفذة مهما حاول البعض قائلًا: ان في بعض قصائده هنات وليست من الجيد الممتاز. ولكن ذلك القول لا يسقط من قدره شيئاً ولا ينقص من نبوغه، فهو عظيم وزعيم النهضة الاصلاحية وقد بلغ من السمو في الادب العربي مبلغاً عالياً، غير ان العالم العربي قد لا يعرف عنه بصفة واسعة، فسمعتُه تكاد تكون محصورة في نطاق محدود بجنوب الجزيرة وجزر جنوب شرقي آسيا باعتباره المهجر الشرقي لابناء جنوب الجزيرة.

ثم استطردت الدكتورة زينب قائلة:

قبل ان نطرق هذا الموضوع وقبل كل شيء علينا ان نؤمن اولاً بان للمرأة كرامة كما ان لها حقوقاً وواجبات، فلها وعليها مال الرجل وعليه سواء بسواء. فالرجل والمرأة متساويان امام القضاء والعدالة على رغم الخلق الجسماني

(١) الدكتورة زينب احمد شهاب طبيبة جراحة في الامراض الباطنية.

لهيكل الجنسين. وتختلف نظرة الرجل نحو المرأة بين شعوب العالم قديماً وحديثاً طبقاً لتطور السنن الاجتماعية بين عصر مضى عهده وبين زمن يعيش فيه الناس في العصر الحاضر، كما تختلف نظرة المتمزمت الجامد ونظرة الفاهم المتعلم المدرك لحقائق الامور، كما تختلف النظرات نحو المرأة باختلاف البيئة والوسط والمجتمع والمناخ والتربية، كاختلاف نفوذ سلطان مستبد جائر وحاكم عادل. وإذا القينا نظرة على الوضع في الجزيرة العربية الآن وبين الاقطار العربية الاخرى، نجد البون شاسعاً والاختلاف بارزاً، فلبعض الرجال نظرة غير سليمة نحو المرأة من انتقاص حقوقها وامتهان كرامتها وان كنا نحن الآن في القرن العشرين عصر النهضة العلمية. واسباب ذلك كلها عائدة الى مخلفات ورواسب الماضي، كما اختلط الامر على بعض الرجال فاصبحوا متناقضين في نظرهم نحو المرأة، وليس بغريب وجود هذا التناقض لدى بعض الرجال لانه نابع من تصورات وانعكاسات من تاثير التطورات والتعليم التي تربوا وترعرعوا عليها، وفي الوقت نفسه بقيت رواسب الماضي عالقة في اذهانهم ونفوسهم فتبلورت في نفوسهم وافكارهم واحساساتهم وشعورهم من هذه وتلك، فسبب عندهم هذا التناقض الفكري، وربما كان السيد ابن شهاب من هذا الرعيل، بل هو ليس باول قائل في هذا الموضوع فقد سبقه غيره كثيرون ممن يحملون هذه النظرات المتناقضة.

قد يبالغ البعض ممن يقسون على المرأة هجوا واستخفافا وسخرية سواء اكانوا زعماء أو ادباء أو علماء على رغم عدم استغنائهم عنها. ونجد من الرجال من يرون المرأة روحاً وريحاناً والزهرة الشذية وهي في نظرهم متاع للتمتع ولاشباع نهمهم الجنسي فقط، فيتغزلون ويتشبهون بها، وهذه عقلية عقيمة محضة حيوانية صرفة لا وزن لها ولا قيمة.

المرأة هي شريكة الرجل لها كرامتها وفضلها بل لا تتم السعادة إلا بائتلاف الرجل والمرأة، فالرجل جزء لا يتجزأ من المرأة كما ان المرأة أيضاً جزء لا تتجزأ من الرجل، وكلاهما بشر من بني آدم لهما كرامتهما. وهذه امور وقضايا مألوفة مما ذكرناه

من قديم الزمن الى يومنا هذا وستستمر الى العصور القادمة، ويكفي ان كتب القصص والروايات ودواوين الشعراء والتاريخ مليئة بهذه الشواهد السلبية والايجابية في جميع المجالات والاحوال والمستويات، اقر به الرجل أو انكره، صدق به أو كذبه. فالرجل لن يستغني عن المرأة، فهي ام لأولاده وهي امه وهي اخته الخ. للمرأة الفضل الاكبر في انجاب السلالة والذرية وتهيئة الجيل الصاعد وتربيته تربية صالحة.

ان الناموس الالهي والاحتميات الطبيعية تقتضي ان الرجل هو الذي يبذل جهده للحصول على المرأة وتقديم المهور لها، فالرجل طالب والمرأة مخطوبة ومطلوبة وكل مطلوب عزيز، وليس بالعكس. وقضت الشرائع السماوية ذلك حفظا لسلامة الاسرة لتكوين امة فاضلة ومجتمع فاضل.

حاول آخرون انكار الشرائع السماوية وعدم الاعتراف بها وسنوا اسلوباً جديداً مغايراً ومعاكساً تماماً وهو المعروف بالاختلاط الحر والانجاب الحر. متى شاء اجتمع بها ومتى شاء تركها وهي كذلك حرة في اختيار من تشاء ومتى شاءت ليكون خدينها بلا قيد ولا شرط.

وقد يتجاوز البعض منهم في استهتاراته التي جعلته يتردى الى حضيض المفساد انصياً لهوى نفسه الامارة حتى لا يرتاح إلا بارتياح المواقير ومعاشره البغايا العاهرات ظناً منه انه بعمله قد كسب السعادة كل السعادة، اذن يجب ان يوزن الرجل بهذا الميزان، مهما علا مركزه ومهما ناءت الصناديق بامواله أو تقمص الكهنوتية. فليس في كل ما قلته من عجب في هذه الحياة، ألا يحسن بنا أن نوجه السؤال الآن الى الرجال ليقولوا الحق؟

هل حكم المجتمع عادل؟

نرى على طول الزمن ومرور التاريخ ان حكم المجتمع لم يكن دائماً عادلاً، فقد يجعل الباطل حقاً والحق باطلاً، وعلى هذا الاساس فهو ينصر الرجل ضد المرأة مهما ارتكب من جرائم خلقية قد يفخر بها بل يعدها البعض سمة الرجولة، ويا ويل المرأة ان حادت عن الجادة حيث يتهمها المجتمع بأسوأ التهم وتبقى مجرمة طيلة حياتها، مع ان اسباب جريمتها هو الرجل الذي اغراها حتى وثقت به فوقعته في حباله وسلمت نفسها منصاعة إليه وهي لا تعلم انها مخدوعة. ان ذلك ناشئ من ضعفها وحسن ظنها بالرجل ونزاهتها وبراءة طويتها التي جرتها الى الانزلاق. والعار يلصق بها ولا يلصق بالرجل. هل لان الرجال هم المسيطرون على المجتمع فكان الحكم لهم لا عليهم؟ يغوي الرجل ضالته فان اغواها قال: اني بريء منها. اليس الحكم جائراً؟ ذلك لان حكم المجتمع مبني على عواطف الرجال.

من هذا المنطلق يتبين ان الرجل اناني يرى الحق له وحده وكل شيء يجوز له لا يجوز للمرأة.

هل يذكر الناس هذه الآية القرآنية الشريفة ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ اُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ النساء: ١٢٤.

فالى أي الفرق يمكن ان يكون انتماء السيد ابن شهاب؟ ارى وجوب استقصاء القضية حتى نصل الى واقع النتيجة المطلوبة، حتى لا نقع في متاهات. كما يحسب البعض ان السيد ابن شهاب ذا نفسية مزدوجة متناقضة بسبب تأثره بالبيئة التي عاش فيها. وحقيقة الامر خلاف ذلك فانه لم يتأثر قط بالبيئة التي نشأ فيها ولا المجتمع الذي عاش فيه، بل انه قاوم قومه لاصلاحهم فكرياً وعقائدياً، ولو كان متأثراً بقومه أو مجتمعه لكان معهم في افكارهم، وبسبب دعوته لاصلاحية قومه وقومه وعادوه، فقال من قصيدة طويلة.

وقد مسني من اهل بيتي وبلدتي اذىً وكثير منهم اكثروا العدوا

فهو اذن ثائر على الفساد واصحاب العقول الآسنة ومصلح للامة في افكارها وعقائدها. فان نظرة السيد ابن شهاب نحو المرأة مبنية على منطق الحق، لانه يقول للباطل: انت باطل وللحق: انت حق، بلا محاباة ولا مجاملة ولا خوف، ويقول في العقيلات الصالحات خير الاقوال والاوصاف ولكنه لا يتردد ان يقول للطاغيات اسوأ النعوت ويضعهن في المحل اللائق بهن. وهذا يدل انه يعطي لكل حقه ولا يبخس احدا، انه يعظم الصالحات ويذم الشريرات الطالحات كما انه يفرق بين الحق والباطل وبين الخير والشر، فهو غير متشائم ولا متحامل على احد حتى على من يعاديه.

وفي هذا الموضوع أود أن اسال الرجال هل هناك من له الشجاعة الكافية ويقول الحق ولو على نفسه، ويعترف مصارحة انه رجل شهم لم يرتكب المنكر في حياته ولا سيئة. ان اردل انسان هو ذلك الذي يرتكب المنكر ثم يتظاهر بالصلاح والتقوى أو يامر الناس بالتدين ويخوفهم من نار الجحيم، ليستتر نفسه بستار الدين ويغطي سيئات اعماله.

ويعصف السيد ابن شهاب هذا النوع من البشر في قصيدته التي نختار منها هذه الابيات:

هل للغرائب من حكيم عاقل	او عالم يقضي بحكم فاضل
امن الذئاب المعط صنف ناطق	في صورة البشر السوي الكامل
أقول كلا والعيان مكذبي	كلا بل المفتي اسير السائل
معط الذئاب الناطقات هم الألى	جعلوا التصوف صنعة للداجل
ولاجل نفي الريب مهما حدثوا	حلفوا لسماع افكهم والقابل
ولكم لهم في السر غامض حيلة	ابليس لم يطمع لها بمماثل
ولهم مع الجنس اللطيف لطائف	ابت المرواة شرحها للناقل
هذي طرائقهم وهذا شأنهم	تعسا لهم من خائن ومخاتل

وللسيد ابن شهاب قصائد اخرى في هذا الموضوع منها هذا البيت:

وتحسبه بشرا في الثياب ولكننه الذئب في نهيمته
اما الاستاذ الاديبي الافغاني فيقول في هذا الموضوع:
داء النفاق غدا في الناس منتشرا وليس احقر في الدنيا من الدجل
فكن من الناس في شك وفي حذر واشطب بنعل على الاخلاق والمثل
ولا شك ان الذي يعنيه السيد ابن شهاب والافغاني هم من الرجال لا من
النسوة.

ان السيد ابن شهاب يجل المرأة الصالحة والمجاهدة ويهجو المسيئة والسيئة
والعابثة الحاكمة، وحياته العائلية والاسرية حياة مثالية ملؤها الغبطة، يشهد بذلك من
عرفوه وعاشروه وقصائده مليئة بهذه الشواهد الخلافة التي يغبطه عليها غيره.
والخلاصة ان السيد ابن شهاب هو رائد الاصلاح ومن مناصري المرأة
والمدافعين عن حقوقها وكرامتها، فصورة المرأة الصالحة المجاهدة متجسمة في
السيدة خديجة زوجة الرسول الاعظم ﷺ وبنته فاطمة الزهراء المرأة العظيمة المثالية
في الاعمال المرضية، واسمع قصيدته الطويلة حيث يذكر فيها الزهراء:
وفاطمة الطهر التي المجد كله محيط بها من خلفها وامامها
فالامر واضح وجلي.
هذا رأى الدكتور زينب شهاب.

الرجال وموقف السيد ابن شهاب من المرأة

بعد استعراضنا اقوال وآراء ربات الخدور في هذا الموضوع يحسن بنا ان نرى أيضاً آراء الرجال واقوالهم، نقدم هنا نظرة الشاعر الاديب السيد صالح الحامد، ورأيه ان السيد ابن شهاب كان متوسطاً في نظره إلى المرأة، فأبن شهاب مع ما كان يرمي إليه من اصلاحها وتهذيبها واحلالها من العلم بالمكانة اللائقة بها للتربية وشؤون المنزل، كان متمسكاً بوجوب بقائها على الحجاب الشرعي وعدم اطلاقها كل الاطلاق، مع انكاره لبعض ما تلقاه المرأة من التقيد وما تقاسيه احيانا من العنت والارهاق. فأبن شهاب يقول مصوراً ما تلقاه من ارهاق من لا ينصفها في قصيدة له دفاعاً عنها من طغيان الرجل:

واها لما يلقي البنا	ت من امتهان واقترح
يتحكم الرجل المشو	ه في الصبيات الصباح
ويسلط الفظ الغلي	ظ على المهفهفة الرراح
سيان قدرا عنده	رأس البهيمه والوشاح
فكانها ملك اليمي	ن يسوقها سوق اللقاح
ويسومها شططاً وير	غمها على طلب السماح
والخوف يخنقها ويم	ننعها التبرم والصياح
ترجو السلامة حيث لم	تنبس بآه او بآح

ويلق السيد الحامد على هذه الابيات بقوله: كم في هذا من تصوير لحالة المرأة مع بعض جفاة الرجال وما تلقى لديهم من عسف وامتهان.

ويقول السيد ابن شهاب متسائلاً مستفهماً: الى متى تدوم بالمرأة تلك الحالة؟

حاتام يصبرن النساء ع على الهوان والاطراح

اولسن زينة هذه الد نيا واطيب ما يراح
هن الرياض بها شميم — الم الورد يسطع والاتاح
يشفى السقيم بقربهن إذا الشذى منهن فاح
ابغيرهن العيش يص — فو والهموم بمن تزاح
ويستطرد السيد الحامد في تعليقه بقوله: ولا يقول هذا إلا من عرف قدر المرأة
واعتبر لها المكانة اللائقة بها من العلم والحرية، ثم تراه بعد ذلك يقول:

اف لشخص حقهن لديه مهضوم مطاح
ماللرجال وظنهم عجز النساء عن الكفاح
رحم الله السيد ابن شهاب وموقفه الصريح ونظرته البعيدة ودفاعه عن المرأة في
الوقت الذي يرى بعض الرجال ان النساء لسن سوى سلعة بائرة تباع في سوق
النخاسين، لا حرمة ولا قدر لها في الحياة، لانهن اصل البلاء والشر.
اما السيد الحامد فيقول: والسيد ابن شهاب مع ذلك يتشائم من غائلة النساء
ويحذر من كيدهن، وكم اشار الى ذلك كما في قوله:

ان كان عندهم الصوا فن والصوارم والرماح
فلنا من الكيد العظي — لقهرهم امضى سلاح
ونصال سحر لا تشا هدا أو تركب في قداح
ثم ترى السيد ابن شهاب يصف قوة المرأة ومقدرتها وشجاعتها وتفوقها في
السياسة وكيف تسيطر المرأة على العقول بدهائها ومقدرتها على سير الامور، واسمعه
يقول:

تسبي العقول بما تزخ عرفه وتسكر كل صاح
سكرا يلذ لهم ولا سكر الغبوق والاصطباح
نبدى الوداد والانقيا د وفي ضمائرنا الجراح
ونريهم المشي الهوي نى في المجيء وفي المراح

من ديننا الموروث ان دم المغيظ لنا مباح
نغتال قواد الجيو ش ولا نهاب شبا الصفاح
نسقي الغضنفر حتفه فيخاله العذب القراح
بالموت نغريهم كما تغرى الكباش على النطاح

وهذا اعظم تقدير للمرأة واعتراف بما لها من دهاء خارق تطأ به هامات الرجال
وإذا كان الرجال يعتمدون في كفاحهم على السيوف المهنددة والمواضي البتارة فإن
المرأة تعتمد على عقلها وبصيرتها وبصرها بدائها في كل الحالات نعم، ان المرأة
داهية حقا.

ثم يعرب السيد ابن شهاب عن رأيه في المرأة، كما يقول السيد الحامد:
بين الفريقين اقض حك — ما من تقلده استراح
خذ من كتاب الله در سا والاحاديث الصحاح
يقول السيد صالح الحامد: ان السيد ابن شهاب يريد بهذا الالتزام ما امر الله وما شرعه
في شرائعه فيما يتعلق بحق المرأة، فلا تضيق يؤدي الى ارهاق، ولا اطلاق ينتهي الى
الاهمال، مع تهذيبها وتعليمها كل ما يليق بها، لا سيما في فنون التربية وشؤون المنزل.
وقد استوعب كل ما يليق بها تعلمه وما يجب لها وعليها من حقوق في منظومته في
آداب النساء، وصرح السيد ابن شهاب بانه يرى الخير كل الخير لها في ملازمتها
الحجاب والشر كل الشر في القائها له، وصور المرأة المسلمة المحجبة ابداع تصوير،
قائلاً في منظومته:

هذا وكم كريمة مصونه في بيتها كدرة مكنونه
بعيدة عن مجلس الرجال لا تخطر الفحشا لها ببال
وان بدت في محفل النساء فدره تضيء في حصباء
ويلق السيد الحامد على هذه المنظومة بقوله: ألا ترى ان السيد ابن شهاب مثل
المرأة المحجبة بملاك في زي بشر ووصفها وصفا خياليا شعريا؟ فشاعرنا يأبى إلا ان

يكون شاعراً في كل ما يصنع. ولا شك ان اصدق ما يستدل به على رأى الشاعر أو عقيدته ما يقوله في حالة هدوء وصحو فكر. واكثر ما يكون ذلك في الشعر الاجتماعي والفلسفي، وإلا فللشاعر نزوات جامحة قد يأتي فيها بما لا يعتقده أو يناقض له رايه. وما ذلك إلا لأنها صادرة في حالة ثورة أو تحت حكم تأثيرات خاصة، والشعراء من اسرع الناس تاثرا بالطوارئ، لركة شعورهم، ولطف احساساتهم وانما تؤخذ آراؤهم من ثمرات ساعات هدوئهم وصحو شعورهم.

والا فشاعرنا هو القائل في المرأة المحجبة:

محجوبة عذراء لو اسفرت لافتتن الشيخ بها والفتى
ناديتها يا ربة الحسن كم في الحسن من حق فحتى متى
قالت انا البدر ولكنني مسلوقة النفع كبدر الشتا
يستطرد السيد الحامد عن موقف السيد ابن شهاب ونظرته حول المرأة بقوله:
وكم في تشبيه السيد ابن شهاب للحسناء بيدر الشتا. من حسن وروعة.

اما السيد العلامة محمد احمد الشاطري فله نظرة اخرى في هذا الموضوع، فانه يقول: ان السيد ابن شهاب تناول في شعره المرأة وموقفه العام معها موقف عدالة وانصاف فيما لها وعليها بمقتضى النظم التي سنهها الاسلام في المجتمع. وقد اجمل ذلك في قصيدته الحائية التي تتضمن مساجلة بينه وبين سيدة، ومطلعها:

امن الفتوة ان تباح طرف الظريفات الملاح
قالوا نعم ان لم تكن فحشا فليس بذا جناح
يعلق السيد الشاطري على هذين البيتين بقوله: يقول بعض من الادباء الذين تتفقوا ثقافة غربية عن موقف السيد ابن شهاب نحو المرأة بانه كان متأثرا بفلسفة الفيلسوف الالماني فريدريك نيتشه المولود عام ١٨٤٤ والمتوفى عام ١٩٠٠ في مواقفه نحو المرأة، وأن نظرة السيد ابن شهاب للمرأة هي نظرة الفيلسوف نيتشه نفسها، وكان نيتشه يعيش مع الاحاسيس والاجواء النفسية المرتبطة بالظروف التي تعرضها

البيئة عليه. وهنا تظهر الازدواجية المتناقضة في تفكيره، فقد عاش نيتشه مثلاً حياة مستهَامَ مَتميم بالمرأة ولكنه في الوقت نفسه يقول في كلمته المعروفة: اذهب الى المرأة ولا تنس السوط معك. فقد استهَامَ واحب فتاة روسية اسمها لوفون سالوبي، غير ان امه واخته اليزابيت فودستر لم تكونا راضيتين ولا مرتاحتين لهذه العلاقة، وسعيا لاحباطها. فكان فريدريك نيتشه مضطرباً بين واجب البر والطاعة لوالدته التي يكرمها ويجلها ويبرها وبين عاطفة الحب والغرام لحبيبته لوفون.

ومن هذا المنطلق يقول السيد الشاطري: نجد ان نظرة السيد ابن شهاب نحو المرأة هي نفس افكار ونظرة نيتشه، وربما كان متأثراً بها، لكثرة التشابه في افكاره وآرائه مع ما يقوله نيتشه. فقد عاصر نيتشه السيد ابن شهاب وتوفي عام ١٩٠٠، وكان عمر السيد انذاك ٥٩ عاماً.

هذه نظرة السيد الشاطري، وربما يظهر أولاً أنها اقرب للواقع والحقيقة، لكنني ارى عكس ما يراه السيد الشاطري، إذ ليس كل من عاصر احداً تأثر به، ولماذا لا يكون العكس فيتأثر فريدريك نيتشه بالسيد ابن شهاب.

من المعلوم ان السيد ابن شهاب لم يتأثر في حياته باحد فضلاً عن نيتشه، وليس من السهل عليه التاثر بفكرة طارئة، وهو ذو الشخصية القوية الذي لا يتاثر باحد ولكن الناس يتأثرون به. اما موقفه من المرأة وما يظهر فيه من تناقض، فهو في الواقع غير متناقض، ففي التاريخ نساء شريرات ونساء بلغن من التقوى والصلاح والايثار والجهاد مبلغاً عظيماً، ففي السيدة خديجة وفاطمة الزهراء خير مثال. اما عذر السيد الحامد ان ذلك من هوية الشعراء فله في ذلك وجهة نظره الخاصة.

اما السيد حسين الحبشي مدير المعهد الاسلامي فقد ادلى بدلوه في الموضوع قائلاً: عندما تصبح المرأة جزءاً من دورتنا الدموية ومن قهوتنا الصباحية وجزءاً من حركات الدقائق والثواني ونبضات القلب والحس فلا يمكن هجرها، لان هجرها يساوي هجر الحياة ويعادل الانتحار البطيء.

المرأة في هذه الحياة الجوفية في داخلنا والتي تنتظر الفرصه لتنفجر كالطوفان من اعماق الارض المالحة. المرأة هي هذه الطبقة السميكة من ملح البحر التي نغطي به اجسادنا حتى لا تتعفن. المرأة هي البوصلة التي يستعملها الانسان في هذه البحار الخضمة ليصل بها الى نوافير المياه وبساتين النخيل.

هذه كلمات السيد حسين ولا اعلم ماذا يقصد، وربما يفهم القارئ ما يقصده الاستاذ السيد حسين.

لم اکتف بكل هذا بل حاولت أن اجد المزيد من النظرات الاخرى، فاتصلت بمن اعرّفهم من تلامذته واقارانه وزملائه ومن عرفوه، فسألتهم ووجدت الكل يكادون يجمعون على ان الكثيرين اختلفوا في فهم وجهة السيد ابن شهاب، انهم فهموا الناحية النظرية الشعرية، واختلفوا في فهم موقف السيد ابن شهاب، ويكفي ان نعلم الواقع في حياته العائلية فهو رب اسرة مثالي، يرحم البائس والمسكين ويساعد المعوزين يدافع عن المظلومين والمستضعفين والمحرومين يؤدي لكل حقه، وانه رائد الاصلاح وزعيم النهضة فهو المثل الاسمي لسمو الاخلاق والخلق الكريم.

وتذكرت ونحن في هذه المناسبة ما كان يحدثنا به الاستاذ عبد الله بن نوح عن الازدواج النفسي في جلسة ضمت بعض الزملاء وامثال تلك التناقضات في حياة البشر، واستشهد الاستاذ عبد الله بن نوح بحياة الكاتب الاديبي الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي المصري الذي يجمع بينهما رابطة الادب فقال الاستاذ عبد الله بن نوح: ان من يقرأ مؤلفات المنفلوطي يجد أنها كلها احزان ومآسٍ وآلام وآهات وبكاء تقطر دموعا تذيب القلوب القاسية وقد يحسب القارئ ان المنفلوطي يعيش بين المآسي والآلام والاحزان وانه كان بائسا شقيا في حياته حتى تبلورت ناطقة في كتاباته وفي كل سطر من سطور عباراته الرقيقة المؤثرة بأسلوبه الخاص المعروف. وقد يحار الانسان إذا عرف كيف يعيش المنفلوطي عيش ترف مليء بالهناء مرتاحا وهو صاحب نكات يضحك دائما حتى لتسمع قهقهته في الشارع، ثم كيف يمكن الجمع بين عيش الترف

وبين المآسي؟ فهل هو نفس ذلك الانسان الذي يجمع المتناقضات؟ وكيف يمكن
الجمع بين المآسي وبين المرح؟ بين ما تخطه انامله وبين المرح؟
هل لنا ان نجد وجه شبه بين المنفلوطي والسيد ابن شهاب في هذه
المتناقضات؟ لا ريب ان لعلماء النفس تعليقات ومبررات في هذه القضية التي يسمونها
بالازدواج النفسي ولهم في هذا الموضوع بحوث قيمة.

الحمينيات

الحمينيات قصائد باللهجة الدارجة الشعبية. وقد تبلغ تلك القصائد مستوىً عالياً من الذوق الرفيع. وللسيد ابن شهاب قصائد معروفة في هذا اللون من الشعر. وجل حمينياته أو كلها قالها وهو في شرح شبابه ومقتبل عمره. إذ تتجلى فيها روح الشباب الحر المرح. ويحفظ الشعب بعض تلك الحمينيات، ويتغنّى المطربون بها في السمرات والحفلات العامة والسهرات الخاصة.

لم تجمع هذه القصائد الحمينية فظلت متفرقة هنا وهناك. وقد اتصلت ببعض الاخوان ممن اتوسم فيهم المعرفة بوجود هذه القصائد الحمينية، والتمست منهم تزويدي بها حينما يجدونها. وقد رد علي السيد احمد ضياء شهاب برسالة قال فيها انه سيسعى لجمع ما يمكن جمعه من هذه الحمينيات الموجودة في الجنوب العربي. كما ان السيد احمد عيدروس شهاب المقيم حالياً بالديار الحجازية زودني بما لديه وما حصل عليه من تلك القصائد.

ذكر السيد احمد ضياء شهاب في رسالته اليّ أنه سبق ان اطلع على مخطوط قديم، شاهده بعينه ولمسه بيده وقرأه وتصفحه صفحة صفحة، لكنه لم يهتم به ولم يدر بباله استنساخه ولكنه ما زال يذكر بعضاً من تلك القصائد الكثيرة التي مرت عليه وقرأها ولا تزال بعض ابياتها بذهنه.

وفيما يتعلق بموضوع مخطوطات السيد ابن شهاب، فقد اتصل بالسيد عمر بن علوي بن شهاب الذي هو احد حفدة المترجم له ووجد عنده اوراقا مبعثرة مهلهلة فيها بعض من قصائده الحمينية غير مكتملة، لكن تبين ان جلها قد ذهبت به ايدي الاهمال وضاع. والبعض الآخر اخذها الاستاذ رحيم بافضل وباعها للمستشرق البريطاني سرجنت «SERGANT» وهو الآن مدير دار الكتب البريطانية في المتحف البريطاني

بلندن.

لم يكن لدى بافضل شيء متبقٍ من حمينيات ابن شهاب والمتبقي منها هو ما يتناوله المطربون والذي لا يتعدى بضع قصائد.

منها مطلع القصيدة الاولى «قال المتيم»، ومطلع الثانية «يا مالك الاملاك».

استمر السيد احمد ضياء في تقصّيه وذهب الى اولاد بافضل بعد ان بلغه ان بافضل باع اصل القصائد وابقى عنده النقل الذي كتبه بيده، فعلم منهم ان تلك القصائد الحمينية موجودة لدى سبط بافضل، اضافة الى القصائد الحكمية الاخرى التي لم تطبع في ديوانه المطبوع. فاتصل بالسبط فلم يعثر على شيء من ذلك. وذهبت مساعيه سدى. وربما يطول به الوقت في البحث، خصوصا أن الاوضاع هناك صعبة والاماكن متباعدة والجو مشحون بكابوس المخبرات.

واصل جهده وذهب الى سيون لتقصي الحقيقة، واتصل بشخصياتها ممن يحسب الخير لديه واجتمع بالشيخ عمر محمد باكثر، احد رجال القلم في شبابه الذي شارك مع السيد صالح الحامد بتحرير المقالات في مجلة النهضة الحضرية التي تصدر من سنغافورا، ولكن الشيخ الآن اصبح طاعناً في السن وقد تجاوز ٧٥ عاماً من عمره، ولم يعد يذكر شيئاً إلا ما كتبه السيد صالح الحامد، المنشور في اعداد متوالية في مجلة النهضة الحضرية، ثم قدم له الاعداد الموجودة لديه، وهي اعداد ناقصة، متفرقة وغير منتظمة، فراجعها وبحث عن مقاله المقصودة فلم يعثر عليها^(١).

المتيم:

هذه احدى قصائد السيد ابن شهاب الحمينية المعروفة بالمتيم. قالها عندما كان في سنغافورا وهو في شرح شبابه حيث استقر به المقام فيها لفترة. جاشت مشاعره بهذه

(١) عثرت على المجلة كاملة ومجلدة لدى السيد حسن بن محمد بن سالم العطاس في سنغافورا وفي مكتبة المغفور له السيد هاشم بن شيخان السقاف مقدسي وتفضلاً مشكورين بتصويرها.

القصيدة. ثم بعثها الى زوجته شريكة حياته الشريفة سيدة بنت علي بن شهاب وهي ام ولده علي وهي من المثقفات الاديبات وقد توفي ابنه علي في حياة شاعرنا الاديب، وله منها بنتان تزوجت احدهما من اسرة آل العيدروس والاخرى من اسرة بيت آل الحداد، وتوفيت زوجته في حياته وهو آنذاك في القاهرة. اما البنتان فقد اختارهما الله إليه منذ امد بعيد.

يقول احد الادباء: ان حمينيات السيد ابن شهاب فيها بعض المبالغات في الوصف والتشبيه، وهو معذور ولا يلام فهو شاب يافع فارق ذويه ونار الشوق الى اهله شغلت فكرته وذهنه. والشاعر يقول:

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيتها
وبما ان الحمينيات قصائد باللهجة الدارجة، ففيها كلمات قد تغيب عن ذهن القارئ وقد حاولت جهدي تفسيرها ووضع معانيها في الهامش حتى يتسنى للقارئ متابعة القصيدة وفهم معناها الحقيقي المقصود به أو رموزها النابية.
القصيدة المذكورة هي:

قال المتيم بن شهاب الفهيم	ابو علي حامي عذوره ^(١)
غزلان في سفوح المدينة تريم	يقطفن من قلبي زهوره
يرتعن من عيديد ^(٢) الى دال	
ميم ^(٣)	وقت المسرة والمسوره ^(٤)
مثل الغصون المائله بالنسيم	إذا سقى الوسمى ^(٥) ذبوره ^(٦)

(١) عذوره: حامي اهله.

(٢) عيديد: اسم ضيعة بواد غربي تريم.

(٣) دال ميم: اشاره الى الحرفين الاولين من اسم مدينة دمون موقعها شمال مدينة تريم في واد خصب.

(٤) المسرة: الافراح.

(٥) الوسمى: مطر الربيع.

(٦) ذبوره: جمع ذبر هي الارض الزراعيه الواسعة.

بالسفع من شعب النعير ^(١) الوسيم	على مجاري الماء قصوره
بالجانب النجدي ^(٢) حبيبي مقيم	يا حبذا النجدي وجوره ^(٣)
يشرف على بستان ينعم نعيم	باوصاف ^(٤) محبوبي طيوره
خرعوب ^(٥) في الزينات ماله	
قســــــــــــيم	وتستعير الشمس نوره
القلب في وديان عشقه يهيم	والجسم بين الناس صوره
باهت به الغناء ^(٦) جنات النعيم	حتى سخط رضوان حوره

(١) النعير: اسم إحدى جبال اودية تريم من الناحية الغربية.

(٢) نجد: باصطلاح لغة الجنوب يعني الشمال. ويطلقون على الغرب اسم قبلة والجنوب اسم بحري اما الشرق فكما هو شرق.

(٣) وحوره: حوره العين.

(٤) باوصاف يحذف: الالف نطقا وليس كتابة. وكثير ما ياتي في اللغة الدارجة من حذف واسقاط بعض الحروف وتحريف بعض الكلمات العربية الاصلية غير انها غيوانها لا تخلو عن كونها عربية الاصل. ولمن اراد التوسع في هذا الموضوع مراجعة ما كتبه الاديب الاستاذ محمد بن هاشم والاستاذ عبد القادر بامطرف والاستاذ عبد القادر الصبان في مؤلفاتهم، وكتاب الامثلة والحكم الدارجة.. بمضرموت للسيد احمد ضياء شهاب. بعض هذه الكتب لا يزال مخطوطاً والبعض الآخر تم طبعه.

(٥) خرعوب: المرأة الجميلة.

(٦) الغناء: كلمة تطلق على مدينة تريم. وشاعرنا السيد ابن شهاب كثيرا ما يذكر هذا اللقب في قصائده. ففي قصيدته الحكيمية التي مطلعها:

ودع سعاد وألق حبل قيادها	واصدر على ظمأ لدى ميرادها
يقول عن الغناء مايلي:	
فلتشكل الغنا حلولي دورها	وعلي فلتلبس ثياب حدادها
وفي قصيده اخرى مطلعها:	
بشراك هذا منار الحبي ترمقه	وهذه دور من تهوى وتعشقه
يقول حول الغناء:	
ناشدتك الله والود القديم اذا	ما بان ن بان ذاك السفح مورقه
وشاهدت عينك الغناء عادرها	نصلة بالحيا الوسمي مغدقه

مسكي روادفه^(١) الحرير

الظليم^(٢)

والشامة^(٣) الخضراء نوره

والحور تتقاسم عشوره

سرور قلبي من سروره

العبد لحقته الضروره

شف فرحه الصائم فطوره

شمس الشهابي في حجوره

لاجل تسلم من شروره

حمار يصلح للجدوره

مملوك لك في سنقافوره

يوفي بها الناوي نذوره

وما قرا القاري سطوره

على النبي لي^(٧) شاع نوره

لك تسعة اعشار الحلا بالرحيم

راضي بما يفعل ولو هو غشيم

انت الدواء للقلب وانت الحليم

ان الاشارة كافية للحليم

عجل بوصلك للمتيم وقيم^(٤)

واحذر تواصل كل من هو شيم^(٥)

من لا يحب الزين عده^(٦) بهيم

كمن بالمتيم بالمختم رحيم

يا الله بعوده الى بلدنا تريم

والفين صلوا ما تحرك نسيم

والختم صلى الله دائم مديم

في حضرموت من الجنوب العربي يطلق على بعض المدن فيها اسماء مثل شبام العالية، سيون الطويلة. دمون

الميمون. =

= تريم الغناء. الى غيرها.

(١) الروادف: جمع ردف وهو الخلف، عجز المرأة. ويقصد منه شعر محبوبته المعطر بالمسك والناعم مثل الحرير الذي يصل

الى اردافها.

(٢) الظليم: الاسوأ من الظلمة.

(٣) الشامة: الخال.

(٤) وقيم: منظر ثابت.

(٥) شيم: من الشؤم.

(٦) عده: احسبه، هذا البيت من هذه القصيدة اصبح من الامثال السائرة التي يستشهد بها الشعب. ومعناه ان كل من لا

يجب الجميل احسبه حماراً لا يصلح إلا لجر وحمل الاتقال.

(٧) لي: كلمه حضرمية بمعنى الذي وينطق الحضرمي اسم الموصل بهذه الطريقة.

رب يا مالك الاملاك

من روائع حمينيات قصائد السيد ابن شهاب هذه القصيدة من قصائده الكثيرة.
حفظ بعض ابياتها المطربون ولحن الملحنون نتفا منها. وأصل القصيدة تفرق هنا وهناك،
وقد جمعت وجاءت مسلسلّة كما هي في اصل القصيدة:

رب يا مالك الاملاك من غير تفريط
عـبـدك اذنب وفـرط
ضيع العمر عبدك في معاصي وتخليط
خالف امـرك وخطـلـستـرك
اسـبلـه ماشـى حـب تـحـت المـسـايـط^(١)
ما مـعـي شـي عـمـل قـط
حـين ما يـرـبـطـونـه وـسـط لـكـفـان^(٢) تـرـيـبـط
سـاعـة الشـلـ والحـط^(٣)

(١) المساييط: جمع مسباط وهو عود يستعمله المزارع لدق السنابل وفرز حب الذره منها.

(٢) لكفان: تنطق بمجذف ال والالف الثانية من الكلمة. واصل الكلمة الاكفان جمع كف.

(٣) الحط: وضع الشيء في محله.

والشهابي يقول افراط^(١) في البيض تفريط
العنق^(٢) ما هو البط
ما البنادق سواء بعض البنادق مخاييط^(٣)
في خزانته مسرط^(٤)
كالمسوح الغوالي كم وكم دوم^(٥) له سيط^(٦)
صرفها اربع^(٧) مقسط
ما تعدي على من يلتبسه المشاريط
من سرح^(٨) به تبسط
آه يابوي في كبدي من لبيض تحقيط
احس قلبي محقظ
من سميظ^(٩) من الخيل الجياد المزاعيط^(١٠)
تبات في الداجي تفحظ
مهرة الصين^(١١) تتعتر وفي الرجل تقميظ^(١٢)
حى ذاك المقمظ

(١) افراط: اجناس. انواع.

(٢) العنق: يفتح العين وسكون القاف اسم طائر شبيه الحمام. وهو لا يشابه البط والوز.

(٣) مخاييط: جمع مخباط وهو الذخيرة التي توضع في البندقية.

(٤) مسرط: مبتلع من كلمة بلع.

(٥) المسوح والدوم: اسم من اسماء البنادق معروفه في الجنوب العربي.

(٦) سيط: ذكر شائع أو صيت.

(٧) اربع: اسم عملة متداولة.

(٨) سرح: ذهب.

(٩) سميظ: الحسناء.

(١٠) مزاعيط: مقاومات.

(١١) الصين: محرفه اصلها اسطيل.

(١٢) تقييظ: تقييد.

ريت بوبكر يعطيها ثلاثه مشاويط^(١)
 من على سرجها نط^(٢)
 حقطت^(٣) قلبي المفتون بالبعد تحفيط
 آه عظمى محطحط^(٤)
 اسبلت^(٥) جعد بالعنبر تمشطه تمشيظ
 بالشمطري^(٦) مخطط
 سحرها في لوحظها وفي الاذن تقريظ
 بالجواهر مقرر
 ريقها من غسل ياخير والله تلغيظ^(٧)
 منه لو كنت بالغط^(٨)
 بالخضاب الذي في كفها فيه تنقيظ
 والحالا في المنقط
 ريت لي بين حب الليم موته وتحنيظ
 بينهن باتصطط^(٩)
 حين تبكي تقول او حيت في النحر تشبيظ
 حسن غري مشبط

(١) مشاويط: ضربات.

(٢) نط: قفز من سرجها.

(٣) حقطت: دقت.

(٤) محطحط: مدقق.

(٥) اسبلت: ارخت.

(٦) شمطري: نوع من العطور.

(٧) تلغيظ: بلع يلع تليعا.

(٨) غط: نام.

(٩) باتصطط: امتد.

ريت لي في الطويله^(١) مرتع الخود^(٢) الغيط
 بيت عالي مقلط
 ريتها تبتني بحري حصون الشعاميط^(٣)
 شهر يـوخذ مسـط
 لاجل بادر بها بالواقعة حيطها حيط
 حين ترضى وتسخط
 ما علي من هواها من عيال الشعاميط^(٤)
 مستمع قـولهم قـط
 والله اني عطيتها شيطها والشماليط
 والقلم فيه ماخط
 مذهبي في الهوى واسع ولي فيه تضبيب
 بالشرعية مضبط
 همتى عاليه لقط من البيض تلقيط
 ما اوكل^(٥) إلا الملقط
 ابذل القرش ما احسب في رضاها القراريط
 في المحبه مغلط
 ما اصحب الغسل لي يهوى وصال
 العضاريط^(٦) ريت له ميت^(٧) مسقط

(١) الطويلة: كلمة تطلق على مدينة سيون.

(٢) الخود: المرأة الجميلة الحسناء.

(٣) شعاميط: الارذال السفهاء.

(٤) شيط وشمليط: كلمتان دارجتان معناها انه فرقهما وذهب بها الى ابعد الحدود وتعني البذل والرمي يمينا وشمالاً بدون ميالة.

(٥) ما اوكل: بوصل الميم الاول مع الواو معناه لا اكل.

(٦) عضاريط: جمع عضروط وهو القصير الدميم اليابس.

ختمها بالنبى سلطه باريه تسليط
ففى حرابه مسلط
والصلاة على من حوط الدين تحويط
والورى به تحوط
مده الدهر ما مر النسيم فى العناقيط^(٨)
اوجرى السيل فى الشط^(٩)

(٧) ميت: بمعنى مائة تنطق بالتحريف.

(٨) عناقيط: عناقيد الاشجار.

(٩) الشط: الحافة.

بني مغراه

هذه من احدى قصائده الحمينية المعروفة التي يتغنى بها المطربون عند
السهرات ويردد المستمعون بعض ابياتها طربا. يحفظها كثير من شعراء وادباء البادية.
واحسب انها غير مكتملة، فيها سقوط في بعض ابياتها. والقصيدة هي:
بني مغراه^(١) نومي زعل والليل غلس^(٢)
وقالي وقت في ذي السنه لارقد ولو انعس
خذنا الضيم من فرقة اصحابي تنهس^(٣)
مشتت في الغرب ممتحن لم لي تمرس
وعندي عيدي غتراف الفنى ونسنس
على مدروف وان حد حضر محفوف روس
تريم السعد يا من بنا فيها مومسوس
ولالا الخوف قلنا هي الوادي المقدس
خرج ذا فصل والبارح الهاجس
ولا يلتام^(٤) بحر الهوى عنده معكس

(١) بني مغراه: اسم قبيلة.

(٢) غلس الليل : دخل.

(٣) تنهس: تنفس الصعداء.

(٤) لا يلتام: لا يلام.

تذكر حسن زين الهياكل المهسس^(١)
صغير ابن عزلان غالي لابس اطلس
حرير اخضر ومرجان من سيره^(٢) مبنكس
مطل قاسي على قتل خولثين^(٣) قوس
بقامه روم بوسلسله صرفه مقيس
على امتانه مكثب بحاليله مبنكس^(٤)
قضيي البان يلعب به البحري اوانس
وخذ مني ثمن لوتبا شبيه مدبس^(٥)
مشط جعده بعنير ويزدي بعدما غمس
كحيل الطرف والخشم جبينه تلحس^(٦)
سكر من ذاق ريقه وفي سكرته كيس
وبه نهدين والله لو عاش بهن مس^(٧)
شبيه الليم بحدي عليهن لي تلمس
حزامه شبر صافي على خصره مقلس^(٨)

(١) مهسس: الهيفاء.

(٢) سيره: مشيته.

(٣) خولثين: اخ لاتنين.

(٤) بحاليله: شعره الجعد.

(٥) شبيه: هذه الكلمة تستعمل للعدد الف من العملة النقدية.

(٦) غمس: ادخله في شيء مائع. تلحس: تلعق.

(٧) كيس: مؤدب، مس: لمس.

(٨) الليم: الليمون.

وقلبي زاغ من فخذ المدروج لمليس
وسمت القوت وlish عاد لوشفته مخلوس^(١)
حالا ياقرع مخراف باللوز الملبس
تعطف يامن القلب كبدي تمرس^(٢)
فضيلة القهابت معي ليلة وقل بس
ولو تبقى الكتب لي معي في كل مدرس
والحمراء في الحجيل البركة من خير

مغرس

فداك الحال والمال سيدي والمعلس^(٣)
قفاك اليوم شف بن شهاب الدين كسكس
ولا بنساك لونا في اكفاني مكلوس^(٤)
ولا لي عذر موخذك في عكر المتحمس
ويوم الحشر والنشر منك باتحسس
وصلى الله على من به الدين اسس
محمد واهل بيته عود ما الليل غلس
يقول الاستاذ المؤرخ الاديب محمد احمد الشاطري: ان للسيد ابن شهاب
اشعاراً دارجة كثيرة بعضها قاله في عنفوان شبابه. وكما نشرت كتبه واراؤه فقد سجلت
قصائده. له حكمة ودارجة في مناسبات عديدة.

(١) مخلوس: بدون ثياب.

(٢) مجراف: اسم نوع من النخل.

(٣) الحجيل: اسم ضيعة صغيرة شرقي مدينة تريم، معلس: العمل.

(٤) كسكس: اغمض عينيه. والمعنى انه يتكل دون مبالاة بما يدور حوله من كلام العذال.

لم يبق منها إلا القليل يتناقلها رجال الفن والادب وانصارهما.
ويحدث السيد علوي بن شهاب حفيد شاعرنا الاديب عن والده بان السيد ابن
شهاب عندما تصفح مجموعة قصائده المخطوطة الحمينية والحكمية واطلع عليها قال
لوالد السيد علوي ان هناك بعض قصائد قالها في عنفوان شبابه مثل بعض قصائده
الحمينية قد يظهر فيها نزق الشباب الذي لا يستسيغه إلا الشباب.
وهنا نكتفي بايراد تلك القصائد من حمينيات السيد ابن شهاب مثلاً لمستواه
في الشعر الحميني.

ملحق

كنت دائما اطلب المزيد من المراجع والمصادر فيما يتعلق بالسيد ابن شهاب فزادت اتصالاتي الكثيرة بالاخوان ليمدونني بما لديهم. لبيّ بعض الاخوان الكرام عندما بلغهم اني مكب على وضع كتاب عن السيد ابي المرتضى بن شهاب. جاءني السيد عمر بن علوي بن شهاب احد حفدة السيد المترجم له ابن شهاب مرحباً بالفكرة وأبدى انه على استعداد لتقديم كل ما لديه عن جده، كما تفضل السيد احمد ضياء شهاب بتقديم ما عثر عليه من قصائد السيد ابن شهاب غير المثبتة في ديوانه المطبوع ثم تعليقه عليها وذلك في رسالته الي بتاريخ ٨ شعبان ١٤٠٢ هـ وتلك القصائد هي:

اصالت دموعي من مدامعها مجرا

على صفحات الوجنتين قد احمر
اكابد من دهري شجوناً وحسرة
لما قد رأيت اليوم في الحرة الزهرا
فما في تريم الخير قاض مصرح
بما في كتاب الله والسنة الغرا
قديماً على الغناء اطلق مادهى
ولم لا وقد كانت معظمة قدرا
إذا جئت منها مجلسا لم تجد به
سوى ذاكر لله او قارئ يقرا
ألا ليت شعري هل يعودنّ ما مضى
وهل تُرجع الايام ما اخذت قسرا

إذا لم يصبها وابل صيب الندى
فطل به تحيا من الموتة الكبرى
فقم يا ابا المنصور فيها بعطفة
عليها تحوز العز والفوز والاجرا
اقيموا لهذا الشأن عدلاً مهذباً
اميناً لهذا الامر هل به اخرى
وقوموا لدين الله قومة ماجد
وان نظرت عين البغا لكم شزرا
واياك والأعذار اياك هل ترى
بيوم التنادي من يقيم لك العذرا
فقد من مولاكم عليكم وخصكم
بما اختاره منكم واولاكم الامرا
وملك تريم منتهى الفخر والعلی
فلا تغبطوا ملك النجاشي او كسرى
مهبط اهل البيت والعترة التي
هم وارثوا المختار والفتية الغرا
فهم نعمة المولى على اهل ارضه
وهم سادة الدنيا وهم سادة الاخرى

* * *

وهذه قصيده اخرى غير مثبتة في الديوان

صال الزمان على الفؤاد الخافق نكبات دهري والحبیب مفارقي
فالدهر حرب للكرام اولي النهی سلم لكل مخادع ومحاذق
ايطيب عيش واللثام تسوؤني حسداً وبغضاً لا ورب الغاسق
فيم المقام بارض ذل بين من من شأنهم انكار فضل السابق
وكأن قول الزور فيما بينهم حلّ وذلك شأن كل منافق
حاشا جنابك ايها الفطن المجر ب ان تصيخ الى مقالة فاسق
واقف القضية ان اتتك قضية فإذا انجلت فاقطع يمين السارق
واصدع بامر مستعينا بالذي خلق ابن آدم من مهين دافق
وبه فثق فالكون منقاد لمن يمسي ويصبح واثقا بالوائق
ثم الصلاة على النبي وآله ما بل دمع من مدامع عاشق

* * *

عندما صدر كتاب «قرة العيون المبصرة في تلخيص كتاب التبصرة» ارخه السيد

ابن شهاب بهذه القصيدة، وهذه ايضاً من القصائد غير المثبتة في الديوان.

ما وصل ذات الخفر المصون ولا اقتناء اللؤلؤ المكنون
ولا ارتشاف الراح يجلو نورها غيم الصدا في خاطر المحزون
ولا ركوب المرء سرج سابح يختال في يوم الشباب الجوني
يوما يساوي اويداني نشرها تحيي القلوب من علوم الدين
ومن دقائق المواعظ التي بها النجاة من طوامي الهون
وخير ما تنحو القلوب نحوه من معرب فيها ومن ملحون
لقاري «قرة العيون» حبذا سفر يقيّل صفقة المغبون

حلت معاني لفظه فوائداً من لفظه في غاية التمكين
تسقي حدائق القلوب سلسلا يخضر منه ذابل الغصون
كم من غوي من سماعه اقتدى فقام بالفرض وبالمسنون
وكم اناب مسرف لما وعى تذكيره المشجون بالفنون
يا حبذا الاصل الذي بمثله ما جاءنا الحافي ولا ذا النون^(١)
وحبذا اختصاره الذي اتى مطابقا معناه للمضمون
وحيث كان بالمشابة التي بها يفك مغلق الرهون
سما الى تكثيره بطبعه ونبش قبر كنزه المدفون
نعم الكريمين الذين اصبحا للمجد زين فلكه المشحون
لا برحا في فلك الاقبال في اوج العلا مقطوعي القرين
وحين تم طبعه ارخته في بيت شعر رجز موزون
جاء بعون الله جل وافيا طبع كتاب «قرة العيون»

هـ / ١٣٠٥

(١) بشر الحافي وذا النون المصري شخصيتان من كبار رجال التصوف المشهورين.

تعليق السيد احمد ضياء شهاب

اعتقد ان شاعرنا لم يكن يريد اثبات هذه القصائد في ديوانه لما فيها من الركة في التعبير كما هو ظاهر فيها وخاصة القصيدة الاخيرة وبيتها الأخير الذي فيه الحساب بالجمال لتاريخ طبع كتاب «قرة العيون» اذ لم يطابق الصحيح. كما ان في القصيدة تعبيرات غير جيدة يدركها القاريء الحصيف. ومثلها القصيدة الآتية التي مطلعها «كرم الشريف بمقتضى اقباله» وهي أيضاً لم تثبت في الديوان. قال هذه القصيدة بمناسبة تشييد قصر السقاف بمكة المكرمة والذي اصبح قصراً لملوك آل سعود ومقرأ لهم بعد استيلائهم على الحجاز. يوجد في هذه القصيدة عبارات غير جيدة ولا تطابق التاريخ بالجمال. ربما كان عدم اثبات هذه القصائد في الديوان قد تم بموافقة منه. والقصيدة التي قالها عن قصر السقاف هي:

كرم الشريف بمقتضى اقباله	ودليل فضل المرء حسن فعاله
وسمو نفس المرء عدل مشاهد	يقضي لصاحبه على استكماله
أو ما رايت المجد يابن محمد	عمر الشجاع اناخ جنب رحاله
السيد السقاف ذو العلم الذي	عن وصفه يغنيك شاهد حاله
زاكي النجار مهذب الاخلاق لا	ينفك يرفل في حميد خصاله
مقري الضيوف كانهم شركاء ف	يما تشتهيهم نفوسهم من ماله
حسن المآثر كم له في جدة	من رتبة عزت على امثاله
وبه تبسمت الثغور مسرة	لما اشاد هناك بيت جلاله
بيت تود قصور كسرى انها	عكفت هناك على وريف ظلاله
طوبى لساكنه فنجم سعوده	باد وبشرى وافدي نزاله

بيت كساه العز ثوب جماله وأتى الزمان مهنتا بكماله
هناك ابيات سقطت من قصيدته المعروفة «ودع سعاد» المثبتة في ديوانه
المطبوع. فبعد هذا البيت:

فيها منار الحق عال و الهوى وبنوه في ربض الثرى ووهادها
تأتي هذه الابيات:

فركضتموا ركض الهجان وعن

رضى لم تزجروها عن قبيح طرادها

واستحسنوا سمعا الى نبح الكلا ب السود اذ نبحت على اسياها

هل غركم منها الحطام فانما بنصالها الاسياف لا اغمادها

فئة سجيته سباب اولي النهى واذية العلماء من معتادها

البخل شيمتها وجمع السحت مذ هبها وبطر الحق عند عنادها

يستحسن المذموم من عاداتها حتى تظن الناس من حسادها

اف لها من فتية جبلت على الـ بغضاء والشنآن من ميلادها

ان تزجروها تحمدوا وتؤمروا اولا فبشراكم بسوء معادها

وترقبوا فلکم كريم مزعم عنها الرحيل مشمر لجهادها

* * *

وفي رسالته الاخرى الخاصة اليّ بتاريخ ٢٨ شعبان ١٤٠٢ يقول السيد احمد
ضياء شهاب انه خلال اتصاله بالسيد عمر بن شهاب وجد لديه بعض مؤلفات جده،
ومنها كتاب «الشجرة» الذي لا يزال مخطوطا. واصل الكتاب ان السيد عمر أخا
المترجم له بدأ يؤلف كتاباً مختصراً في الانساب العلوية ولم تسعفه الظروف لاتمامه

فجاء السيد ابن شهاب فاكمله وتوسع فيه ونظمه حتى أصبح الكتاب كبير الحجم، وقد اتبع فيه طريقة سهلة وكتبه بالوان مختلفة ووضع له رموزا. وطريقة كتابته تختلف كثيرا عن غيره من كتب الانساب. بدأ بنفسه وانتهى في آخر المطاف الى آدم أبي البشر، ثم ترك لمن بعده فراغا ليتسنى لهم الحاق اسمائهم وانسابهم وتراجمهم فيه. إلا انه لم يكتب احد من بعده فيه شيئا.

وللسيد ابن شهاب ديوان آخر غير المطبوع، لا يزال مخطوطا. والمؤسف جدا انه بعد المراجعة تبين انه لم يكن كاملا، لان بعضه قد فقد ويتجلى ذلك من ارقام الصفحات غير المتسلسلة، والمتبقي اكلته الارضة ويعسر على المتتبع معرفة الابيات لعدم المحافظة عليه والاعتناء به وبغيره من الكتب. والذي يحز في القلب ان الكتاب من التراث القيم ولا يزال مخطوطا، ولم يجد من يراجع ويحققه خدمه للعلم وتمهيدا للطبع في المستقبل اذا سنحت الظروف، فالمتبقي الموجود هو النزر اليسير جداً ونخشى ان تستمر الارضة في التهامه.

اما الاجازات الشائعة فلها اصل موجود وهي في حقيقتها ليست اجازات كما هو معروف وانما هي عبارة عن ذكر اسماء لبعض اشخاص من الذين تلقى واخذ عنهم في جميع بقاع الارض والذين اخذوا عنه تلقيا ودراسة. وقد رأيت من بين الذين درسوا عنده واخذوا عنه الجد المغفور له علي بن احمد بن شهاب.

اما مؤلفاته ومذكراته التي لا تزال مخطوطة فقد عثرت من بينها على كتاب بعنوان «عظة وذكرى» راجعته فوجده اوراقا مهلهلة لقدمها اولا وعدم الاعتناء بها ثانيا ومن اسم الكتاب يتضح فحواه، واحسب انه كتبه وصية لمن بعده. كما وجد ديوان شعر لوالد المترجم له فيه من الشعر الحكمي والحميني وهي في منتهى الروعة في عباراته ومعانيه مما يدل على علو مستوى الادب والشعر في ذلك العصر. ولد عام ١٢١١هـ ووفاته عام ١٢٩٠هـ.

احمد ضياء شهاب

في مذكرات السيد ابن شهاب ذكر بعض اسماء مشايخه الذين تلقى عنهم
واجازوه ومن هؤلاء:

- ١ - والده العارف بالله عبدالرحمن بن محمد بن شهاب.
- ٢ - العلامة الحبيب عبدالله بن علي بن شهاب عن السيد احمد بن حسن الحداد.
- ٣ - الحبيب علي بن شيخ بن شهاب.
- ٤ - العلامة عبدالله ابن الحسين بلفقيه.
- ٥ - العلامة القاضي محمد بن علي الشوكاني اليمني.
- ٦ - العلامة احمد باسودان الحضرمي.
- ٧ - الحبيب حسين بن احمد الحداد.
- ٨ - الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي.
- ٩ - الحبيب احمد بن محمد المحضار.
- ١٠ - الحبيب عبدالقادر بن احمد بن طاهر وبه حصل الاتصال باسناد.
- ١١ - العلامة طاهر بن الحسين بن طاهر.
- ١٢ - العلامة عبدالله بن الحسين بن طاهر.
- ١٣ - السيد عمر بن عبدالرحمن بن شهاب اخو المترجم له وواضع كتاب
الشجرة.

- ١٤ - الشيخ محمد بن عبدالله باسودان الحضرمي.
- ١٥ - العلامة احمد زيني دحلان المكي.
- ١٦ - العلامة العارف بالله حامد بن عمر بافرج.
- ١٧ - الشيخ احمد المكي. وله منه اجازة واسعة في اسانيد طرق الحديث
والتصوف ومصنفات المتأخرين.

١٨ - السيد ابو الهدى الصيادي الرفاعي في الطريقة الرفاعية.

١٩ - الحبيب العارف بالله ابو بكر بن عبدالله العطاس في الطريقة العلوية.

وغير هؤلاء كثيرون ممن نالته بركاتهم ونفعته دعواتهم وسرت اليه افادتهم واسرارهم.

اما تلامذته الذين اخذوا عنه تلقيا ودراسة فقد اجازهم اجازة عامة في رواية جميع مصنفاته ومروياته باسانيدها المعتمدة كما هي من كتب الحديث والتفسير والاصول والفقه والتاريخ والمنقولات والادب والاوراد المتداولة الواردة من ساداتنا ائمة الصوفية، والعمل بما استطاعوا من الطرق المشهورة لكبار ساداتنا العلويين، واقتفاء مناهجهم بمقتضياتها وقوانينها كما اجازه في ذلك جميع مشايخه المتقدمين المشهورين. ومن الذين يجلهم والده العارف بالله عبدالرحمن بن محمد بن شهاب كما اجازه بجميع ما ذكر مشايخه الاعلام، فقد اذن لمريديه ان يرووا عنه ما شاؤوا فيما حوته اثباتات أولئك الفضلاء وان يعملوا بما يستطيعون وبما يرغبون فيه من اوراد طرقهم ووظائف سلوكهم ولهم ان يجيزوا من شاؤوا فيما يشاؤون.

وممن ذكرهم السيد ابن شهاب من تلامذته:

١ - احمد بن عمر بن يحيى.

٢ - عمر بن احمد بن علي بافقيه.

٣ - محمد بن عقيل بن عبدالله بن يحيى.

٤ - عبدالله بن محمد صدقة زيني دحلان.

٥ - محمد بن عبدالرحمن بن علي بن شهاب.

٦ - علي بن عبدالرحمن الحبشي.

٧ - ابو بكر بن علي بن شهاب.

٨ - علي بن احمد بن محمد بن شهاب.

- ٩ - عقيل بن عثمان بن يحيى.
 - ١٠ - عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف.
 - ١١ - حسن بن عبدالله بن عبدالرحمن الكاف.
 - ١٢ - عبدالله بن حامد الصافي.
 - ١٣ - عبدالله بن عمر بن احمد الشاطري.
 - ١٤ - عيدروس بن محمد بن هارون بن شهاب.
 - ١٥ - محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن شهاب.
 - ١٦ - عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالرحمن بن شهاب.
 - ١٧ - مرتضى بن ابي بكر بن شهاب.
 - ١٨ - احمد بن عمر بن عوض الشاطري.
 - ١٩ - حسن بن عمر بن عوض الشاطري.
 - ٢٠ - محمد احمد الخطيب.
 - ٢١ - ابو بكر بن احمد الخطيب.
 - ٢٢ - عيسى بن محمد بن عقيل بن يحيى.
 - ٢٣ - حمزة بن محمد بن عقيل بن يحيى.
 - ٢٤ - علي بن محمد بن عقيل بن يحيى.
 - ٢٥ - عباس بن محمد بن عقيل بن يحيى.
 - ٢٦ - محمد بن احمد بن عمر بن يحيى.
 - ٢٧ - عبدالله بن احمد بن عمر بن يحيى.
 - ٢٨ - حسين بن مرتضى بن شهاب.
- بعد ذكر هذه الاسماء لبعض تلامذته ومريديه الذين اخذوا عنه دراسة وتلقيا،
اوصاهم السيد ابن شهاب بالتقوى لله عزوجل في السر والعلن لانها السبب الاقوى

الموصل الى خيرات الدنيا والاخرى. وان يتخلقوا بالاخلاق الحسنة ويتخلوا عن
اضدادها وذكرهم جميعا ان لا ينسوه من صالح دعواتهم في حياته وبعد مماته فانه الى
ذلك شديد الاحتياج. وهو لهم داع مادام على قيد الحياة في هذه الدار.
وختم وصيته هذه بقوله:

«وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد
وآله الطاهرين واصحابه المهتدين وتابعهم الى يوم الدين وعلينا معهم وفيهم. آمين.
آمين».

كتبت هذه الوصية بقلم السيد ابن شهاب بتاريخ ٣ من شهر محرم الحرام عام
١٣٣٧هـ.

* * *

هذه خلاصة وصية السيد ابن شهاب التي عرف عنها أنها اجازته لمن ذكر
اسماءهم من بعض تلامذته ومريديه نقلت باختصار عن الاصل الموجود لدى حفيد
المترجم له السيد عمر بن علوي بن شهاب، وقد نقلها عن الاصل احمد ضياء شهاب
في ٢٨ شعبان ١٤٠٢هـ.

مناوئوه:

بُلي السيد ابن شهاب بمكر الاستعمار الانجليزي والاستعمار الهولندي الحقود،
وابتلي بعملاء الاستعمار المرتزقة ممن يتخذون الدين مطية لاغراضهم ومصالحهم
الخاصة، كما ابتلي بالمتزمتين اصحاب العقول المتحجرة. كل هؤلاء اتفقوا على محاربة
السيد ابن شهاب ومقاومته بشتى الطرق ومختلف اساليب المكر لاجتثاث مشروع
حركة النهضة الاصلاحية من جذوره، ولكن هل نجحوا؟ وما هو برنامجهم؟

البرنامج الاول لمشروع النهضة اصلاحية هو البرنامج الاصلاحى العام، الذي يشمل نشر العلم والتوعية وتطوير المجتمع الى مستوى افضل وازالة المفاهيم البالية. وعلى هذا الاساس يمكن تلخيصه بالنقاط التالية:

- ١ - نشر التعليم بفتح المدارس والمعاهد العلمية.
- ٢ - اعداد جيل واعٍ من الشباب المثقف.
- ٣ - تكوين نواة من الجيل الواعى ليرعى الجيل من بعده.
- ٤ - ترك المتزمتين اصحاب العقول المتحجرة التي لا امل منها وتنحيتها من الصف.

- ٥ - بعث روح التحرر والوعى والشعور بالمسؤولية.
- ٦ - ان يشعر كل فرد من افراد المجتمع بمسؤوليته نحو قومه ووطنه ودينه وان لا يكون عالة.

- ٧ - غرس حب الجهاد في الفرد لاصلاح المفاسد والايتار لرعاية المصالح العامة.

- ٨ - الاستعمار بشتى اوضاعه هو العدو الاول ويجب مقاومته. من اجل تحقيق نجاح هذا البرنامج جندت الطاقات وبذلت الجهود، وليس من السهل تحقيقه في مدة وجيزة بين امة لا تزال ترى الخير شرا والباطل حقا والتزمت فيها مستحوذ على العقول ثم بين اعداء يرون ان مصالحهم في احباط هذا المشروع الاصلاحى.

يعرف دهاة الاستعمار خطر هذا المشروع على مصالحهم لأنه يمكن ان يزعزع اقدامهم ويقلق مضجعهم، فقررروا هدم هذا المشروع من اساسه قبل استفحاله فحاكوا المؤامرات الماكرة ضد السيد ابن شهاب بصفة غير مباشرة لانه هو العقلية المدبرة والرأس المفكر، لينهار المشروع من اساسه، وفات على دهاة المستعمرين ان وراء

المشروع شخصيات قوية ورجالاً بلغوا القمة من الدهاء.

كان المستعمر يتحاشى المجابهة المباشرة خوفاً من التورط في مشاكل داخلية عويصة معقدة، وبموجب نصائح المستشارين من المستشرقين أصبح في الامكان تحاشي تلك المشاكل باتخاذ طرق اخرى من سياسة اللف والدوران لتحطيم شخصية السيد ابن شهاب نفسه، ففي المرحلة الاولى تمت اثارة حفيظة المتزمتين ثم اثارة المسائل الدينية الخلافية بين المسلمين واتهام السيد ابن شهاب انه اوجد عقائد جديدة مستحدثة ليست من الاسلام في شيء.

وجد المستعمر من عملائه تجاوبا حاراً، وكان هذا التجاوب هو الارض الخصبة الصالحة لاثارة الفتن وبلبله الافكار، فاشعلوا نارها والهبوا اوارها، واذا بالمستعمر يرى بوادر الخلافات وتفرق المسلمين وان لكل فرقة اعواناً، واذا بالمستعمر يكتشف بعد لأي ان الذين يناصرون مشروع النهضة الاصلاحية ويعضدونه ويعينونه هم رجال لهم مستواهم الراقي في المجتمع وشخصيات مخلصه و باره للسيد ابن شهاب، بينما لم يكن للمتزمتين والعملاء حيلة إلا الاعتماد في كل شيء على المستعمر، فضاغف المستعمر بذل المال لاذكاء نار الخلافات حتى تبقى مشتعلة لا تنطفئ ولا تهدأ.

لا ريب ان السيد ابن شهاب قد تعرض كما تعرض غيره من الزعماء المصلحين للاذى والعدوان والتقول عليه زورا وبهتاناً، ومعاداته ظلماً وطغياناً. فأوجد العملاء الفتن العمياء لحقد منهم عليه او لتزلفهم الى المستعمر. اتهموه بالتخريب ونيزوه بالمروق من الدين وبالزندقة ونشر البدع الضالة، كالوا عليه السب والشتم بالالفاظ المستهجنة وبانه مبتدع ضال ومضلل، وانه جاء بمستحدثات الآراء والافكار النابية التي لم تكن معروفة ومألوفة، وانه صار مخالفاً لطريقتهم ومعاكساً لمسالكتهم وطقوسهم التي نشأوا عليها، وكان منطقهم ان كل شيء لا يألّفونه فهو بدعة وزندقة وهو المروق من الدين وهو الكفر والشرك بعينه، الذي يجب أن يجرى على مقتطفه حكم القتل.

في هذا الجو الموبوء بالامراض الفكرية والمشحون بفساد العقائد الدينية، صدع السيد ابن شهاب بدعوته الاصلاحية لتركيز حقيقة المفاهيم الاسلامية الصحيحة. فالنتيجة الحتمية لكل دعوة اصلاحية ان تقابلها مقاومة معاكسة من ذوي الاهواء واصحاب المصالح الذاتية وارباب الاغراض، ممن يسمون انفسهم زعماء وقادة ومن ورائهم من بيدهم السلطة والسطوة الذين يحافظون على مكانتهم ويخشون فقدانها. فمن الطبيعي ان يتعرض السيد ابن شهاب لمتاعب جمّة، فعانى ما عاناه من مكر الاستعمار ومقاومة المناوئين وخبت العملاء، ليصدوه عن عمله، ولكنه تخطى العراقيل وتحمل مشاق العبور ولم ييأس من عنف المقاومة ولم تضق به الارض ذرعا مما لاقاه ويلاقيه وظل صابراً. وقد ذكر ذلك في بعض قصائده اذ يقول:

ايطيب عيش واللثام تسوؤني حسدا وبغضا ولا ورب الخالق
فيم المقام بارض ذل بين من من شأنهم انكار فضل السابق
عرف عن السيد ابن شهاب الصبر والاناة والقناعة والحكمة وعدم التسرع في
اي عمل يقوم به، وعلى الرغم من ذلك فقد ضاقت به الارض ولم يتمالك نفسه عندما
تشرف بزيارة الرسول الاعظم النبي محمد ﷺ ووقفه امام الروضة المقدسة
والمقصورة النبوية الطاهرة بالمدينة المنورة. شكا للنبي ﷺ قساوة معاملة بني قومه له،
فجاشت نفسه بقصيدة من اعماق قلبه انشدها جهارا امام الضريح المقدس الشريف
بكل احساساته وروحه نقتطف منها ما يلي:

وقد مسني من اهل بيتي وبلدتي اذى فكثير منهم اكثروا العدوا
فكن منصفى فالصبر ضاق نطاقه وخذ لي بحقي يا بن ساكنة الابوا
رحمه الله لقد قاسى الامر من عداوة بني قومه الذين ناصبوه العداء وقاوموه
مقاومة باعمال دنيئة سافلة وباساليب ساقطة فاحشة. كان المفروض منهم ان يعتزوا به،
فهو الذي سعى لخيرهم ونفعهم ودافع عنهم وعن حقوقهم وخدمهم وكان يريد لهم الخير

العميم، ولكن كان جزاؤه الجحود والانكار.

فكيف يمكن لشريف ان يعيش مقيماً بين اناس جبلوا على الشر. دابهم نهش
الاعراض الشريفة وبذر بذور الفتن واختراع الاقاويل وتلفيق التهم الباطلة. وقد
وصفهم بقصيدة له حيث يتجلى موقفه وهو يتحداهم. نقتطف منها ما يلي:

هل في القضية ان اقيم ببلدة يخشى الكرام بها اذى اوغادها
في الارض متسع لحر نفسه عصماء يأمن مستحيل كسادها
فلتشكل الغنا حلولي دورها وعلي فلتلبس ثياب حدادها
فسنام اي الارض اذهب منزلي ولي الندامى الغر من امجادها
انني لتكرمني الاسود بارضها لشريف منزلي وعظم مفادها
علم قومه الذين يناصبونه العدا انه القى قصيدته امام المقصورة النبوية
الطاهرة، وتناقلت الالسن هذا الحادث فذاع وشاع الخبر أن السيد ابن شهاب هجا قومه
وهاجمهم عند زيارته لضريح الرسول الاعظم، وامام الملاء من الزائرين. أصيب البعض
من قومه بالخوف والرجفة والوجل، بينما استمر الآخرون متمادين في عداوتهم له.
ان الاحمق اللئيم الذي لا طاقة له في مجابهة رجال الحق ولا دراية له ولا علم.
يلتجئ دائماً الى السباب والشتم والقذف بكلمات مستهجنة والفاظ بذئنة من وراء
الحجاب، وهو سلاح العاجز السافل.

والسيد كان يسخر من اولئك القوم ويضحك من عقولهم لانهم لا يرون الحق
مهما كان واضحاً جلياً. يقول السيد فيهم:

ومن المضحك الغريب اقتحام الب غل بين الفوارس المضمارا
ويقول في قصيدة اخرى له ما يقرب من هذا المعنى أي عدم إطاقة العيش بين
المنافقين:

علام التمادي في مكابدة البلوى وحتام ادمان التجافي عن الماوى

ومن عجب اني نزيل ببلدة
يخالون من فرط الغباوة انهم
يعييون ما لو ادركوا منه ذرة
يرون من العار الفصاحة بالفتى
يقولون مهما جئت بالحق ان ذا
غنيون عن كسب العلى برسومهم
والسـلوى
يزينها الشيخ الذي شأنه الإغوا
على كبره صفرا من العلم والتقوى
الى دركات الجهل اهوتهم الالهوا
الى غيره من مثلهم تنفع الشكوى

في كل بيت من هذه القصيدة بل وفي كل كلمة من كلماتها يشعر القارئ ويلمس
مدى الشكوى والاذى مما يكابده السيد من بني قومه، وعليه فانه يحث الشريف ان
يرحل من بلد اهلها يذلوه ويعاكسه قومه والكريم لن يرضى تحمل الضيم.

واذا ما الكـرـيـم آـنـس ذـلا في بلاد فليعن بالارتحال
ثم يصف السيد هؤلاء الحمقى المغرورين المعجبين بانفسهم الرافضين الحق
بغير علم ولا بصيرة بهذه الابيات:

ارايـت احمق من جهول يدعي ما ليس فيه ويعقد الايمانا
ينهى ويامر وهو يحسب غيّه رشدا وسيئ فعله احسانا
عبثا يناظر زاعما رجحانه يهذي به فيضاعف الخسرانا
لم يرض قول نبيه فيما قضى اشياخه حكما ولا القرآنا
يسعى بغير بصيرة فيزيده طلب المزيد بسعيه نقصانا

ركب الاتان وظن ان اتانه يوم الرهان تسابق الفرسانا
يملي على اسماع زمرة باقل هذرا فيعتقدونه عرفانا
ويته متخذا اولاك البله ان شهدوا له بخرافة برهانا
ويعيب كل فضيلة لم ترضه كفواً ويكفر حسنهما الفتانا
والنقص يبذر في القلوب عداوة لذوي الكمال ويورث الشنآنا
واذا امرؤ لا عقل يرشده ولا ادب فكيف نعدده انسانا

هذه الابيات من جملة قصائد السيد الكثيرة في هذا الموضوع وكأنه يصور الحمقى والمغرورين الذين يناوئونه وينصبون له العداء بريشة الرسام الحاذق، فهل يمكن ان نعد هؤلاء من البشر؟

ان امثال تلك الفئة هي التي يستغلها المستعمر ويستخدمها لتنفيذ مخططاته، وتعددت المؤامرات على السيد بل حاول العملاء مرات اغتياله غدرا ولكنهم في كل مرة فشلوا وباؤوا بالخسران، وهم الذين يثيرون الكذب على السيد وينبذونه بالمروق من الدين.

كان هدف المستعمر من وراء تلك البلبلة الهاء السيد ابن شهاب واشغاله باولئك المناوئين وادخال الرعب عليه وتوريطه في الجدل والمناظرة التي لا نهاية لها وحتى لا يتمكن من التفكير الجدي في اعماله او مواصلة كفاحه لتنفيذ مشروع النهضة الاصلاحية.

هل نجح المستعمر في مخططاته؟

لقد فشل المستعمر في جميع طرقه التي سلكها والمخططات التي رسمها، اذ لم يمض على تلك المخططات نصف قرن من ذلك الحادث حتى اندثر الاستعمار الهولندي وانمحى اثره من المهجر الشرقي كليا ولم يبق له إلا سوء السمعة من الشنار

والعار تتبعها لعنات الشعب عليه وعلى اتباعه، بينما ظل اسم السيد ابن شهاب وسمعته الحسنة في الاسماع، يذكره الجيل بعد الجيل بالرضا والترحم عليه يقرنون اسمه بالتعظيم والاحلال، اقواله تعاد وتقرأ، وقصائده تدرس وتتلّى في المناسبات، يستشهد الناس باقواله ويتغنّون بشعره، كتبه معتمدة وحديثه حجة^(١).

هذه المكانة المرموقة في حياة السيد ابن شهاب وبعد وفاته التي تبوأها عن جدارة واستحقاق، جعلت اعداء العلم يحسدونه ويناوئونه.

يتكون مناوئوا السيد ابن شهاب من عدة فصائل، النواصب والملتزمون وعملاء الاستعمار وكانوا يتخذون اساليب مختلفة منها نبزه بالرفض^(٢) والزندقة في جميع المجالس العامة والخاصة في خطبهم واحاديثهم. ولكن ماذا يقول السيد ابن شهاب في اولئك الخراصين الذين يشيرون حوله الفتن العمياء والقلاقل؟ يقول السيد:

تخال الهدى والحق فيما تأولت غرورا وترميني سفاها بذا مياها
وتبزنني بالرفض والزيغ ان صبا اليك فؤادي في غضون كلامها
تلوم ويأبى الله والدين الحجا وحرمة آبائي استماع ملامها
فاني على علم وصدق بصيرة من الامر لم انقد بغير زمامها
ويستمر السيد في الرد على تهم واقاويل المناوئين البغاة واهل الزيغ وادعياء

(١) شرح السيد محمد الهاشمي التونسي الذي اتخذ المهجر الشرقي موطناً له فعاش وتوفي فيه، واصدر جريدة بوربودور باللغة العربية وهو كاتب ومؤلف، شرح في كتابه بعنوان (ربع قرن في المهجر الشرقي) الحوادث التي عاصرها باسهاب مدعومة بالوثائق الرسمية والحجج، كما ان نقيب العرب الشيخ عوض شحبل في مدينة الصولو وهو احد زعماء الجالية الاسلامية وأحد قادة الحركة الاستقلالية جمع الوثائق وألف كتاباً عن الحركات الاستقلالية والنهضة الاصلاحية بريادة السيد ابن شهاب فصله تفصيلاً، وشرح مكر الاستعمار الهولندي وما للاستعمار من عملاء خونة. وكلا الكتابين لا يزالان مخطوطاً.

(٢) الرفض كلمة يطلقها النواصب والبغاة على كل محب وموال لآل البيت النبوي الطاهرين عليهم السلام. وللنواصب ومن لف لفهم او من على شاكلتهم واتباعهم اقوال غريبة كلها اكاذيب ملفقة للحط والاهانة والازدراء لآل النبي الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

العلم واعداء الحق الحمقى الذين يناصرونه العدا، فيقول باعتزاز واعتداد وهدوء:

قال لي بعض مدعي العلم ممن	اضرم الحمق بين جنبيه نارا
هل ترفضت قلت لم ادر ما الرف	ض لديكم حقيقة واعتبارا
فرفع مقام قومي وسام	ان يجاروا السفه والمهذارا
غير ان الضرورة اقتضت الايد	ضاح فالصمت يوهم الاقرارا
فاستمع ما اقله ثم قل ما	شئت بعد اعتذارا او انكارا
ان لي من تمسكي بكتاب الله	ما اتقي به الاخطارا
ولما صح من حديث ابي القا	سم انقاد راضيا مختارا
مذهبي مذهب الوصي ابي السب	طين فالحق دائر حيث دارا
اعلم الصحب للمدينة باب	كم به الله ارغم الكفارا
وتمسكت بالشهيد اني	سائر في عقيدتي حيث سارا
اشرف العالمين اما وجدا	اطيب الناس عنصرا ونجارا

ويسترسل السيد في قصيدته هذه الى ان يقول:

اننا ايها المغفل نقفو	هؤلاء الائمة الاطهارا
اعلم الناس بالكتاب وبالسند	ة حيث الهدى هناك استنارا
هؤلاء الاعلام اشرف بيت	في الورى بيتهم واعلى منارا
ان يطوفوا نطف ونستلم الرك	ن ونرمي كما رموها الجمارا

لا بد لنا هنا من وقفة ولو قصيرة مع معنى ومفهوم كلمة (العلويين). العلويون هم السالكون طريقة آل البيت النبوي ﷺ يوالون من والاهم ويعادون من عاداهم، على نهج ائمتهم واسلافهم، وهو الاعتصام بالكتاب والسنة النبوية الصحيحة، والوصي هو الامام علي ابن ابي طالب ﷺ سماه النبي محمد ﷺ بذلك وأنه خليفته من بعده.

وقول السيد ابن شهاب: هؤلاء الاعلام اشرف بيت، الى آخره، لانهم من اهل بيت النبي محمد رسول الله ﷺ وكفاهم بذلك فضلا مع ما لهم من جليل الفضائل

والمناقب والمكارم التي لا يحصيها قلم كاتب ولا عدّ حاسب.

يستطرد السيد ابن شهاب في قصيدته ويوجه سؤاله الى ذلك السائل فيقول:

ايها الغمر هل سؤالك ايا	ي لجهل ام خفة واغترارا
ان تقل ما به يدنون رفض	فهو ديني عقيدة وائتمارا
او تقل اخطأوا المحجة فاذهب	خاسئا لا تعود الا حمارا
اعلى الحق تجتري ام عليهم	كيف تسري سرى النسر الحبارى
عن ابيهم اتى الهدى ثم عنهم	يستلقى ويودع الاسفارا
فهو في دورهم وفيهم عريق	ولدى غيرهم يرى مستعارا
ما من الشام جاء او ارض طوس	او سمرقند او اتى من بخارى
ديننا حب اهل بيت رسول	الله حبا يكفر الاوزارا
هذه السنة التي امر الله	بها الناس صبية وكبارا
ونهاهم عن التولي لمن نا	فق او جد في الفساد وجارا
ما تريدون بعد انا شرحنا	ما الصدور انطوت عليه مرارا
هل تسومونا انتقاص علي	فنغيظ المهيمن القهارا
او على ابنه نجتري وسخيف	من يعيب الشמוש والاقمارا
ام تريدون ان نحب ابن هند	وعن النص مثلكم نتواري
لم تجد مؤمنا كما اخبر الله	محبا من حارب الجبارا
وحديث النبي اقوى عرى الايد	مان في الله بغضنا الاشرارا
حارب المرتضى وسمم سبط ال	مصطفى بئس ما ارتضاه قرارا
يقتل الصالحين صبرا كحجر	ياكل الفيء يلعن الكرارا
فهو باغ ولا كرامة للبا	غي ومن ناره الشرار استطارا
وتمادى يعيث فيهم فسادا	وعلوا في الارض واستكبارا
خاض لج الضلال عشرين عاما	ثم ولى يزيده الخمارا

وتقولون باجتهاد مثاب يا لهذا معرة وشنارا
لو يكون الذي زعمتم صوابا لارعوى بعد قتله عمارا
وللامام محمد بن ادريس الشافعي اقوال تضمنتها قصائده عن مواقفه وعقيدته
الصريحة يعرفها الكل ما عدا المكابر فمن قوله:

ولما رأيت الناس قد ذهب بهم مذاهبهم في ابحر الغي والجهل
ركبت على اسم الله في سفن النجا وهم اهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وامسكت حبل الله وهو ولاؤهم كما قد امرنا بالتمسك بالحبل
اذا افترت في الدين سبعون فرقة ونيف كما قد جاء في محكم النقل
ولم يك ناج منهم غير فرقة فقل لي بها ياذا الرجاحة والعقل
افى الفرق الهلاك آل محمد ام الفرقة اللاتي نجت منهم قل لي
فان قلت في الناجين فالقول واحد وان قلت في الهلاك حفت عن العدل
اذا كان مولى القوم منهم فإني رضيت بهم لا زال في ظلهم ظلي
فخل عليا لي اماما ونسله وانت من الباقيين في اوسع الحل
ويقول الشافعي ايضا:

يا راكباً قف بالمحصب من منى واهتف بقاعد خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى فيضاً كملتطم الفرات الفائض
ان كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان اني رافضي
ويقول الشافعي ايضا:

قالوا ترفضت قلت كلا ما الرفض ديني ولا اعتقادي
لكن توليت دون شك خير امام وخير هادي
ان كان حب الوصي رفضا فإني أرفض العباد
ويقول الشافعي ايضا:

احسن من عود ومن ضارب ومن فتاة ناهد كاعب

ومن مدام في قواريرها يسعى بها الساقى الى الشارب
ومن سهيل الخيل في معمم وضارب يسطو على ضارب
احسن من هذا وهذا وذا حب علي ابن ابي طالب
لو فتشوا قلبي اصابوا به سطرين قد خطا بلا كاتب
العدل والتوحيد في جانب وحب اهل البيت في جانب
ومن ابيات الشافعي المعروفة المتداولة بين الجميع قوله:

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن انزله
يكفيكم من عظيم القدر انكم من لم يصل عليكم لا صلاة له
وله ايضاً:

اذا في مجلس ذكروا عليا وسبويه وفاطمة الزكية
يقال تجاوزوا يا قوم هذا فهذا من حديث الرافضيه
برئت الى المهيمن من اناس يرون الرفض حب الفاطميه

ثم فصل السيد ابن شهاب الاوضاع الارهابية في ذلك الحقب الذي ادعوا كذبا وزورا أنه خير الاحقاب وخير عصور المسلمين، فقد بدلت الاحكام الشرعية الالهية الى احكام طغيانية، كتغييرهم اساس الحكومة الاسلامية فنقلوها من الشورى الى الاستبداد ومن الخلافة الى الملك، وتغييرهم احكام الاسلام في الشؤون المالية فجعلوا بيت المال ملكا لهم يتصرفون فيه كما شاؤوا بعد ان كانت وقفا على المسلمين حتى صار نصفها اقطاعات بايديهم في مشارق الارض ومغاربها، كما قال عمر بن عبدالعزيز، وكاستيلائهم على الخمس فاحتجزوه دون ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وكتبديلمهم بعض احكام الحج والصلاة، فكانوا يصلون الجمعة قبل الغروب وكثرهم الجهر بالتكبير ونظائر ذلك مما يطول شرحه وطغوا على خيار الامة قتلا وتطريداً وذلك مصداق حديث حذيفه: «لا تقوم الساعة حتى تقتلوا امامكم وتجتلدوا باسيافكم ويرث دنياكم شراركم وهم بنو امية واتباعهم». وحديث: «ما اختلفت امة بعد

نبهها الاظهر اهل باطلها على اهل حقها».

لا فرق بين من غيّر الاحكام الاسلامية وبين من يجعل من الاسلام وسيلة
وكلهم حاربوا الاسلام وافسدوا وطفخوا وبغوا وتمادوا في الفساد والافساد. يقول السيد
ابن شهاب:

غيروا بدلوا طغوا وتعامى حاملوا العلم خيفة واضطارا
الف شهر تمتعوا ثم حقت نقمة الله فاستحقوا الدمارا
يتساءل السيد ابن شهاب عن أولئك الزمرة الذين جبلوا على حب الفساد
حاملين علم الباطل بفخر وافتخار:

هل ترى عالم الخفيات يرضى ما صنعتهم ويقبل الاعذارا
ومن المخجل احتجاج اناس باحاديث تشبه الاسمارا
ساقهم نصبهم اليها افتراها ورواهما من يعبد الدينارا
ولهم كم مقلد رام ربها لم يزدته التقليد الا خسارا
اين ربح الذي يرى القمار مسكاً يقتنى او يرى النحاس نضارا
واختتم السيد قصيدته هذه التي اخترت منها تلك الابيات لعلاقتها بالموضوع،

بقوله:

ربنا افتح بين الجميع بحق وارفع الخلف بيننا والشجارا
واهْدنا اقوم السبيل ولا تح ممل علينا اصرا ولا اصرارا
وارفع الضنك عن عبادك والبأ ساء وارحم وارخص الاسعارا
وصلاة على نبيك طه اعظم الرسل رتبة وفخارا
وعلى العترة الكرام امان الا رض من ان تميد او تنهارا
وعلى الصحب من لنصر رسول الله ساموا النفيس والاعمارا
وعلى التابعين ما غرد القم ري او ناوح الحمام الهزارا

مع المناوئين وجهاً لوجه

إذا حضر السيد ابن شهاب مجلساً من المجالس أو مجتمعاً من المجتمعات كان هو قطب الرحا، وإذا تحدث سيطر على الجلسة، والجمع حوله يستمعون له استماعاً باصغاء لئلا تفوتهم كلمة، فلا تسمع كلاماً غير كلامه ولا صوتاً إلا صوته، ولا يستطيع أحد أن يهمس لمن بجانبه. تتضاءل كل الشخصيات أمام شخصيته، ولا يجرؤ أحد حتى مناوئوه على اعتراض حديثه أمامه. وعلى رغم تلك الشخصية القوية فقد عرف عنه الحلم واللطف وسعة الصدر وحسن المعاشرة.

حدثني العلامة والباحثة المحقق السيد عبدالله مدحج في حيدر آباد عند اجتماعي به في منزل المغفور له السيد ابن شهاب وأمام جمع من الحاضرين، وهو من جلساء السيد ابن شهاب والملازمين له، حدثنا عن السيد ابن شهاب قائلاً:

شاهدت في إحدى جلسات العامة زمرة من المناوئين، ما كان أحد منهم يحضر جلسات السيد من قبل. رأيتهم قلقين غير هادئين وفي حالة نفسية من الاضطراب وحركاتهم غريبة وفي وضع غير طبيعي، ربما كان في أنفسهم شيء يضررونه، فاقتربت منهم وسمعت أحدهم يتحدث بصوت مسموع وهو يقول: الآن سنغيض ونجرح اعصاب الرافضي ونريه وجهه أمام هذا الجمع. واجابه الآخر: بل سنجعل اليوم مكانته هي السفلى. رأيت المتكلم يتحدث وهو يرتعد وقد اصفر لونه ولكنه يتوعد ويهدد، وقلت في نفسي: ان امراً هاماً سيحدث. وبينما نحن كذلك اذا السيد ابن شهاب يصل ويدخل القاعة الغاصة ويسلم على الحاضرين وارتفع صوت رد التحية من الحاضرين وارتجت القاعة، ونظرت الى أولئك المناوئين وقد اخذهم الخوف والرجفة واصبحوا في حالة من الاضطراب.

هدأت القاعة فجأة بعد رد التحية من الحاضرين فاسرعت واقتربت من السيد ابن شهاب قبل ان يلقي محاضرتة عليهم، فهمست في اذنه بما رأيت وسمعت، خشية من حدوث أمر لا بد من اتخاذ الاحتياطات اللازمة لدرئه، فاجابني السيد بقوله: كن مطمئنا وخذ مقعدك في مجلسك، واخذ السيد ابن شهاب محله الاعتيادي وبدأ يلقي محاضرتة وهو في غاية الهدوء كعادته. دامت المحاضرة ما يقرب من ساعتين، وبعد انتهاء المحاضرة قدم اليه بعض الحاضرين اسئلة فأجابهم عليها.

بعد انفضاض الجلسة خرج القوم وتفرقوا، ورأيت الزمرة المناوئة يتشاجرون فيما بينهم وكل واحد منهم يلقي المسؤولية ويتهم الآخر بالجبن والخوف والمراوغة وعلا صوتهم، مما لفت السيد وهو يشعر بامر غريب غير مألوف فدعاهم السيد ليقربوا اليه، فجأؤوه صاغرین خجلين. سألهم السيد بعد الترحيب بهم وتحدث معهم لكنهم ظلوا صامتين ورأيتهم يكبون على يدي السيد وخرجوا من عنده منكسرين واخذ كل منهم طريقه، ولا اعلم بماذا كلمهم السيد.

هذه خلاصة حديث السيد المدحج.

عندما يفقد الانسان الجرأة في مواقفه امام خصمه وجها لوجه يلجأ الى الغدر والاحتيال والسب والشتم من وراء الستار. فالسيد ابن شهاب تعرض مرات لامثال تلك المقاومة بل حاولوا اغتياله والفتك به مرات، والغريب انه بعد مضي فترة من الوقت يأتي اليه الغادرون صاغرین تائبين يعترفون بما كانوا ينوون عمله ضده من اغتيال وطالبين منه العفو، فيصفح عنهم السيد ويقبل عذرهم.

كانت وثائق الاعترافات تدل دلالة واضحة وتبرهن ان تلك المحاولات كانت بايعاز من السلطة المستعمرة الحاكمة للتخلص من السيد ابن شهاب. فشلت المحاولات وافتضح كيد المستعمر الذي سخر عملاءه لمناوأة السيد بالمخططات لهدر دمه لانه في حسابهم من الكفرة الذين يثيرون الفوضى.

والخلاصه ان السيد ابن شهاب نجح في كفاحه واثمر يانعا، ثم لقي ربه راضيا مرضيا. اما الاستعمار فقد قضى عليه قضاء تاما ابديا وخرج المستعمرون تودعهم الشعوب باللعنات. ومات مناوئو السيد حاملين معهم عارهم وشنارهم وخلفوا من بعدهم تاريخا قاتما، اما المتمزمتون والنواصب والعملاء فلا زالت سلالاتهم تواصل اعمال اسلافهم وربما أخس مما كانوا يعملون من الخبث والحقذ والضعيفة. لقد كان هؤلاء آلة بيد الاستعمار البريطاني والهولندي لتنفيذ مخططاته، واستمرت هذه الحالة وصارت سلالاتهم اليوم آلة وعملاء لدول وسلطنات من اذنان الدول الكبرى الاوروبية واميركا. تلك الدول التي تدعي الاسلام تبنت المتمزمتين والنواصب ليكونوا اداة ودعاة لتلك الدول.

رحم الله السيد أبا المرتضى بن شهاب فقد ادى الرسالة وخدم الامة وترك وراءه تاريخا ابيض ناصعا والكل يترحم عليه عند ذكر اسمه.

اطلعي العلامة السيد حسين بن حامد المحضار^(١) على كتابه عن السيد ابن شهاب الذي تطرق فيه الى ذكر المناوئين والمعاكسين للمشروع الاصلاحى الذي قام به السيد ابن شهاب، ويسمي السيد المحضار هؤلاء المناوئين باعداء العلم، ونقل هنا حرفيا جملا بسيطة من كتاب السيد المحضار عن المناوئين:

... انهم حالوا بذلك بينه وبين ما كان يعتزم الدعوة اليه والقيام به من الاصلاحات العامة. وكان اهلا لان ينهض باعباء مطالب تريم^(٢) العمرانية والثقافية

(١) السيد حسين بن حامد المحضار هو احد العلماء الاعلام، له عدة مؤلفات قيمة وهو بجائته له عدة تعليقات على كثير من المؤلفات، اتخذ مدينة جدة بالحجار مقرا له. الف كتابا عن السيد ابن شهاب وهو من مريديه والمتفانين في حبه والدفاع عنه، والكتاب لا يزال مخطوطا.

(٢) تريم اسم مدينة في اليمن الجنوبي، وهي مدينة شهيرة بالعلم ووفرة العلماء وفيها معاهد علمية واربطة، وهي شبيهة بالنجف الاشرف بمجوزاتها العلمية وقد قضى على هذه المدينة عندما استولى الشيوعيون على زمام الحكم فاغلقت المعاهد العلمية وصودرت دور العلم والاربطة الدينية الاهلية وغيرت المدارس والمكاتب

والاجتماعية، ولكن اعداء العلم وقفوا بكل قواهم في طريقه وبمساندة ولاية الامور حينما خوفهم اعداء مشاريع ابن شهاب الاصلاحية واقتنعوهم بانها ستكون في النهاية قاضية على سلطانهم.

ليس بعد هذا شك ان المناوئين المفسدين اعداء العلم بذلوا جهدهم لقطع طريق دعوة السيد ابن شهاب الاصلاحية، بكل سبل الخداع والمكر والتملق للتأثير على افكار الحكام ضد الاصلاح، باتخاذ القذف والتهمة لتشويه سمعة السيد الحسنة واتهامه بالابتداع في الدين والمغالاة في آل البيت، وهذا ذنب لا يغتفر.

في مثل هذا الوضع الفاسد لا بد وان يظهر المصلحون لمحاربة الفساد والشر والفوضى، وقد ينجحون أو يفشلون لظروف معينة فيكونون ضحية كفاحهم.

المصلحون هم قلاع الحق وحماة بواصل ضد الباطل، إن نجحوا او فشلوا فهم عمالقة في حياتهم أو بعد مماتهم. اما المفسدون فخلقةم الغدر.

حدثني أحد جلساء السيد ابن شهاب الذين يعرفونه معرفة جيدة وهو الاستاذ محمد بن هاشم بقوله:

جاء شاب في السابعة والعشرين من عمره مفتول الاعضاء يتوقد حماسة، جاء هذا الشاب يطلب مقابلة السيد ابن شهاب، فقابله السيد بالاكرام وبعد السلام والترحيب قال هذا الشاب المتحمس وهو يوجه خطابه للسيد: ائذن لي ان اقي درسا بالغاً على اولئك المناوئين الذين يعادونكم ويعرقلون مساعيكم وينشرون الفتن ضدكم ويؤلبون الغوغاء عليكم، انهم يحاولون الفتك بكم واغتيالكم. اريد ان اوقفهم عند حدهم قبل ان يخطوا خطوة واحدة. فهذا السيد ابن شهاب روع هذا الشاب المتحمس الذي يتفجر غيرة وحماسة، ونصحه السيد بالتعقل والصبر والأناة وان لا

وعوضت بمدارس حكومية لا دينية تدرس فيها الماركسية، فهرب العلماء يطلبون الامن من القتل والتعذيب، فقتل منهم من قتل وتفرق الطلبة وهرب الكثير منهم الى البلدان المجاورة.

يقدم على عمل يرتكبه فيتورط في امور اخرى قد تطول وتستفحل، فينتهز الاعداء والمناوئون تلك القضية لتكون في صالحهم لانهم يتهموننا بالمؤامرات الفوضوية، وقال له: اترك هذا الامر لي، وثق انه لن يستطيع احد ان يضرني بشيء ابدا الا بما قد كتبه الله علي ولو اجتمعوا كلهم، فالمولى العلي القدير هو الحافظ. واعاد السيد للشاب كلماته ليهدئه حتى اقتنع، وخرج الشاب صاغيا.

قال محدثي: ما رأيت احدا في الثبات كالسيد الذي عرف عنه الشجاعة والوفاء والكرم. يخرج وحيدا ويمشي منفردا في اغلب ايامه وهو يعلم ان منائيه يتربصون به بالمرصاد وقد يلتقي بهم فيحييهم ولا يسيء اليهم، وهذا برهان شجاعة السيد وقوة ايمانه وثقته بالله وما يتصف به من خلق عالٍ فهو رحيم رؤوف وفي. يهتم بامور المعوزين كما يهتم بأسرته واهله وذوي قربه، ويحسن الى الفقراء ويواسي المساكين وينفق على الايتام ويكسوهم ويسأل عنهم وينفق على الارامل.

جاءه يوما احد الشخصيات وقد تورط في دين عليه وحل موعد الوفاء وهو عاجز عن السداد لأنه خالي الوفاض لا يملك شيئا، وان لم يسدد ما عليه فقد يتعرض للسجن، وسدت امامه الابواب ولم يجد مسلكا الا الالتجاء الى السيد ابن شهاب، فجاءه وهو مكسوف الوجه خجلاً من السيد وخائفاً من السجن فرحب به السيد ورأى من وجهه انه يحمل هما دفينا، فافضى الرجل للسيد بحالته السيئة ووضع المحرج، فما كان من السيد ابن شهاب الا ان دفع اليه المبلغ الذي يحتاجه ليسد به ديونه، و اضاف اليه مبلغاً آخر ليقوم بما يحتاجه من مصاريف ونفقات. لم يرد السيد التماسه كما لم يرد التماس غيره، وهو المعروف بالايثار. وخرج الرجل شاكرا والدموع جارية من عينيه من شدة الفرح، وما كان يحسب ان الخير يصله ويتخلص من الخجل اذا لم يسدد المبلغ ويسلم من البلية والشماتة، وما كان احد يعرف بالامر لولا ان الرجل هو الذي تحدث للناس وذكر فضل السيد عليه الذي انقذه من الورطة.

حوادث نعيش معها في حياتنا مليئة بالعبر، وما اكثر تلك الحوادث، ولكن قل من يعتبر ويتعظ، تمر امامنا تلك الحوادث او نقرأها على صفحات الصحف كما نشاهد السينما، ثم تكون في طي النسيان.

اناس جبلوا على حب الفساد فهم يستमितون للدفاع عن الفساد وحماية الظالم والدفاع عن الطاغى والطغيان، لان غريزتهم الفساد، والفساد متأصل فيهم والوحشية جزء لا يتجزأ من حياتهم، وهناك فريق آخر جبلوا على حب الخير، فهم يكافحون لتعزيز اركان الخير ويحاربون الظلم والطغيان والفساد، فهؤلاء ضدان لا يجتمعان، الخير والفساد والحق والباطل.

ولاجل ذلك كله كان السيد ابن شهاب يدعو الجميع الى الرغبة في طلب العلم وطلب المزيد من الثقافة وعدم التشبث بالقديم البالي والتقليد الاعمى فهو يدعو الناس الى الحق الصريح ويقول:

صحت في صحبي بمجلسهم	بين مثرهم ومفلسهم
جئت بالحق الصريح لهم	واضحا يتلى بمدرسهم
جئت من آى الكتاب ومن	خير الهادي بمخرسهم
فابوا الا مكابرة	وتمادوا في تغطرسهم
عظموا اعداء خالفهم	وتناسوا خبث مغرسهم
اولوا نص الدليل بما	جاء في فتيا مدلسهم
هل كتاب الله تنسخه	نفثات من موسوسهم
او حديث المصطفى تبع	لهواههم في تهوسهم
آفة التقليد مهلكة	تخنق الاسرى بمحبسهم
بيد ان الاكثرين وقد	عرفوا تلويث ملبسهم
سكتوا جنبنا وبعضهم	حسدا من عند انفسهم

ما اكثر القصائد الوصفية والتوجيهية التي يقولها السيد لتلامذته او اصدقائه عن واقع الحال التي يعيش الجميع فيها، وكانت توجيهاته لهم تنم عن اسلوب تربوي قويم حيث يحث الجميع على الحزم والفطنة واليقظة والحذر من مكائد المناوئين ومكرهم ويجب ان يكونوا دائما اقوياء روحيا واثقين بالله وحده، فالقوي الشجاع لا ترهبه الاراجيف الباطلة ولا يخيفه مكر المناوئين ولا تذهله الاقاويل والفتن التي تحاك حوله والحازم يعرف كيف يتصرف امام مناوئيه واعدائه:

تغافل ولا تغفل فما ساد غافل	وكن فطنا مستيقظا متغافلا
فكيد اعداي المرء تبدو رؤوسه	متى خاله الاعداء عن ذاك ذاها
واي امرئ فوق البسيطة سالم	من الضد لا يخشى الاذى والغوائل
وذو الحزم يدري ما يدبر خصمه	فيلبس درعاً بالسلامة كافلا
وان طاش سهم عن ترائب غافل	فاحرى بثن ان يصيب المقاتلا
ورب مسيء نادم تاب وارعوى	وظنك بالامر المكدر جاها
ولو كان يدري ان هفوته نمت	الى علمك استحيى واصبح راحلا
فكن حازما في السر تسلم وغافلا	علانية تظفر بما كنت آملا

ان المتمعن يرى و يلمس ان خلاصة هذه التوجيهات القيمة التي رسمها السيد في قصيدته هذه لتلامذته ومريديه واتباعه الدهاء المتوقد واللباقة الدبلوماسية بحكمة وسداد رأي في مواجهة المناوئين من اصحاب الالهواء وذوي الاغراض وفي كيفية احباط اعمالهم. ولا عجب اذا فشل دعاة الاستعمار البريطاني والهولندي امام حنكة السيد ابن شهاب، وها هو يصف القوم واعمالهم وكيف حالتهم:

تباينت المذاهب واستطالت	بها الالهواء واحتدم النزاع
وضلل بعضهم بعضا وكل	الى تبديع غيرهم سراع
قصارى القوم نصر مقلديهم	ومحض الحق بينهم مضاع

الى التأويل والتحريف لاذوا فذا كذباً يريك وذا خداع
 وخالوا ان في التمويه فوزا وان الحق يشرى او يباع
 لئن كان اقتفاء كتاب ربي وسنة مصطفىه والاتباع
 ضالالا وابتداعا ان ديني وان رغبوا الضلال والابتداع

لولا قوة عزم السيد ابن شهاب وشعوره بالمسؤولية وثقته بالله، لترك العمل والكفاح وتخلّى عن قومه وتركهم يتخبطون في دياجير الفوضى والتأخر والفساد كما يهواه الاستعمار. ولكن ابت نفسه الزكية وروحه الابية الا ان يواصل جهاده حتى نهاية عمره. لقد كان جهاده في جبهتين متوازيتين: الجبهة الاولى امام اعدائه من المناوئين والمتزمتين اعداء العلم، والجبهة الاخرى امام مكر المستعمر وعملائه وحيلهم الخفية من وراء الستار. وكلا الجبهتين متوازيتان لمحاربة السيد بينما السيد في دعوته الاصلاحية إنما يحارب الجهل والفقر والمرض والجوع التي استحوذت على الشعب، وما دام المقاومون من الجبهتين يحاربون مشروع النهضة الاصلاحية فمعنى ذلك بعبارة اوضح ان الجبهتين تدافعان عن الجهل وتريدان للشعب الفقر والمرض والجوع ليعيشوا في مجتمع فوضوي متأخر.

امام كل نهضة اصلاحية مقاومة، وامام كل حق باطل يحارب الحق، والمكافح يقاسي مرارة المقاومة، وتضمحل مرارة المقاومة ومرارتها عندما يحوز النصر. وأعجب كثير ممن قرأ قصيدة السيد ابن شهاب في هذا الموضوع وهي:

اترى زمان السوء يسمح لي بما ارجو فتسري بي اليك الأينق
 لأبثك الشكوى وتعلم انني دنف وشملي بالبعاد ممزق
 كابدت من الم النوى وضنى الهوى غصصا ضعفت لها وشاب المفرق
 بين اللئام اعيش الا انني فرد فلا عاش اللئام ولا بقوا
 من كل ذي حسد بصورة مخلص في وده كالقط اذ يتملق

ويليق بي ان لا اطيل بذكرهم واذا سعدت فما علي اذا شقوا
وما اكثر ما يقوله السيد عن مناوئيه في احاديثه وفي قصائده وهو يصور ويصف
اولئك الزمرة في اوضاعهم، اذ يقول:

هل يسوغ المقام بين الرفاق في اصطباغ من الاذى واعتباق
ليت شعري متى يطيب لنفس الـ مؤمن العيش بين اهل النفاق
من جهول طغى به جامع الما ل الى فدغد الشقا والشقاق
او غفول بنفسه ظن فضلا يدعي الفهم وهو طبل العراق
مستحل قطيعة الرحم المنـ هي عنها وقس عليها البواقي
يحسب العلم في السبالين والشا ش^(١) ونقل الرقى من الاوراق
انما العلم بالتورع والتحرـ حقيق ترك اختلاس ما في الحقائق
نعيش اليوم في عالم التناقضات، فنجد ان التعاليم الاسلامية في جهة ونرى
المسلمين في جهة اخرى معاكسة.

الاسلام يدعو للاخوة الاسلامية والمسلمون باعمالهم يتمزقون اربا.
الاسلام يدعو للطريقة المثلى. وهم يمثلون الفوضى والتطاحن.
الاسلام يدعو الى الوحدة وهم متشبهون بمذاهب شتى.
الاسلام يدعو الى عقيدة واحدة وهم يكفر بعضهم بعضا.
الاسلام يدعو لعدم التصديق باليهود والنصارى. وهم يتنافسون لكسب رضى
النصارى واليهود وكسب ود الشرق والغرب.
الاسلام يدعو للكفاح والجهاد وهم فضلوا القعود.
الاسلام يدعو للرفق بالانسانية وهم بعيدون عن الانسانية.
الاسلام يدعو الى الانفاق وهم حريصون على اموالهم.

(١) السبالين والشاش كلمتان دارجتان، وهما اسمان لنوع من الحرير الممتاز.

الاسلام يدعو للصدقة وهم يموتون من التخمّة.

الاسلام يدعو للاعمال الخيرية وهم يصرفون اموالهم للشهوات في اوروبا.
هذه المتناقضات واضحة في احوال المسلمين. المسجد الاقصى في قبضة
اليهود، فاين هم المسلمون؟ فلسطين تحت الحكم اليهودي، ماذا فعل المسلمون؟،
اطفال يقاومون اليهود بالحجارة فهل قدم المسلمون حجرة واحدة؟ اين قوات
المسلمين البرية والبحرية والجوية التي يتشدقون بها؟ لقد اصبحت تلك المعدات
لمحاربة اخوانهم المسلمين. اما اليهود فليطمئنوا فلن يصيبهم شيء من تلك المعدات
الهائلة، بل ليطمئن الغرب والشرق ان تلك الاسلحة لا تستخدم الا ضد اعدائهم من
المسلمين.

العمل بالاصطلاح الحديث والمفهوم الجديد هو ذلك الانسان الذي يخدم
مصالح دولة او مخابراتها او ينتمي الى هيئة من هيئاتها في مقابل ما يتسلم من مال
وهبات وتعويضات لصالحه الخاص، مع علمه اليقين ان الهيئة التي يعمل لصالحها لم
تكن على حق بل على باطل، ولكن المصلحة الذاتية دفعته لأن يعمل ذلك ضد ضميره
وشعوره ومصلحه الذاتية الخاصة متعلقة بمصالح تلك الهيئات او الدول او دوائر
استخباراتها ومخابراتها او بالاستعمار.

اما المتزمتون فهم مقلدون عمي ضيقو الصدور، تحجرت افكارهم وعقولهم
وهم يعتقدون انهم وحدهم على حق وما سواهم كفر فجار زنادقة مشركون يجب
محاربتهم حتى يسلموا وإلاّ وجب عليهم حكم القتل.
اما الناصبي فهو الذي يكره آل البيت النبوي ويعاديهم واتباعهم ويسعى
لإبادتهم والقضاء عليهم.

استغل الاستعمار هذه الفئات وجندها بطريقة خفية في جبهة واحدة او كل فئة
على حدة بموجب الظروف المواتية لمصالحها.

المناوئ العميل

حادثة ظريفة وقعت للسيد ابن شهاب في اثناء القاء محاضراته في جلسته المعتادة في البهو الواسع بحيدر آباد، وكان الحاضرون الذين يواظبون على سماع محاضراته الشهيرة هم من الشخصيات البارزة وأعيان البلد وجملة كبيرة من الطلبة الجامعيين ووجهاء الامة بينهم عبدالحق الاعظمي البغدادي وصالح علي اليافعي والجمعدار صلاح احمد الاحمدي وغيرهم، اذ اقبل رجل متبختر ومعه انفار من اتباعه، فاقتحم قاعة المحاضرة الغاصة بالحاضرين فتخطاهم بخشونة وهذا القادم المتبختر هو الشيخ ملا فقير الله، المعروف بتزمتة ونصبه ووقف في صدر المجلس امام الحاضرين وصاح بعالي صوته كالثور الهائج رافعا يده، سلام على من اتبع الهدى، وكان السيد اثناء القاء المحاضرة فسكت السيد ليرى ماذا في الامر ووجم الحاضرون برهة ليروا ما يفعل السيد.

رفع السيد رأسه والتفت اليه ووجه اليه بصره بعينيه الحادتين وشخصيته المهابة فعرف ما يضمرة الشيخ الملا، فرد السيد عليه باحسن تحية وافضل سلام ودعاه للكرم بالجلوس، ولكن الشيخ اظهر الالباء استعلاء واستكبارا بل رفع صوته الاجش وبكلمات متقطعة متدلجلة تساوره رجفة الخوف قائلا: انك تدرس الضلال على الجمهور وتنشر البدع المخالفة للاسلام وعقيدة السلف، فالمحاضر والسامع في هذه الجلسة كلهم في النار، يجب اغلاق هذا المجلس ونفي المحاضر من البلد.

بدأت اصوات الحاضرين تدوي كدوي صوت النحل واخذوا يتململون وأراد بعض الحاضرين الاقتراب من الشيخ ملا لجره من القاعة، ولكن السيد كان يمسك بزمام الجلسة، فهدأ الحاضرين وان ياخذوا حذرهم ويتمالكوا انفسهم بالصبر وحسن الخلق.

بدأ الشيخ ملا يستجمع قواه ويغالب وهنه وصاح بعالي صوته مزبدا ومعربدا وتكلف نطق الكلام بالعربية وهو لا يجيد النطق بها، فسب وشتم وكفر، تركه السيد

ليخرج كل ما في جعبته حتى اضناه التعب ومل من كلامه وبدأ السيد يهدئ روع الشيخ ملا الذي فقد اتزان نفسه وكلما تكلم الشيخ افحمه السيد فارتج ولم يستطع الاسترسال في كلامه واعياه النطق، فتعكر مزاجه وهو امام هذا الجمع الغفير الذين يرمقونه بلحاظاتهم وينظرون اليه بين ضاحك وباسم وساخر. واراد الشيخ الاستعانة بقراءة آية من القرآن فتلجلج لسانه ونسي الآية واراد الاستعانة بمرافقه فما فلاح فازداد خجله وارتجافه وتصبب العرق من جسمه حتى ابتلت ثيابه وامتقع لونه واصفر وجهه، خجلا او خوفا من نقمة الحاضرين وانقضاهم عليه، وحاول مسرعا يطلب الخروج من القاعة وكان يشعر ان البلاء سينصب عليه، وفيما هو خارج من القاعة صاح باعلى صوته: بئس المجلس مجلسكم، مجلس الكفر والشرك، لا يحضره الا سفلة القوم. سافضحكم واعرف الناس ضلالتكم ليعرفوا حقيقة امركم، وليطردوكم من البلد. فخرج الشيخ ملا واتباعه معه وتركوا المحل وعادوا من حيث اتوا خاسئين خائبين. ما كان يجول بخاطر الشيخ ملا الناصبي العميل ان يصيبه هذا الفشل المهين من البداية حتى النهاية بهذه العاقبة الشنعاء وسوء المنقلب، وما كان يتصور شخصية السيد ابن شهاب بهذه القوة التي اردته الى ذلك المصير.

اذ كان الشيخ ملا قد دخل القاعة وهو ممتلئ بروح الهجوم على السيد ابن شهاب كما خطط له المستعمر لاحداث هرج ومرج، فها هو قد خرج من القاعة صغيرا حقيرا مهانا، وفي نفسه من الحقد والكراهية والبغض ما لا حد ولا نهاية له، خصوصا وهو يرى المعاملة الحسنة ولطف الكلام والاستقبال بالترحيب الذي يعتبرها اهانة له امام الحاضرين وسخرية به.

اظلم العالم في وجه الشيخ ملا فقير الله حيث اصبح موضع الازدراء والسخرية من الجميع، واراد ان يزيح عنه ستار العار ليعوض عن نفسه وشخصيته التي فقدتها وسمعته التي انهارت وتحطمت ليظهر للناس البراءة، فكتب رسالة صغيرة مليئة بالشتم والسباب ومحشوة بالكذب والزور والبهتان والترهات والافك التي هي سلاح الجاهل

العاجز، ويدعي الشيخ ملا ان تلك الاكاذيب هي رسالة علمية وخلاصة المناظرة.
فما كان من السيد ابن شهاب الا ان رد الكلام بالكلام والكتابة بالكتابة فجاء رد
السيد في رسالة لطيفة مختصرة تدل على علو مقامه ودماثة اخلاقه وسعة علمه يأنف
مقابلة السباب بالسباب، او التنازل الى مستوى الشيخ ملا الاجير البريطاني، وانما اراد
السيد ان يقارن القارئ بين الرسالتين، بين الحق الصريح والباطل الفاسد، وكانت
بريطانيا تود اثارة الفتن العمياء بين المسلمين، وكانت النتيجة عكسية تماما، وكانت
النتيجة ان كره القوم هذا الشيخ الغر، ولم تنفعه رسالة البراءة، ونبذه الجميع حتى اتباعه
كانوا يتقززون منه ويستحيون ان يقولوا انهم من اتباعه لانه اتضح اخيرا انه عميل
بريطاني. وفر الشيخ ملا من المدينة يلتمس النجاة فلم يجدها وانزوى في اقاصي الهند
مختفيا حتى مات.

وفاته

فجعت الهند وارتجت مدينة حيدرآباد الدكن ليلة الجمعة يوم العاشر من شهر جمادى الاولى عام ١٣٤١هـ الموافق ٢٩ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٢٢م. على اثر نبأ مفاجئ مؤلم انتشر بسرعة خاطفة في كل انحاء البلاد، ذلك النبأ هو وفاة المغفور له السيد ابي المرتضى ابن شهاب. فقد هوى من سماء الزعامة العلم الكبير والبراس النير رائد النهضة الاصلاحية.

هرع الناس في الحال من كل الاماكن في حيدرآباد وضواحيها ومن مدن اخرى من بومباي ونيودلهي وكراتشي ولكهنو وغيرها الى اتجاه واحد وهم يتسابقون للوصول الى منزل المغفور له، وقد ملأ الحزن نفوسهم وخيمت الفجيعة المؤلمة وسالت الدموع من المآقي. فلا يسمع إلا صوتهم ذاكرين الله ورسوله مهللين ومسبحين. اكتظت الشوارع الرئيسية الموصلة الى المنزل بالمعزين الذين توافدوا للتعزية والمشاركة في الم المصاب. ساد البلد الوجوم وعم الحزن، واغلقت على اثر هذا النبأ الاسواق والمتاجر والدكاكين وتوقفت حركة التجارة كلياً في ذلك اليوم حتى ان الانسان يصعب عليه ان يجد ما يحتاجه لنفسه.

خرج البلد بجمعه الغفير يوم تشييع جثمان المغفور له الى مثواه الاخير بساحة المسجد السلطاني القعيطي من سلاطين جنوب الجزيرة العربية. وشاركت الحكومة المحلية في تشييع الجثمان بصفة رسمية. وامتلات الشوارع التي مرت فيها الجنازة تتلاقفها ايدي المشيعين وأخذوا يتخاطفونها للمشاركة في حمل النعش. لم تصل الجنازة الى المسجد للصلاة عليه إلا بعد مشقة شديدة. واكتظ المسجد بالمصلين عليه، وتم اجراء مراسيم الدفن بذكر اسم الله وتسبيحه وقراءة الفواتح وآيات من القرآن الكريم على روحه. القى الكثير من وجهاء وزعماء البلاد كلمات تأبينية مؤثرة وكانت

كلما تهم يعترىها التشنج وتتخللها العبرات ممزوجة بالحزن من فداحة الخسارة التي لن تعوض.

انهالت البرقيات خلال ايام التعازي من مقدره ومعارفه وأصدقائه من ماليزيا وسنغافورا واندونيسيا والهند بجميع ارجائها البعيدة وبورما والسيام وجنوب الجزيرة وبعض البلدان العربية وتركيا. واقامت له مجالس الفواتح في كل بلد يوجد فيه معارفه وتلامذته.

نعتة صحف المهاجر الشرقية وفي مقدمتها جريدة حضرموت التي تصدر من مدينة سورابايا بأندونيسيا وفتحت صفحاتها للكتاب والشعراء الذين تسابقوا مشاركين في التأبين والمراثي. كتبوا سلسلة مقالات في اعداد متوالية ورثاه جميع شعراء المهاجر الشرقية وجنوب الجزيرة منهم العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد والسيد عقيل بن زين الجفري والسيد محمد بن حسن بن شهاب والسيد عبدالله بن احمد بن يحيى العلوي والسيد حسن الحبشي والسيد محمد احمد الشاطري والسيد صالح الحامد وغيرهم من الادباء وشعراء المهجر وجنوب الجزيرة الذين يعسر تعدادهم. ولكثرة المراثي نكتفي بايراد هاتين المرثيتين الاولى للاستاذ محمد بن هاشم وهي:

ارونا احتمال الصبر كيف يكون	وكيف به الخطب المهول يهون
تغازلنا الدنيا فنصبو واننا	لنعلم حقا انها ستخون
فكم من ذوي الآمال من راح وانتهدت	دهور على آماله وقرون
تهد المنايا ما ابتنينا من المنى	وقد شيد منها في الحياة حصون
عجيب لذي الاموال يزهو تعاظما	حيال المنايا والجنون فنون
رمتنا الليالي بالمصاب الذي دهى	فذابت قلوب حوله وعيون
رمتنا بفقد الفخر من شاد للعلی	بناء تناءت عن مداه ظنون
رمتنا فلم نسطع دفاعا وحولنا	غضافة تلوى العدى فتلين

فليت المنايا يرتشين ففتدي
 مصاب دهي الاسلام والعلم والتقى
 ودك المنى دكا من الدكن الذي
 تولى ابو بكر وما مات من له
 تولى ابو بكر فابقي اسى له
 قضى ناشرا للعلم تبكي لفقده
 امام يحل المعضلات بحكمة
 وتجنني نوادي العلم منه طرائفا
 اذا ما نطقنا بالقريض فما لنا
 وان نحن يممنا (البديع) ففي (اقا
 وسائل اساطين) (المواريث) هل هم
 ومن يرج في علم (الاصول) تغلغلا
 وترشد للتوحيد منه (نوافح)
 اجل وله في (المنطق) (التحفة) التي
 له خدمة في كل فن ومن هنا
 فلله انفاس يوضع عبيرها
 فيا لك من خطب كأن وقوعه
 فلا جفن الا وهو منه مقرح
 ذهبت ابا بكر والقيت في الحشا
 عليك سلام الله ما دمت خالدا
 تحف بك الحور الحسان مهناً

وهيها ترضى بالفداء منون
 فهاجت به في الخافقين شجون
 سيعروه من عظم المصاب جنون
 مآثر في دور العلى وشؤون
 باحشاء طلاب العلوم كمون
 شروح ابانت فضله ومتون
 عليها وقار سائد وسكون
 فتفصح عن آثاره وتبين
 سوى شعره عند القريض معين
 مة الحجة العلم العزيز مصون
 لغير (الفتوحات) النفيس ركون
 يكب على (الترياق) فهو ضمين
 بما قد حوت اهل الرشاد تدين
 تدلى لنا منها جنى وغصون
 ستبكي علوم بعده وفنون
 وجوهرها وسط التراب مصون
 عذاب على هام العباد مهين
 ولا قلب الا وهو منه حزين
 اسى تذهب الايام وهو مكين
 بدار سلام ليس فيه فتون
 وانت بقرب المرسلين قمين

والمرثية الثانية التي اخترناها للاستاذ احمد بن عبد الله السقاف وهي:

ليس بدعا ان لا نطيق اضطبارا
رام ذا الدهر ان يجرب حد الـ
ورمانا بنكبة تركت منا
افقدتنا ابصارنا ففقدنا
افقدتنا وحيد ذا الدهر علما
افقدتنا من في الفضائل والسؤ
سلبتنا كنز العلوم ابا بك
فافاضت من العيون بحارا
لم يمت بل ابي الحياة احتقارا
لم يزل سائراً الى القصد اذ حـ
اعجز الدهر فهو لا يكبر الخطـ
عمره ما اهاب بالحظ يوما
ذاك ان الزمان يغلط في القسـ
خطبته اذ لم تجد غيره كفاءً
فاراها من نفسه خير كفاءٍ
ضاق صدر الحياة عما يرجيـ
وجد ان تزدري عينه الدنـ
زخرف العيش حانة بابها المـ
ونعيم الحياة طيف خيال
نتشاكى عنا الحياة ولكن
تعجب نستلذه وعذاب
صاح ان المنون دون الاماني
وانفضاض الاحياء من مجمع الدنـ

اذ عدا حده الزمان وجارا
صبر منا فجاوز الاختبارا
ذوي اللب تائهين حيارى
كل شيء بفقدنا الابصارا
وصلاحا وفطنة واقتدارا
دد والمجد والعلی لا يبارى
ر الذي شاد للعلوم منارا
واغاضت من العلوم بحارا
فاسألوا أين يمم الآثارا
ال قضاء فطواع الاقدارا
ب جسيما او يرهب الاخطارا
شمما اذ يشم منه ازورارا
مة لا بل يصانع الاغمارا
لها خرد المعالي عذارى
فغدا حبها له استهتارا
ه فلم يستطع بها استقرارا
يا اذا كانت النفوس كبارا
وت واهل الغرور فيها سكارى
مفرح كلما انتبهنا تواری
كلنا منه يطلب استكثارا
وافتخار بما نراه صغارا
فعلام اتخذت ذي الدار دارا
يا نذير يكرر الإنذارا

فكن الكيس الذي دان نفسا
امس كان الفقيد فينا اذا جـ
امس كان الاحياء يجنون من
حكمـ

فتولى بالرغم منا كأم
فلو ان الحياة تشرى بذلنا
ولو ان الحمام يبقي على حي
ولو ان الحمام يرضى بمن نعر
غير ان الحمام نقاد در
لك يا حضرموت اذ انت انجب
فاهنأى منه بانتساب مدى الد
ليس فخر البلاد الا بمن تنـ
غير ان البلاد قد تنجب الحـ
فيرى في الرحيل عنها تعز
يا بن عبدالرحمن ان تهجر الغنـ
فلكم قد سمعت منك حنيننا
ان تجنت بعد الفراق فسامح
لم يكن للبلاد ذنب ولكن
فتية لو بحثت عن سبب الطيش
حسدا انكروا مقامك في الفضـ
رمت خيرا جازوا بشرّ وكم نا

واتخذ غاية الحياة اعتبارا
من دجى مشكل علينا انارا

سته كلما افاض ثمارا
ايتمتنا ولا نزال صغارا
في فواق من عمره اعمارا
لخلى سبيله اكبارا
ض لم يبق بيننا بها ديارا
يستنقى فيحسن الاختيارا
سته فضل يكفر الاوزارا
هر وباهي به البلاد افتخارا
جب ان تفضل الديار الديارا
ر ويأبى هواؤها الاحرارا
ويلاقى في غيرها انصارا
ا قلى او لغيرها ايثارا^(١)
نحوها بعد امة وادكارا
ضرة من طباعها ان تغارا
لم ترد ان تعاشر الاغرارا
لديهم وجدته الدينارا
ل وقد ينكر البصير النهارا
ل طبيب من العلل انتهارا

(١) الغنا: لقب تريم بلد المترجم.

كم عطاش ارويتم من (رشفة الص
ولكم (بالترياق) ابرأت سقما
وبالاسعاف) كم قد اسعفت محتا
ولكم (من نوافح الورد) (والور
كم جنينا من (الذريعة) (والتح
كم افادت (ارجوز تاك) وكم ن
ولكم في مسائل الضغط (بالرف
ولكم في (التذكير) ذكرى وفي
(الحمم

هذه قطرة من البحر من آ
فهو في النثر نادر الحك
ليس ديوانه سوى روض علم
او عقود من لؤلؤ اللفظ لو لم
قد تحلت بها غواني معان
مطرب مرقص بممتنع سه
فيه روح الفقيده تنثر من اعد
وترينا ما نال في نصرة الح
رام اصلاح حزموت فالحقوا
لان في القول عليهم يستفيقوا
لو اجابوا رأوا باعينهم لل

ية) ما نتقي به الاخطارا
ثاره لم ازد عليها اقتصارا
م وفي الشعر شاعر لا يجارى
نتهادى قطوفه اسرارا
اتلها لم اظننها اشعارا
لم اخل امهاتها افكارا
ل يزين انسجامه الابتكارا
ما له في حياته اخبارا
ق من الكيد والعناد جهارا
في السبيل الذي انتحاه عثارا
فاصروا واستكبروا استكبارا
ظلم طيا وللعلوم انتشارا

(١) احد مؤلفاته طبع بمصر وسيعاد طبعه وهو في فضائل اهل البيت وكذلك العقود والترياق والفتوحات والاسعاف والنظام ونوافح الورد جوري والورد القطيف والذريعة والتحفة والكشف والشهاب والتنوير ورفع الخط في مسائل الضغط والتذكير والحمية كل تلك اسماء مؤلفاته نظمها صاحب القصيدة اهـ.

لو اجابوا عاشوا هنيئاً واضحى	العسر والضيق بالامان يسارا
واحال العلم البلاقع جنا	ت واجرى خلالها الانهارا
ها هم الآن فرقة تقحم البحر	ر واخرى تراقب الاخبارا
ذي اقامت بالربع تحمل اسفا	را وهذي تكابد الاسفارا
هو ذا العار ما اتوه ولكن	جلهم لا يرون ذا العار عارا
ان يكن ما اقول حطا فحسبي	كون ما قلت للفقيد انتصارا
دم قلبي يمد سن يراعي	واحتراق الاحشاء يلقي الشرارا
فلئن شب نار غيظ اعادي	ه فكم اضرم الشرار النارا
ومصابي اذا اسأت الى البعض	عظيم يمهّد الاعذارا
كلمات جاءت بغير اختيار	وتراءت لمحت عنها اضطارا
لم ارد كل حزمي ولم ارم	بذنب المجاورين الجارا
ان في حزموت كانوا ولا زا	لوا رجالاً هم الشמוש اشتهارا
قد علوا بالعلوم والفضل والاع	مال والزهد والتقى مقدارا
من مضى منهم مضى بعد ان خ	لد من حسن سعيه آثارا
كان وادي الاحقاف خلوا ولكن	بعد ان حله المهاجر ^(١) صارا
بقعة غير ذات زرع ولكن	تنبت الصالحين والاخيارا
نعم من أنبت أولئك آبا	ئي مجيرين من لجا واستجارا
فهم الذخر إن تفاقم خطب	وهم الفخر إن اردنا افتخارا

(١) المراد به المهاجر الى الله احمد بن عيسى جد السادة الاشراف العلويين بحزموت وكانت قبله تستعر بنار الخوارج حتى بادوا بسعيه وسعي ذريته واتباعهم وليس لحزموت في التاريخ ما تدح به لولا وجودهم بها اما قبل ذلك فامور تطوى ولا تروى ولولم يكن الا ذبحهم بقية ابناء الانتصار والمهاجرين بالمدينة المنورة كأنهم غبطوا آل حرب على وقعة الحرة فالحمد لله الذي طهر حزموت بالطاهرين عترة سيد المرسلين صلى الله وسلم عليه وعليهم اجمعين اهـ.

سلكوا مسلكا من الهدى من سا	ر عليه اهتدى به واستنارا
مهدوا خطة لمن بعدهم بيد	ضاء لم يتركوا عليها غبارا
هذه كتبهم اذا ما تركنا	ها اختيارا عدنا اليها اضطرارا
حسبنا بالغريب لهوا وبالتق	ليلد سهوا وبالجديد اغترارا
ايها القائمون فينا بنشر ال	علم لا تقتلوا الزمان اختبارا
سوف تأتون طالبين لما ان	تم مولون اليوم عنه فرارا
حين تلقون خلف اكمة تقلد	يداً ربا من كيدها ما توارى
زاحموا في العلوم لكن ضعوا ف	يما اقتبستم بما استزدتم شعارا
يا بني جلدتي حذار فياني	رائد فتنة الجديد حذارا
ان ما تحسبون ماءً سراب	والذي تحسبونه النور نارا
هكذا كان من فقدناه يدعو	والى الرشد يلفت الانظارا
فعليه السلام ما طلع الفجر	وما اعقب المساء النهارا

نعى العلامة السيد محمد بن عقيل استاذ المجاهد الشعبي المكافح العظيم السيد ابن شهاب بهذا النعي عندما وصله النبأ المؤلم من حيدر آباد بالهند وهو آنذاك كان بعدن كما يلي:

وصل الي تلغراف من حيدر آباد وتأخر بعدن لعدم الراكب فوصل بالامس وفيه الاعلام بوفاة عالم الشرق، البدر المشرق، المناضل عن النبي الامين، والانزع البطين، والآل الميامين، وعدو النواصب أجمعين، شيخنا السيد أبي بكر بن عبد الرحمن بن محمد بن شهاب الدين با علوي - رحمه الله رحمة الابرار -، وألحقه بمن أحبههم وألحقنا بهم في عاقبته، وعظم فيه الاجر وأحسن الخلف، وانا لله وانا اليه راجعون توفي ليلة الجمعة قبيل العشاء الساعة ٧ زواله: ٩ الجاري في حيدر آباد الدكن ودفن بعد صلاة الجمعة. وكانت ولادته سنة ١٢٦٢ ويجمعها حروف (أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب

الدين باعلوي ٢٣١، ٢٥، ٤٠٥، ٥٢، ٤٣، ١١٩.

وله مصنفات في الاصلين، والفقه، والانساب، والحساب، والطبيعيات، والادب، والمنطق، وغير ذلك فتاوى جمّة. وديوان شعر، وقد نشر في الجرائد كثير من قصائده وبآخر النصائح الكافية له قصيدتان، وأرسلت اليكم عددا منها، وأظن أن أخانا السيد عبدالله دحلان يكتب له ترجمة، وقد أظعنني نعيه (ولله الامر من قبل ومن بعد) وفيه خلف عن كل هالك وهو المستعان.

في ٢٤ جمادى الاولى سنة ١٣٤١.

انهالت برقيات التعازي والرسائل من معارفه ومقدريه وان جاءت متأخرة من مصر والعراق ولبنان والمغرب وتركيا بل ومن كل بلد يوجد فيها مقدّروه.

النصر:

الثبات في الكفاح المرير في الحياة هو اساس النجاح. من هذه الحكمة شق السيد ابن شهاب طريقه بايمان فولاذي صادق وبعزم لا ينتهي مجاهدا بثبات وعزم قويين، جاءت المقاومة والمشاكل والمعارضة كلها من قبل افراد من قومه ومن عملاء الاستعمار محاولين بمقاومتهم له تحطيمه، خصوصا في بدء قيامه بالدعوة للنهضة الاصلاحية، ولم يكن آنذاك من تلامذته إلا ما لا يتجاوز عددهم الاصابع وكان هو في عنفوان شبابه، ولم يخجلوا ان يسموه «غرا» كما ان زملاءه الذين يؤيدونه متفرقون في اماكن متعددة وعددهم محدود فلم يكن في استطاعتهم ان يعضدوه بجهادهم خوفا من السلطة والقوة اللتين يتمتع بهما الذين يقاومونه، وكان وحيدا فريدا في حلبة الصراع. ان الكفاح المرير والجهاد المتواصل والمثابرة المستمرة بدون كلل هي التي تضمن الوصول الى الهدف. والوصول الى الهدف هو النصر.

تطورت الامور وتكاثر عدد تلامذته ومريديه وتضاعف مناصروه والتف حوله زملاؤه واصدقاؤه وهم يوالونه جهارا ووقفوا معه علنا امام التيارات المعادية على رغم

المعارضات مستمرين في سيرهم حتى بلغوا الهدف.

عاش فقيدنا في هذا المجتمع المترهل المنحط من سوء اخلاق وتعصب وجمود وفراغ وكان يرى ذلك كله في الم يحز في نفسه وانقباض يملأ جوانحه مما بلغه هذا المجتمع. ومهما يكن فهو لاء هم قومه وهو واحد منهم ويعيش بينهم. كان يؤكد على اصلاح الفرد حتى يصلح المجتمع ولا يصلح المجتمع اذا لم يكن الفرد صالحا واعيا. وكثيرا ما كان يتباحث مع زملائه وخلص اصداقائه في موضوع الاصلاح ويصور لهم حالة قومه الذين يجب انقاذهم من حضيض الجهالة. وليس من السهل اصلاح مجتمع مفكك الاوصال جامد الفكر، يتعرض المصلح فيه لمقاومة ضارية من ذوي الاحقاد الدفينة ولكن فقيدنا ثبت ثبوت الجبال الراسخات منذ اوائل مراحل حياته، وتصدى للمشاكل والمقاومات باللين تارة وبالقوة احيانا إذا اقتضت الحاجة الى ذلك. لقد جاءهم ناصحا بحسن القول ولين الجانب وبارز من يحاول الاساءة للحق. حتى باءت اعمال المناوئين بالفشل الذريع بعد مدة من الزمن وانهارت قوى البغي والعدوان امام الحق الصريح. قضى على المؤامرات كلها ودمرها تدميرا. جاء مناوئوه اليه صاغرين مستسلمين. تسابق القوم من كل حذب وصوب يلتمسون منه ان يكرمهم ولو بزيارة الى تريم الغناء^(١) وهي مدينة من مدن جنوب الجزيرة العربية، اشتهرت بالاشعاع العلمي والتي انجبت فطاحل العلماء.

وصف السيد ابن شهاب هذه المدينة واهلها الذين ناصبوه العداء وقاوموه فخرج منها الى المهجر الشرقي:

(١) انتهى الدور العظيم لهذه المدينة العلمية التي اخرجت المئات من العلماء والادباء والفقهاء كما انتهى دور المدن الاخرى بعد تسليم بريطانيا دفة الحكم في جنوب الجزيرة لزمرة من ابناء البلد الشيوعيين، وهرب الاحرار خوفا من المجازر البشرية ونهبت الاموال كما تدفق عدد كبير من الضباط الروسين والكوبيين والسلطة الحقيقية بايديهم واصبحت احدى معازل السوفيت الحربية ففيها قواعد حربية جوية وبحرية في اربع مناطق تشرف على البحر الهندي والخليج والبحر الاحمر وتعرض العلماء للتعذيب والاعتقالات ومصادرة الممتلكات فهرب من هرب منهم.

وتريم تعلم والمدائن حولها اني لدى اللأواء من اجوادها
فلتشكل الغناء حلولي دورها وعلي فلتلبس ثياب حدادها
فسنام اي الارض اذهب منزلي ولي الندامى الغر من امجادها
خسرت تريم بذهاب السيد ابن شهاب ولم يخسر هو بتركه المدينة، ولكن
جنوب الجزيرة عاش كالمراة الثكلى معلنة الحداد بفقد اعز الناس اليها. وريح المهجر
الشرقي بقدمه فاستقبلوه وعززوه وكرموا على رغم وجود عملاء الاستعمار الذين
نصبوا له العداء. فالعظيم عظيم مهما حاول السفهاء الحط من عظمتهم والبخس من فضله
والانتقاص من قدره ومكانته. والعدو العاجز يلتجئ الى المكر والى المؤامرات والى
الاغتيالات للتخلص ممن لا يريد ولا يحبه ويخاف منه ويخشاه. ولكن العدالة فوق
كل شيء والحساب لا يرحم والمجرم والجاني لا يفر من وجه العدالة يحاسب هنا كما
يحاسب يوم الجزاء.

التمس قومه ان يشرفهم ويشرف مدينة تريم ولو بزيارة فأهلها متلهفون اليه
يتمنون رؤيته. فاستجاب لطلبهم ولبي دعوتهم وزار تريم وقدم الى عقر ديارهم واذا
بالشعب يخرج عن بكرة ابيه لاستقباله بالتكبير والتهليل والتحميد والتهنئات الحارة
والزغاريد. التفوا حوله فرحين مستبشرين بقدمه. واستقبل استقبال الابطال ودوت
طلقات المدافع وعطلت المدارس واغلقت المتاجر والاسواق ورفعت الاعلام
واضيئت المدينة بالانوار وكتبت عبارات الترحيب والتأييد، وتوافد القادمون طيلة ايام
الاسبوع من المدن القريبة والنائية ومن القرى المجاورة وازدحمت الشوارع والطرق
بهم للمشاركة في الاستقبال والترحيب بمقدمه وعلت التهتافات. ومشت قوافل
المستقبلين يتقدمهم حاملو الاعلام يليهم ارباب الطبول والدفوف ماشين على اقدامهم
وهم يحيطون بالسيد ابن شهاب وحوله هالة كبيرة من كبار العلماء والوجهاء والادباء
ورجال الدولة، ومن ورائهم كافة افراد الشعب من الطلبة وارباب الحرف. واكتظ المكان
الذي نزل فيه على سعته.

تنافس القوم لتكريمه وإقامة حفلات الاستقبال والمآدب تقديراً واعترافاً بفضلته ومواقفه. وطيلة فترة اقامته كان موضع احترام وتقدير، والناس يتكاثرون ويتقاطرون يومياً لزيارته والسلام عليه. ففي كل يوم هناك اجتماع، وفي كل يوم تقام له حفلة تكريم تلقى فيها الخطب التقديرية والقصائد ويُكال له المديح يذكرون فضلته واعماله الاصلاحية.

لا يملك السيد ابن شهاب اموالاً طائلة من القناطر المقنطرة من الذهب ليغري الناس بالمادة ويشترى ضمائرهم ليؤيدوه وليس هو بسلطان من السلاطين يأمر فيطاع امره، ولا هو بملك من الملوك يملك جيشاً جراراً واسلحة فتاكة يخشاه الناس ويتحاشون ظلمه وطغيانه، ولا هو بحاكم يرغم الناس للانصياع اليه كرها. ليس هو من هذا ولا ذاك، ولكنه شخص مجاهد مخلص يملك ايماناً صادقاً قوياً وعزماً فولاذياً لا يتزعزع وثقة بالله وهو ثابت في مبدئه راسخ في عقيدته وهو ذو خلق رفيع آلت اليه القيادة والريادة منصاعة.

حق للناس ان يعجبوا من هذا الرجل الاعزل من كل شيء إلا العلم في صدره والاخلاص والايمان في عقيدته كيف استطاع ان يستحوذ على قلوب هذه الامة بعلمائها وكبرائها طلابها وعمالها فقد طور الافكار وقلب اوضاع المجتمع وجعله شعلة من الحماسة بروح عالية. الاعمال الخالصة لوجه الله هي التي تفيد. ان في تاريخ العظماء رجالاً بلغوا العلى، كانوا عناوين لسمو الاخلاق وأمثلة للانسانية، وهم جديرون ان يكونوا القدوة الحسنة. على الجيل الحاضر ان يعتني بدراسة تاريخ حياتهم للاقتداء بهم واقتفاء آثارهم والسير على طريقتهم.

فذلكة يسيرة:

هذه فذلكة يسيرة مما تيسر لي جمعه من هنا وهناك عن السيد ابن شهاب، وهو جزء يسير اذا قيس بمدى حياته وكفاحه الطويل، آملاً ان اوفق للحصول على المزيد

من المعلومات عنه، التي لم اعثر عليها الى الآن، واعتبر ان المجموعة المدونة في هذا الكتاب هي بادرة وخطوة لمن يريد ان يواصل البحث والاستقصاء ودراسة حياة الفقيه وكفاحه طيلة حياته بصفة موسعة.

ان هذه الفذلكة اليسيرة المختصرة يمكن ان تعطي القارئ صورة حقيقية واضحة عن شخصية هذا البطل العملاق الفذ وعن كفاحه المتواصل طيلة حياته التي كانت بين مد وجزر شأن الابطال المكافحين من عظماء رجال التاريخ.

تعرض في حياته لعدة مشاكل، ابتداء من مقاومة عشيرته له حتى انه حينما تشرف بزيارة النبي محمد ﷺ في الحرم النبوي المدني الشريف لم يتمالك نفسه من بث شكواه اليه مما لاقاه وقاساه من معاداة وظلم عشيرته وما مسه منهم من اذى وهو صابر جلد يتحمل مقاومتهم في قصيدته المعروفة:

وقد مسني من اهل بيتي وبلدتي اذى وكثير منهم اكثروا العدوا
فكن منصفى فالصبر ضاق نطاقه وخذ لي بحقي يابن ساكنة الابوا
خرج بعد هذه الزيارة وهو اعظم روحا واغوى عزيمة مما كان قبل ذلك لقد
جالت بخاطره وهو في اثناء زيارته للنبي الاعظم محمد ﷺ مواقف الرسول من
عشيرته وقومه الذين ناصبوه العدا. فقد الهتمته هذه الزيارة روحاً حديدية وعزماً قويا
وارادة فولاذية، فواصل جهاده وكفاحه حتى كتب له النجاح وافلح وانتصر.

لم يقتصر كفاحه في محيط عشيرته ومجابهة قومه ولكن كان كفاحه اعظم امام
قوى البغي والعدوان، قوى الاحتلال والاستعمار الاجنبي، إذ كان لبريطانيا وهولندا
النفوذ والسيطرة التامة على البلدان الاسلامية وشعوبها خصوصا بعد الحرب العالمية
الاولى وتقلصت سيطرة دولة الخلافة التي اصبحت لا وجود لها بعد ازاحتها من مسرح
الحياة وازالة نفوذها من العالم. والبلدان الاسلامية كانت جُلها واقعة تحت الاحتلال
الغربي. فجنوب الجزيرة وشبه القارة الهندية وبلدان الملايو وسنغافورا واندونيسيا
وبورما كلها واقعة تحت الاحتلال الانجليزي والهولندي. ما عدا جزر مورو التي كانت

تحت حماية الولايات المتحدة. ولم تستقل هذه البلدان إلا بعد الحرب العالمية الثانية. ولكن ظل المسلمون في جزر مورو تحت الاحتلال الكاثوليكي، وبورما تحت الاحتلال الاشتراكي.

ليس من السهل العمل امام هذه القوات الكبيرة، والشعب اعزل من كل القوى، ولولا عظمة شخصية السيد ابن شهاب وقوة عزمه في كفاحه هذا الذي اثقل كاهله لما استطاع القيام بنهضته اصلاحية لانتشال شعب من براثن القوى الاستعمارية الضاربة بمخالبها.

يشكل السيد ابن شهاب بمفرده في حياته قوة هائلة تساوي قوة حزب عظيم في البلدان الحرة. كلمته مسموعة واوامره نافذة وتوجيهاته مقبولة، ونقده يرج الاوساط الاحتلالية والاستعمارية ويزعج رجال الدولة الحاكمة. المجتمع متأثر به والشعب منصاع اليه. الناس يطيعونه لا خشية او خوفا من بطشه فهو لا يبطش ولا يعرف البطش. يدعو قومه للخير ويوجههم بأرائه الى الاعمال الخيرية، آمنوا به لانهم وجدوه صادقا في اقواله مخلصا في اعماله وافعاله، نواياه حسنة، لمسوا فيه انه مع الحق وان الحق معه. احترموا لعلمه، وبجلوه لمكانته وعظموه لإخلاصه ووفائه. رضوا به قائدا ورائدا وانصاعوا اليه فرحين.

عندما يقول قولاً يصبح قوله حجة يحتجون به وشعارا يفتخرون به ومنطلقا يعتمدون عليه.

حطم السدود الزائفة، والاسوار العائقة التي تصد المسيرة فأزالها وحطمها. ومهد لقومه السبيل الامثل والنهج الاقوم ليسيروا عليه مطمئنين. ورفع الغشاوات المهيمنة على العقول فصقلها وعلى الابصار فانارها حتى بصرت. ودعاهم جميعا الى نهضته اصلاحية، لتحسين ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. التف حوله جمع من الشباب المتنور المثقف فدرسوا في مدرسته، انهالوا اليه من جنوب الجزيرة والهند وبلدان جنوب آسيا فكانوا دعما لنهضته، وقوة لتعزيز مركزه مما حفزه لمواصلة كفاحه

ودعوته الإصلاحية للوصول الى ما ينشده. قام بتأدية الخدمات لتوفير المتطلبات المتزايدة لرءاء العيش ورغده على رغم وجود الاحتلال البريطاني والهولندي. ان برنامج نهضته الإصلاحية يهدف الى ايجاد مجتمع واع يشعر بالمسؤولية الملقة على عاتقه.

عجز المستعمر البريطاني والهولندي عن تحديه وكانت النتيجة عكسية تماما، إذ تحفز القوم لمكافحة الاحتلال بقوة، مما اضطر المستعمر في بعض الحالات الى تقديم تنازلات خشية من تزعزع اركان احتلاله. لعجزه عن مواجهة النهضة الإصلاحية، وشعر ان مشاريعه الاستعمارية سوف تتحطم امام قوة النهضة الإصلاحية، لقدرة السيد ابن شهاب على ازالة العراقيل والمشاكل التي وضعها المستعمر من امامه. يرجع نجاح مساعي السيد ابن شهاب الى قدرته الفائقة على تحطيم مكر المستعمر، واستطاع ان يغير الوضع لصالحه ويعمل على استثمار القوى الكامنة في نفوس شعبه، فتكتلت وتبلورت وانفجرت فحطمت كل القوى المعادية.

ترك السيد ابن شهاب تراثا قيما مما دبجه يراعه والفه من كتب علمية وادبية ومئات من القصائد الحكمية والحمينية جمع بعضها في ديوان وضاع بعضها الآخر، وقد طبع بعض ذلك الموجود وبقي الآخر مخطوطاً. كما ترك وراءه تلامذته المخلصين له وزملاءه الذين لازموه ودعموه ومشوا على طريقته، فسدوا بعد رحيله الفراغ، فكانوا من رجال الإصلاح المرموقين.

وبعد غياب هذه المجموعة الطيبة تجلى الفراغ وشعر القوم بالخطر. واسبابه كثيرة، إذ بعد غياب تلك المجموعة حدث انفجار الحرب العالمية الثانية التي هزت العالم وتبدل الوضع العالمي، حيث استقلت شعوب وتأسست حكومات ودول اشتراكية تعتز بقوميتها، وتوقفت الهجرة العربية الى جنوب آسيا، فتضعفت اللغة العربية وافل نجم الادب العربي في هذه المناطق وذبلت المعاهد العربية وصحافتها بعد ان كانت مركزا من مراكز الاشعاع وقد غابت الكفاءات المسؤولة، ولم يبق منهم اليوم

الا القليل الذين بلغ بهم سن الكهولة التقاعد عن العمل او الترحم على السابقين الاولين من رواد النهضة الاصلاحية. وجاء جيل بعد الحرب العالمية الثانية من رجيل عام ١٩٤٥ يعتزون بانهم من هذا الجيل يحملون افكارا وطنية او قومية او اشتراكية.

يحتاج كل ما تركه السيد ابن شهاب من عصارة افكاره المدونة في مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة الى اهتمام عظيم ورعاية بالغة لدراستها وتقصي محتوياتها لتحقيقها بالاسلوب العلمي الحديث والطريقة الاكاديمية الموضوعية، وشرح ما يحتاج الى الشرح والتعليق حتى يبقى التراث خالدا يستفيد منه الناس ويعم نفعه. اما إذا ترك التراث واهمل فإن النفع ينتفي، وتنعدم الفائدة وتكون الخسارة عامة والرزء عظيماً على العلم والادب. ومن الجحود إهمال التراث حتى يكون عرضة للضياع فيضيع معه تاريخ كبير حافل عن النهضة الاصلاحية التي شملت جنوب شرقي آسيا وشبه القارة الهندية وجنوب الجزيرة، واصبحت مجهولة لفقدان هذه الحلقة الضائعة من سلسلة تاريخ مهم مليء بالجهاد والكفاح بجانب ازدهار الادب العربي فيها^(١).

وامثال هذه القضية كثيرة وسببها إهمال الخلف وعدم اقتفائه نهج من سبقه من سلفه. كان هناك رجال خدموا القضايا الاصلاحية المصيرية ولكن النتيجة كانت ان طوي تاريخهم مع الايام وجهلتهم الاجيال التي جاءت بعدهم واصبحوا في عداد المجهولين وضاعوا في لجج الزمان وفنوا مع الايام لا يعلم عنهم احد. وكم اضاع الاهمال وعدم التقدير والجهل قيمة التراث، انه جحود الخلف لفضل السلف.

وهكذا لا نجد الآن وفي عصرنا هذا في المهجر الشرقي من يهتم او يعتني على الاقل بما تركه السابقون، وما دونه الاولون، واخشى ان يكون عرضة للضياع. والخلاصة ان ما وصلت اليه شعوب المهجر الشرقي من تطورات سياسية واقتصادية وما تتمتع به شعوب هذه المناطق الآن كل ذلك عائد الى ما بذله السيد ابن شهاب من جهود ونشره من وعي بين الامة، ثم رعى ذلك من بعده خلفه الذين حافظوا عليه.

(١) راجع الادب العربي في المهجر الشرقي للمؤلف.

وجنت شعوب هذه المناطق الخير. ولا مناص من الاعتراف بفضل هذا المجاهد
العملاق العظيم.

نسأل الله في كل وقت وحين ان يتغمده بوابل رحمته ويسكنه فسيح جناته
ويبعثه مع النبي محمد ﷺ مع زمرة آل البيت الطاهرين وان يمن الله على هذه الشعوب
برجال مخلصين صادقين عاملين مصلحين.

ربنا الطف بالمسلمين وحسن احوالهم واوضاعهم ووفقهم الى الصراط
المستقيم يا ارحم الراحمين.

محمد أسد شهاب

مختارات من قصائده

لم اجد ما يصلح لتقديم هذه المختارات من قصائد السيد ابي المرتضى بن شهاب أحسن مما دبجه يراع تلميذه الاستاذ محمد بن هاشم الذي نشرته جريدة (حضر موت) في اعدادها الصادرة بعد صدور الديوان عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م بعنوان (صفحة من الادب او ديوان السيد ابن شهاب) ولم يكن الاستاذ محمد بن هاشم هو الوحيد الذي كتب عن السيد ابن شهاب ولكن كتب كثير من اساطين الادب والعلماء وكبار الشعراء في المهجر الشرقي نثرا وشعرا عن هذا الديوان، نذكر منهم على وجه الاختصار:

- ١ - السيد علوي بن طاهر الحداد، مفتي سلطنة جوهور.
- ٢ - الاستاذ احمد السقاف شاعر المهجر الشرقي ورئيس تحرير مجلة الرابطة.
- ٣ - الاديب محمد بن حسن بن شهاب، استاذ الادب العربي في ماليزيا.
- ٤ - الشاعر صالح الحامد، كاتب وصحفي له عدة دواوين مطبوعة.
- ٥ - الاستاذ طه السقاف، صاحب مجلة صوت حضر موت.
- ٦ - السيد حسن الحبشي، شاعر واديب في مدينة الصولو جاوا الوسطى.
- ٧ - محمد احمد مشهور الحداد، كاتب وصحفي معروف.
- ٨ - السيد ابو بكر بن طه السقاف، مدير مدرسة الجنيد الاسلامية سنغافورا.
- ٩ - الاستاذ احمد با فقيف، صاحب مجلة العرب جريدة السلام.
- ١٠ - العلامة الاستاذ عبدالله بن نوح، مدير المعاهد الاسلامية بجاوا الغربية.
- ١١ - العلامة السيد عقيل بن زين الجفري، زعيم اسلامي بارز.
- ١٢ - السيد عيروس المشهور، صاحب جريدة حضر موت.
- ١٣ - الاستاذ محمد ضياء شهاب، كاتب له عدة مؤلفات مطبوعة.

١٤ - الاستاذ ابو بكر اتجيه، من رجال النهضة الاستقلالية له عدة مؤلفات.
وغيرهم كثيرون.

عند اطلاع القارئ على مجموعة هذه القصائد المطولة والقصيرة سيجد فيها دررا مستساغة من الادب العربي الرفيع التي امتاز بها المهجر الشرقي في القرن العشرين والتي بلغت من الجزالة وسلاسة التعبير مع سمو المعنى مبلغا رفيعا تبرهن على علو المقدرة في التنسيق، حتى ان ادباء العرب من مصر والشام ارتابوا في بادئ الامر كيف يمكن ان يصوغ مثل هذه القصائد شعراء من المهجر الشرقي وفي هذا القرن، وبعد حوار طويل ومساجلات ادبية، آمنوا بالواقع بعد لمسهم الحقائق فاكبروا شعراء المهجر الشرقي، واعترفوا بانهم لا يقلون عن شعراء البلدان العربية وشعراء المهجر الغربي والامريكيتين.

صفحة من الادب او ديوان السيد ابن شهاب

بقلم الاستاذ محمد بن هاشم

الشعر نفحة قدسية، وشعور سيال، تتفطر به الفطر، وتنغرز عليه الغرائز، وتتكون منه الجوانح، بل هو مناغة الحقائق للارواح، والجازبية العامة التي تتماسك بها جواهر الالباب وتتألف بواسطتها نوافر الافئدة.

الشعر ناموس لا يناله الحد، ولا يعتوره التعريف ولا تبلغ الظنون كنه سره ولا حقيقة امره، الا ان تأثيره يستهوي العقول ويستفز الارواح ويقع في النفس وقوعا لا يجحده الجاحد ولا ينكره الحاقد. ولا ينبو عن افهام العامة ولا مدارك الرعاع. الشعر وجود في الخليقة قبل اتصال الارواح بالاشباح، والمعاني بالالفاظ وقبل ان تعرض الاعاريض وتتقوى القوافي ويؤسس الروي. لو كان الشعر هو الكلام المقفى الموزون فقط، لما عمل في القواد عمل البواتر في الاجساد، ولما افاض العيون ونقر على سويدا وات القلوب.

اذا انت لم تعلم سوى الوزن وحده فلانك وزان وما انت شاعر اولئك قريش البطاح ومن جاورهم من جاهلية العرب اوائل الاسلام اذهلهم ما قرع اسماعهم من بلاغة القرآن وشدة تأثيره وحسن ايجازه واطنابه ورشاقة عبائره وفواصله ومن تخليه عن بحور الشعر وقوافيه ورجزه وخببه، فلم يشاءوا الا ان يقولوا عنه انه شعر تخلص به القلوب، او سحر تضرب به العقول. الشعر اسمى من ان يقف عند لفظ او تحصره لغة او تنفرد به امة او يستأثر به زمان او يختص به لسان، ولكنه الموهبة العالية التي يأخذ بنصيب منها كل من اوتي من قوة الخيال وحسن التصور من بني الانسان الاول.

لا تخلو اية امة من الامم الناطقة على سطح هذا الكوكب من رجال تسامت في الشعر كعوبهم ورسخت فيه اقدامهم واحتلوا بين اقوامهم من التعظيم رتباً قعساء تؤبد لهم الفخر، وتوطد لهم حسن الذكر، وتجعل لهم في قلوب شعوبهم فجاجا تتسرب اليها ينابيع الحكمة، وتطرد فيها جداول الموعظة.

غير ان للعرب - وهي الامة الشعرية المحضة - من ذلك القدح المعلى والنصيب الأعلى، اذ لا يحصى شعرها ولا تحصر شعراؤها ولا تنقيد اغراضها. ولها بعد اللغة الوافية والبحور والموازن المنظمة والقوافي المتناسقة.

لسنا الآن في مقام ننحو فيه البحث في تاريخ الشعر ولا تعداد مزاياه ولا الالماع الى ادواره، وانما قدمنا هذه الفذلكة اليسيرة توطئة لما سنقتطفه اتحافا لقرائنا الكرام من انفس شاعر اليمن في القرن الرابع عشر بلا منازع، السيد ابي بكر بن عبدالرحمن بن شهاب الدين العلوي.

طبع اليوم ديوانه ولا ريب انه سيكون صيبا نافعا تعتز وتربو به النفوس الادبية، والاذواق السليمة وروضة لنا تسرح فيها اذهان الادباء فتجد بها ما يروي اوامها ويزيح قتامها ويذيقها حلاوة الانشاء ولذة الترجم.

للسيد ابن شهاب شاعرية لا ينضب ماؤها ولا يكل حدها ولا ترتبط برباط يمل الراوي ويضجر السامع، ولكنها شاعرية تعبر عن مختلف الاذواق وتنفذ الى اعماق الافئدة وتطير بالمنشد الى افلاك من الخيال يسبح في فضائها ويتمتع ببهاؤها ثم يعود من سياحته حامدا شاكرا.

يمتاز شعر السيد ابن شهاب من بين شعر كثير من المعاصرين بمتانة الاسلوب وجزالة التركيب واصابة مقاتل الكلام والتجافي عن حشوه وفضوله، والضرب في كل واد من اوديته. اشبه شيء بشعر المجيدين من شعراء الدول العباسية ابان الحضارة الاسلامية في قمة مجدها ومستوى سوقها. فهو اذا امثل كلام يقوّم اللسان وينمي الملكة الشعرية ويبسط اديم البلاغة امام القارئ ليخطر عليه ذهابا وايابا بكل طرب وارتياح.

الا ان ديوان السيد ابن شهاب عليه السلام قد خلا بتاتا من سجع المعاني وفاحش الكلام والنقط الشائبة التي تخل بالأدب وتجري إلى المعاصي وتطعن في كبد الاخلاق الفاضلة. لم يتكلف السيد ابن شهاب في شعره عمداً بشيء من انواع البديع كما هو شأن اكثر المولدين قبل هذا العصر. اذ في اهتمام الشاعر بالجناس والطباق وغيرها من تلکم الانواع الصناعية شغل شاغل له عن اتقان المعنى وابرار ديباجة الشعر منسجمة الملامح. على انه قد ورد من ذلك شيء في شعر السيد ابن شهاب يظهر انه قاله عفواً من دون تقصد لعدم ظهور اثر الكلفة عليه، ومنه ما قاله تفكها او اختياراً للقريحة واظهاراً للبراعة لا غير.

ولقد قرع الناظم كثيراً من الاغراض الشعرية كالنسيب والوصف والمديح والعتاب والوعظ والفخر والرثاء والهجاء وغيرها من الاغراض التي اجاد فيها ايما اجادة، على ان في الديوان والحق يقال من غير الجيد ما لا يخلو عنه كل ديوان شعر. انت تعلم حفظك الله ان الشعر الغزلي يكون عادة رقيق الحواشي لين الجوانب لطيف الالفاظ، ولكنك تمتلي عجباً حينما ترى متانة التركيب وجزالة الكلم وضخامة العبائر، لا تكاد تفارق شعر السيد ابن شهاب، لا في غزله ولا في غيره، فانك ان تسمع قوله من اثناء قصيدة:

من كل غانية تخال جبينها بدرا تألق نوره او كوكبا
عصماء في صدف الحجاب وغادة غراء ليس لها التحجب مذهبا
يخيل لك من جزالتها انك لا تسمع الا بيتي حماس او فخر. وهذا العمري هو الاقتدار الفائق، والعجب العجيب، والبيتان من قصيدة كلها غرر مطلعها.

ضحكت ازاهير الحقائق والربا وسرت بريها النعامي والصبا
والطير في عذباتها تهدي الى اسماعنا السجع الرخيم المطربا
ودنت او ابد كل واد فالمها والعصم ترتع في المحاجر والظبا
والحور ترقص في الخدور مسرة حتى حسبنا كل خدر ملعبا

ذلك لعمر الادب هو السحر الحلال والسهل البعيد المنال، فسبحان الذي يؤتي
فضله من يشاء ومن تغزلاته الجزلة الاسلوب قوله:

خود مخدرة بأسهم لحظها تسبي وتأسر كل ليث مخدر
حوراء تخترم النفوس ولم تبل علما بان قتيلا لم يثار
هيفاء قد كاد دائر بندها في الخصر يصلح خاتما في الخنصر
وتنوء ذاك الخصر حال نهوضها اعباء ما اكتنفت عقود المئزر
يقول خصرها النحيل يلاقي عند ارادة قيامها من ثقل الكفل ما يبهظه وينوء به.
وربما اكثر السيد ابن شهاب في ديوانه من المديح، ولا غرو اذ هو هدية الشاعر
وطرفة الناظم والتحية التي لا يستطيع تقديم سواها لمن جل في عينه وحل محلا مكينا
في فؤاده، ولم يكن التكسب بالمديح هي الغاية التي يتوخاها ابن شهاب كما يقع لكثير
من الشعراء، بل ربما اشاد السيد رحمته الله بعد ان يقضي لبنته من المديح في القصيدة نفسها
بما يشعر الممدوح بانه طامح الى حبيبته، فمن ذلك قوله من قصيدة يمدح بها وزير
الدكن الاكبر اقبال الدولة بهادر:

بننت فكرر تشنى عجا ولها تعنو فحول الشعرا
يرقص الطائي والكندي لو سمعها طربا والشنفرى
شأن مهديها عفاف النفس عن بسط كف الذل فيما حررا
بل قصارى قصده عقد الولا وقبول العذر عما قصرا
وقوله من مديحة اخرى في عماد الدولة بالدكن:

اليك اتت عذراء نظم من امرئ لها بمقال الشعر جزئي المام
منزهة عن ان يكون زفافها اليك لرجوى نيل جدوى وانعام
ولكنها وافتك مخبرة بما لدى ربها من صدق حب واعظام
وقد كانت قصائده المحبوكات الاطراف والمعارضات للارتقيات كلها مدائح
في خديوي مصر توفيق باشا وهي من امتن الشعر وابلغه، ومع هذا فلم يقدمها له، الأمر

الذي يفهم منه عدم حرصه على اقتناء الجوائز واحراز المال من وراء شعره. وله قصائد طنانة بلغت من البلاغة اسماها ومن الجزالة اقصاها، يمتدح بها الجنب الاعظم ﷺ واهل البيت ﷺ فمن دونهم من الصحابة ورجالا من الفضلاء والصالحين الذين لا يؤمل شيئا من جراء مدحهم الا الاغتراف من فيض بركاتهم والاستمداد من اسرار دعواتهم. ولم يشأ شاعرنا ان يصدف عن الورود الى شرعة السادة الصوفية والجري على طريقة القوم واصطلاحاتهم، فقد تكلم بلسانهم ونطق ببيانهم واعرب عن اذواقهم وابان عن انتشائه بعبير راحتهم، واخذ بصيب من لطيف افراحهم، فمن ذلك قوله معجزا ومصدرا ابيات الشيخ الرفاعي التي مطلعها:

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن دراه غدا بالروح يفديه
فقال في اثنائها بحيث لا يفرق السامع بين ما قاله وبين الاصل مشيرا الى الصب:
في ربه ظمئ والصحو يسكره والمحو يثبت واللوم يغريه
يبدو له السر من آفاق وجهته فأينما أم فالمحسوب هاديه
ومنها:

وكم نوافل جود في الوجود سرت لله في الكون سر لا يرى فيه
لا شيء في الكون الا وهو ذو اثر فيما يشاهد من تأثير مبدية
ومنها في الموصل الى المحبوب:
اعدم وجودك لا تشهد له اثرا يميته الميته الاولى ويحييه
واجعل مفاتيح بيت السر في يده ودعه يهدمه طورا ويبنيه
وكل الابيات نفائس تستفز النفوس نحو قرع الباب والطموح الى مراتب الاحباب. يبتهج الناظر في ديوان السيد ابن شهاب حينما تفاجئ سمعه تلك المطالع الرائقة والاستهلالات الشائقة التي تستهوي النفوس حسنا، وتلذها الاذواق حلاوة، وتناجي القارئ اللبيب خلصة بما احتوته ضلوع قصائدها، وما ترمي اليه غرر ابياتها، فهي المديحة التي تحبر في الصوفي مثلا، مع ما يجمعها كلها من الرقة والانسجام. واليك

ايها القارئ الكريم امثلة من ذلك، تذكرك حلاوة الشهد الادبي، والتأثير السوي. منها قوله في مطلع قصيدة ضافية يمدح بها النبي ﷺ:

لذي سلم والبان لولاك لم اهوا ولا ازددت من سلع وجيرانه شجوا
فقد احسن الادب واجاد اللفظ وابدع في المعنى و اشار بذكر ذي سلم والبان
وسلع وجيرانه الى بطل القصيدة ﷺ.

ومن مطالعه الفائقة قوله مستهلا قصيدة يمدح بها صاحب الجوائب احمد فارس الشدياق اللغوي، وقد اثبتت في الجزء الرابع من منتخبات الجوائب، قال:

شجو الهوى ما مازج الأمشاج فهل اقتحمت عبابه الدجداجا
لو كنت في دعوى المحبة صادقا لوجدت في سوق المنون رواجا
ومن مطالعه الغراء قوله اول قصيدة تهنئة بعيد جلوس ملك حيدر آباد الدكن، فقال:

بشراك هذا منار الحي ترمقه وهذه دور من تهوى وتعشقه
ومن المطالع التي تهز القلوب وتسبي شعور السامع قوله:
بهزك غصن القد ماذا تريدنا وماذا بلغز العين في السر تعيننا
ونكتفي بما ذكرناه من المطالع إذ لسنّا الآن في مقام استقصاء وانما نحن في مقام تمثيل فحسب.

وخاطر السيد ابن شهاب لم يقصر في شعره في استيلاد المعاني البديعة التي لم يسبق اليها ولم يطرقها غيره. يجد ذلك قارئ ديوانه بين آونة واخرى خلال ابیات قصائده، فمن ذلك قوله في تخضيب الشيب وهو معنى غريب:

يقولون خضبت المشيب تصابيا وفيك شهود ان دعوى الصبا افك
فقلت سترت العيب لا الشيب انه من العار شيب ليس يصحبه نسك
ومنه قوله من قصيدة خمريّة:

رق مرآها ومرأى جامها فهي والجام ضمير مستتر

رقصت في جبهة الطاس لدى صبا حور الحباب المعتور
رونق الجسم بها منتعش ولها في اللب سحر مستقر
وللسيد في الحماسة والعلميات وغير ذلك من الاغراض مواقف حسنة يصعب
علينا استقصاؤها هنا، وعليه فاننا نكتفي بما اقتطفناه ثم نحيل الادباء على الديوان
نفسه لينهلوا ويعلموا من رحيقه المختوم رأساً.
والسلام

محمد بن هاشم بن طاهر

سورابايا ١٩٢٥

الارجوزة

استعان العلامة السيد العلوي ابن سهل المرشد العام والداعية الاسلامي بالسيد ابن شهاب لانشاء ارجوزة فيما يتعلق بالمرأة واخلاقها وتهذيبها وما يجب لها وما عليها، فلبى السيد ابن شهاب طلبه بهذه الارجوزة وقد تم طبعها أول مرة عام ١٢٨٧هـ ثم الحقت بديوانه.

بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال ابو بكر الفقير المعترف	نجل الوجيه ابن الشهاب المقترف
العلوي مشربا ومحتدا	والحُضرمي منشأ ومولدا
احمدك اللهم يا من اوجدا	في كل عصر داعياً الى الهدى
واوصل اللهم روح المصطفى	صلاة عبد نحوه تلهفا
واهل بيته الكرام الطاهرين	وصحبه والتابعين اجمعين
وخذ اخي جمان لفظ ينظم	في بعض ما على النساء يلزم
لانه قد شاع في هذا الزمن	جموحهن عن سوية السنن
ولم اجد من الرجال زاجرا	بل كان بعضهم لهن ناصرا
حتى محى رسوم ذاك الباطل	بواضح النصوص والدلائل
فرد الزمان نخبة الامائل	طراز كم العترة الافاضل
فضل ابن مولانا عباب الفضل	غوث الانام علوي بن سهل
لا زال للمسترشدين مرشدا	شهابه للماردين مرصدا
ومذ نزلت سوحه المكرما	على ثرى اعتابه مسلما
اومى الى مملوكه المقصر	بنظم هذا الرجز المحرر

فبأدر الفقير حسب طاقته لكي يكون في ذوي رعايته
وجاء في ثلاثة فصول والله أرجو المن بالقبول

(الفصل الاول في ذم المتبرج والمتبرجة وذكر بعض تلبيساتها)

(وذم من لا يغار)

قد جاء مشحونا كتاب الله جل
بذم ذات الفحش والتبرج
وما تركت فتنة بعدي اضر
ومن تكن بين الرجال ماشيه
بحسهن في البيوت وردا
وعنه انها لعورة ثبت
وانها اقرب ما تكون
وكم احاديث بهذا وارده
هذا ولو لم يأت في التنزيل
لكان حقا بالحياء والحجا
يصدهن ما زكى من الشيم
اف لكل امرأة وجاريه
صارت بهذا عرضة للفسقة
تلقاهم طراً يلاحظونا
فكل خود لم يسعها خدرها
في السن الفساق لا تزول
هذا يقول عادة هيفاء

وسنة الداعي الى خير الملل
وأمرأة تخرج للتفرج
من النساء بالرجال في الخبر
بالطيب فهي في الحديث زانيه
حديث خير المرسلين احمدا
يستبشر الشيطان مهما خرجت
لله في بيت لها يصون
وكتب اهل العلم ايضا شاهده
منع ولا زجر عن الرسول
والدين ايضا منعهن المخرجا
عن الوقوف في مواقف التهم
تظل ما بين الرجال جاريه
لعرضها بـمشيها ممزقه
حسن خضاب الكف والعيونا
يصغر بين العالمين قدرها
ووصفها لديهم يطول
وذا يقول عينيها نجلاء

وذا يقول قدّها رشيق
اقل خزي تلفه ومثله
ان يستبين حجمها للناظر
وربما يميل قلبها الى
فميلهن حاصل من النظر
فتتعب العفيفة المراقبه
ومن تكن بعكسها توصلت
وربما تضرر بغض بعلمها
ومن تلازم بيتها وتجر
بل ربما وحبسها في الدار
وبعضهن تدعي وتزعم
وانها في غاية العفاف
وهي تظل في الطريق راتعه
انى يصح ما ادعته الجاهله
وان تقل من دينها التبرج
ففي الحديث انهن اكثر
تقول ما بال ابنة العالم أو
وذاك عين الجهل بل قد اشتهر
وزوجتنا نوح ولوط كانتا
ومن تكن تجالس الفواجرا
يجرنها الى الحضيض الاوهد
بالمنع ام المؤمنين عائشه
تبت يدا من للنساء يهمل

وذا يقول لونها انيق
ان خرجت مستورة مجلبة
ويُدر حسن كفها والناظر
ذي صورة جميلة فتبتلى
ضرورة اذ ذاك من طبع البشر
في دفع ذاك الميل خوف العقابه
بأي ممكن الى من اشتهت
وتظهر الحب له في قولها
بالصوت فهو بالفساد مشعر
بالقهر من رجالها الاحرار
بانها تغض عما يحرم
والبعد عن رذائل الاوصاف
لا تستحي ذاهبة وراجعه
قول بلا فعل ودعوى باطله
جل النساء في الجموع تخرج
اهل الجحيم هل عليها تصبر
زوجاته يفعلن ما عنه نهوا
فسق كثير من نسا قوم غرر
خائنتين في الكتاب قد اتى
ففي مخازيهن بالقرب ترى
اذ بالمقارن القرين يقتدي
افتت مخافة ارتكاب الفاحشه
يا ليت شعري من له يجندل

ابالنساء يا عزيزي تشق
فكيدهن يا اخي عظيم
تغتر من كلامها المرونق
من لا يغار قلبه منكوس
وما ظننت قط زوجا او ابا
يصير بالاذن لها ديوثا
لم يرض ذو طبع سليم في ابنته
في الطرق اذ تزاحم الرجالا
هذا لعمرى المنكر المألوف
نعوذ بالله من العصيان
من يأمن النساء فهو الأحق
وفعلن غالبا ذميم
حتى كأن مثلها لم يخلق
بالنص بل ودينه معكوس
يرضى بان تخالط الاجانبا
مستهجنا لدى الورى خبيثا
او ذات محرم له او زوجته
او ان تلين لهم المقالا
حتى كأنه هو المعروف
ومن فساد الوقت والزمان

(الفصل الثاني في ذكر الحرية العفيفة ووصافها المنيفة) (والنهي عن الافتخار بالدنيا)

هذا وكم كريمة مصونه	في بيتها كدرة مكنونه
لا يسمع الناس لها كلاما	ولا يضيفون لها ملاما
تغض طرفها عن الاجانب	ترجو حلول ارفع المراتب
بعيدة عن مجلس الرجال	لا تخطر الفحشا لها ببال
على العفاف والحياء والتقى	مجبولة كالحور في دار البقا
لا تكثر الصعود والتطلعا	ولا تجيب اجنبيا ان دعا
ما همها الا الحقوق الواجبه	لربها ذاهبة وآيبه
بغزل او خياطة محترفه	بكل ما يزينها متصفه
طائفة لزوجها ممتله	لامره بحقه مشغله
تحفظه ان غاب او في حضرته	تبذل كل الجهد في مسرته
قصيرة اللسان عن سب الولد	ولا تبيع سرها الى احد
لا تدخل النساء بيت زوجها	ولا ترى قط بغير برجها
وان دعته حاجة ان تخرجا	ففي ثياب بذلة وقت الدجى
قاصرة على الطريق طرفها	مستورة ولا يشم عرفها
اذا بدت في محفل النساء	فدرة تضيء في حصاء
والفخر ليس بالحرير والذهب	ولا بلبس جنفص ولا قصب
ففي نساء الفرس والنصارى	من الحلي ما غلا مقدارا
وكله فان وان جاء الاجل	افضت الى ما قدمت من العمل
وجاء في حديث طه الأحمران	عن الجنان للنساء ملهيان

ما الفخر الا بالعفاف والتقى
والبعد عن مجامع الفضول
فالاعتداء بالبتول الزهرا
وكم لكم لهن من متابعه
بقول ذي الجلال قل للمؤمنات
بالقول لا يخضعن كيلا يطمعا
يتركن في الطريق لبس الفاخر
هذا ورب البيت نعم المفخر

وفعل ما بهن كان أليقا
ورفض كل خلق مردول
وامهات المؤمنين أخرى
في فعلها وقولها كرابعه
يغضضن من ابصارهن عاملات
مريض قلب بالفساد اولعا
كيلا يملن قلب كل فاجر
وبالنجاه في المعاد يثمر

(الفصل الثالث في بعض نصائح دينية) (كثير التهاون من النساء بها)

يا معشر النساء هل من سامعه
ومن تكن بما اقول عامله
فالمكث في دار الفنا قليل
والله الله اماء الله في
فان هذا الدهر معدوم الوفا
والخير كل الخير في الصلاة
وليس بين مسلم وكافر
وكن باليسير قانعات
وارفضن للكبر المشوم والحسد
واقبح القبايح الوخيمه
فتلك والعياذ بالرحمن
وطاعة الازواج فرض لازم
والويل كل الويل بل والهاويه
واعلمن ان حقه عظيم
وفي الاحاديث الصحاح المسنده
وهنا جواد نظمي وقفنا
وصل مولانا على الرسول
نصائحاً تتلى لكن جامعها
فتلك في جنات عدن نازله
وهي الى دار البقا سبيل
لزوم دوركن والتعفف
وقد سمعتن الكلام آنفا
وفعلها اوائل الاوقات
الا الصلاة في الحديث الشاهر
تظفرن يوم الحشر بالجنات
وكل ما حرمه الفرد الصمد
الغيبية الشنعاء والنميمه
موجبة الحلول في النيران
به ينال الفوز والمغانم
لمن لامر الزوج كانت عاصيه
واجر من قامت به جسيم
مالست لا والله احصي عدده
فالحمد لله الكريم وكفى
وآله وصحبه الفحول^(١).
الى هنا ينتهي ما تيسر لنا جمعه في هذه الفصول عن النهضة الاصلاحية وادوار

(١) وقد طبعت هذه الارجوزة سنة ١٢٨٧.

حياة المجاهد الاعظم السيد ابي المرتضى بن شهاب وسيرته، ونختتم الكتاب بحمد
الله على لطفه وتيسيره وتوفيقه كما بدأنا بالحمد والشكر له على عظيم انعامه وجزيل
فضله وإنزال شآبيب رحمته وصلاته على النبي المصطفى محمد وآله وسلم تسليما
كثيرا.

محمد اسد شهاب

المراجع

الكتب المطبوعة

- رشفة الصادي للسيد ابن شهاب، طبع بمصر عام ١٣٠٢.
- ديوان السيد ابن شهاب طبع اندونيسيا ١٩٢٤.
- تاريخ حضرموت للسيد صالح الحامدي، طبع القاهرة.
- ادوار من تاريخ حضرموت للسيد محمد احمد الشاطري، طبع لبنان.
- تاريخ الدولة الكثيرة للاستاذ محمد بن هاشم، طبع القاهرة.
- صفحات من تاريخ اندونيسيا لمحمد اسد شهاب، طبع لبنان ١٩٧٢.
- كفاح تركستان لمحمد اسد شهاب، طبع لبنان ١٩٧٢.
- جولة في ربوع جزر مورو لمحمد اسد شهاب، طبع لبنان.
- الامام المهاجر للسيد محمد ضياء شهاب، طبع لبنان.
- الامام المهاجر ما له ولنسله من الفضائل والمآثر الاستاذ عبدالله بن نوح، طبع لبنان.
- الاسلام في اندونيسيا لمحمد ضياء شهاب وعبدالله بن نوح، طبع لبنان.
- المراجعات للعلامة السيد شرف الدين الموسوي، طبع لبنان.
- شمس الظهيرة للسيد المرشهور وتحقيق ضياء شهاب، طبع لبنان.
- الغدير للعلامة الاميني، طبع بغداد.
- اعيان الشيعة للعلامة السيد محسن الامين، طبع دمشق.
- المدخل للسيد الحداد وتحقيق ضياء شهاب، طبع لبنان.
- عقود الالماس للسيد علوي الحداد، طبع مصر.

افريقيا بين التوحيد والتثليث للسيد محمد احمد الحداد، طبع لبنان.
الغاية والاساس للسيد مصطفى عبدالرحمن العطاس، طبع بيروت.

الكتب المخطوطة

السيد ابن شهاب للسيد حسين المحضار.
تاريخ اندونيسيا العام للسيد محمد ضياء شهاب.
متفرقات من قصائد ابن شهاب الحمينية.
بعض من مراسلاته.
بعض من خطبه.

الصحف والمجلات

نشرات وكالة الانباء APB، جاكرتا - اندونيسيا.
جريدة حضر موت، سورابايا - اندونيسيا.
جريدة السلام، سنغافورا.
مجلة النهضة الحضرمية، سنغافورا.
مجلة صوت حضر موت، سنغافورا.
مجلة الذكرى، سنغافورا.
مجلة المهجر، سورابايا - اندونيسيا.
مجلة اليران بارو، سورابايا - اندونيسيا.
مجلة انصاف، جاكرتا - اندونيسيا.
مجلة فمبينا، جاكرتا - اندونيسيا.

مجلة الرابطة، جاكرتا - اندونيسيا.
مجلة الثقافة، جاكرتا - اندونيسيا.
مجلة الرشيد، بغداد.
مجلة المرشد العربي، اللاذقية - سوريا.
مجلة العرفان، صيدا - لبنان.
مجلة العربي، الكويت.

فهرس الكتاب

٧	الاهداء.....
٩	كلمة المجمع.....
١١	كلمة هيئة البحوث الاسلامية في اندونيسيا.....
١٥	كيف كانت الشعوب الاسلامية قبل ذلك العهد.....
٢٢	الرسوم الساخرة.....
٢٧	في ذكرى ابي المرتضى.....
٢٩	تقديم.....
٣٧	لمحة سريعة.....
٥٢	النشأة.....
٥٤	مشايخه واساتذته.....
٥٩	أسرته.....
٦٤	زملاؤه.....
٧٧	تلامذته.....
١١٩	مؤلفاته.....
١٢١	مكتبته.....
١٢٥	آل البيت النبوي(ع).....
١٤٦	القصاصد التي اوصى بها.....
١٤٩	لذي سلم.....
١٥٥	سيد الكائنات.....

١٥٨	الامام علي بن ابي طالب(ع)
١٦٢	النبأ اليقين
١٧٢	سواد العين
١٧٨	الثناء العاطر
١٨٤	آل البيت(ع)
١٨٨	رشفة الصادي
١٨٩	الشجرة العلوية
١٩٢	الدوحة العليا
١٩٣	المرتبة السامية
١٩٣	ارث الرسول أو السلسلة الذهبية
١٩٥	شمس الهدى
١٩٧	رياض الانساب
١٩٧	الملاذ بسيد الكونين
٢٠١	طهور الشراب
٢٠٤	رحلة العمل
٢٠٨	منهج القوم
٢١١	البشرى
٢١٥	مم الاسى
٢١٩	يا غارة الله سلي سيف نغمته
٢٢٢	الصدمة العنيفة
٢٢٨	برق الرضا
٢٣٣	حمى العلويين أو أسرة بيت ابن يحيى
٢٣٤	بدت البشرى

٢٣٥	التقصير والحمل الثقيل
٢٣٦	النهضة الادبية
٢٣٩	السلسلة الذهبية
٢٤٣	رشقة الصادي
٢٦٥	من خطب السيد ابن شهاب في وداع شهر رمضان
٢٧١	من رسائل السيد ابن شهاب
٢٩٩	رحلاته
٣١٣	لماذا اختار السيد ابن شهاب حيدرآباد
٣٣٥	النهضة الاصلاحية
٣٤٢	هل الاصلاح لا يتم إلا بالثورة المسلحة
٣٤٩	السيد ابن شهاب ودولة الخلافة
٣٥٩	القومية والوطنية
٣٦٢	النهضة الاقتصادية
٣٧٢	منهجه
٣٨٠	الصحف والصحافة في نظر السيد ابن شهاب
٣٨٢	مواقفه السياسية
٤٠٥	الوحدة الاسلامية
٤١٨	اساليب محاربة المسلمين
٤٢٣	المتزمتون
٤٣٢	تجار اديان
٤٤٥	لماذا نجح الدعاة السابقون
٤٥٥	الامية الحضارية
٤٥٨	مكانة السيد ابن شهاب الادبية

٤٧٠	الادب الحضرمي قبل عهد ابن شهاب
٤٧١	شعره
٤٨٢	الادب العربي بعد غياب الرعيل الاول في المهجر الشرقي
٤٨٥	الارتقيات
٤٨٧	الاديب الموري
٤٩٤	المرأة في ميزان ابن شهاب
٥٠٤	رأي ربات الخدور في المرأة في ميزان ابن شهاب
٥١٠	الرجال وموقف السيد ابن شهاب من المرأة
٥١٧	الحمينيات
٥٣٥	تعليق السيد أحمد ضياء شهاب
٥٤١	مناوئوه
٥٦٧	وفاته
٥٧٥	النصر
٥٧٩	فذلكة يسيرة
٥٨٤	مختارات من قصائده
٥٨٦	صفحة من الادب أو ديوان السيد ابن شهاب
٥٩٣	الأرجوزة
٦٠٢	المراجع
٦٠٥	فهرس الكتاب